الفيصل

Mngool-com

مجلة ثقافية شهرية ـ العدد 243 ـ رمضان 1417هـ ـ يناير/ فبراير 1997م
ALFAISAL MAGAZINE ISSUE 243 JAN - FEB 1997



كيف نحافظ على روح رمضان ؟

الزجاج

اكتشاف عمره عشرة آلاف عام!

التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح

لمحمد بن بهادُر بن عبدالله الزركشي الشافعي (ت 794هـ).

هذا الكتاب ألَّفه صاحبه «... لإيضاح ما وقع في صحيح الإمام الجليل أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري - رحمه الله - من لفظ غريب، أو إعراض غامض، أو نسب عويص، أو راوٍ يُخشى في اسمه التصحيف، أو خبر ناقص... منتخبًا من الأقوال أصحها وأحسنها، ومن المعاني أوضحها وأبينها، مع إيجاز العبارة والرمز بالإشارة...».

كُتب النص على نوعين من الورق: مشرقي أبيض بخط نسخي سنة 803هـ على يد محمد بن محمد البغدادي بالمسجد الأقصى، والثاني أوربي أبيض تبدو عليه العلامات المائية بخط نسخي سنة 1201هـ على يد طه أبي الفضل الديريني، ولعل ذلك راجع إلى أن النسخة كانت ناقصة من أولها إلى ورقة 24، ثم استُكمل النقص على ورق أوربي بخط وحبر مغايرين.

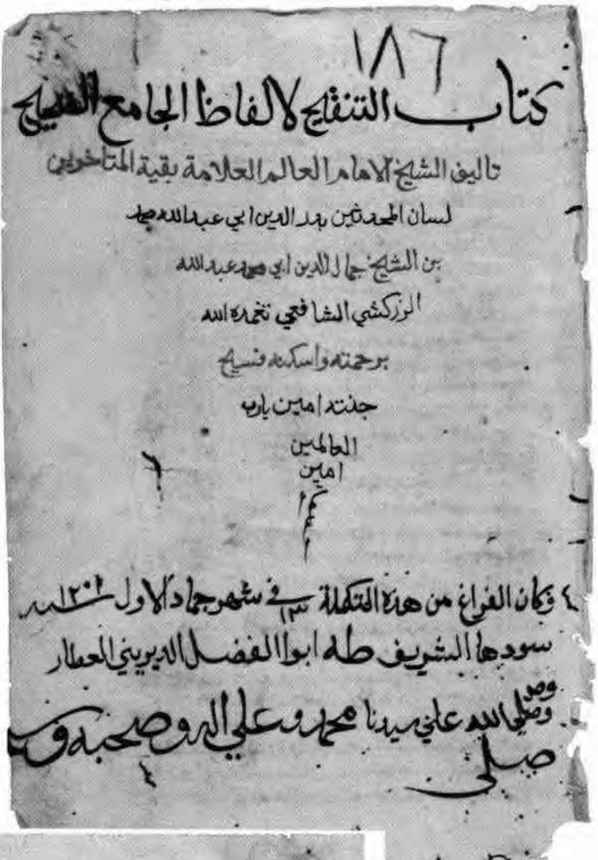
كُتبت رؤوس الفقرات والأبواب والفصول بالحبر الأحمر، وفي أوله فهرس لفصول الكتاب وأبوابه. وعليه حواش وتعليقات وتصحيحات ومقابلة على الأصل وعلى نسخة أخرى كما ذُكر في صفحة 85 ظ وفي آخر ص 223.

أما الجلد فهو أحمر مُجَدْوَلٌ بخطوط غائرة، وفي وسطه ميدالية بيضاوية بداخلها رسوم نباتية ووردية بارزة.

يقع المخطوط في 221 ورقة، ومسطرته 29 سطرًا، ومقاسه 27,3 - 18,8 سم.

والمخطوطة من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض برقم316.

إعداد: د. عابد المشوخي



١٨٦
كتاب التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح
تأليف الشيخ الامام العالم العلامة بقية المتأخرين
لسان المحدثين بدر الدين ابي عبدالله محمد
بن الشيخ جمال الدين ابي محمد عبدالله
الزركشي الشافعي تغمده الله
برحمته واسكنه فسيح
جنته امين يارب
العالمين
امين
وكان الفراغ من هذه التكملة في شهر جماد الاول سنة ١٢٠١
سودها الشريف طه ابو الفضل الديريني العطار
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه و

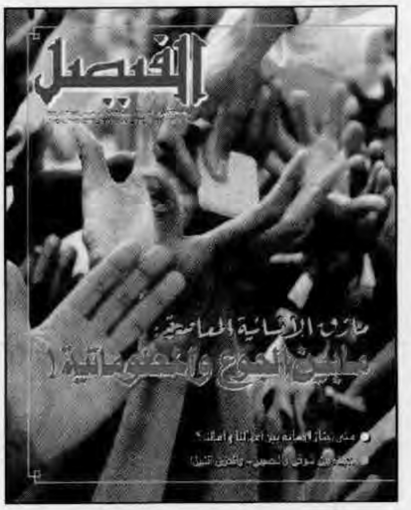


في العدد القادم:
- السلاح النووي الإسرائيلي بين الأسطورة والحقيقة
- التلفاز والمفاهيم الإنسانية
- قراءة في المشروع العربي للنهضة

رئيس التحرير
د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية



عن العدد الماضي

كما ساد الفيصل - يرحمه الله - عالمه وزمانه في السياسة، كذلك فعلت الفيصل «المجلة» فكرًا وإبداعًا وتنوعًا ومادة علمية. فالفيصل في أبوابها المتاثرة، تأتي كشجرة يانعة تؤتي أُكُلَها في بداية كل شهر. ولقد تصفحت العدد 242، وكتبت حوله هذه الأسطر القليلة:

إطلالة رئيس التحرير «هكذا يزداد الفقير فقرًا» تُنَبِّه على أن الفقر يضرب أطنابه في ربوع كثيرة من العالم، وهو موضوع شائك يحتاج إلى وقت وبحث على مناضد المؤتمرات، والمقال يحكي الحال، ومن جهة أخرى، يثير التساؤل عن دورنا نحن المسلمين تجاه فقرائنا، ولعل حلول شهر رمضان المبارك مما يجعل توقيت إثارة هذا الموضوع مناسبًا، لما يجسده من روح التكافل الإسلامي التي تتمثل في الزكاة والصدقة، والتي نأمل أن تسود في كل يوم من أيام السنة.

القراءات النقدية في المجلة تدور حول قضايا شتى، ومن أبرزها في العدد، تجلية شخصية أُميَّة بن أبي الصلت الطامع في النبوة، وهذه شخصية يحتاج القارئ إلى مثيلاتها لتنال حظها من الطرح والتحليل. وقدم الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري - كعادته - في «صداع العقول» شرحًا وافيًا لكلمة «معنى» في اللغة والاصطلاح الأدبي، وإن كان - وفقه الله - يجنح إلى ثقافة الغيرة، فهو يغار على لغتنا ومثقفيها. ومقالة د. مصطفى رجب عن الإعلام التربوي أعطت مفهومًا عن هذا الموضوع الحيوي، ولكنه يحتاج إلى مزيد من عمق التناول لاستجلاء العلاقة بين التربية والإعلام. وهذا الميدان كما يعلم قرّاء المجلة قديم جديد، الكتابة فيه لا تنضب.

ومما يُحمد للفيصل اهتمامها بإبراز الكتب والإصدارات الجديدة في كل شهر مع تنويع مجالاتها.

أما الباب الجديد «منتدى الفيصل» المعلن عنه في العدد فبادرة رائعة، ولاسيما أن ضيف الحلقة الأولى علم من أعلام وطننا العربي، مما يجعلنا نتوقع أن يغني المنتدى بأفكاره وآرائه النيرة في مجال تندر فيه الكتابة، وهو الإبحار في الفكر اليهودي واللغة العبرية، مما يدعونا إلى ترقب لقاء مثمر بين القرّاء والدكتور حسن ظاظا. ونأمل الإعلان مبكرًا عن الشخصية المقبلة، التي نرجو أن تتنوع مشاربها وثقافتها.

د. ناصر الشويعر

وزارة الصحة، الرياض

ملاحظات عامة :

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كُتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

1 - أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدَّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

2 - ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

3 - حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

4 - أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة، إضافة إلى صورة ملونة حديثة.

5 - الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

العنوان ص.ب (3) الرياض 11411 - المملكة العربية السعودية
هاتف 4653026 - 4653027 - 4647884 - فاكسملي: 4647851

ردمد 1140 - 0258 رقم الإيداع 14/0542

الاشتراكات السنوية :

للأفراد 150ريال سعودي، للمؤسسات 250 ريال سعودي.

الإعلانات :

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

الأسعار
السعودية 8 ريالات - الكويت 650 فلس - الإمارات 7 دراهم - قطر 7 ريالات - البحرين 750 فلس - عُمان 750 بيسة - الأردن 500 فلس - اليمن 40 ريالاً - مصر جنيهان - السودان 150 جنيه - المغرب 8 دراهم - تونس 600 مليم - الجزائر 10 دنانير - العراق 400 فلس - سورية 30 ليرة - ليبيا 800 درهم - موريتانيا100أوقية - الصومال 2000 شلن - جيبوتي 150 فرنك - لبنان مايعادل 4 ريالات سعودية - الباكستان 20 روبية - المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.

البريد

الأندية الأدبية بحر واسع العطاء

كانت انطلاقة فكرة الأندية الأدبية من الرئاسة العامة لرعاية الشباب حدثًا على جانب كبير من الأهمية، ولست هنا بصدد الإطراء، فنحن أبناء المملكة نشأنا على إكبار العلم وتوقير العلماء. ولا بد من الإشارة إلى أن العالم العربي يعيش أوضاعًا تنذر بالخطر، فمع إطلالة القرن الحادي والعشرين هناك نحو 80 مليون أمي، إضافة إلى عدد كبير من غير المثقفين. من هنا تبرز أهمية فكرة الأندية الأدبية التي رعاها صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب.

في اعتقادي أن الأندية الأدبية بحر واسع العطاء، يشمل كل ما له صلة بالأدب والتراث والثقافة، ويسهم في توفير مناخ جيد يكفل ترجمة ما تزخر به حضارتنا، وما يتصل بأمتنا من ثقافة وعمران وثروة ورفاهية نعيشها. كثيرون قالوا بضرورة تفعيل دور الأندية الأدبية، ولكن كيف؟!

أرى أن هذا التفعيل المأمول لا يتأتى إلا بأن تضع الأندية لنفسها خطة واضحة محددة تسير عليها للوصول إلى أهدافها. وهنا أُورد بعض ما أعتقد أنه نقاط في اتجاه التفعيل، والمشاركة في رسم الخطة:

- الاهتمام بالتيارات التقليدية والجديدة معا، وإيجاد الحوافز للجديد، وتوفير أرضية مشتركة تساعد على الجمع بين التيارين، مع تشجيع تلاقح الآراء.
- دعم الأساسات: كالأدب المتخصص العالي الثقافة، والأدب الشعبي.
- دراسة أسباب الركود الأدبي بشكل موسع وتذليل الصعاب.
- جذب الجمهور من العامة والخاصة، ودراسة مدى تأثير المجالس الأدبية الخاصة في تهميش دور الأندية الأدبية.
- دراسة موضوع التفرغ للأدب.

وهناك نقطتان أخريان مهمتان تتعلقان بالقراءة: لماذا لا نقوم بدراسات تمكننا من جعل المواطن العربي يتفرغ للقراءة ما بين ساعتين إلى خمس ساعات يوميًا؟ ثم ماذا عن تحفيز الطفل وتشجيعه على القراءة؟ إن دول العالم تتسابق من أجل كسب الطفل وبنائه وتكوينه، وآخر ما قدمته بريطانيا طباعة كتب الأطفال بروائح الفاكهة لترغيب الطفل في القراءة.

محمد عبدالعزيز السماعيل
ص.ب 1345 الأحساء 31982
المنطقة الشرقية

حتى لا نصبح غرباء في ديارنا

طالعت المقالة التي كتبها د. وليد قصاب في العدد 224 بعنوان: «الدعوة إلى العامية من يوقظها؟»، وأرى أن هذا الموضوع يستفز كل حادب على اللغة العربية، ومبعث الاستفزاز هو: الممارسات المشبوهة التي نقل لنا الكاتب مقتطفات منها، وهي ممارسات توضح أن أصحابها يحاولون أن يكونوا «أتاتورك العرب»؛ فدعوا إلى السير إلى جوار الأعداء في جنازة اللغة العربية، التي تمهد لجنازة عظيمة تحمل الأمة بكاملها إلى مقبرة التاريخ.

ولئن دعا هؤلاء إلى طمس الفصحى، وإخراج العامية إلى نور الشمس؛ فهذه الدعوة لم تكن الأولى، ولن تكون الأخيرة التي ترمي إلى تقويض دعائم هذه الأمة الأصيلة، وردم منابع تراثها وأدبها. ولنا أن نتساءل: ما هدف الداعين إلى إيقاظ العامية؟

إنني لأستغرب ـ حقًا ـ كيف لرجال يَدَّعون الأدب والعروبة، وهم على دراية واطلاع على ماضينا العربي والإسلامي القريب والبعيد، أن يطلقوا هذه الدعوات الرعناء؟ ألا يدرون، أم هم لا يريدون أن يعلموا، مخاطر الدعوة، وآثارها، وأنها تستهدف اللغة العربية؟

إنني لأدعو كل عربي أن يقف وقفة صادقة مع النفس ويتصور مستقبله ومستقبل أبنائه وأحفاده، وأمته كلها، حين يتفشّى داء العامية، ويصبح مطلوبًا منا أن نتلقى «دروسًا خصوصية» لنتعلم الفصحى كي نقرأ كتاب الله، ونطلع على كنوز التراث، ونتذوق الأدب، عندئذ سنصبح كمن يقرأ أدب الأعاجم. فلْيتبصَّر كل واحد منا، وليقرر موقفه.

جلال الدين محمد البوز
بانياس، الساحل، سورية.

من يأخذ بأيدي المبدعين ؟

لدي اقتراح: أرى أن الفيصل أفضل جهة تتبنى تنظيم مسابقات أدبية: شعرية ونثرية وقصصية، ومسابقات فكرية، الهدف منها اكتشاف المبدعين من المواهب. أعلم أن هناك باب «تباشير» تنشرون فيه نتاج الموهوبين، ولكنني أعتقد أن اقتراحي أكثر شمولاً. فأنا على ثقة بأن إقامة مسابقات دورية يشرف عليها كبار الكتاب والأدباء والشعراء من العالم الإسلامي، ستكون نافذة حقيقية تكتشفون من خلالها عددًا كبيرًا من الشباب الواعد بالإبداع. هناك نماذج متنوعة في المراحل التعليمية المختلفة، وحتى من ذوي التعليم الأوّليّ، ولكن من يحرك الكنوز من مخابئها؟ من يأخذ بأيدي المبدعين إلى النور؟

جمال عبدالرحمن حسين
الخرطوم، السودان

«البريد» زاوية تستقبل فيها المجلة رسائل القراء، ويمكن أن ترد على بعضها، وتترك الردّ على بعضها الآخر للقراء **يمكن أن تقوم المجلة بتحرير بعض**

أربعة اقتراحات

لدينا بعض الاقتـراحـات، ونرجـو أن تروق لكـم، وتكون مشـاركة في دعم الأهداف السامية التي تسعـون الى تحقيقـها من خلال «الفيصل»:

1- نرجـو أن تثبتوا علـى الأرقام العربيـة، فـالعـودة إلى هذه الأرقـام واستـخدامـهـا بدلاً من الأرقام الهنـدية السائدة، جـزء من رسالة التأصيل التي تنهض بها هذه المجلة المرموقة.

2 ـ نود أن يقـوم أي من كـتّـاب «الفـيـصل» المتـخـصـصين بمشكلات اليهود ومكائدهم، بتسليط الضوء على «بروتوكولات حكماء صهيون»، فنحن المسلمين، أحوج ما نكـون اليوم إلى فهم «البروتوكولات» وكشف مراميها البعيدة.

3 ـ الاهتمـام بنشر المسـرحيات الهـادفة، حتى تـضاعف المجلة تأثيرها، بالمشاركة في ترقية الثقافة المسرحية.

4 ـ الثقافة عـامة لا تتعارض مع الترفيه، وإذا كان التـرفيه جزءًا من وظيـفة الوسـائل الإعـلاميـة، فإنه ـ أي التـرفـيه ـ إذا تم بطريقـة مدروسة يؤدي دورًا ثقـافيًا لا يُستـهان به، فلماذا لا تتسع مـساحة التـرفيـه قليـلاً، وليكن بإضـافـة زوايا أو فقـرات ترفـيهـيـة في باب استراحة العـدد، فالكلمات المتقاطعة ليست لـلتسلية فقط، بل هي تثقيف وإثراء للمعلومات.

زياد عبدالكريم العلي
الكرك، الأردن


السيد محرر زاوية بريد القراء
تحية طيبة وبعد .

يسعدني ويشرفني أن أراسل المجلة من جديد بخصوص ثلاثة مواضيع هذه المرة :

أولا أقترح على المجلة محاكاة عمل جليل قام به مركز الفيصل مشكوراً وهو جمع صور المخطوطات التى تنشرها المجلة على ظهر غلاف كل عدد منها ويكون مثلاً هو الجزء الثاني لكتاب "الخط العربي من خلال المخطوطات" .

ثانيا أشاطر المجلة في ردها على الدعاة إلى إحداث ركن للتعارف . أشاطرها الرأي أن أفضل تواصل وتعارف بناء يكون بين القراء من خلال إسهاماتهم الثقافية والفكرية ، وهو الصواب والجدية .

ثالثا وأخيرا أتمنى الحصول على العدد ٢٠٩ سنة ١٩٩٤م من مجلة - الفيصل العزيزة وبه موضوع هام عن الخط العربي ، كما لا يفوتني طلب التعرف على خطاط المجلة - إن أمكن من

علي
الخطاط المبتدئ الضعيف
علي بنعياش بن الحاج ابراهيم
البالم في ٢٩ / ٩ / ١٩٩٦ م

بدلاً من التغني بالفتوحات

أعجبتني الصـراحة والعمق اللَّذَيْن تناول بهما د. خالـص جلبي موضوع «الاجتياح المغولي للعـالم الإسلامي» في العدد 235. فنحن في مسيس الحاجة إلى إثارة مثل هذه الموضوعات الحساسة، أكثر من التغني بذكريات الفتوحات، فمعرفة الداء مدعاة للبحث عن الدواء.

وعلى شمول تناول د. جلبي ودقة بحثه، فلدي تعقيب بسيط: عندما دخل الخليـفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ مدينة القدس، أطلق مقولته الخالدة: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله». هذه المقـولة هي المصل الشافي لعلل الأمة الإسلامية، وهي معادلة معروفة: الإسلام يؤدي إلى العزة، والبحث عن غـير الإسلام يؤدي إلى الذل. ولكن لا بد من إيضاح أن الإسـلام الذي قصده الخليفة عـمر هو إسلام المحبـة والمساواة والدعوة إلى الله بالتي هي أحسن، والتحلي بالأخلاق الفاضلة، وليس التعصب والتناحر.

ليس أمامنا سوى تَمثُّل مـقولة الخليفة عمر، وإلا تداعت علينا الأمم كمـا تتداعى الأكلة إلى القصعة، لأنه عندما يكتفـي المسلم من الإسلام بالهُويَّة، ويكثر الشقاق بين المسلمين، تذهب ريح الأمة.

م. سمير جقميري
ص.ب 22573، دمشق، سورية.

لرسائل من أجل مـسـاحـة الصـفـحـة، أو لزيادة الإيضـاح فـقـط الرسـائل التي ترد بعنـاوين وأسـمـاء ترسل باسم المحرر (زاوية بريـد المجلة) ص.ب(٣) الرياض ١١٤١١

إطلالة



العمالة الوطنية

الحديث عن التنمية البشرية يطول ويتشعب ويدخل مداخل شتى، وخاصة في عصرنا الحاضر الذي تتسابق فيه الدول والمجتمعات إلى دخول منظومة حضارة القرن الحادي والعشرين. ففي عالم يتناهى في الصغر، وتتعاظم إنجازاته، يبقى الرهان على العقل الذي يستطيع التفاعل مع المعطيات الجديدة، استيعابًا وإبداعًا بثقة واقتدار. نقول ذلك، ونحن نشهد الاهتمام المتنامي على مستويات مختلفة بإيجاد فرص وظيفية للعمالة الوطنية، ومناقشة أوليات تطبيق السعودة في القطاع الخاص، بعد أن حقق القطاع العام خطوات واسعة في هذا الشأن، بالتزامه مضامين التنمية البشرية في الخطط الخمسية السابقة، وفق منظور تؤكده سياسة التنمية.

ولاشك أن هذا الموضوع يشغل حيزًا كبيرًا في تفكير المجتمع بكل قطاعاته بوصفه قضية حيوية متعددة الأبعاد، تنطلق من السياسة العامة للدولة التي تعول على الإنسان بوصفه أساس التنمية وركيزتها الأولى، كما أنه غاية كل حركة تنموية، وهدف كل أنشطة المجتمع. وما يوليه صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية ورئيس مجلس القوى العاملة من اهتمام بهذا الموضوع، في حوار صريح وعميق حوله، ليس إلا تجسيداً للاهتمام الكبير النابع من سياسة الدولة وأولياتها.

ولعل ما انتهت إليه ندوة توظيف العمالة الوطنية في القطاع الأهلي، من توصيات وآليات تنفيذ، يعد تأطيراً للقضية، وتعضيدا لنهج الدولة في توظيف إمكاناتها لإعداد الإنسان القادر على الاضطلاع بأعباء التنمية، هذا التوجه الذي تعكسه الميزانيات المالية للدولة في كل عام، بتركيزها على محددات التنمية البشرية وأهدافها؛ تربية وتعليمًا وتدريبًا، وتوجيه النصيب الأوفر من المخصصات لها. فقد بلغت مخصصات التعليم في ميزانية هذا العام أكثر من 41,7 مليار ريال. كما أن توصيات الندوة جاءت معبرة عن ثوابت الدولة في التعويل على القطاع الخاص، وتمكينه من أداء دوره الاقتصادي جنباً إلى جنب مع القطاع العام الذي شكل إرهاصاً للبنى التحتية، كما أوجدت للقطاع الخاص الفرص الاستثمارية من خلال المؤسسات المالية المتخصصة، مثل البنك الزراعي، وصندوق التنمية الصناعي، وصندوق التنمية العقاري، وبنك التسليف السعودي.

ومن أهم ما أبرزته التوصيات: المسؤولية الجماعية حيال توظيف العمالة الوطنية، ولا أدل على ذلك من أن المحاور الأربعة التي انصبت عليها تلك التوصيات لتحقيق هذا الهدف تضطلع بمسؤوليات تنفيذها الوزارات والمؤسسات التعليمية والتدريبية ومراكز البحوث العلمية والقطاع الخاص بقطاعاته كافة، مما يستوجب درجات عالية من التنظيم والتنسيق والمتابعة المستمرة والتقويم.

وبما أن نجاح أي خطة يعتمد على مدى صدقها وواقعيتها، فإن توكيد دور التعليم والتدريب في تنمية القوى العاملة الوطنية حتى تأخذ مكانها في المؤسسات الاقتصادية، وتقوم بدورها في تحريك الاقتصاد الوطني بفعالية وإيجابية، بما يضمن له النمو المطرد، والصمود في وجه تحديات السوق العالمية، في ظل منافسة محمومة لا تعترف بالعواطف، فإن ذلك دليل على الموضوعية في النظر إلى قضية توظيف العمالة الوطنية، لأن الأمر لا يعني إحلال عمالة وطنية محل عمالة أخرى، وإنما لا بد من شروط ومعايير موضوعية تضمن الحفاظ على المكتسبات التي تحققت من خلال خطط التنمية السابقة، وتتيح في الوقت نفسه الإسراع في بلوغ الغايات بأيد عاملة وطنية لا تقل في مستواها تعليمًا وتدريبًا عن مستوى العمالة الأجنبية التي ستحل محلها، ومن ثم، فإن النص على المواءمة بين مخرجات التعليم والتدريب واحتياجات سوق العمل قصد إلى توفير أهم الشروط الموضوعية لعملية الإحلال، وهو ما ينسجم تمامًا مع ما جاء في الأهداف العامة والأسس لخطة التنمية السادسة التي ركزت على «تنمية القوى البشرية والتأكد المستمر من زيادة عرضها، ورفع كفاءتها لتلبية متطلبات الاقتصاد الوطني، وإحلال القوى العاملة السعودية الملائمة محل غير السعودية». وذلك كله يعني ضرورة توافر الأعداد الكافية من العمالة الوطنية المؤهلة القادرة على الوفاء بحاجات التنمية، أي لا بد من تلازم الكم والنوع معًا، حتى تتم عملية الإحلال؛ من غير إخلال بمسيرة التنمية ومكتسباتها التي تحققت على مدى سنوات طويلة، والتي كان من أهمها تزايد حجم العناصر الوطنية المؤهلة في جميع مجالات الحياة.

لقد أثبتت تجارب الأمم عبر العصور أن الإنسان، بما خصه الله من طاقات وقدرات ذهنية وعقلية، هو أهم عناصر الإنتاج، فلا قيمة لعناصر الإنتاج الأخرى من رأس مال وموارد طبيعية من غير إنسان قادر على توظيفها والإفادة منها في تلبية حاجات مجتمعه. وليس هناك ما يضمن تفجير تلك الطاقات والقدرات الكامنة في الإنسان أكثر من التعليم، الذي يعد إحدى وسائل التربية لإعداد الإنسان وتأهيله لأداء العمل الذي يقوم به وفق أسس واضحة تضمن بلوغ المستويات المرجوة من الأداء، كما يفتح المجال لابتداع وسائل وأساليب جديدة تزيد من درجات الإتقان والإجادة بزيادة قدرات الإنسان على التفكير المنظم حتى يصل به إلى مرحلة الإبداع والابتكار.

وما كان إخفاق كثير من النظريات الاقتصادية ذات المنطلقات المادية البحت، إلا لعدم إدراك أصحابها لما يمكن أن يطلقه التعليم من طاقات وقدرات هائلة في الإنسان، تعينه على التوظيف المبتكر لعناصر الإنتاج الأخرى، الأمر الذي حقق له اكتشافات واختراعات جديدة، ماتزال تتراكم بصورة متسارعة؛ ممهدة له سبل تحقيق التقدم والتطور. ولم تكن نظرية مالتوس إلا واحدة من تلك النظريات التي أغفل أصحابها ما حبا اللهُ الإنسانَ به من إمكانات، وما متعه به من قدرات عقلية لا حدود لها، فقد رأى مالتوس أن حجم السكان في العالم يتزايد بمتوالية هندسية 2، 4، 6، 8 بينما يتزايد الغذاء وفق متوالية حسابية 1، 2، 3، 4، مما ينذر بالفقر والمجاعة، ومع ذلك، فقد زاد عدد السكان في أوربا التي انطلقت منها النظرية زيادة كبيرة، واستمرت في الوقت نفسه معدلات النمو مطردة، حتى بلغت أوربا ما بلغته الآن من تقدم مادي هائل، وقد تمّ لها تحقيق ذلك بفضل ما بذلته من جهود في إعداد القوى البشرية وتأهيلها، حتى أصبحت قادرة على التفاعل الإيجابي مع معطيات واقعها، واستشراف آفاق المستقبل.

ونحن إذ نتطلع إلى إيجاد قوى عاملة وطنية مؤهلة للقيام بمسؤوليات إدارة مؤسسات المجتمع وتشغيلها بكفاءة عالية، يتعين علينا ـ كذلك ـ أن نتطلع إلى كفاءات وطنية قادرة على رفد المؤسسات القائمة بمؤسسات جديدة في نشاطها ونظمها، يتم استحداثها من خلال استلهام حاجات المجتمع، وما يقتضيه الواقع من مواكبة، وما ينتظم العالم من تطور مذهل في مجالات الحياة كافة، وهذا ما يجعل المجتمع في نشاط دائب ومتجدد يستوعب كل الطاقات القادرة على العمل والإنتاج، ويؤدي إلى إيجاد نتاج وطني فاعل. ومادام الأمر كذلك، فإن التخطيط لبرامج التعليم يستدعي النظر إلى حركة المجتمع المتجددة، وبناها الاقتصادية المتغيرة وفق ما تتطلبه سنن التطور في الحياة، ومن ثم لا يمكن أن يكون التخطيط قاصدًا الحالة الراهنة فحسب، وإنما عليه أن يمتد إلى المستقبل بكل تطلعاته وتوقعاته، وعليه، فإن هذا التخطيط لا يقتصر على تحقيق التواءم بين مخرجات التعليم وسوق العمل في إطار الظروف التي تحكمه في الحاضر، وإنما يأخذ في الحسبان المتغيرات المتوقعة في المستقبل، وما يمكن أن يحتاج إليه هذا السوق من كفاءات، مما يوجب أن يتم التخطيط بالمرونة وإمكانات التجاوب مع المستجدات، وهذا ما يشير إليه الوزير الاتحادي للتعليم والعلوم في ألمانيا البروفسور راينر أورتليب بقوله: «يجب لدى صياغة المضامين الثابتة للتعليم الانتباه إلى أن متطلبات التأهيل خاضعة دائمًا لتغيرات الواقع، ولهذا صارت هذه المضامين في هذا اليوم لا تُحَدَّد بشكل نهائي، وإنما بشكل منفتح للتطورات، بحيث يصبح بالإمكان وبسرعة القيام بتعديلها بما يتوافق مع آخر تلك التطورات».

ولا يقوم تخطيط برامج التعليم من فراغ، وإنما يعتمد على منظومة تربوية مستمدة من القيم الثقافية والحضارية للمجتمع، وأهم ما يتعين على التربية بمفهومها الشامل أن تحققه في مجتمعنا هو ترسيخ المفاهيم الصحيحة للعلم والعمل في الأذهان والعقول استنادًا إلى المنظور الإسلامي، ليأتي بناء الإنسان بناءً متوازنًا، يكفل له تطوير كفاءاته وإطلاق قدراته، وتحريره من قيد التقليد والاتباع، إلى آفاق الاستيعاب والإبداع، مما يوسع مداركه، ويجعله أكثر التصاقًا بواقعه، وأشد حرصًا على الانفتاح على العالم من حوله، لصقل خبراته وتجاربه، وتنمية معارفه ومهاراته في سبيل تحقيق النجاح في عمله الذي يجب أن يمثل له الحياة بكل معانيها، لأن قيمته في مجتمعه متعلقة بمقدار نفعه لهذا المجتمع، ومدى تفاعله مع قضاياه ومشكلاته، وما يسهم به من جهد لإيجاد الحلول لها؛ متجاوزًا بذلك المردود المادي لما يمارسه من عمل، من منطلق مفهوم أوسع ينظر إلى العمل بوصفه وسيلة لإثبات القدرات وتحقيق الذات.

ورسوخ هذا المفهوم الحضاري للعمل يضمن المثابرة عليه،

وأسس توظيفها

والإخلاص في أدائه، والاستهانة بكل الصعوبات والمشكلات التي تعترض الإنسان في سبيل أدائه وإتقانه، فلا تزيده تلك الصعوبات والمشكلات إلا قوة وصلابة وإصرارًا على المضي في الاتجاه الذي يبلغه غاياته، ويشبع حاجته إلى الطمأنينة الداخلية النابعة من الرضا عن الذات.

إن الإنسان المفكر والعامل هو غاية التربية، لأنه المحرك الأساس لأي تنمية اقتصادية، وهو المنوط به مسؤولية إعمار الأرض، ولا يستطيع الإنسان أن يقوم بهذه المسؤولية الكبيرة من غير تربية تستفز طاقاته وقدراته، وتمنحه إمكانات التحليل الناقد والاستقراء العميق والتفكير الحر فيما يواجهه في حياته من مشكلات، أما حين يقتصر دور مؤسسات التعليم على منح شهادات الإجازة لطلابها، وتكون غاية الإنسان الحصول على إحدى هذه الشهادات حتى يضمن لنفسه عملاً يتعيش منه، فإن التربية تكون قد انحرفت عن مسارها الصحيح، وأصبح التعليم درجًا أو مصعدًا ينقل الطالب من مرحلة إلى أخرى، من غير أن يدرك غايات كل مرحلة، ومن دون أن تسهم مقرراتها ومناهجها في صياغة فكره وتكوين عقله لأن أكثر ما يهمه تجاوز الامتحان بأي أسلوب ووسيلة، وقد تترتب على ذلك قيم وسلوكيات تتجافى مع جوهر التربية ومقاصدها، كما أن من نتائج ذلك إخراج نسخ مكرورة من العقول عاجزة عن استيعاب ما هو قائم، لانفصامها عن واقعها، واستغراقها فيما مضى من العمر في الحفظ والاستظهار بغرض تجاوز الامتحان، والحصول على الشهادة التي هي - بكل أسف - الغاية والمبتغى.

وتركيز ندوة توظيف العمالة الوطنية في القطاع الأهلي على ضرورة مراجعة مناهج التعليم وتطويرها يعكس إدراكًا لما لهذه المناهج من دور في صياغة الإنسان وتشكيله، مما يستوجب التقويم المستمر لها، وموازنتها بما لدى الآخرين من مناهج، في إطار يلتزم المحددات الرئيسة لسياسة التعليم في المملكة العربية السعودية المستمدة من المنظور الإسلامي، والرامية إلى صون كرامة الإنسان، وتحقيق رسالته في هذه الحياة بإعمار الأرض والقيام بمسؤوليات الاستخلاف فيها.

وقد صاغ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم دروسًا عملية في إعلاء شأن العمل والحرص على إتقانه من منطلق إيماني راسخ يبتغي مرضاة الله، واتبع الصحابة رضوان الله عليهم منهجه، واقتفوا أثره، فالخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوضح أن من يأتي بالأعمال هو الأقرب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، فجعل العمل بذلك معيارًا للتفاضل، ومقياسًا لمدى القرب من الرسول الكريم. والفاروق - كذلك - ينظر إلى الرجل فيعجبه منظره، فيسأل عن عمله، فإذا قيل له إنه لا يعمل سقط من عينه. كما أن من الشائع تلك الموازنة التي رجح فيها كفة الأخ الذي يعمل على أخيه المنقطع للعبادة، لأن هذا الأخير يعيش عالة على أخيه. ونستخلص من هذا النهج العملي أن العمل من أحبّ العبادات إلى الله سبحانه وتعالى، وأن هذا المبدأ الإسلامي الثابت يتعين أن تؤصله التربية في المجتمع، بتسرية روح الحماسة للعمل المنتج في النفوس، بتأكيد ما للعمل من فضل في الحفاظ على كرامة الإنسان وآدميته. فالمجتمع الإسلامي كما أشار الرسول صلى الله عليه وسلم لن يكون فيه سائل ولا محتاج إذا بذل فيه كل قادر على العمل قصارى جهده.

إن ما نحتاج إلى غرسه في نفوس شبابنا هو أن يدرك أن تحديات البناء الاقتصادي والاجتماعي كبيرة ومتجددة، وأن تجاوزنا لمرحلة منها، يعني أن هناك مراحل ما تزال تحتاج إلى جهود أكبر، ومشاركة أكثر فعالية من كل مواطن، بأن يكون حريصًا على أداء العمل الموكول إليه بكل دقة وإتقان مهما قلّ شأنه، بل ليس هناك عمل قليل الشأن إذا ما أُدّيَ بإخلاص وتفان، فعلى سبيل المثال، هل يمكن تصور حال مدينة من غير عمال نظافة؟ دعنا نتخيل ما يمكن أن يصير إليه حالها إذا خلت من هذه الفئة من العمالة، بل دعنا نركز على الآثار الصحية التي يمكن أن يسفر عنها هذا الوضع. إنها بلا شك آثار وخيمة لا يُعرف مداها؛ مما يبرهن على أنه لا يوجد عمل قليل القيمة، بقدر ما يمكن أن يوجد عامل قليل الإتقان.

مفاد القول إنه لا بد من وجود دافع ذاتي لدى المواطن لتنمية قدراته، يتواكب مع ما توليه الدولة من اهتمام بالتعليم والتدريب وتطوير برامجهما ومناهجهما ليتوافقا مع مستحدثات العصر وظروفه، وأن يكون لكل صاحب حرفة ومهنة إيمان بقيمة العمل الذي يؤديه.

ويُعدّ الإعلام من أهم الوسائل لترسيخ قيم المجتمع ومفاهيمه، إذ لا يخفى على أحد ما تؤديه وسائل الإعلام من دور في توجيه أفراد المجتمع، وتكوين اتجاهاتهم الفكرية، وتشكيل مواقفهم النفسية إزاء القضايا المختلفة، بما لها من قدرة على تجسيد مواقف الحياة بصورة جذابة، وما تملكه من إمكانات تأثير واسعة في جمهور المتلقين من كل الفئات العمرية ومختلف المستويات العلمية والثقافية، لذلك كان من الطبعي أن يكون الإعلام والتوعية محورًا من أهم المحاور الأربعة لندوة توظيف العمالة الوطنية في القطاع الأهلي. فالإعلام السعودي مُطالَب بتغيير المنظور المادي إلى العمل، وتوكيد معناه الحقيقي في الأذهان، المتمثل في كونه وسيلة لتحقيق الذات. ويقتضي هذا المفهوم استمرار تطوير القدرات والإمكانات بالتزام قيم أخلاقية وسلوكية مستمدة من تعاليم ديننا الحنيف، تتوخى الدقة والإتقان والإجادة والصدق والإخلاص والحرص على الاستثمار المسؤول للوقت. فكل هذه المعاني، الإعلام حري بأن يبرزها ويعمل على تثبيتها في الأذهان، لتصبح سلوكًا عامًا يُمارس في الحياة، كما أن عليه الإقناع بأهمية تشغيل الأيدي العاملة الوطنية، وتفسير السياسات والضوابط المنظمة لسوق العمل.

والإعلام السعودي قادر - بلا شك - على أن يقوم بهذه المسؤوليات. فهو ينفرد عن غيره من النظم الإعلامية الأخرى بسياسة تنبثق من الإسلام وتلتزم قيمه، وتستمد معانيها من شريعته، وتجعل الإنسان وكرامته محورها الأساس.

وهذا الدور المنوط بالإعلام في هذا الصدد يستدعي التركيز على دقة المعلومات التي يتم إيصالها إلى جمهور المتلقين، والحرص على التفسير والتحليل باتباع أساليب موضوعية تبتعد من المغالاة والتهوين، والبعد من المباشرة والخطابية، واتخاذ الوسائل الفنية التي تجد قبولاً لدى المتلقين في صياغة الرسالة الإعلامية وإبلاغها، ومن خلال ذلك كله، يحدث الأثر المطلوب للرسالة الإعلامية في توجيه المجتمع، وتغيير اتجاهاته السلبية، ودعم الصور الذهنية الإيجابية لديه.

لقد أثبتت دراسة أجريت - مؤخرًا - أن هناك 15 ألف إعلان سنويًا يتعرض لها الطفل السعودي، منها 6آلاف إعلان عن مواد غذائية، كما يقضي الشباب والأطفال (من 6- 16سنة) في الدول النامية ما بين 500 إلى أكثر من 1000 ساعة في العام أمام شاشة التلفاز. وتنحو نتائج دراسات إعلامية أخرى المنحى نفسه، مما يشير إلى تعاظم دور وسائل الإعلام المرئية في الحياة الحديثة. ويمثل ترسيخ النمط الاستهلاكي والترويج للعنف من خلال الأفلام أكثر سلبيات الإعلام المعاصر، إضافة إلى الوقت الطويل الذي يُهدر فيما يضر ولا ينفع؛ وهذا الواقع يشكل تحديًا كبيرًا للإعلام الذي يلتزم قيم مجتمعه وثوابته، إذ عليه أن يبحث عن الوسائل التي تضفي على رسالته عناصر التشويق والجاذبية من غير التخلي عن المضمون الجاد الذي يرمي إلى إيصاله؛ وبلا أي مجاراة لأساليب الإسفاف والابتذال التي قد يلجأ إليها الآخرون، مما يكفل وصول الرسالة الإعلامية إلى الجمهور المستهدف، وإحداث الأثر المرغوب منها.

ولا يعد ذلك تحديًا للإعلام فحسب، وإنما هو تحد لكل النظام التربوي، الذي يتعين عليه أن يُوجِد في داخل كل فرد حصانة داخلية تقيه مغبة الانقياد لأي رسالة إعلامية تتناقض مع قناعاته ومنطلقات مجتمعه، أو الاستسلام لما يهدر وقته فلا يستثمره فيما هو مفيد، أو الخضوع للكسل والخمول.

إن تنمية طاقات القوى العاملة الوطنية واستثمار قدراتها في دفع حركة الاقتصاد الوطني وتوطيد أركانه - في ظل ما يشهده العالم من تطورات متلاحقة على الأصعدة كافة - تحتاج إلى تكاتف الجهود وتواصلها، وما يبديه سمو الأمير نايف بن عبدالعزيز من اهتمام واضح بهذه القضية الحيوية، وما يتسم به أسلوبه من صراحة وصدق في التعامل معها، وما اتضح من عمق في طرحه الذي أفصح عنه ما قرأته وسمعته ولمسته من سموه، هذا كله ليس إلا توكيدًا بأن علينا مواجهة القضية بالتخطيط الواعي والبرامج العملية والتقويم المستمر حتى نصل إلى مرحلة الاستيعاب الكامل لكل القوى العاملة الوطنية في مجالات تتناسب مع مستويات تأهيلها وإعدادها. ولا يملك المرء إزاء كل ما قام - ويقوم - به سموه من جهود كبيرة في هذا الميدان إلا أن يدعو الله له بالتوفيق والسداد كي تُثمر جهوده هذه؛ فهي - بلا شك - جهود ستظل تُذكر فتُشكر.

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

ما يوليه الأمير نايف من اهتمام بهذا الموضوع تجسيد للاهتمام الكبير النابع من سياسة الدولة. ولا بد من وجود دافع ذاتي لدى المواطن لتنمية قدراته



كيف ننتفع من مدرسة الصيام؟

اتفق الفقهاء على أن بداية صوم رمضان ونهايته تبدآن برؤية الهلال، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»، فماذا إذا تعذرت الرؤية؟

ولشهر رمضان أجواء إيمانية؛ فالمساجد تمتلئ بالمصلين، ويتسابق الناس فيه إلى القربات من قراءة القرآن، وقيام الليل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحضور مجالس الذكر.

فكيف نحافظ على هذه الصورة المشرقة لهذا الشهر الكريم؟ وكيف ننتفع من مدرسة الصيام؟

ثم ماذا عن الفوائد الصحية لشهر رمضان؟ وكيف يستطيع المريض صيامه من دون خوف من متاعب بدنية أو انتكاسات صحية؟

للإجابة عن هذه الأسئلة طالع الموضوعات المدرجة تحت عنوان «في رحاب رمضان».



الزجاج: قصة عمرها عشرة آلاف عام!

الزجاج لا غنى عنه للإنسان في حياته، فهو يستخدمه في النوافذ والسيارات، وفي صنع الأكواب والقوارير، فضلاً عن استخداماته العلمية والطبية، حتى دخل في صناعة الألياف البصرية، التي إذا استُخدمت كأسلاك للهواتف، فإن كبلاً واحدًا منها يستطيع حمل 300 ألف مكالمة هاتفية في وقت واحد.

ترى، ما تاريخ الزجاج؟ وما تركيبه؟ وكيف يتشكل إلى هذه النماذج المتنوعة التي نراها في حياتنا؟ وما آفاق استخدامه مستقبلاً؟ هذه الأسئلة وأسئلة أخرى كثيرة غيرها أجاب عنها كل من د. الشافعي منصور ونجلاء حسن حامد.

طالع ص 83



السينما في خدمة الجريمة!!

عرف الإنسان الجريمة مع بداية وجوده على ظهر الأرض، وتتنوع أساليب الجريمة ووسائلها بتعدد المجتمعات وباختلاف الأزمان. وفي عصرنا الحاضر يعاني المجتمع الإنساني من تطور أساليبها وتعدد أوجهها، وكان المأمول أن تشارك وسائل الإعلام في الحد من هذه الظاهرة التي تهدد المجتمعات، ولكن من المؤسف أنها ـ في بعض الأحيان ـ تؤدي إلى الترويج لبعض السلوكيات غير السوية، ولاسيما من خلال الأفلام التي تنقلها ـ أحيانًا ـ إلى أناس لم يعرفوها، ولم يألفوها؛ الأمر الذي يعني أن السينما من الممكن أن تتحول إلى أداة في خدمة الجريمة!!

د. محمود يوسف مصطفى أجرى دراسة تناولت ظاهرة الجريمة في أفلام الفيديو، ومدى خطورتها في ترسيخ العنف.

طالع ص 99

شخصيات

شعر وقصة

الأبواب والزوايا الثابتة

من كتاب العدد



د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

- من مواليد عنيزة، القصيم 1344هـ.
- حاصل على الليسانس من كلية دار العلوم، جامعة القاهرة 1371هـ/ 1952م، وعلى الماجستير من جامعة لندن، ثم الدكتوراه من الجامعة نفسها 1380هـ/ 1960م.
- عمل أمينًا عامًا لجامعة الملك سعود 1960م، فوكيلاً 1961- 1971م، ثم رئيسًا لديوان المراقبة العامة مدة عامين، فوزيرًا للصحة 1974-1975م، ثم وزيرًا للمعارف 1975- 1995م، وهو الآن وزير دولة في مجلس الوزراء.
- من مؤلفاته: أي بني (5 أجزاء)، في طرق البحث، تحقيق «حُسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية» لشافع بن علي بن عباس، إطلالة على التراث، قراءة في الشاعر محمد بن عبدالله بن عثيمين.
- له مقالات عديدة منشورة في الصحف والمجلات السعودية.

د. أمينة محمد علي بيطار

- من مواليد دمشق 1938م.
- حاصلة على الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من كلية الآداب، جامعة القاهرة 1975م.
- أستاذة في جامعة دمشق، ومعارة حاليًا إلى جامعة الملك سعود بالرياض.
- من مؤلفاتها: موقف أمراء العرب في الشام والعراق من الفاطميين حتى أواخر القرن الخامس الهجري، تاريخ العصر العباسي (132- 334هـ)، تاريخ المشرق من السلاجقة حتى سقوط بغداد (بالمشاركة مع الدكتور سهيل زكار)، تاريخ العصر الأيوبي، التعليم في دمشق في عصر ابن عساكر، إضافة إلى بحوث ودراسات متعددة منشورة في المجلات العلمية المتخصصة.



د. الصادقي العماري

- من مواليد كوليمة، المغرب 1944م.
- حاصل على دكتوراه السلك الثالث.
- مارس التدريس في المراحل التعليمية المختلفة، ويعمل حاليًا أستاذًا بكلية الآداب، ظهر المهراس، فاس.
- له بحوث في الأدب العربي والنقد والبلاغة، ومقالات منشورة في مجلات محلية وعربية.



د. نجيب غزاوي

- من مواليد اللاذقية 1945م.
- حاصل على الدكتوراه في الآداب من جامعة كان، فرنسا 1977م.
- يعمل أستاذًا في قسم اللغة الفرنسية، جامعة تشرين.
- تولى رئاسة قسم اللغة الفرنسية، وعمادة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وهو الآن وكيل جامعة تشرين للشؤون الإدارية.
- من ترجماته: لسانيات القرن العشرين، آداب الطفولة والشباب، النساء في أوغاريت، تاريخ ثمود، العربية الجنوبية، إضافة إلى بحوث ودراسات أخرى منشورة



عبدالله عبدالرحمن الحيدري

- من مواليد بلدة البير، شمالي الرياض، 1384هـ/ 1964م.
- حاصل على بكالوريوس اللغة العربية من كلية الآداب، جامعة الملك سعود 1406هـ، ويعد حاليًا لنيل درجة الماجستير برسالة عنوانها: «السيرة الذاتية في الأدب السعودي».
- معد ومقدم للبرامج في الإذاعة السعودية منذ عام 1406هـ، كما عمل مشرفًا أدبيًا في جريدة «المسائية» في المدة من 1411- 1415هـ.
- له كتاب مطبوع بعنوان «أطياف شعبية».



عقار لكبح جماح ثالث أكبر قاتل في أمريكا

تشير الإحصاءات إلى أن قرابة نصف مليون أمريكي يصابون بالسكتة الدماغية كل عام. وتُعرف السكتة الدماغية بأنها حالة تنجم عن تمزق في تدفق الدم في الدماغ، وتسبب تلفًا في خلايا الدماغ نتيجة لذلك، وتوصف السكتة الدماغية بأنها ثالث أكبر مرض قاتل بعد النوبات القلبية والسرطان، كما أنها من الأسباب الرئيسة للإعاقة في الولايات المتحدة. وتقول مجلة بيزنس ويك BUSINESS WEEK عدد يونيو 1996م، إنه في الوقت الذي تحدث فيه نسبة 17٪ من السكتات القلبية بسبب تمزق الأوعية الدموية، فإن الغالبية العظمى من السكتات الدماغية تنشأ عن فقر الدم الناتج من عقبات تعترض تدفق الدم في الشرايين - انسداد في الشرايين يحرم الدماغ من التزود بالدم والأكسجين -، ويموت بسبب السكتة الدماغية 20٪ ممن يصابون بها، وكثير ممن لا تكون حالة الإصابة عندهم مميتة، يعانون من الشلل ومن صعوبات في النطق والرؤية.

وهناك الآن عقار أمريكي يؤمل أن يكون ترياقًا للسكتة الدماغية. فنتيجة للدراسات التي أجريت على العقار TPA الذي أنتجته شركة جينيتك المتحدة، شرع الأطباء في استخدام هذا الدواء المفتت للجلطة حال حدوث السكتة الدماغية، وذلك من أجل استعادة تدفق الدم والأكسجين إلى أنسجة الدماغ قبل حدوث تلف بالدماغ يستعصي على العلاج. يقول د. باتريك ليدن طبيب الأعصاب في جامعة كاليفورنيا في سان ديجو، معلقًا على آثار هذا العقار: إنه قضى عقدًا من الزمن يعالج مرضًا لا علاج له، والآن فُتح الباب لعلاج هذا المرض.



محنة تشيرنوبل
تحول زيوت الطعام إلى شحوم للمعدات

ظل المزارعون منذ كارثة انفجار المفاعل النووي في تشيرنوبل، يعيشون مشكلتين في آن واحد، الأولى: الخوف المستمر من المضاعفات الصحية للإشعاعات النووية، والثانية: إحجام الدول والأفراد عن شراء إنتاجهم الزراعي، حتى لو تبين أنه سليم (خال من الإشعاع النووي).. ومع أن الجانب الأول (الصحي) ما يزال يسفر عن صور عديدة من الأمراض السرطانية، والبحوث العلمية تكشف عن المزيد؛ فإن الجانب الآخر، المتمثل في إنقاذ أوضاع المزارعين الذين يعيشون في ظل الكارثة، استرعى انتباه جهات عديدة، ركزت اهتمامها في استثمار الإنتاج الزراعي المرفوض، من طريق إعادة إنتاجه للاستفادة منه في مجالات أخرى غير الغذاء.

ضمن هذه المساعي يجري تحويل أحد المصانع المتخصصة في إنتاج زيوت الطعام إلى إنتاج زيوت تشحيم صناعية، فعلى الرغم من أن مصنع مازير لصناعة السمن النباتي (المارجرين) وزيوت الطبخ في بيلاروس يعمل بطاقته القصوى؛ إلا أن هاجس تشيرنوبل جعل المستهلكين يحجمون عن الشراء، فأصبح

المصنع يوجه إنتاجه إلى مصانع الطلاء ومواد التلميع. وجاءت فكرة تحويل الإنتاج إلى زيوت تشحيم، كما ذكرت مجلة New Scientist - العدد 2049 - 28 سبتمبر 1996م، برعاية معهد الوقود الحيوي النمساوي. ويُعدّ هذا المسعى جزءاً من مشروع أكبر يُدار من قبل قسم مشترك بين منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة (الفاو) ووكالة الطاقة الذرية الدولية وذلك لمراقبة التربة، ورصد مستوى التلوث الإشعاعي، خاصة التلوث بعنصري السيزيوم 137، والاسترونتيوم 90. وقد تم بالفعل تحديد المناطق المنخفضة التلوث، من أجل السماح للمزارعين بزراعة اللفت لاستخراج الزيت النباتي المثالي، لتحويله للاستخدامات الصناعية وتشحيم المعدات الثقيلة بدءاً من الجرارات والحاصدات والرافعات الهيدروليكية، وانتهاء بالمناشير التي تعمل بالسيور، وجزازات العشب (المناجل).

وفي الوقت نفسه بدأ معهد الوقود الحيوي النمساوي عمله في مضاعفة الطاقة والارتقاء بها في المصنع وتحسين نوعية زيوته. يقول فيرنر كوربتز من المعهد المذكور: إنهم يريدون من السكان المحليين أن يعملوا ما بوسعهم، وأن يستوردوا أقل قدر من المعدات، فالهدف هو البدء بأبسط المنتجات مثل الشحوم، ومن ثم الانتقال لتصنيع منتجات أكثر تطوراً مثل الديزل الحيوي (النباتي)، كما أن هناك دراسات تجرى لإيجاد أسواق جديدة، وإنتاج زيوت لتشحيم مناشير قطع الأخشاب الحرجية.



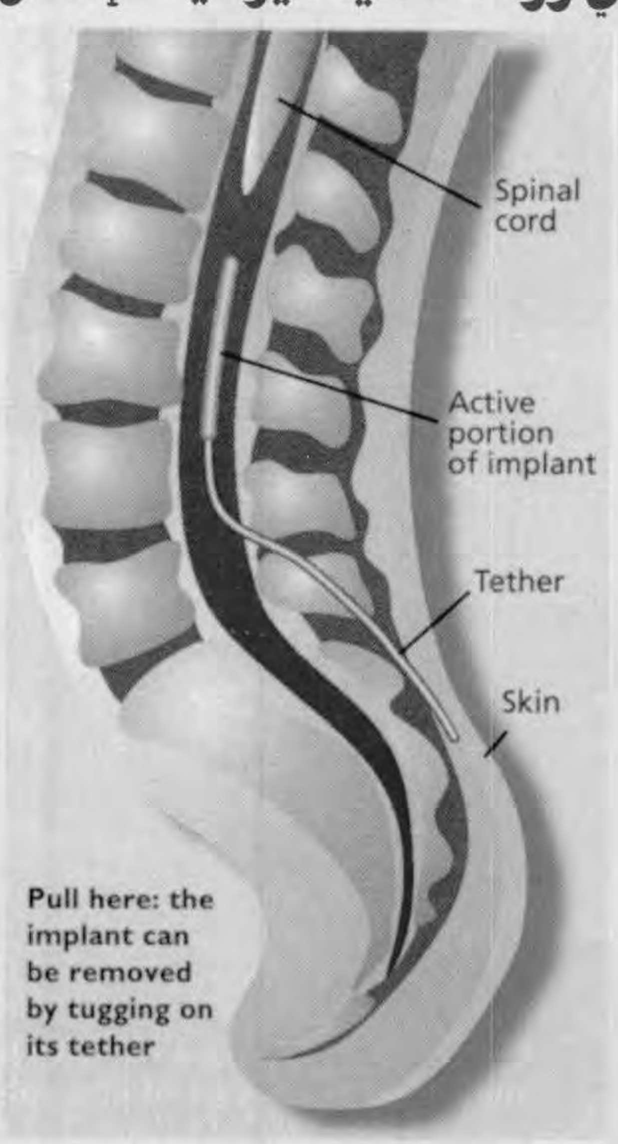
انبثاق مياه ساخنة من بين كتل الجليد

اضطر أربعة جيولوجيين إيسلنديين إلى الهرب للنجاة بحياتهم عندما انبثقت كميات هائلة من المياه الساخنة من تحت نهر جليدي كانوا يقومون بدراسته. لقد توقع بعض العلماء حدوث فيضان في هذه المنطقة، قبل أربعة أسابيع من هذا الحادث، وذلك نتيجة ثوران بركان تحت نهر فاتنا جوكول أكبر نهر جليدي في أوروبا. ولكن بول إينارسون أستاذ الجيولوجيا في جامعة أيسلندة في ريكيافيك لم يذهب بتوقعه إلى إمكان انبثاق هذا القدر العظيم من المياه أو التدفق بهذه السرعة، كما ذكرت مجلة New Scientist - العدد 2056 - 16 نوفمبر 1996م

في العادة تعمل الحرارة البركانية على إذابة جليد فاتنا جوكول ببطء. وتحدث فيضانات بسيطة كل بضع سنوات عندما تعمل المياه الساخنة على إذابة السد الجليدي الذي يحجزها خلفه ومن ثم ينهار السد، ولكن الجليد ذاب هذه المرة بسرعة هائلة، إلى درجة أن زيادة منسوب المياه رفعت الغطاء الجليدي بسرعة فائقة لم تُعط السد الجليدي الوقت الكافي للذوبان ببطء، لذلك تدفق السيل الجارف الناجم عن ذلك بقوة بين النهر الجليدي والصخور المرتكز عليها.



حدود المجازفة والأمان في زراعة خلايا حيوانية للإنسان



نجح فريق طبي سويسري في تخفيف آلام ستة مرضى، ممن تقدم بهم العمر، من طريق زراعة خلايا حية في أعمدتهم الفقرية أُخذت من الغدد الأدرينالية للأبقار. وتنتج تلك الخلايا مزيجًا من مسكنات الآلام الطبيعية التي تترك آثارًا جانبية أقل من العقاقير الأخرى كالمورفين.

وتحتوي المواد المزروعة على خلايا الكرومافين التي تفرز الأدرينالين، والتي يُعتقد أنها تؤدي دورًا في مكافحة الخطر لدى الحيوانات، إلا أنها تنتج - في الوقت نفسه - مزيجًا من مسكنات الألم الطبيعية مثل: الكاتيكولامين والانكفالين والنيوروتينسين والسوماتوستاتين. وقد قام بإجراء تلك التجربة، وفق ما ذكرت New Scientist - العدد 2041 - 3 أغسطس 1996م، باحثون من جامعة «لوزان» بسويسرا وجامعة «براون» وشركة العقاقير الحيوية «سيتوثيرابكس».

وتعد زراعة أنسجة من أنواع أخرى في الأجسام البشرية قضية مثيرة للجدل، نظرًا لما قد ينتج عنها من تلوث، ولذلك كان على الفريق الطبي أن يجد طريقة للتقليل من هذه المجازفة، كما كان عليه أيضًا أن يحمي الخلايا من مقاومة جهاز المناعة لدى المريض، وأن يسمح للمواد الكيماوية المسكنة للألم بأن تجرى في أجزاء الجسم؛ فكان أن استخدموا جهاز زراعة أنبوبي لتغليف الخلايا بغشاء مبلمر إكليركي. ويمنع هذا الغشاء أي شيء يزيد وزنه الجزيئي على 5000 جزيء من النفاذ أو الخروج من الخلية المغلفة المزروعة.

يقول ميشيل ليساغت MICHAEL LYSAGHT الأستاذ المساعد بقسم الأعضاء الاصطناعية في جامعة براون: إن ذلك الغشاء لا تنفذ منه الفيروسات ومواد البلازما. ويضيف: إن عملية الزراعة تتضمن اختبارات دقيقة جدًا واختيارًا دقيقًا للمصدر.

ومع أن المرضى الذين خضعوا للدراسة الأولية كانوا في مراحل متأخرة من المرض؛ إلا أن ليساغت واثق من أن الزراعة لن تؤدي إلى حدوث تلوث لدى المرضى الذين يعانون طويلاً من المرض. ويضيف: إن منظوره للأشياء لا يعني أن هذه الدراسة مخصصة لأولئك الذين يعانون طويلاً من المرض فقط، فسبب اختيار المرضى للدراسة الأولى مدة طويلة لم يكن عائدًا لخطورة العملية وإنما لحداثتها.

وقد قام ليساغت وزملاؤه باتريك إيسكر من جامعة لوزان، وموسى جودارد من شركة سيتوثيرابكس بوضع مليوني خلية كرومافين في المادة المزروعة، وهذا ما يكفي لإفراز 2 - 3 ميكروغرام من الكاتيكولامين لما يزيد على أربع وعشرين ساعة، ومن ثم أدخلوا الجهاز في النخاع الشوكي للمرضى الستة الذين كانوا جميعا يتناولون المورفين لتسكين آلامهم. وقد أفاد المرضى بأن المادة المزروعة جعلتهم يشعرون بالراحة أكثر من ذي قبل، واستطاع ثلاثة منهم تقليل الجرعات المسكنة التي اعتادوها، بل إن أحدهم أقلع عن تناول المورفين كلية. وتُجرى الآن تجربة مماثلة لصالح الولايات المتحدة وتجربة أكبر لصالح سويسرا.

بقيت المواد المزروعة مدة تتراوح ما بين 41 - 176 يومًا، وبعد إزالة الأنبوب لم يجد الباحثون خلايا تالفة ملتصقة بالجهاز؛ مما يشير إلى أن سطح المادة المزروعة لم يُلحق ضررًا بجهاز المناعة. كما

وجدوا أن خلايا الكرومافين ماتزال تفرز القدر نفسه من المزيج الكيماوي الذي كانت تفرزه عندما أُدخلت أول مرة، وقد أدلى ليساغت باكتشافات الفريق أمام جمعية الإعلان عن الحقائق الموثوق بها في ندوتها في كيوتو باليابان.

ويعترف ليساغت بإمكان إحداث أثر مهدئ فقط في مثل هذا العدد القليل من المرضى. وينبغي أن تقرر التجربة السويسرية الأكبر إن كانت تُسكِّن الألم حقيقة. ويقول بروس كيركسي من جامعة نيويورك، الذي تشمل أبحاثه في الأمراض العصبية دراسة آثار خلايا الكرومافين الإدريلانية المزروعة في أدمغة الفئران: إن تلك النتائج الأولية المثيرة هي برهان على مبدأ أن زراعة الخلايا تعمل في الجسم البشري. إلا أنه يطالب بأن تبقى الخلايا تعمل في المادة المزروعة زمنًا طويلاً حتى يصبح ذلك الإجراء نهجًا عمليًا.

حاسوب يراقب عيون السائقين في الطرق الطويلة



النوم في أثناء القيادة، من أكثر الأسباب المؤدية إلى الحوادث المرورية المميتة، وخاصة في الطرق السريعة والطويلة. فما إن يغفو السائق حتى تفلت من يديه عجلة القيادة، وتسير السيارة على غير هدى، فيحدث ما لا تُحمد عقباه. وقد كشف بحث أجراه المركز الأوربي لأخطار الحوادث أن 90٪ من حوادث الحافلات والشاحنات التي تنتج عنها آلاف الإصابات والوفيات، سببها نعاس السائق.

الآن، أصبح بالإمكان السيطرة، نوعًا ما، على الحوادث التي تسببها حالات النعاس. فقد ذكرت جريدة ديلي ميل DAILY MAIL اللندنية أن جهازًا في طريقه إلى الأسواق، تم تصميمه لتنبيه السائق، إذا داخلته سِنَة من النوم. فكرة الجهاز مبنية على آلة تصوير (كاميرا) مثبتة على لوحة أجهزة القياس (التابلوه) داخل السيارة، تعمل بحاسوب صغير. ويقوم الجهاز ـ الذي عملت شركة «رينو» على تطويره طوال أربعة عشر عامًا ـ بمراقبة مدى تعب السائق، وذلك من طريق قياس إغماضة عينيه، وعندما يلاحظ الجهاز أن عيني السائق تتهيئان للنوم، يصدر أزيزًا، أو صوتًا مميزًا، أو يطلق دفقة ماء (رشة خفيفة)، وسرعان ما يتنبه السائق.

أما عن كيفية عمل هذا الجهاز المبتكر، فإن آلة التصوير تقوم بحجز (حبس) الأشعة تحت الحمراء، التي يمكن بوساطتها رؤية عيني السائق، من خلال الزجاج العاكس المركب في الآلة. كما يعمل الحاسوب باستمرار على تحليل الصور الرقمية لحركات العينين. يقول جريم هولت الناطق باسم شركة «رينو»: إن بوسع الجهاز أن يعرف المدة التي تطرف فيها عين السائق، ومن ثم يحدد ما إذا كان هناك احتمال لإخلاده إلى النوم.

وقد أُجريت الاختبارات الأولية على سائقين متعبين يقودون شاحنات، وقد ناموا بالفعل، فقام الجهاز بتنبيههم وإنقاذهم من الارتطام.

تزييف الأدوية
تجارة رائجة
حيث تغيب الأخلاق



يعاني الاقتصاد العالمي من مشكلات عديدة ناجمة عن استشراء التزييف وتزوير السلع. وقد طالت هذه الظاهرة جميع المنتجات تقريبًا، الأمر الذي أفقد المشترين والمتعاملين الثقة، وتقديمهم الشك على اليقين، مهما تكن الهالة التي تحيط بالعلامة التجارية والشركة الصانعة. من المجالات التي اقتحمها المزيفون - بعد قطع الغيار والساعات والملبوسات والكتب وغيرها - مجال صناعة الدواء. ولا يكاد يوجد قطر في العالم الثالث خاصة، لا توجد فيه أدوية مزيفة، أي لا تطابق مواصفات العلامات التجارية للشركات الصانعة الأصلية..

تكمن خطورة انتشار ظاهرة تزييف الدواء في أنها تصيب الانسان في أعز ما يملك: صحته. فممارسو هذه العملية لا يراعون دينًا ولا أخلاقًا، ولا يتورعون عن مزج عناصر الدواء بنسب غير صحيحة، كما أنهم قد يستبدلون عناصر أخرى، لا أثر لها في تخفيف الألم، بالعناصر الأساسية للدواء، وأحيانًا يكون المستحضر سامًا!!

ضحايا هذه الظاهرة، المنتشرة منذ سنوات، يعدون بالآلاف، وإذا ما أضيفت الأرقام التي لا تُعلن، اتضح حجم الكارثة. من الأمثلة المسجلة في نيجيريا، حسبما ذكرت مجلة News week - 13 مايو 1996م، وفاة 109 أطفال في عام 1990م، بسبب دواء شراب يحتوي على مادة ضد التجمد، كما سُجِّلت حالات مشابهة في بنجلاديش حيث توفي 250 طفلاً ما بين عامي 1990 و 1993م.

ومن بين أكثر عمليات الاحتيال إثارة حادثة وقعت في شهر شباط/ فبراير من العام الماضي عندما اجتاح مرض التهاب السحايا الوبائي دولة النيجر، وهي من أفقر دول العالم، وقامت جارتها نيجيريا بتقديم 88000 جرعة لقاح ضد ذلك المرض، تحمل العلامة التجارية لشركتي ميريو -ME RIEUX وسميث كلاين بيتشام SMITH KLINE BEECHAM، وذكرت الجارديان أن عددًا من الأطباء البلجيكيين التابعين لمنظمة «أطباء بلا حدود» قاموا بتلقيح الأطفال. ولكن انتابهم الشك في جودة اللقاح، فقد لاحظوا أنه لا يذوب بسهولة، ويحتوي على شوائب سوداء، ولكن بسبب الحالة الطارئة، وأن اللقاح تبرعت به حكومة صديقة، تابع الأطباء عملهم، ولدى عودتهم إلى بلجيكا قاموا بتحليل اللقاح، فاتضح أنه ماء عادي.

تشير كل الدلائل إلى أن مثل هذه الحالة في ازدياد، وتقدر منظمة الصحة العالمية أن ما نسبته 7٪ على الأقل من الأدوية التي تُباع على مستوى العالم سنويًا هي أدوية زائفة؛ بل قد تبلغ النسبة في البرازيل لغاية 30٪ و 60٪ في أفريقيا؛ حيث يعمل المزيفون بحصانة كاملة دون أية عقوبات بسبب الفساد المستشري في الهياكل الصحية، في بعض الدول.

شركات صناعة الأدوية، ومنظمة الصحة العالمية، والمؤسسات غير الحكومية، ومنظمة أطباء بلا حدود، ومنظمة صيادلة بلا حدود يقرون أن الوضع متفاقم في بعض البلدان، حيث إن الموقف خارج عن حدود السيطرة.

وفي وثيقة مؤرخة في 30 أيلول/ سبتمبر الماضي وضعت منظمة أطباء بلا حدود خطوطًا إرشادية لفرقها الطبية التي تعمل في البلدان النامية. تقول الوثيقة: يوجد في معظم البلدان النامية، تقريبا، تزايد في المنتجات الدوائية التي لا تحتوي على التركيز الكافي أو هي مغشوشة، لذلك يُمنع استخدام الإمدادات المحلية في الحالات التي لا تكون فيها منظمة أطباء بلا حدود في موقف يمكنها من التعامل مع المشتريات المحلية دون مجازفة.

وهناك أسباب عديدة وراء ازدياد عمليات الاحتيال، منها إغراءات الأرباح الكثيرة، فطبقًا لتقديرات منظمة الصحة العالمية فإن المبيعات السنوية في هذا القطاع تبلغ 16 مليار دولار، ويُعتقد أنه في باكستان وحدها تبلغ تجارة الأدوية المزيفة ما قيمته 160 مليون دولار سنويًا.



البرنامج الفضائي الأمريكي للأرصاد الجوية

يتخطى مرحلة حرجة

م. سليمان قيس [illegible]

في 23 مايو من العام الماضي تمّ إطلاق صاروخ أطلس الأمريكي إلى الفضاء حاملاً القمر الصناعي الأمريكي GOES-9 للأرصاد الجوية، وكان القمر الصناعي GOES-8 قد أُطلق في 25 أبريل 1994م.

مقابلة بين ما تمّ التقاطه من صور لإعصار بوساطة القمر السابق وما التقطه القمر الجديد (المصدر NOAA).

وينهي إطلاق هذا القمر الصناعي بنجاح مرحلة حرجة في البرنامج الفضائي الأمريكي للأرصاد الجوية اضطرت فيها الإدارة الوطنية للأجواء والمحيطات NOAA إلى استئجار قمر صناعي أوربي؛ مع أن الولايات المتحدة كانت هي السباقة في مجال الأقمار الصناعية للأرصاد الجوية حتّى إطلاق القمر الصناعي GOES-8، كما أنّها اضطرت إلى استخدام القمر الصناعي القديم GOES-7 مدة زادت على ثلاث سنوات بعد انتهاء عمره الافتراضي. ويشكّل هذا البرنامج، بالإضافة إلى برنامج الأقمار الصناعية الأمريكية للأرصاد الجوية ذات المدار القطبي المعروفة باسم NOAA، مشاركة الولايات المتحدة في البرنامج العالمي للأرصاد الجوية الذي تشارك فيه أوربا ببرنامج ميتيوسات ذي المدار المتزامن الذي تغطّي صُوَرُه أوربا وإفريقيا وغرب آسيا بما فيها المنطقة العربية بالإضافة إلى شرق المحيط الأطلسي. ويتألف هذا النظام من قمر صناعي أسطواني الشكل مخصّص كليًا للأرصاد الجوية إضافة إلى آخر احتياطي، وتشارك روسيا ببرنامج ميتيور ذي المدار القطبي، أما الهند فتشارك ببرنامج INSAT ذي المدار المتزامن الذي يتضمّن الأقمار الصناعية المتعددّة المهام INSAT- 2A&B والذي يلتقط صوراً لشبه القارة الهندية والبحار المحيطة بها، وأخيراً اليابان التي تشارك ببرنامج GMS ذي المدار المتزامن أيضا. وقد سبق للصاروخ الياباني H-2 إطلاق آخرها من نوع GMS-5 ويغطي الجزء الشرقي من آسيا ومياه المحيط الهادي القريبة منها.

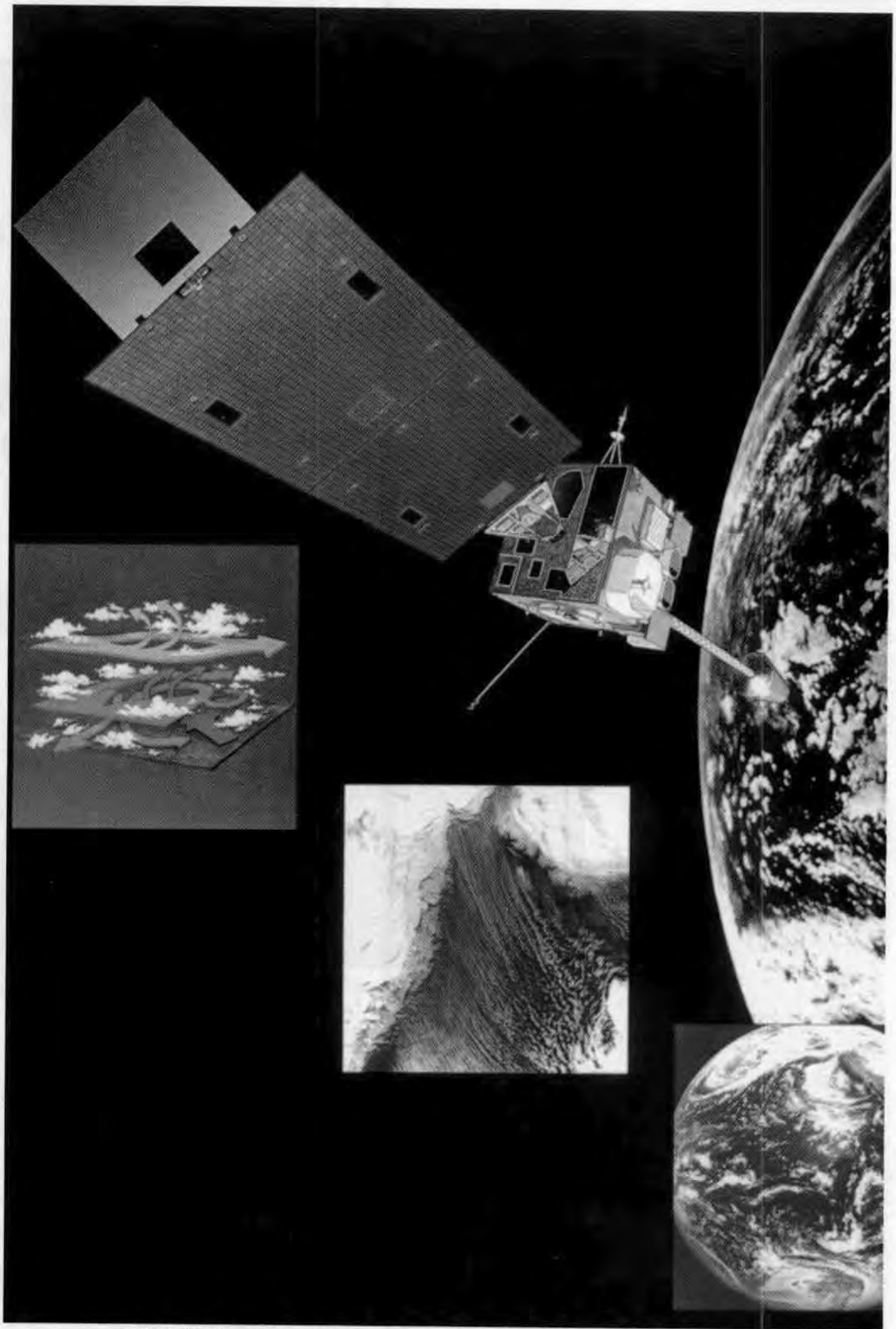
المرحلة المبكّرة

يعود برنامج GOES (GEO- STATIONARY OPERA- TIONAL ENVIROMENT SAT- ELLITE) إلى عام 1975م حيث أُطلق إلى المدار المتزامن أول الأقمار الصناعية من هذا النوع باسم GOES-1. وتمتاز الأقمار الصناعية التي تستخدم هذا المدار بأنّها تدور حول الأرض بسرعة تساوي سرعة دوران الأرض حول نفسها؛ لذلك يُسمّى هذا المدار بالمدار الثابت، وقد سبقت هذه السلسلة من الأقمار الصناعية أقمار تجريبية بالإضافة إلى الأقمار الصناعية للأرصاد ذات المدار القطبي المعروفة باسم NOAA.

وحمل القمر الأول ذو الشكل الأسطواني جهازًا رئيسًا واحداً هو محلل الطيف بمدى الضوء المرئي والأشعة تحت الحمراء.

ويعمل الجهاز أساسا من خلال دوران القمر الصناعي حول نفسه (يدور حول نفسه مئة دورة في الدقيقة) في مسح أشرطة للكرة الأرضية، ويتم الانتقال من شريط إلى آخر (من الشمال إلى الجنوب) من خلال مرآة تتحرك بدرجات حتى يتم تصوير وجه الأرض المقابل للقمر الصناعي.

وبدءًا من عام 1980م تم استخدام قمرين صناعيين في آن واحد معًا؛ أحدهما يغطي الساحل الغربي للأمريكتين وجزءًا من المحيط الهادي، والآخر يغطي



القمر الصناعي GOES-8 في الفضاء (المصدر LORAL/SPACE SYSTEMS) وتبدو بعض الصور التي التقطها للأرض

الساحل الشرقي وجزءًا من المحيط الأطلسي.

وفي العام نفسه تم إطلاق القمر الصناعي GOES-4 الذي حمل جهاز استشعار أكثر تقدمًا من سابقه، فقد استُبدل بمحلل الطيف السابق جهاز واحد يحتوي على محلل طيف ومسبار(*) للغلاف الجوي، ويتضمن هذا الجهاز أربعة مستشعرات بالأشعة تحت الحمراء بالإضافة إلى 12 مرشّحًا ضوئيًا للمسبار يتم الاختيار بينها للحصول على التحليل الضوئي المطلوب.

وتتولى الإدارة الوطنية للأجواء والمحيطات الأمريكية NOAA مسؤولية تشغيل نظام GOES وتمويله، بينما تتولى وكالة الفضاء الأمريكية مسؤولية الإشراف على تطوير الأقمار الصناعية ومحطات التحكم الأرضية وتصنيعها.

السنوات المتعثرة

في منتصف عام 1984م تعطّل القمر الصناعي GOES-5 بعد شهر من إطلاقه، ولم يكن بالإمكان إطلاق قمر صناعي ثان لعدم توافر قمر صناعي احتياطي جاهز. ونتيجة لكون هذا القمر الصناعي يغطي الساحل الشرقي للولايات المتحدة ذا العواصف الكثيرة ذات التأثير المدمّر؛ فقد تمّ تحويل القمر الصناعي GOES-6 من الساحل الغربي ليغطي منتصف القارة ويجمع بين الساحلين، لكن هذا الإجراء تم على حساب التنبؤ السريع بالتغييرات في منتصف المحيطين الهادي والأطلسي.

واتّخذت عملية تغيير المدار أسلوبًا تناوبيًا في تلك المرحلة، حيث يُحَوَّل القمر الصناعي عشر درجات شرقًا في موسم عواصف الساحل الشرقي بين شهري أبريل وأكتوبر من كل عام، ثم يعود مرة أخرى عشر درجات غربًا لتغطية عواصف الساحل الغربي الشتوية.

وتلا ذلك إخفاق آخر تمثل في إخفاق الصاروخ دلتا في مايو 1986م، وهو يحمل القمر الصناعي GOES-G؛ ممّا دعا إدارة الأرصاد الجوية والمحيطات إلى استمرار الوضع السابق والانتظار لحين

إطلاق القمر الصناعي GOES-7.

وتنفس الأمريكيون الصُّعَداء عندما نجحت عملية إطلاق GOES-7 في فبراير 1987م، لكن ذلك الارتياح كان يخفي قلقًا تجاه ما سوف تأتي به السنوات اللاحقة.

في انتظار الجيل الجديد

تم في عام 1985م توقيع عقد بين الإدارة الوطنية للأجواء والمحيطات NOAA وشركة لورال للأنظمة الفضائية (فورد أيروسبيس سابقًا) يتم بموجبه تصنيع الجيل الجديد من أقمار GOES.

وتضمن العقد الجديد تصنيع ثلاثة أقمار صناعية ذات استقرار على المحاور الثلاثة بدلاً من النموذج الأسطواني ذي الاستقرار الدوراني السابق، مع جهاز مسبار أكثر تقدمًا وأجهزة تحسس أفضل، وكان من المقرر أن يكون أولهما جاهزًا للإطلاق نهاية عام 1990م وبتكلفة إجمالية تبلغ 547 مليون دولار.

مواصفات الجيل الجديد

تتحقق التحسينات لخدمات هذا البرنامج من خلال إمكانات الجيل الجديد المتقدمة في المراقبة المستمرة وقياس تحولات العناصر الجوية مباشرة وآنيًا.

ويضيف الجيل الجديد مزايا متعددة، هي:

1ـ التحكم المرن في التغطية لتحسين التنبؤ قصير المدى للجو في منطقة معينة والحصول على المعلومات المستحصلة من المسبار في آن واحد.

2ـ تحسين قياسات المجال الكهرومغناطيسي بين الشمس والأرض.

3ـ التقاط صورة شاملة لوجه الأرض كل 15 دقيقة بدلاً من 30 دقيقة في الجيل السابق.

البرنامج الفضائي الأمريكي للأرصاد الجوية

يتخطى مرحلة حرجة

٤ـ زيادة دقة الصور والتمييز ليصل إلى تمييز الغيوم بدقة كيلو متر واحد بدلاً من 5 كيلو مترات في الجيل السابق.

وتمت هذه التحسينات من خلال نموذج قمر متّزن على المحاور الثلاثة يواجه الأرض بصورة مستمرة، بينما تواجه معداتُ الاستشعار في النوع السابق الأرضَ 5٪ فقط من الوقت.

إن خواص هذا القمر الصناعي تزيد من إمكانات إدارة الأرصاد الجوية لتوفير المعلومات المطلوبة لإعطاء معلومات آنية صحيحة عن العواصف المحلية والأعاصير المدارية، وهي ذات تأثير مباشر في سلامة السكان والممتلكات والاقتصاد، كما يقدم معلومات إضافية تخصُّ البيئة.

ولتحقيق هذا الهدف فقد تطلب ذلك التصوير بتعاقب سريع للغيوم ومراقبة درجة حرارة سطح الأرض وبخار الماء واستخدام المسبار لتحديد التشكيل الحراري



البرنامج الفضائي الأمريكي للأرصاد الجوية

يتخطى مرحلة حرجة

ونسبة الرطوبة في الجو.

كما حسّنت هذه الأقمار الصناعية نظام جمع المعلومات لاستلام معلومات الأرصاد الجوية من مراكز الأرصاد الجوية الأرضية؛ لإرسالها إلى مركز جمع ومعالجة معلومات الأرصاد الجوية لوضع خريطة الأحوال الجوية، كما تحمل أجهزة لالتقاط إشارات الاستغاثة من السفن والطائرات والأشخاص المنكوبين الذين يحملون أجهزة الاستغاثة بنظام SAR ثم يعيد إرسالها إلى الأرض لتحديد أماكنهم وإرسال النجدة إليهم.

كما أن سعة قناة الاتصال التي تم مضاعفتها تجعل في الإمكان إرسال المعلومات الجوية المعالجة أو إرسال الخريطة الجوية بالفاكس في آن واحد معًا إلى المستخدمين في جميع أنحاء الأمريكتين.

ومن خلال الميزات الموجودة لهذا القمر الصناعي من ناحية الاستقرار، فإنّ أجهزة هذا القمر الصناعي قادرة على مسح الأرض بنسبة تزيد على 150٪ موازنة بالأجهزة المحمولة على الأقمار الأخرى.

أمّا الأجهزة العلمية فهي جهازان منفصلان، أولهما محلل الطيف الذي تمّ تطويره لتحسين قياس المعلومات الجوية بخمس حزَم طيفية وبزيادة تمييز جهاز الاستشعار بالأشعة تحت الحمراء إلى الضعف، أما الجهاز الآخر، وهو المسبار، فتم زيادة عدد المرشحات الضوئية فيه من 12 إلى 19 مرشحًا.



القمر الصناعي الياباني للأرصاد الجوية GMS-4 (المصدر NASDA) وقد صمّم على شكل غرفة بحيث يتمكن من تجميع موجات الراديو، وقد تم إطلاقه في 6 سبتمبر 1989م

عملية التطوير

لكن مواصفات هذا النموذج الحديث كليًا وأجهزة الاستشعار ذات الإمكانات المتقدمة الطموح لم تكن ممكنة التحقيق خلال سنوات العقد الخمس.

فقد واجهت تصميم مستشعر الأشعة تحت الحمراء مشكلات؛ إذ تعطّل عند خزنه في بيئة مشابهة لبيئة الفضاء، كما ظهرت مشكلات في انحدار كفاءة المستشعر بسبب الحساسية للحرارة في الأسلاك، الأمر الذي دعا الشركة المسؤولة عن تطويره إلى استخدام أسلاك مصنوعة من النيكل بدلاً من أسلاك النحاس، وأدت هذه المشكلات إضافة إلى مشكلات أخرى إلى تجاوز السقف الزمني بـ 3 ـ 4 سنوات وزيادة تكاليف التطوير والتصنيع بمقدار يساوي ضعف المبلغ المخصص سابقًا.

وأدّى هذا التأخير إلى حدوث مرحلة حرجة أخرى؛ فقد توقف القمر الصناعي GOES -6 عن العمل في عام 1990م (بعد أن تجاوز عمره الافتراضي البالغ 5 سنوات بسنتين) ممّا جعل القمر الصناعي GOES-7 يبقى وحده في المدار مرّة أخرى.

ونظرًا لعدم إمكان إعداد القمر الجديد GOES-8 في تاريخ يسبق انتهاء العمر الافتراضي لـ GOES -7 في عام 1992م فقد تمّ الاتفاق مع وكالة الفضاء الأوروبية على استئجار القمر الصناعي الأوربي ميتيوسات ـ 3 الاحتياطي في مدار يغطي القارة الأوروبية، ونقله غربًا لتغطية الساحل الشرقي للأمريكتين، وانتقال القمر الصناعي الأمريكي لتغطية الساحل الغربي.

الإطلاق

وفي منتصف أبريل 1994م تم إطلاق القمر الصناعي GOES-8 ليحل محل القمر الصناعي الأوربي، كما تمّ إطلاق القمر الصناعي GOES-9 في مايو الماضي ليحلّ محلّ القمر الصناعي GOES-7.

ومن المؤمّل أن يكون استكمال النظام بأقمار صناعية حديثة ذا فائدة كبيرة تمكّن من تفادي كثير من الخسائر والتدابير غير اللازمة، ومنها ما حدث في العام الماضي حيث تم إجلاء كثير من سكان المناطق الساحلية في ولايات فرجينيا وديلاور وماريلاند الأمريكية تحسبًا لإعصار «إيميلي» ظنًا من الخبراء بأنه سيضرب هذه المناطق.

ومن الجدير بالذكر أن الأعاصير التي تضرب الساحل الشرقي تمتاز بشدتها وضخامة الخسائر الناتجة منها فقد تسبب إعصار «أندرو» في عام 1992م في خسائر تجاوزت 30 مليار دولار وهو مبلغ يزيد على الخسائر الناتجة من زلزال لوس أنجليس عام 1993م.

المصادر:

1- نشرة علمية بعنوان GOES- NEXT OVERVIEW صادرة عن NOAA
2- نشرة علمية بعنوان GEO-STATIONARY METEOROLOGICAL SATELLITES صادرة عن NOAA.
3- نشرة متخصصة بعنوان GOES THE OBSERVING SYSTEM FOR WEATHER WATCH FOR 1990'S صادرة عن SPASE SYSTEMS/LORAL
4- نشرة علمية بعنوان METEOSAT THERE IN ALL WEATHER صادرة عن ESA



د. حسن ظاظا

الضحك اليهودي!

الإنسان حيوان ناطق.. على هذا التعريف أجمع الفلاسفة منذ أقدم العصور، مع تفسير احتياطي بأن المراد بكونه ناطقًا أنه مفكّر، وتفكيره هذا هو سر تطوره وتقدمه، إذ لو كان النطق بالصوت فقط، لدخل في هذا التعريف ما لا يُحصى من فصائل الحيوانات والطيور. وقالوا في تعريف الإنسان أيضا إنه «حيوان ضاحك» دون قيد أو احتياط، إذ بدت هذه الصفة من خصوصيات الجنس البشري، سواء أكان هذا الضحك إراديا أم غير إرادي، وسواء أكان صادقًا مبعثه سرور حقيقي في القلب، أم كاذبًا مفتعلاً لنكتة سخيفة باردة أطلقها من تدعو منزلته أو سطوته إلى مجاراته ومداراته وتملّقه. وهكذا يبقى الضحك هو القاسم المشترك الأعظم بين بني آدم جميعًا. ولا أدري من كرّه المسلمين في الفكاهة والضحك، بعد أن وصف الله سبحانه وتعالى نفسه في القرآن الكريم أنه: هو أضحك وأبكى، فَقَدَّم الضحك على البكاء في الآية الكريمة، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يضحك حتى تبدو نواجذه، وكان صحابته رضوان الله عليهم يضحكون ويمزحون ولا يتحرّجون من ذلك، وجرى على نهجهم كثير من العلماء والخلفاء والأدباء، فاشتهر بذلك هارون الرشيد وقبله معاوية بن أبي سفيان الذي دخل عليه أعرابي يسأله أن يمنحه أرضا في البصرة ليوسع بها داره، فسأله معاوية عن مساحة داره، ويبدو أن الأمر التبس على الأعرابي فقال: مساحتها ألف جريب! ويبدو أن معاوية أراد أن ينبهه فقال: «تُرى داركُ في البصرة، أم البصرة في دارك؟». وفكاهات أئمة التشريع الإسلامي الأربعة مروية معروفة، ولا يكاد مجموع من الأدب العربي يخلو من قصص ومُلح وأضاحيك، فالإمام أبو الفرج ابن الجوزي خصص أحد كتبه لهذا الموضوع، وهو «أخبار الحمقى والمغفلين»، واشتهر قبله الجاحظ بما رَصَّع به كتبه من دعابات، وألف الحافظ النيسابوري كتاب «عقلاء المجانين» وكثير غيرهم. والحضارة التي لا تضحك أبدًا يُقضى عليها بالموت. وكانت وثنية الأمم القديمة لها معبودات للضحك خاصة: الفراعنة واليونان والهنود والفرس والغالة «سكان فرنسا قبل انتشار المسيحية».

الإجماع اليهودي على البكاء!

وقد يبدو غريبًا أن أكتب اليوم - بمناسبة شهر رمضان المبارك، وكل عام وأنتم بخير - عن «الضحك اليهودي»، فالدنيا كلها تكاد تُجمع على «البكاء اليهودي»: يعقوب وبكاؤه على يوسف، حتى ابيضّت عيناه، عبودية بني إسرائيل لفراعنة مصر وأنينهم وبكاؤهم إلى أن بعث الله موسى لإخراجهم من هذا العذاب، أيوب وابتلاء الله له في أولاده وداره وثروته ثم في بدنه وصحته، وصبره على ذلك، دون أن يتزعزع إيمانه، نبيّهم «إرميا»، وهو يرى بعينيه انهيار مُلك داود وسليمان، وإحراق بختنصر الكلداني لهيكل سليمان وتدمير القدس كلها، وأخذ «شعب الله المختار» أسرى إلى العراق، وبكائيات إرميا لهذه الحوادث في مقطوعات رثائية رائعة، أصبحت إلى الآن من التراث الأدبي البكائي العالمي. ويقرؤها اليهود في كتابهم في يوم صيام الكفارة «كبور» حزنا على تدمير القدس، وحفاظًا على روح الحقد والثأر في قلوب اليهود ضد أمم العالم جميعها! وأخيرا - وليس آخرا -: «حائط المبكى» أو «جدار المناحة» أو «الجدار الغربي» حسب تسمية اليهود، لوقوعه إلى الغرب من كنيسة القيامة حيث يحج النصارى إلى القبر الذي قام فيه المسيح من الموت وصعد إلى السماء، حسب اعتقادهم، كما يقع هذا الحائط إلى الغرب من المسجد الأقصى، وقبة الصخرة المشرّفة للمسلمين، وهي آثار مقدّرة للتدمير من قبل الصهيونية، على المدى الطويل! ويزعم العوامّ من اليهود أن موسى، عليه السلام، قد «نام» بجانب هذا الحائط، في حين أن توراتهم تؤكد أن موسى لم يدخل فلسطين، ولا رأى القدس، وأنه مات في ظروف غامضة جدا، في مكان ما من جبال الأردن، لم يمرض، ولم يلزم مسكنه، ولم يتناول دواء، بل اختفى فجأة!! ولم يَرَ أحد جثته، ولم يشهد أحد دفنه وليس له قبر معروف. لكن الأساليب الصهيونية تتجاوز جميع الحدود حتى يؤمن اليهودي القادم من بسرابيا أو ملدافيا، أو القرْم بما تدعو إليه - زورا وبهتانا - من حقوق سماوية في القدس، تبدو على محك التاريخ والآثار والنصوص التوراتية هباء، ودروشة تعصبية جاهلية مثيرة للضحك، وليس هذا الضحك هو المقصود هنا.

أخطر النكات يولد في ظل الظلم!

فالضحك - وهو مرآة المجتمع - يأخذ منه هذا المجتمع بنصيب الأسد. ويمثل في النهاية مادة دراسة اجتماعية على أعلى مستوى من الأهمية، ولاسيما إذا كان هذا المجتمع قد أصيب بحاكم أجنبي عنه، ويزيد الأمر خطورة إذا كان ذلك الحاكم طاغية متجبراً سفاكًا للدماء، أو متعطشًا لما في جيوب الناس من المال.

ففي القرن الأول المسيحي كان عرش الإمبراطورية الرومانية قد آل إلى فسبازيان، وكان الرجل محتاجًا إلى مال كثير لإمبراطورية مترامية الأطراف تحكم معظم العالم المعروف في عصره. فأرهق رعاياه في الأمم التابعة

له بمختلف المتطلبات المالية، حتى لم يبق باب من أبواب النشاط الإنساني إلا وعليه مطالبة ثقيلة، وذات يوم كان ينظر من نافذة قصره فرأى رجلا من رعاياه أحس بضرورة قضاء الحاجة، وهو بعيد من بيته. فجلس في ركن منزو من الطريق وتخلّص مما كان يثقله. وعنّت للإمبراطور فكرة ممتازة، هي أن يبني مراحيض دخولها برسوم من النقود. فعلم بالأمر الامبراطوري عضو معارض في مجلس الشيوخ، وأسرع غاضباً إلى قصر الإمبراطور، ولما وقف بين يديه قال: كيف تصوّر جلالة الإمبراطور أن يملأ خزانة الدولة من هذا الطريق؟ وأشار إلى أنفه باشمئزاز وتأفف. فرد فسبازيان قائلاً: النقود، ياسناتور، لارائحة لها!

وأصبحت إجابته هذه مثلاً سائرًا في أوروبا كلها إلى الآن، يُضرب لـلثريّ الذي حصل على المال من طريق غير شريف. وبلغه ذات مرة أن مدينة الإسكندرية - وكانت مصر تحت حكم الرومان - أطلقت عليه سيلا من الحكايات والنكت المضحكة، ووصل أكثرها إلى روما، وانتشر فيها بسرعة، وكانت هذه النكت المصرية شريسة وقبيحة جدا، فانتقل الإمبراطور إلى الإسكندرية على رأس أسطول ضخم، وجيش جرّار، ليعاقب أهل الإسكندرية على جرأتهم وقلة أدبهم. وفيما هو بسبيل إطفاء هذه العاصفة الإسكندرانية من الضحك، جاءه خبر أن يهود فلسطين - وكانت تحت الحكم الروماني أيضا - قد ارتكبوا مذبحة في الجنود الرومان ليلة عيد ديونيزوس، وكان الجنود في آخر الليل سكارى، فهجم عليهم اليهود وذبحوا من وجدوه منهم. فأسرع بترك الإسكندرية إلى فلسطين، وأعطى قوّاده أمرًا بإبادة اليهود في فلسطين عن آخرهم.

وبدأت حملة الإبادة عملها، ثم عهد بقيادتها إلى ابنه «تيتوس» وعاد هو إلى روما، وأخذ تيتوس خريطة فلسطين، فقسمها إلى مربعات، عهد بكل مربع منها إلى ضابط من ضباط أركان الجيش الروماني، مع أمر بأن يُقدّم كل قائد تقريرًا يوميًا عن عملياته في المربع المعهود إليه. وإذا أبلغه بعض أولئك القادة أنه قتل كل يهودي رآه، وأن الباقين لا يعلم أين هم، صاح قائلاً: إذا أبقينا منهم واحدًا، فكأننا لم نصنع شيئًا! وأبرز اليهود إليه فتاة يهودية رائعة الجمال أوقعته في غرامها، فأهمل وصية أبيه، ورفع السيف عن اليهود، جماعة العشيقة المحبوبة. فابلغت الاستخبارات العسكرية الرومانية أباه بالقصة، فأبلغه بأنه سيعود بنفسه إلى فلسطين، فإن وجده قد تهاون بدأ بقتله أولاً! وعندما رجع من عند أبيه وجد العشيقة مع روماني آخر في أثناء غيبته، فطار صوابه، وراح ينفذ وصية أبيه، بسرعة وإتقان، ومن ذلك اليوم بدأ الشتات اليهودي النهائي، إلى بلاد أخرى أكثر أمنا! وظلوا في الشتات من سنة 70 ميلادية إلى قيام الدولة الصهيونية في فلسطين في 15مايو 1948م، وإن كان التسلل الصهيوني قد بدأ قبل هذا التاريخ بمئة سنة أو تزيد، ومن يدري؟ لولا الضحك الإسكندراني لما حدث الشتات اليهود.. ربما!

حياة اليهود حافلة «بالمسخرة»!

والناظر في تاريخ اليهود يشعر أن هذا الشعب الذكي، النشيط، القوي العزيمة، كانت غلطته الوحيدة هي ربطه العقيدة الدينية، بالقومية العنصرية، فهو يهودي ولو كفر، لأنه من مواليد اليهود، والمتهود لايزن نصف أو ربع يهودي، مهما كان مؤمنا بشريعة اليهود وعقيدتهم، عاملاً بكل العبادات، منفذًا لكل الأوامر، مبتعدا من كل النواهي. فعلى الرغم من ذلك كله يوصف بأنه «جار» لبني إسرائيل، ويحرم عليه تولي القضاء والإمامة ورئاسة الدولة، وجميع المناصب القيادية، العسكرية أو المدنية، في المجتمع اليهودي! أما اليهودي إذا كفر فإنه يبقى أخًا لهم، إلا أنه لا يتزوج منهم، وإذا مات لا يُدفن في قبورهم، وهي - كما نرى - منزلة بين المنزلتين كما قالت المعتزلة في مرتكب الكبيرة وهو مسلم، والفارق الهائل بين الاثنين أن المسلم أخو المسلم من أي جنس وأي لون كان، وأن الكافر كافر أمام الشريعة والعقيدة لا تشفع فيه قرابة، وأبو لهب وأبو طالب، ماتوا على الكفر، وهم أعمام نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، ولن ينتفعوا بهذا الشرف في الآخرة.

يخطئ من يتصور أن الحياة اليهودية كلها همّ وبكاء، بل على العكس؛ فالغناء والعزف والإنشاد كانت أمورًا شائعة في مجتمعهم منذ أقدم العصور!

ويخطئ من يتصور أن الحياة اليهودية كلها همّ وبكاء، بالعكس يرى قارئ التوراة والتلمود، أن الغناء، والعزف على الآلات الموسيقية، والإنشاد الإيقاعي كانت أمورًا شائعة في مجتمعهم منذ أقدم العصور، ونُذكّر هنا بمزامير داود، التي كانت عند أدائها مصحوبة بآلات موسيقية كالقيثارة، والطبل والصنج، والناي، والشبابة، والمثلث المعدني «من آلات النقر»، وكان النداء إلى الصلوات اليومية يعلن بالأبواق، كما كانت تُستعمل للتعبئة للقتال، وعندهم طقوس يُسَنّ فيها شرب الخمر وأعياد يُستحب فيها السُكْر الصاخب العارم، أهمها عيد «بوريم» وهو عيد الكرنفال أو عيد المواكب التنكرية، أو عيد «المسخرة» كما يسميه المؤرخون المسلمون، ويوافق عيد النيروز الإيراني احتفالا ببدء الربيع، وبانتقام اليهود من أعدائهم في الإمبراطورية الفارسية بقتلهم جميعًا، في ليلة واحدة! بقيادة «النبية» الجميلة جداً «إستير» ووليها الحاقد «مردخاي»، وكانت إستير اليهودية عشيقة إمبراطور إيران في ذاك الوقت «أرطاكسركسيس» (أحشويروش في العهد القديم، سفر إستير)، فاتفقت مع قريبها مردخاي على أن يتقمص شخصية كبير وزراء الإمبراطور، ويطرق الباب في لحظة حرجة بعد أن تكون إستير قد أسكرت أحشويروش فتأخذ من قريبها صكًا مزورًا بإعدام كل إيراني يعادي اليهود. ووقّع الإمبراطور على الصك، وهو لا يكاد يرى شيئًا من السكر، وبسرعة حتى يتفرغ للمزاح مع إستير، وتم إعدام جميع أولئك الإيرانيين في الإمبراطورية. واليهود المحافظون على هذه السنة يسكرون في هذه الليلة إلى درجة الغيبوبة التامة، ويقرؤون «سفر إستير» في المعبد، وهو النص الوحيد الذي نال حق الحفظ بجانب التوراة المنسوبة إلى موسى، في محراب كل معبد من معابدهم. ومازالت ليلة «البوريم» موضع احتفال ضخم في إسرائيل، تذكيراً بالأمم والحكام الذين يجب الثأر منهم بالتخريب والقتل والجاسوسية. ويصنعون لهم تماثيل من القش أو الطين أو الجبس، أو البلاستيك في أيامنا هذه، وهي تماثيل كاريكاتورية مضحكة ومشوهة، يعلقونها في خشبات تشبه المشانق على شرفات بيوتهم ونوافذها، أذكر أنني رأيت فيها تماثيل فرعون، وستالين، وهتلر، وموسوليني، والحاج أمين الحسيني زعيم المقاومة الفلسطينية - يرحمه الله -.

إستير لم تكن الأولى!

وتذكرنا قصة «إستير» بمثيلات لها، سبقنها، مثل قصة «ياعيل» التي أغرت القائد الفلسطيني القديم «سيسرا» بالدخول إلى خيمتها وهو في منتهى التعب من المعركة، وما إن دخل واستلقى على الأرض ليستريح حتى دقت في رأسه وتدا من أوتاد هذه الخيمة (سفر القضاة 4). كذلك البطلة الفلسطينية «دليلة» التي أوقعت القائد الإسرائيلي الرهيب «شمشون» في غرامها، وأسكرته حتى عرفت منه أن سرّ قوته التي لا يقدر عليها أحد تكمن في شعره الغزير، فعادت وأسكرته، وراحت تتبادل معه الحكايات المسلية،

الضحك اليهودي!

والألغاز حتى استغرق في النوم، فجزّت شعره، وسلّمته مكبّلاً بالأغلال إلى قومها الفلسطينيين في غزة، ومات أسيرًا هناك بعد أن نما شعره من جديد وعادت إليه قوته، فحطم بدفعة من ساعديه الدعامتين اللتين تحملان ذلك المعبد، فانهار على من فيه، وهلك شمشون نفسه وهو يصيح إلى ربه: عليّ وعلى أعدائي! وكانوا قد سملوا عينيه حتى لا يستطيع الهرب (سفر القضاة). ومنهم اليهودية جوديث التي كان القائد العراقي الذي يحاصر القدس قد قتل من قومها اليهود عددا كبيرا منهم زوجها وبعض أقاربها، فأغرته بجمالها، وسهولة انقيادها، ثم أسكرته حتى فقد الوعي، فحزّت رأسه بسلاحه، وعدّها اليهود «نبية» أيضا على الرغم من أن تلك الحرب قد انتهت بهزيمة اليهود، وتدمير أورشليم/ القدس، وضياع مُلكهم فيها. وتستمر هذه السلسلة من «الأمجاد» إلى الجاسوسة اليهودية الألمانية «ماتا هاري» التي ألحقت بالفرنسيين أفدح الهزائم في الحرب العالمية الأولى «1914- 1918م» وحوكمت وأعدمت في باريس، وكان للصهيونية جاسوساتها الحسان أيضا، وقد قُمْنَ بعملهن خير قيام، وما زالت منهن كتائب تندس في المجتمعات العربية، في خارج العالم العربي وداخله حتى الآن. وسلاحهن لم يكن البكاء قط، بل كان الخمر والمخدرات والأموال والجنس وكل وسائل ابتزاز المسؤولين بالوصول إلى أسرار «حميمة جدا» تتعلق بأشخاصهم وذويهم، وهذا كله لا يتمّ بالدموع، بل بالضحك، الضحك الإرهابي المفخخ! وهذا النوع لا يعنينا هنا، إذ له خبراؤه المتبحرون فيه. والجواسيس اليهود الذين أرسلهم يوشع بن نون إلى أريحا - بعد وفاة موسى عليه السلام - تسللوا إلى المدينة، وأووا إلى دار امرأة من البغايا جنّدوها لخدمة الجيش الإسرائيلي الزاحف نحو فلسطين، لأول مرة في التاريخ، وهؤلاء الجواسيس لم يأتوا إلى «رحاب» لوعظها أو وضعها على الصراط المستقيم، بل دخلوا عند بصفة «زبائن» لا يقرؤون التوراة، ولا يبكون، بل يضحكون ويمزحون ويتظاهرون بالمجون، حتى تطمئن المرأة قبل أن يفاتحوها في مهمتهم معها. والذي يستفاد من قصتها معهم (سفر يوشع بن نون، الفصل الثاني) والمساومة بين الجاسوسين ورحاب تبين عراقة هؤلاء الناس في هذا العمل منذ أقدم العصور.

> أفضل الفلاسفة المعاصرين في بحث موضوع الضحك كان يهودياً، هو هنري برغسون، بيد أن الاكتئاب نال شهرة أعلى على يد اليهودي - أيضًا - سيجموند فرويد!

نماذج من سخريات اليهود

أما ما يعنينا هنا فهو فن النكتة الباعثة على الضحك العفوي، والانبساط التلقائي، وهي بين اليهود أمر شائع أكثر من البكاء، وهي صورة من حياتهم الاجتماعية، وهمومهم، وموقفهم من أعدائهم، ومدى تفكيرهم فيما يعرض لهم من مشكلات، وهو موضوع جدير بالاهتمام من جانب أصدقائهم وخصومهم على السواء، ثم إنه ميدان خصب جداً؛ لبراعة اليهود في فن السخرية والإضحاك منذ أقدم العصور إلى الآن.

فالممثل السينمائي البارع «شارلي تشابلن» كان يهوديا، وبرع في تصوير حياة الرجل الكادح الذي يواجه الأهوال في طلب الرزق، لأنه مرّ بهذه التجارب المريرة في حارات اليهود، في أوربا، قبل أن يهاجر إلى أمريكا ليصبح فيها نجم الفكاهة دون منازع. وإخوان ماركس هم الفرسان الثلاثة للأضاحيك الصاخبة في السينما الأمريكية، وكذلك نجم الإضحاك اليهودي الأمريكي «وودي آلن»... وغيرهم كثير. وفي أوروبا يصعب الحصر: من أمثال يرستان برنار الفرنسي صاحب النكت اللاذعة حتى على نفسه، وأشهر ممثلات المسرح الباريسي سارة برنار، والأديب الساخر المشهور في الأدب الفرنسي المعاصر بأسلوبه الضاحك اللاذع «دي كرواسيه» الذي وُلد يهوديًا بلجيكيًا، ثم بدا له أن يغيِّر كل ما كان من ماضيه فأخذ الجنسية الفرنسية، واعتنق الدين المسيحي الكاثوليكي، وغيَّر اسمه القديم «فرانس فينر» إلى «فرنسيس دي كرواسيه» وهو اسم شخص خيالي من أبطال إحدى رواياته.

ورئيس تحرير المجلة الفكاهية الفرنسية «الغولوا» آرتور ماير، وكان يهوديا أيضا، ثم قرر اعتناق المسيحية. وتوجه إلى كنيسة باريسية فسأله القس: لماذا قرر ترك اليهودية إلى النصرانية؟ وكان ذلك في أثناء انتشار العلمانية في فرنسا، فأجاب ساخرًا: جئت لأنقذ الكنيسة النصرانية من الاضطهاد! وكان قد سبقه إلى اعتناق النصرانية محرر يهودي يعمل تحت إدارته؛ فغضب وقال ساخراً أيضا: لماذا يخرج من دينه قبلي وأنا رئيسه؟

وأحيانا يسخر اليهود من أنفسهم، فالمغني الأمريكي الأسود «سامي ديفيز» الذي كان نجما في الموسيقى والرقص والغناء، سأله أحد الصحفيين إذا كانت هناك مشكلات يواجهها في المجتمع؟ فأجاب: سؤال عجيب! عندي كل المعوّقات، فأنا أعور.. وأسود.. ويهودي أيضا!

وأستطيع هنا أن أقول: إن الصهيونية وجرائمها في فلسطين قد كادت تقضي على روح المرح في هذا المجتمع اليهودي المتطرف. فاليهود لم يكونوا أمة حزينة باكية ثقيلة الهموم والمواجع قط، ومنذ القدم كانت مجتمعاتهم مرحة جدا. ففي المدة ما بين موسى وداود عليهما السلام، وهي حقبة غزو فلسطين عقب موت موسى ودفنه في ظروف مجهولة ومكان مجهول في بوادي الأردن، كان القوم يتأنقون في الطعام والشراب، ويشربون الخمر في كل مناسبة، ويغنون ويعزفون على آلات الطرب؛ من معازف وترية أو نحاسية أو طبول وطنابير، أو آلات نفخ، مثل الشبّابات والنايات والمزامير، وكانوا خبراء في التقدير الدقيق لدرجات السكر، يحبون التسابق في حلّ الألغاز، فمثلاً في سيرة شمشون (نحو عام 200 قبل الميلاد) نجده إذا لقي حبيبته الحسناء الفلسطينية «دليلة» شرب وطرب وراح يباري السمار في الألغاز والفوازير. ويرد قدر واف من ذلك في (سفر القضاة) من كتابهم.

ونقرأ في سفر «نشيد الأناشيد» صورة جميلة لأغنيات زفاف الأعراس، حافلة بالجمال والعشق والخمر والربيع، وأنواع العطر والطيب، وما يكون بين العشاق من الأشواق. والتلمود أيضا يمثل ذلك وبأكثر منه من فنون السخرية والمزاح البريء أو الجريء فمثلاً جاء في التوراة أن المرأة التي أثارت الغيرة في قلب زوجها من حقه أن يحضرها إلى المعبد ويتهمها أمام الكاهن من غير أن يقدم شاهداً أو قرينة على جرمها. فيقوم الكاهن بإحضار صحن ويسطر عليه اللعنات التي ينزلها الله على مرتكبة الفاحشة، ثم يكنس المحراب ويضع التراب مع الكتابة التي في الطبق ويحضر ماء ويمزج ما في الطبق به، فتشربه المرأة. فإن كانت آثمة انتفخ بطنها، وجفّ فخذاها، وسقط ثدياها.. إلخ، وحكي التلمود أن تلميذًا سأل الشيخ: بعد كَمْ من الوقت تُصاب بهذا؟ فأجاب: في أيام موسى وهارون كان العقاب ينزل فورا، وفي أيام الهيكل كان يصيبها في اليوم نفسه، وفي أيام السلف من رواة السُّنّة «المشنا» ففي السنة نفسها.. وأما بعد ذلك فالله وحده أعلم! وكأن هذا الفقيه كان يريد أن يقول إن حدود الله قد فقدت

مصداقيتها ـ خصوصا في جرائم الخيانة الزوجية ـ في أيامه (نحو القرن الرابع بعد ميلاد المسيح، واليهود مشتتون في جميع بقاع الأرض). فكيف يزعمون اليوم أنهم الصفوة، والخلاصة النقية من البشر والشعب الطاهر المطهر، الحسيب النسيب، شعب الله المختار؟ عجيب والله!

الاكتئاب ـ عندهم ـ أعظم شهرة من السخرية!

على كل حال فالسخرية المثيرة للابتسام تُطل من كلام هذا الحاخام، وجميع أنواع الضحك ودرجاته وأسبابها مرت عبر تاريخهم الطويل. وليس مصادفة أن أفضل الفلاسفة في بحث موضوع الضحك كان يهوديا من أبناء هذا القرن العشرين هو الأستاذ اليهودي الفرنسي «هنري برغسون» وعنوان الكتاب «الضحك» والمؤلف معاصر لفيلسوف آخر ـ يهودي أيضا ـ تخصص في كل ما هو عكس الضحك: الاكتئاب، والكبت، والكابوس، والماليخوليا، والوسواس، والهاجس، والخوف، اليأس، والانتحار، والجنون، وسائر الأمراض النفسية، هذا اليهودي الفيلسوف هو «سيجموند فرويد» أبو التحليل النفسي، والطب النفسي، والعلاج النفسي، الذي ملأ الدنيا لغطًا ـ وغلطًا ـ لكنه نال منها أضعاف ما ناله فيلسوف الضحك، في هذا الزمن الكزّ، إذ ملأ الدنيا بالأطباء النفسانيين، وبالمرضى النفسانيين أيضا.

وإذا كان الضحك تجارة رائجة عند اليهود، فإنهم جرّوا على أنفسهم بانعزالهم عن أمم الأرض قاطبة سيلا من الاستهزاء بهم، والسخرية من استعلائهم على جميع أمم العالم لأسباب غيبية، هي في ذاتها لا ترضى بهذا الانعزال أو الاستعلاء، فواجهوا سيلاً من التنكيت والتبكيت جعل الإنسان اليهودي أضحوكه وهدف فكاهة للناس جميعا.

ـ قال الراوي في تل أبيب: هنا إسرائيل! نذيع لحضراتكم على موجة طولها خمسة عشر ألف كيلو هيرتز.. وإذ كنتم مُصرين على الاستماع فإننا ـ إكراما لكم ـ نتساهل ونجعلها ثلاثة عشر فقط!

ـ جلس حارس باب معبد يهودي في القدس، وأمامه وعاء يجمع فيه التبرعات «الإجبارية» من المصلين، ودار هذا الحوار بينه وبين ولد صغير:

ـ أين التبرع.. يا ولد؟

ـ أنا سأخرج فورا.. أبي في الداخل وسأناديه لأن أمي مريضة. وتساهل الحارس بامتعاض قائلاً: مُرّ. لكن إياكَ أن تصلّي!

وأخرى: إعلان في جريدة صهيونية بحيفا:

ـ فقدتُ حافظة نقود أثناء سيري في شارع «الملوك» وبها مجموعة من رسائل بريدية وصور مختلفة، ومبلغ من النقود، الرسائل والصور غير مهمة، ولكن أرجو التفضل بإرجاع النقود، لأسباب.. عاطفية!

وأخرى: موريس يعمل في مصنع في «بير سبع» وصديقه أهرون يدير مقهى صغيرا هناك. فقال لموريس: إذا أحضرت معك كل يوم قطعة معدنية من المصنع ـ مختلفة عن سابقتها ـ يمكنني أن أجمع لك منها عربة صغيرة لمولودك الجديد، لأني رأيت مكتوبًا على البوابة أنه مصنع للدراجات؛ فقد كنت قبل القهوة ميكانيكيا. فراح موريس يعطيه كل يوم قطعة غيار.

وقال له أهرون يائسًا: يا أخي أنا متحيّر أمام القطع التي جاءت من هذا المصنع. كلما تعبت في تجميعها لا تصير عربة طفل، بل أفاجأ بأنها راجمة صواريخ، أو مدفع رشاش!

وأخرى: أمام حائط المبكي بالقدس، زحام من اليهود يكون أمام الحائط، وواحد من بينهم يئن وتنزل دموعه مدراراً، فمال عليه جاره وسأله هامسًا: وأنت أيضًا لك أسهم في مشروع بناء المستوطنات؟ فأجاب الثاني: يا ليت! أنا ـ بيني وبينك ـ شريك في شركة تهريب أسلحة... للعرب!

اليهودي يستبيح لنفسه السخرية من مجتمعه وأفكاره، وحتى شعائر دينه! ولكن حذار أن تحاول السخرية منه، وإلا اتهمك بمعاداة السامية!

والأخيرة: هاجر إسحق بلومنفيلد من باريس إلى إسرائيل ـ أرض الأجداد ـ كما كان يقول. وبعد بضعة أسابيع فوجئ صديقه أبراهام بوجوده ثانيا في باريس! ولمّا سأله عن المشكلة، قال بغضب: إنهم هناك ألعن من الهتلريين النازيين، ففي أثناء التحري عن أصلي وفصلي وجدوا أن جدّي الخامس أو السادس رُزق بأولاد غير شرعيين من امرأة غير يهودية، فرفضوا لي الجنسية!

هذه أمثلة من الفكاهات التي يرويها الساخرون من الصهيونية. وكدت أنسى واحدة أخرى وأخيرة تقول: تقاطعت باخرتان الأولى تتجه بركّابها نحو رصيف الميناء في تل أبيب، والأخرى تغادر تل أبيب، وهما مملوءتان باليهود، وكل واحد من ركاب الباخرتين يُعبِّر لركاب الباخرة الأخرى بإشارة تتهمهم بالمغامرة أو المجازفة.. أو بالجنون! مجنون من يصل إلى إسرائيل ويتركها، ومجنون من يهاجر إليها.. من أي بلد في الدنيا!

لا تسخر منهم.. وإلا اتهموك بمعاداة السامية!

وإذا كانت فكاهات الأمم الأخرى «الجوييم» قد تعودت السخرية من اليهود، وأنا لم أذكر في مختاراتي هذه إلا النكت الخفيفة النظيفة التي لا تخدش الحياء، ولا الكرامة اليهودية، وهي مهمة شاقة جداً في هذا الموضوع، فإن اليهود لم يقصّروا في هذه المباراة، فهم يحرصون على أن يظهروا أمام العالم على أنهم من الروّاد العالميين في الجدّ والهزل، وأنهم الأوائل في خفة الظل والروح والدم، إلى حدّ أن معظم المجاميع المحتوية على الدعابات والفكاهات التي تجرح ـ أو تحرج ـ اليهود، نجد أن مؤلفيها وطابعيها وموزعيها كلهم تقريبًا ـ وبجميع اللغات ـ من اليهود، وأكثرهم يكفّر عن هذه الخطيئة بالتبرع بالقليل القليل من أرباحه لهذا المشروع الصهيوني أو ذاك، محتفظا لنفسه بنصيب الأسد، فالنقود ليست لها رائحة حسب قول الإمبراطور الروماني فسبازيان عندما شيّد في روما مراحيض عليها رسوم مالية كما أسلفنا. وظاهرة أخرى في طبع النكت اليهودية، هي أنها تظهر مترجمة إلى أكبر عدد من اللغات، إذ إن اللغة العبرية لا يكاد يحسنها أكثر من مليونين من اليهود، من عدد إجمالي في العالم يناهز الأربعة عشر مليونًا، على الرغم من جهود وزارة الثقافة في إسرائيل في نشر اللغة المقدّسة في جميع الجاليات اليهودية في العالم، ولكن خصوصيّة إحياء اللغة العبرية تُعدّ علامة مميزة للحماسة الصهيونية، التي هي أجرأ وأعنف اقتحاما من أي حماسة أخرى في العالم، فإن الأتقياء والحريصين على التقاليد من اليهود لا يستعملون هذه العبرية الصهيونية الممسوخة، حتى في إسرائيل نفسها. قال الراوي: إن امرأة صعدت، ومعها ابنها الصبي الصغير إلى الأتوبيس في القدس، وكان الولد يتحدث مع أمه بالييديش ـ وهي لهجة ألمانية قديمة خاصّة باليهود في شرق أوربا والولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا وجاليات يهودية في آسيا وجنوب إفريقية ـ، وقال محصّل تذاكر الأتوبيس للأم: لماذا تكلمينه بالييديش لا بالعبرية! فأجابت: نحن يهود حقيقيون، ولسنا أجانب، والييديش هو لسان اليهودي الأصيل الملتزم، وليس العبرية!! وفي إجابتها من التحدّي للحكومة الإسرائيلية: وزارة التعليم، ووزارة

الضحك اليهودي !

الثقافة، ووزارة الإعلام ما يدعو إلى التأمّل. وآداب هذه اللغة اليهودية الشعبية، أوفر وأعمق في الشعر، والرواية، والمسرح، والأغنية، والصحافة.. وأكثر عفوية وتلقائية أيضًا.

ومن هنا تفرض ضرورة انتشار الكتب الضاحكة أن تصدر في الوقت نفسه بلغات غير العبرية. وآخر ما عثرت عليه منها كان كتابًا ضخمًا (خمسمئة صفحة)، اشترك في تأليفه «مارك ـ آلن أواكيم» وهو حاخام، ودكتور في الفلسفة، ومعه «رون رتنميير» وهو دكتور في العلوم. وقد اختارا له عنوانًا ساخرًا هو «توراة الضحك اليهودي»، وفيه، بعد مقدمة علمية جيدة عن الضحك اليهودي، آلاف من التضاحيك والنكت والطرائف، مبوّبة على نمط الحياة اليومية للمجتمع اليهودي بهمومه ومسرّاته. وتبدأ بالدين اليهودي وانتظار ظهور المسيح المخلّص، والسبت، والمعبد وشيوخ الكهنة، والفقهاء، وخدم المعبد، ثم النقد اللاذع لمناهج التلمود، ولطباع اليهودي المتزمّتة العجيبة. وتتوالى الأبواب والموضوعات: السياسة، النساء، المطبخ، الهجرة، الأطفال، التجارة والمال، الأطفال، المواصلات، الأسواق، المدارس، المرضى والأطباء، الحياة العسكرية، غير اليهود «الجوييم»، المؤتمرات والندوات بين الأديان، الفكاهة في إسرائيل واختلافها عن الفكاهة اليهودية العامة، الخطوبة والزواج، اللاسامية واضطهاد اليهود، الأصدقاء.

ويقول المؤلفان في تصدير الكتاب: إن أي مجموع للأضاحيك والنكت، يختلف عن غيره من الكتب، فالنكتة المقروءة أقل رونقًا من النكتة المسموعة، والنكتة إذا قرأتها وحدك غيرها إذا حُكيت في جماعة من السمار، مما يترتب عليه عدم القراءة في كتابهما بشكل منتظم ومتصل، بل «يتعاطى» القارئ منه حبّة أو اثنتين كل يوم، ولا يتجاوز هذه الجرعة حتى لا تفقد النكت مفعولها مع التكرار والإدمان! ويضيفان: إن عالم النكتة يحتاج في «إنتاجه» وكذلك في «استهلاكه» إلى «جديّة» كبيرة!

ويشيران إلى داء دفين عند اليهود. فاليهودي يستبيح لنفسه السخرية من مجتمعه وتفكيره، وحتى شعائره وعقائده الدينية بحرية شرسة، ولكن حذار ألف مرة من أن يُقْدِم واحد من الأجانب على التندّر على اليهود بأخف لمسات الاستخفاف، إذ إنه يرتكب بذلك جريمة «اللاسامية» مع ما تنطوي عليه هذه الإساءة من اغتصاب. أما اليهودي فإنه حرٌ في اغتصاب كل فلسطين وما حولها، لكنه يعاديك ـ بل قد يقتلك ـ إذا ألّفت عنه ألطف الدعابات وأكثرها براءة! والويل لمن يفكر من غير اليهود برسوم كاريكاتورية عنهم. وليت الباحثين في علم الاجتماع أو علم النفس من علمائنا يولون اهتمامًا بذلك، وعلاقته بالشعور الدائم بالاضطهاد والدونيّة والخوف من «الآخر» والارتياب في نواياه.

ومن أمثلة المزاح اللاذع في إسرائيل هذه القصة القصيرة جدًا: أطفال مدرسة ابتدائية في «عتليت» بإسرائيل، مجتمعون في دورة مياه المدرسة، وبيد كل منهم كأس لإعطاء عيّنة من البول لتحليلها طبيًا. واكتشف الأولاد أن شمعون غير مختون حسب فريضة التوراة بوجوب ختان الأطفال الذكور في اليوم السابع من ميلادهم. وسألوا شمعون: أنت يهودي؟ فأجاب: نعم! قالوا: ولماذا أنت غير مختون؟ فتلعثم الصبي مرتبكًا ثم قال: بابا غير متأكد أننا سنعيش طوال عمرنا في إسرائيل، فأجّل الختان إلى أن يتضح له الأمر!

ـ حاييم أمريكي الجنسية، جاء دوره في الخدمة العسكرية، وتم إلحاقه بفرقة ليس فيها يهودي غيره، وفي الصباح وقف في الصف مع بقية الجنود، وراح ملازم التدريب يسألهم واحدًا واحدًا: روبرت، لماذا أنت هنا في جيش الولايات المتحدة الأمريكية؟ فيجيب: للدفاع عن الوطن!وأنت يا مايكل، لماذا أنت هنا؟ فيجيب: للانتصار على أعداء أمريكا! وأنت يا جورج؟ فيجيب: لقتل من يحاول الاعتداء على بلادي! وأنت يا حاييم؟ فيجيب حاييم: سؤالك مهم جدًا يا سيدي الملازم. ومنذ وصلتني ورقة الاستدعاء للخدمة العسكرية وأنا أفكر، وأقول لنفسي: لماذا؟ لماذا؟ فلا أجد سببًا معقولاً لوجودي هنا، ولو أذنت لي لرجعت إلى منزلي في الراحة والدفء، وقراءة التلمود!

ـ ونكتة اقتصادية سريعة من قلب إسرائيل حيث تفقد العملة المحلية «الشقل» قيمتها، ويشكو الجميع من الغلاء، وتدني قوّة «الشَقَل» الشرائية في الأسواق. وهذه المحادثة دارت بين اثنين من الاقتصاديين الإسرائيليين:

ـ ما الفرق في القيمة الفعلية بين الشِقل والدولار؟

ـ الفرق بينهما... دولار!

ـ وهذه قصة سريعة قالها للضحك اليهودي الأمريكي «وودي آلين» يسخر ممن يدّعون العظمة والمجد: النبي موسى مات، زعيم الصهيونية هرتسل مات، ابن غوريون مات، مناحم بيجن مات، كارل ماركس مات، وأنا أشعر أن صحتي في تأخر مستمر!

حتى الضحك.. سرقوه من أمم أخرى!

في هذه الرحلة القصيرة عبر الضحك اليهودي، كنت أشعر أن روح السخرية والمرح مرتفعة ونشيطة جدًا في المجتمع اليهودي في جميع بقاع الأرض، إلا في المجتمع الصهيوني في فلسطين. وهناك، كما في «توراة الضحك اليهودي» وجدت أن معظم الدعابات المتداولة الشائعة مسروقة من أمم أخرى، ثم أعيد إخراجها، بعد تهويدها بعناية. جانب كبير من السخريات التي أطلقتها شعوب مطحونة في العالم ضد حكّامها الظالمين، أو ضد غزاتها المستعمرين، أو ضد المسؤولين الإداريين المتعفّنين اغتصبته الصهيونية، وصبته على معاداة اليهود، أو مقاومة السامية، أو على كهنتهم وما فيهم من جشع أو فجور، أو علينا نحن، الجيران والضحيّة. ولاحظت في كل هذا انخفاضًا في مستوى الظرف والذكاء والشفافية. وكنت أسأل نفسي كثيرًا: أكان هذا بسبب مجاورتهم لحائط المبكى؟ أم للحروب التي يشنونها على العرب حتى يشغلوهم عن التنمية والإعمار والتقدم؟ أم لتتمكن حكوماتهم المتعاقبة من الحكم في أناس على الدوام متمردين ـ حتى على الله ـ مختلفين باستمرار فيما بينهم؟ أم إن ثقل ظلمهم جثم على أرواحهم خلال ألفين من السنين قضوها في الشتات، والعزلة عن الناس، والفقر، والذل، والاضطهاد؟ أم لكل هذه الأمور مجتمعة؟ ولكن الطامة الكبرى أنني وجدت في أثناء دراسة كتاب «توراة الضحك اليهودي» أنهم في إسرائيل قد اغتصبوا «جحا»! إي والله! هكذا باسمه بعد أن بذلوا بعض الجهد ليجعلوه قسمة بين العرب وبينهم، مثل الحرم الخليلي! وهم لا يعرفون أن جحا قد أصبح مواطنًا لنا لطول إقامة بيننا، وقصصه التي يلوكها اليهود الآن، محلية ومروية في العالم الإسلامي قبل قيام دولة أسرائيل بألف سنة. وأما الوطن الأصلي لجحا فقد يكون تركيا، ولكن جحا ما كان يهوديًا ولا نصرانيًا، ولكن كان حنيفًا مسلمًا، اسمه «خوجة نصرالدين» وقبره معروف إلى الآن في البلدة التركية «آق شهر» في الأناضول. وهم في هذه الفعلة الفاضحة حاولوا أن يعللوها بأن جحا كان محبوبًا من الجميع في الأقطار الإسلامية المغاربية، كما هو في الشرق الإسلامي، وأن يهود شمال إفريقيا «السفَرد» قد أخذوه معهم في هجرتهم إلى إسرائيل! وهذا شيء نفخر به نحن المسلمين، لأنه يبين عمق الامتزاج بين العرب واليهود المغاربة، وتشابههم في المشارب والأذواق، حتى حسبوا جحا ـ تلقائيًا ـ واحدًا منهم، ومتبنى لهم. وجحا لا يمثل الضحك والهزل فقط، بل هو رمز للفكر المتحرر المنطلق الشجاع، وشجاعته واضحة في موقفه من العاهل التركي المتجبر «تيمورلنك».

وبعد، فإن هذا الحديث لقُرّاء «الفيصل» الأعزاء، دعوة إلى أهل الفضل للاهتمام بالضحك اليهودي بالبحث والجمع والتنقيب والاستقصاء والتعليق، بحيث تكون هذه الدراسة كاشفة لما يخفيه الصهاينة لنا من النوايا، وما يتبلور في نفوسهم عنّا من أفكار. وأرجو لكم جميعًا صومًا حميدًا، وعيدًا سعيدًا، وكل عام وأنتم بخير.

أقوال
الماضي للحاضر

العقل المنير



د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

ما دخل العقل المنير في أمرٍ إلاّ زانه، ولا غاب عنه إلاّ شانه، فالعقل جوهرة ثمينة، يهبها الله لمن يشاء من عباده، فتكون، بإذن الله، خيرَ هادٍ ، وأصلح قائد؛ تنير المظلم، وتقيم المُعوجّ، وتعدل المائل، وتصلح الفاسد. بها يسعد الإنسان، ومن دونها يشقى، إلا من تداركه الله. هذه الجوهرة زينة في الدنيا، موصلة إلى خير في الآخرة، من قدّرها، وحافظ عليها، ونمّاها، أوصلته إلى بر الأمان، وأدخلته في رياضٍ غَنّاء من النمو والمتعة، ومن قَدَّرَها حقَّ قدرِها حَفَّت به عنايتها، وحَصَّنته قلاعها، بإذن من الله، وعطف ورحمة.

وقد سَجَّل التاريخ في طيَّاته لكثير من الذين حباهم الله العقل أخبارًا منيرة، وقصصا مدهشة ممتعة، صارت مع الزمن تُحتذى، ومع مرور الوقت يحمدها من جربها، وعمل بها.

والعقل ليس وقفا على طبقة من الناس دون طبقة، ولا على جنس دون جنس، ولا على الكبير دون الصغير، ولا على الرجل دون المرأة، ولا على الطويل دون القصير، ولا على الأبيض دون الأسود، هي هبة الله لمن أراد الله له أن يسير في هذه الحياة، وبيده سراج منير، ينير له ما أظلم من الطريق، ويقوده في سبل الحياة المختلفة، بهدى وبصيرة.

وسوف نسوق هنا قصة من التراث العربي المضيء، تري صفاء ذهن ابن البادية، العربي القح، الذي لم تفسد دمه البطنَة، ولم تُرجَم رواسب الدهون على خلايا مُخِّه، بشهادة أحد ملوك الفرس النابهين:

«خرج أبو سفيان في جماعة من قريش وثقيف، يريدون بلاد كسرى بتجارة لهم، فلما ساروا ثلاثًا جمعهم أبو سفيان، فقال: إنّا من مسيرنا هذا على خطر، إن قدومنا على ملك لم يأذن لنا في القدوم عليه، وليست بلاده لنا بمُتَّجَر، ولكن أيُّكم يذهب بالعير، فإن أصيب فنحن براء من دمه، وإن يغنم فله نصف الربح؟

فقال غَيلانُ بن سَلَمَة الثقفي (ت: 23هـ): دعوني إذن. فدخل الوادي يضرب فروع الشجر، وهو يقول:

فَلَوْ رَآني أبو غيلان إذْ حَسَرَتْ
عَنِّي الأمورُ إلى أمرٍ لَهُ طَبَقُ
لَقَالَ رُغْبٌ ورُهْبٌ يَجْمَعَان مَعًا
حُبُّ الحياة وهول الفَضْلِ والشَّفَقُ
إما تَشَفٌ على مَجْدٍ وَتَكْرُمَةٍ
أو أسوةٌ لَكَ فِيمَنْ يُهْلِك الوَرِقُ

ثم قال: أنا صاحبكم، فخرج بالعير. فلما قدم بلاد كسرى، وكان أبيض طويلاً جعدًا، تَخَلَّقَ، ولبس ثوبين أصفرين، وشهر أمره؛ وقعد بباب كسرى، حتى أُذن له، فدخل، وبينهما شباك من ذهب.

فقال له الترجمان: يقول لك الملك: ما أدخلك بلادي بغير إذني؟

قال: لست من أهل عداوة لك، ولم آتك جاسوسًا، وإنما حملت تجارة، فإن أردتها فلك، وإن كرهتها رددتها؛ قال: فإنه ليتكلم إذ سمع صوت كسرى، فخرّ ساجدًا.

فقال الترجمان: يقول لك الملك: ما أسجدك؟

قـال: سمعت صوتًا مرتفعًا حيث لا ترتفع الأصوات، فظننته صوت الملك، فسجدت.

قال: فشكر له ذلك، وأمر له بمرفقة (وسادة أو مخدة) توضع تحته؛ فرأى عليها صورة الملك، فوضعها على رأسه.

قال: فاستخفَّه عند نفسه، وقال:

إنما بعثنا بها إليك، لتقعد عليها.

قال: قد علمت، ولكني رأيت عليها صورة الملك، فوضعتها على أكرم أعضائي.

قال: ما طعامك في بلادك؟

قال: الخبز.

قال: هذا عقل الخبز.

ثم اشترى منه التجارة بأضعاف أثمانها؛ وبعث له من بَنَى له أُطُمًا (حصنًا) بالطائف، فكان أول أُطُمٍ بالطائف» [كتاب لطف التدبير للإسكافي (ت:421هـ) 71- 73، ط مكتبة المثنّي].

إن غيلان عندما قبل المهمة قبلها عن عقل، وشجاعة، وقد وطد نفسه على أمر من أمرين: إما الربح العظيم، أو الموت المحقق، كما قال في شعره، وَهَوَّن الموت على نفسه، بأنه مآل كل حي. وقد صدق ظنه بعقله، فقد أوصله إلى الربح العظيم.

لقد أخذ غيلان الأمر خطوة خطوة، وكل خطوة كَمَنَ وراءها عقل، درس الموقف الذي هو فيه، أوجب في كل منها عند البدء الدهشة، ثم أردفه بتفسير بديع، نال الإعجاب، وجاء في النهاية بالمكافأة الجزلة؛ وقد انفرد غيلان بعطف الملك الفارسي، فعاد إلى قومه يجر رداء مجد، ويختال في رداء عز، ولا بد أن الأمر لم يقتصر بينهما على هذه المحادثة؛ بل تعداها إلى محادثات وجلسات، كل واحدة زادت من قيمة الرجل عند هذا الملك.

والملوك عادة يحبون جمع التحف النادرة، وليس هناك تحفة أغلى من شخص مبدع في جانب من جوانب الحياة، ويتميز بميزة ينفرد بها دون غيره، يجد الملك أن فيها مفاخرة، فالفصيح تحفة نادرة، والشاعر المجيد تحفة نادرة، والفارس الشجاع تحفة نادرة، والعاقل الذكي الحاذق تحفة نادرة، وقد كانها غيلان.

قصيدة

كانت مآقي الدهرِ تَرْقُبُ خطوَهم

شعر: محمد سعد دياب

دَعْنا نُسامرُ عطْرَهَا المَيَّادا ... تلك الصحائفُ.. كم زَهَتْ أمجادا
تاريخُنا.. وتَتِيهُ ألفُ نُجَيْمَةٍ ... تَثبُ الأهلَّةُ.. تُمطِرُ الإنشادا
كانت سيوفُ الفَتْحِ يلمعُ حَدُّها ... بَرَقتْ.. تُدَمْدِمُ ريحُها أرعادا
تلك الجحافلُ ضاءَت الدنيا بها ... حَفَرَتْ عزائمَها.. انبرتْ ميعادا
ضربوا فِجَاجَ المستحيلِ جسارةً ... وتَبَوَّؤُا هَامَ الشموسِ مُرَادا
وَشَمُوا على جفن السُّهَا أيَّامَهم ... إنَّا نرى سَعْدًا.. نرى المِقْدَادا
كانت مَآقِي الدهرِ تَرْقُب خَطْوَهُمْ ... سُحِرَتْ.. وبات كَرَى العيونِ سُهَادا
أرسَوا هُدَى الرحمن فانجابَ الدُّجَى ... واخْضَرَّ صبحٌ.. دافقًا إسعادا
حملوا الرسالة وافتدوها مُقْلَةً ... ونُهًى تَوَسَّدَ نبضُها الأكبادا
سَرَتِ المعارفُ.. أَتْرَعَتْ بِرُوَائِها ... دنيا.. أنارَ عبيرُها الأبعادا
الذارياتُ حَمَلْنَ شُعْلَتَها سَنًى ... ليفيضَ في لُجَجِ الدُّنا إرشادا
كم أُمَّةٍ نَارتْ دُجُنَّتُها.. وكم ... إصباحُها وافى.. وكان سوادا
تلك البيارقُ حينَ آخاها المُنى ... صدْقًا.. أفاءتْ كي تطيبَ حَصَادا
قِمَمٌ تَجَذَّرَ غَرْسُها فتحدَّرَتْ ... بحْرًا من النُّعْمَى.. هَمَى جَوَّادا
سِفْرٌ من السِّيَرِ الوريقة قد نَضَا ... كالدُّرِّ في مَسْرى الزمانِ.. وزادا
ذَيَّاكَ ميراثٌ نُبَاهي دَهْرَنا ... بشموخِهِ.. نعلو به أنجادا
الوارثون المجدَ نحنُ.. نقولُها ... تَدْوِي.. تَرُجُّ السمعَ والآمادا
سَنُعيدُ ما عَبَقَ القَصِيدُ بذِكْرِهِ ... لن نرتخي هِمَمًا.. نلوذ رُقَادَا
نحنُ الذين سَنُسْرِجُ القنديلَ نقـ ... ـدَحُ جَذْوَةً تَسْقِي رُبًا وَوِهَادا
هذا كتابُ اللّه نرفعُهُ هُدًى ... وَعْدًا يَشِعُّ بقلبنا.. ورشادا
تاللّه لا.. لا.. لن تَضِلَّ دروبُنا ... تاللّه لا.. لا.. لن نَشِتَّ فُرَادَى
اللّهُ أكبرُ.. فلتكنْ راياتنا ... وَحُدَاءَنا.. وسِرَاجَنا الوقَّادا

كنوز من الإعجاز القرآني

في مشاكلة الألفاظ للمعاني

د. عبدالجواد محمد محمد طبق

لا شك أن إيثار اللغة العربية لغةً للقرآن الكريم دون سائر اللغات تشريف لهذه اللغة وللناطقين بها أيضًا، فضلاً عما تنفرد به العربية من سمات وخصائص لا تتوافر في غيرها من اللغات، ولا يتسع المقام هنا للإفاضة فيها(1)، ولكننا في هذا الصدد سنركز الحديث عن خصيصة واحدة من هذه الخصائص، وهي مشاكلة اللفظ لمعناه، وسنعرض فيما يلي صورًا من هذه المشاكلة في أفصح الكلام، وهو القرآن الكريم، وبالله التوفيق.

الصورة الأولى في بناء اللفظ

لما كانت خفة الألفاظ في العربية غرضًا أصيلاً وردت أغلب ألفاظها ثلاثية، تليها الألفاظ الرباعية، ثم ما زاد على ذلك، وهذا يعني أنه كلما كانت الألفاظ خفيفة كثر دورانها في الاستعمال، وكلما قَلَّت هذه الخفة في الألفاظ قلَّ في المقابل استعمالها(2).

ومع ذيوع هذا الأصل في بناء الألفاظ نجد ألفاظًا طويلة وردت في أفصح الكلام، وهو القرآن الكريم، وكان طولها أساسًا مهمًّا من أسس فصاحتها لتتم به مشاكلة اللفظ لمعناه، من ذلك: *فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّه*. **البقرة**: 137. ولعل طول هذا اللفظ «فسيكفيكهم» يشير إلى عظمة حجم هذه الكفاية لأنها من اللّه سبحانه، ومن ذلك أيضًا ما ورد على لسان نوح في قوله تعالى: *قَالَ يَاقَوم أَرَأَيْتُم إنْ كُنتُ على بَيِّنَة من رَّبي وآتاني رَحمَةً من عنده فَعُمِّيَتْ عليكَم أَنُلْزِمُكُمُوهَا وأنتم لها كَارِهُونَ*. **هود**: 28.

فلما كان الإلزام ثقيلاً على النفس ناسب ذلك أن يكون في الكلمة نوع من الثقل بالطول ليشاكل اللفظ معناه، ومنه أيضًا قوله تعالى: *يَاأَيها الَّذينَ آمَنُوا مَا لَكُم إذَا قيلَ لَكُمُ انفرُوا في سَبيلِ اللّه اثَّاقَلْتُمْ إلى الأرضِ*. **التوبة**: 38. ومن الواضح أنَ لفظ «اثَّاقلتم» اجتمع فيه ثقل النطق مع ثقل الطول، فكان الثقل فيه أكثر مما سبقه ليتناسب الثقل اللفظي مع ثقل التباطؤ وعدم النفور في سبيل الله. ومن عجيب مشاكلة اللفظ لمعناه أيضًا أنك تجد هذه المشاكلة قد يُراعى فيها التجاور بين الألفاظ، بمعنى أن يكون في اللفظ نوع من الثقل يتناسب به مع نوع من الثقل في لفظ آخر في العبارة، ومن ذلك أنك تجد أن نون «كأنّ» وردت ساكنة في جميع مواقعها في القرآن الكريم ماعدا موقعًا واحدًا وردت فيه ثقيلة بالتشديد، وهو قوله تعالى: *كأنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ في أُذنيه وَقْرًا*. **لقمان**: 7، فلما كانت «كأن» الثانية أقرب تجاورًا لكلمة «وقرًا» التي معناها ثقل السمع من «كأن» الأولى وردت الثانية مشدّدة النون لمناسبة معنى الوقر(3).

وقد يُراعى في التجاور بين الألفاظ الغرابة كإيثار أغرب ألفاظ القسم وهو «تالله» لمجاورته لأغرب أخوات كان وهو «تفتأ» في قوله تعالى: *قالوا تَاللّه تفتأُ تَذْكُرُ يوسُفَ حتَّى تَكُونَ حَرَضًا*.. **يوسف**: 85. ويواكب هذه الغرابة أيضًا غرابة «حَرَضًا» المذكورة بعد ذلك في الآية نفسها(4).

وقد تكون الغرابة في اللفظ مشاكلة للغرابة في المعنى، فَيُؤْثَر اللفظ الغريب على مرادفه من أجل هذه المشاكلة، كما في قوله سبحانه: *أَلَكُمُ الذَّكَرُ وله الأنثى. تلْكَ إذًا قسْمَةٌ ضيزَى*. **النجم**: 21- 22. فقد أوثر لفظ «ضيزى» مع غرابته على مرادفة وهو جائرة أو ظالمة مثلا لغرابة هذه القسمة، حيث لم يكتفوا بأن جعلوا للّه ولدًا حتى جعلوا له أخس النوعين في نظرهم، وهو الأنثى، مع أنه سبحانه ليس له ولد فضلاً عن أن يكون أنثى.

وهكذا كان بناء اللفظ على الطول، أو على الثِّقل، أو على الغرابة مشاكلاً لمعناه، أو لمعنى لفظ آخر مجاور له في العبارة على النحو السابق.

الصورة الثانية في الحذف والزيادة

من المعروف أن قضية الحذف في العربية ليست مطلقة، وإنما يأتي الحذف فيها على مستوى الحرف أو الكلمة أو الجملة أو الجمل

مقيّدًا بأمرين: أولهما: أن يكون هناك غرض لهذا الحذف، وثانيهما: أن يكون هناك دليل على المحذوف، ولهذا الحذف على هذا النحو شواهد عديدة في كلام العرب لا يتسع المقام لذكر شيء منها هنا(5).

ولكننا سنشير في إطار مشاكلة اللفظ للمعنى في الحذف إلى شاهد واحد في حذف الكلمة في حديث نبويّ شريف، فقد نُقل عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - قولها: «كنت أغتسل أنا ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - من إناء واحد، فما رأى مني، ولا رأيت منه». والشاهد هنا في حذف مفعول «رأى - رأيت» وهو العورة، وقد علّل البلاغيون لهذا الحذف باستقباح ذكر المفعول، وقد حسن هذا الحذف أيضًا مشاكلة اللفظ لمعناه، فلما كانت العورة يجب سترها شرعًا حسن حذفها لفظًا ليشاكل الحذف اللفظي الستر الشرعي.

وسنقصر حديثنا على بعض شواهد حذف حرف، أو زيادته في القرآن الكريم في إطار مشاكلة اللفظ للمعنى؛ لأن هذه الظاهرة لم تنل حظها الكافي من التعليل، بخلاف ظواهر الحذف الأخرى المشار إليها آنفًا.

أما عن حذف حرف من بعض المفردات فقد لاحظنا أن الكلمة أحيانًا يُحذف منها حرف على غير المألوف فيها، للإشارة إلى عدم الإلف في معناها، ومن ذلك حذف ياء «يسري» في قوله تعالى: *والليلِ إذا يَسْرِ*. **الفجر**: 4، مع أن الفعل ليس مجزومًا، ولعل هذا الحذف للإشارة إلى عدم إلف السُّرى من الليل؛ لأن الليل لا يَسري، وإنما يُسرَى فيه، وهذا ما أجاب به الأخفش عندما سُئل عن علة هذا الحذف، وعلق عليه الآلوسي بقوله: «أراد أنه لما عدل عن الظاهر في المعنى، وغيّر عما كان حقّه معنى غُيِّر لفظه»(6).

ومن عجيب حذف الياء وإثباتها في القرآن الكريم قوله تعالى: فلا *تَسْأَلْنِ ما لَيسَ لَكَ به علمٌ*. **هود**: 46، مع المقارنة بقوله تعالى: *فلاَ تَسْأَلْنِي عن شيءٍ حتَّى أُحدثَ لَكَ منه ذكرًا*. **الكهف**: 70. فلما كان المسؤول عنه في الآية الأولى غيبًا غير معلوم، كان من المناسب غيبة الياء بالحذف في «تسألن»، ولما كان المسؤول عنه في الثانية أمورًا مشاهدة كخرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار كان من المناسب إثبات الياء(7).

وشبيه بهذا حذف الياء في: *لئن أخَّرتَنِ إلى يَوْمِ القيامَةِ لأحتنكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إلا قليلاً*. **الإسراء**: 62. وإثباتها في: *لَولاَ أخَّرْتَني إلى أجَلٍ قريب فأصَّدَّقَ وأكُن منَ الصَّالحينَ*. **المنافقون**: 10؛ لأن التأخير الأول تأخير العقاب والمؤاخذة، وهو معنوي لا حسيّ، فناسبه غيبة الياء، وأما التأخير الثاني فهو تأخير محسوس جسمي، فناسبه ثبوت الياء(8).

وهكذا من يتتبع أسرار حذف حرف في القرآن الكريم، أو إثباته يجد أسرارًا عجيبة في إعجاز هذا الكتاب العزيز.

أما زيادة حرف في كلمة فسنكتفي هنا بالحديث عن زيادة حرف في كلمة مرة بالمقارنة مع عدم زيادته في الكلمة نفسها في السورة الواحدة، أما الحرف فهو الألف، وأما الكلمة فهي السبيل، وأما السورة فهي الأحزاب، فقد وردت هذه الكلمة من دون زيادة في قوله تعالى: *واللَّهُ يَقُولُ الحقَّ وهُوَ يَهدي السَّبيلَ*. **الأحزاب**: 4، بينما وردت بزيادة الألف في: *وقَالُوا رَبَّنا إنَّا أطَعْنَا سَادَتَنا وكُبَرَاءنا فأضَلُّونا السَّبيلا*. **الأحزاب**: 67.

وحتى تمكن محاولة فهم شيء من السرِّ في عدم زيادة الألف في الموقع الأول نورد الآية كاملة، وهي: *مَا جَعَلَ اللَّهُ لرَجُلٍ من قَلْبَيْنِ في جَوْفِه وَمَا جَعَلَ أزواجَكُمُ اللائي تُظَاهِرُونَ منْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وما جَعَلَ أدْعِيَاءَكُمْ أبْناءَكُمْ ذلكُمْ قَوْلُكُمْ بأفْوَاهكُمْ واللَّهُ يَقولُ الحقَّ وهو يَهْدي السَّبيل*.

يُلاحظ أن هذه الآية الكريمة أوردت ثلاثة أمور خارجة عن النهج السوي المألوف في طبائع الأمور، ولذلك وردت كلها في حيز النفي، أما الأمر الأول فهو جَعْل قلبين في جوف رجل واحد، وأمّا الأمر الثاني فهو جَعْل الزوجة أمًّا، وأما الأمر الثالث فهو جَعْل الدَّعي ابنًا، وقد تقدم الأمر الأول، وإن كان مسلّم النفي ليقاس عليه الأمران الآخران، ليصيرا في خروجهما عن الفطرة السليمة والطبع المستقيم كالمستحيل الذي أتى عليه الأمر الأول، وهو جَعْل قلبين في جوف رجل واحد.

ولما كانت هذه الأمور الثلاثة خارجة عن النمط المألوف والمنهج السويّ كان من المناسب أن تأتي فاصلة الآية الكريمة، وهي كلمة «السبيل» على طبيعتها المألوفة في الكتابة من دون زيادة أو نقص للإشارة إلى أنه سبحانه يهدي إلى السبيل المستقيم الذي لا يقبل زيادة ولا نقصًا ولا خروجًا عن المألوف ولا شذوذًا، وكأنَّ في ذلك رمزًا إلى أن الأمور الثلاثة السابقة أمور شاذة خارجة عن النهج المستقيم الذي يهدف إليه الحق سبحانه.

أما زيادة الألف في «السبيلا» فقد وردت في إطار قوله تعالى: *إنَّ اللَّهَ لَعَنَ الكَافرينَ وأعَدَّ لهُمْ سَعيرًا. خَالدينَ فيها لا يَجدُونَ وَليًّا وَلاَ نَصيرًا. يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ في النَّار يَقُولُونَ يَالَيْتَنا أطَعْنَا اللَّهَ وأطَعْنَا الرَّسُولاَ. وقالُوا رَبَّنا إنَّا أطَعْنَا سَادَتَنَا وكُبَرَاءَنَا فأضَلُّونَا السَّبيلاَ*. **الأحزاب**: 64- 67.

ولما كانت نظرة الكفار إلى هذا السبيل في الدنيا تختلف عن نظرتهم إليه في الآخرة، حيث كانوا يعدّونه في الدنيا سبيل ضلال وسحر وجنون وشعر وكهانة، ثم تبين لهم بطلان ما كانوا عليه صار السبيل في الآخرة كأنه سبيلٌ جديدٌ غير مألوف لهم لاختلاف نظرتهم إليه بعدما عاينوا العذاب حقًا وصدقًا، ولذلك كان من المناسب زيادة هذه الألف لترمز إلى المعنى الجديد والنظرة الجديدة لهذا السبيل، ولا يخفى ما في مد الصوت بهذه الألف من تعظيم لهذا السبيل، وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى كما هو مشهور.

وعلى نحو من ذلك يمكن التعليل لزيادة الألف في «الرسولا» في الآيات السابقة، لتغير النظرة إلى الرسول صاحب السبيل الحقّ،

قد تكون الغرابة في اللفظ مشاكلة للغرابة في المعنى، فيؤثر اللفظ الغريب على مرادفه من أجل هذه المشاكلة

ولتعظيم هذا الرسول أيضًا، ثم يأتي بعد ذلك تعليل آخر تابع لهذه التعليلات في زيادة الألف، وهو مراعاة فواصل الآيات التي أتت كلها بالمد في هذه السورة ماعدا آية واحدة، وهي التي خُتِمَتْ بلفظ «السبيل» من دون مد، وقد أسلفنا القول في ذلك.

الصورة الثالثة في العلاقة بين المعنى والصوت

وقريب مما سبق أن ذكرناه في زيادة الألف في «السبيلا والرسولا» والتي ترمز، فيما نرى، إلى تعظيم هذا الرسول وذلك السبيل، وكأنه رسول آخر وسبيل آخر غير السبيل والرسول اللذين عرفوهما في الدنيا، قريب من هذا ما ذكره بعض اللغويين عن الفرق بين النفي بـ «لا» والنفي بـ «لن»، حيث جعلوا النفي بالأولى ممتدًا لامتداد الصوت في نطقها، بينما جعلوا النفي في الثانية منقطعًا لانحباس الصوت في نطقها، ولذلك نُقِلَ عن السهيلي قوله في ذلك: «إن امتداد الصوت وانطلاقه في هذا الحرف «لا» يُشْعِر بتطاول زمن هذا النفي، وأن النفي به حريّ أن يكون للتأبيد، وذلك بخلاف «لن» التي يدل احتباس الصوت فيها على احتباس المعنى وعدم سريانه مع الزمن الممتد المتطاول البعيد»(9).

كما يؤكد ابن القيم هذه التفرقة في المعنى المشاكلة للتفرقة في اللفظ والصوت فيقول: «ولا يمتد معنى النفي فيها «لن» كامتداد معنى النفي في حرف «لا»، إذا قلت: زيد لا يقوم أبدًا، وقد قدمنا أن الألفاظ مشاكلة للمعاني التي هي أرواحها يتفرس الفَطِنُ فيها حقيقة المعنى بطبعه وحسّه كما يتعرف الصادق الفراسة صفات الأرواح في الأجساد التي هي قوالبها بفطنته..». ثم نقل عن ابن جني قوله في هذا الصدد: «وتأمل حرف «لا» كيف تجدها لامًا بعدها ألف يمتد بها الصوت ما لم يقطعه ضيق النفس، فآذن امتداد لفظها بامتداد معناها، و«لن» بعكس ذلك، فتأمله، فإنه بديع»(10).

وإذا كانت العبارة السابقة تشير إلى امتداد النفي بـ «لا» في المستقبل أكثر من النفي بـ «لن» لامتداد الصوت في «لا»، فإن طبيعة امتداد الصوت هذه في «لا» جعلتها صالحة أيضًا ليعمّ النفي بها جميع الأزمنة، إذا دخلت على المضارع، ما لم تقم قرينة معينة تحدد زمنًا محددًا، وهذا ما ذهب إليه صاحب المصباح المنير(11).

ومن شواهد ذلك قوله تعالى عن الأصنام: *وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ ولا يَنفَعُهُمْ*. يونس: 18، «أي ما ليس من شأنه الضر والنفع من الأصنام التي هي جمادات»(12)، وكأنّ النفي بـ «لا» على هذا المستوى يشير إلى طبيعة الأصنام التي لا تنفك عنها في أيّ زمن من الأزمان.

ومن هذا المنطلق يمكننا أن نفهم شيئًا من السّر حول المفارقة في النفي بـ «لن» و«لا» في آيتين متشابهتين تتحدثان عن اليهود، أولاهما وردت في قوله تعالى: *قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ*. **البقرة**: 94- 95، وثانيتهما في قوله جلّ شأنه: *قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ*. **الجمعة**: 6- 7.

فلمّا كان الحديث السابق على النفي في الآية الأولى مرتبطًا بالدار الآخرة، وهي مستقبلة قطعًا كان من المناسب أن يكون نفي تمني الموت بأداة النفي المتمحضة للمستقبل، وهي «لن». أما في الآية الثانية، فكان الحديث السابق عن زعم اليهود الولاية لله من دون الناس، وهذا أمر لا يرتبط بزمن دون زمن؛ لأنه طبيعة في اليهود، وإن كانت زائفة، ولذلك كان الحديث عنهم بعنوان اليهودية المناسبة لهذه الطبيعة، وهذا يناسبه نفي تمنيهم الموت الذي يتناقض مع ادّعاء الولاية بأداة نفي يمتد النفي بها في جميع الأزمنة ليتناسب مع طبيعتهم التي تَدَّعي الولاية لله من دون الناس، وبهذا شاكل لفظ النفي معناه في الآيتين السابقتين على نحو ما ذهبنا إليه، والله الموفق.

الصورة الرابعة في التقديم والتأخير

الحديث عن التقديم والتأخير هنا لا يسير في المسار نفسه المشهور عند البلاغيين من أن تقديم ما حقّه التأخير قد يكون للقصر أو الاهتمام، وإنما يسلك مسارًا آخر هو مسار مشاكلة اللفظ للمعنى الذي كان محورًا تدور حوله صفحات هذا الموضوع، وسنورد فيما يلي شاهدين لهذه الظاهرة من القرآن الكريم.

الشاهد الأول في تقديم موسى على هارون في حديث السحرة من آل فرعون الذين آمنوا بربّ موسى وهارون، حيث حكى عنهم القرآن الكريم ذلك في قولهم: *آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ*. **الأعراف**: 122، **والشعراء** 47- 48(13). مع ورود هارون مقدّمًا على موسى عليهما السلام في آية واحدة هي: *آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى*. **طه**: 70.

أما تقديم موسى لفظًا على هارون في سائر الآيات التي ذُكرا فيها معًا فلتقدّمه فضلاً على هارون من حيث إنه مصطفى بالتكليم، ومن أولي العَزم، ولاعتبارات أخرى كثيرة، منها الدعوة والرسالة والمعجزة، فالتقدم في اللفظ للتقدم في الفضل.

أما تقديم هارون على موسى في آية طه فقد ذكر له المفسرون تعليلات كثيرة لا يخلو معظمها من مناقشة(14) وما نرتضيه في هذا المقام تعليل يقوم على مشاكلة اللفظ للمعنى في هذا التقديم، ذلك أن تفوق موسى - عليه السلام - على سحرة فرعون جعل السحرة يقلبون اعتقادهم الإيماني من الإيمان بفرعون إلى الإيمان بربّ موسى وهارون عليهما السلام، وكأن هول المفاجأة قلب هذا الاعتقاد من الوثوق الكامل بالنصر إلى الهزيمة المطلقة، فكان من المناسب لذلك قلب الحقيقة في التعبير أيضًا بالبدء بالمفضول، وهو هارون - عليه السلام - والتثنية بالفاضل وهو موسى - عليه السلام -، وفي هذا ما يُشعر بقوّة الإيمان في نفوسهم، لأن إيمانهم بربّ المفضول يقتضي إيمانهم بربّ الفاضل من باب أولى، وبذلك تناسب هذا التقديم شكلاً وموضوعًا مع واقعهم النفسي والإيماني، والله أعلم(15).

أما الشاهد الثاني للتقديم والتأخير، فهو في قوله تعالى: *وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا*.

الأحزاب: 26، حيث تقدم الفريق المقتول على الفريق المأسور في الآية الكريمة، وله توجيهات عديدة(16)، منها توجيه مشاكلة اللفظ للمعنى في هذا التقديم والتأخير، لأن الفريقَ المقتول لمَّا كان هو المتقدم في المعركة عادة ناسب ذلك تقديمه في اللفظ، وأما الفريق المأسور فهو المتأخر عادة أيضًا في المعركة، ولذلك جاء تأخيره في اللفظ، وهذا من بدائع الإعجاز في القرآن الكريم.

ومما زاد في حُسْنِ هذه المشاكلة بالتقديم والتأخير في الآيات المذكورة في هذه الصورة الرابعة ما واكبها من حُسْن نغم صوتيّ برعاية الفواصل القرآنية، وهذا مما تفوق به الأسلوب القرآني على أساليب الشعر الموزون والنثر المسجوع.

الصورة الخامسة
في الخروج عن المألوف في بناء الأسلوب

هناك اعتبارات عامة وأسس معهودة في بناء الأساليب العربية كمراعاة التناسب في العطف بين الأسماء والأفعال، والتناسب بين الضمائر التي ترد في الأسلوب، وكذلك تذكير ما حقّه أن يُذكَّر وتأنيث ما حقّه أن يُؤنَّث، وإفراد ما حقّه أن يُفرد، وتثنية ما حقّه أن يُثنّى.. إلى غير ذلك من الظواهر اللغوية المألوفة في بناء الأساليب، لكننا نجد أن الأسلوب أحيانًا يأتي على غير المألوف في بنائه لغرض من الأغراض، وفي الإطار العام الرحب الذي يتفق مع رحابة هذه اللغة التي وَسِعَتْ كتاب الله لفظًا وغاية كما يقول شاعر النيل.

وسنورد فيما يلي ظاهرتين من ظواهر خروج الأسلوب عن النمط المعهود في بنائه لمشاكلة القالب للقلب، أو اللفظ للمعنى، وهذا لا ينفي بطبيعة الحال أن تكون هناك أسرار أخرى لمثل هذه الظواهر التي تُعدّ من شجاعة العربية، لأنها مما تفوقت به العربية على سواها.

الظاهرة الأولى في عطف الفعل على الاسم في قوله تعالى: *إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ. وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ*. **آل عمران**:45- 46. وشاهدنا في الآيتين الكريمتين في عطف الفعل «ويكلم» على الاسم «وجيهًا»، وقد ذهب المفسرون - رحمهم الله - في تعليل هذه الظاهرة مذاهب عديدة يغلب عليها الطابع النحوي الذي لا يبرز فيه السر البلاغي الكامن وراء هذه الظاهرة بوضوح(17)، لكننا نستطيع القول بأن التكليم في المهد لمَّا كان صفة حادثة لعيسى - عليه السلام - وتتجدد له بعد ذلك في العمر المناسب، كان من المناسب أن تأتي هذه الصفة فعلاً، لأن الفعل يدل على الحدوث والتجدد، أمّا الوجاهة وكونه من المقربين، فلمّا كانتا صفتين ثابتتين لعيسى - عليه السلام - لا تنفكان عنه كان من المناسب أن يأتيا بالاسم، لأن الاسم يدل على الثبوت والدوام كما هو مشهور في الدراسات البلاغية. ولا يخفى أن «وجيهًا، من المقربين، يكلم» وإن كانت في المعيار النحوي أحوالاً، لكنّها صفات معنوية في معيار المعنى.

أما مشاكلة اللفظ للمعنى في هذه الظاهرة فتقوم على أنّه لما كان الكلام في المهد غير معهود، وخارجًا عن المألوف ناسبه المخالفة في عطف الفعل على الاسم، ليكون عدم الإلف في العطف مشاكلاً لعدم إلف الكلام في المهد، وسبحان من هذا كلامه.

أما الظاهرة الثانية فهي في تغيير نمط الأسلوب من الخطاب إلى الغيبة والمعروف عند البلاغيين بالالتفات، وذلك في قوله تعالى: *قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ*. **آل عمران**: 32، ولو سار الأسلوب على النمط المألوف لقيل في غير القرآن: فإن توليتم بضمير المخاطبين ليكون مناسبًا لقوله: «أطيعُوا». ويمكن أن يُلتَمَس لهذه الظاهرة تعليل بلاغي معنوي بأن الخطاب ورد مع الأمر بطاعة الله والرسول لشرف هذه الطاعة، وهذا الشرف لا يناسبه التولّي الذي هو إعراض عن هذه الطاعة، فكأنه سبحانه أعرض عن خطابهم، وحكى لغيرهم سوء صنيعهم. ويضاف إلى ذلك أن التولي لما كان إعراضًا كان من المناسب أن يغير نمط الأسلوب من الخطاب إلى الغيبة، لتكون الغيبة في لفظ «تولوا» مشاكلة للإعراض عن طاعة الله والرسول، وما الإعراض عن الطاعة إلا غيبة عنها، والله أعلم.

وبعد؛

فهل نجد لهذه الصور - وغيرها كثير - في مشاكلة اللفظ لمعناه مثيلاً في أية لغة أخرى من لغات العالم مهما بلغ مستواها؟ لا شك أن الجواب بالنفي، ولا شك أيضًا أن هذه اللغة حافلة بالخصائص والسمات الأخرى التي جعلتها تتفوق على غيرها من اللغات، كما رشحتها لتكون لغة لأفضل وآخر الكتب السماوية الذي أعجز كل لسان عربي عن توظيف هذه الخصائص وتلك السمات في أسلوبه على النحو الذي وردت عليه في هذا الكتاب المعجز، وصدق الله العظيم: *قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا*. **الإسراء**: 88.

الهوامش:

1- انظر: مجلة المنهل السعودية 135- 136، عدد 498 لسنة 1413هـ - 1992م، مقال بعنوان: أضواء على مكانة العربية وأبرز خصائصها للباحث.
2- انظر: سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي 78، مطبعة صبيح، القاهرة، والمثل السائر لابن الأثير 264/1 - 265 دار نهضة مصر، القاهرة.
3- انظر: روح المعاني للآلوسي 80/21، مكتبة دار التراث، القاهرة.
4- انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي 378/3، المكتبة العصرية، صيدا.
5- انظر شواهد لذلك في خصائص التراكيب 113 وما بعدها، د. محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة.
6- روح المعاني 121/30، وانظر: حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي 357/8، دار صادر، بيروت.
7- انظر: البرهان 400/1.
8- المرجع السابق والموضع نفسه.
9- قراءة في الأدب القديم 33، د. محمد أبو موسى، دار الفكر العربي.
10- بدائع الفوائد لابن القيّم 95/1 - 96، دار الفكر، بيروت.
11- انظر: ص 770 من المصباح المنير.
12- تفسير أبي السعود 273/5، دار إحياء التراث العربي.
13- وكذلك تقديم موسى على هارون في سائر المواقع القرآنية التي اقترنا فيها.
14- انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي 75/22- 76، وروح المعاني للآلوسي 230/16.
15- لمزيد من التفصيل انظر: الإعجاز البلاغي في تراث أهل العلم 199- 200، د. محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة.
16- انظر: روح المعاني 176/22، ومن أسرار التعبير القرآني في سورة الأحزاب 145- 146، د. محمد أبو موسى، دار الفكر العربي ، القاهرة.
17- انظر: التفسير الكبير مجلد 4 ج 7، ص45، والبحر المحيط لأبي حيان 461/2، دار إحياء التراث العربي، وروح المعاني 163/3.

مراحل كتابة السـ

في الأدب السعودي

1

عبدالله بن عبدالرحمن الحيدري

تنفس الشعب السعودي - كغيره من الشعوب - الصُّعداء عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1364هـ/1945م، فعاودت الصحف والمجلات صدورها عقب التوقف الإجباري الذي فرضته ظروف الحرب(1)، وواصل المواطنون العمل الجاد لمتابعة مسيرة البناء والإصلاح والعطاء لما فيه خير بلادهم وأمتهم.

ولقد نظر أدباؤنا إلى ما قدَّموه من أدب قبل الحرب على أنه يُمثل الإرهاصات الأولى والبواكير، ولا يمثل تطلعاتهم الحقيقية لانطلاقة أدبية قوية هم مقبلون عليها بعد أن وضعت الحرب أوزارها، ونادوا بأن يكون للأدب بعد الحرب شخصية أخرى غير السابقة التي وصف عبدالقدوس الأنصاري المؤلفات التي أُنتجت خلالها بأنها «عتبة البدائية الأولى»، وتحفَّز الأنصاري وزملاؤه إلى اللحاق «بقافلة العالم الحديث في الأدب والحياة»، ودعا إلى المساهمة الجادة مستشهدًا بالقول المأثور «من سار على الدرب وصل»(2)، كما دعا غيره إلى شعار أساسه أن «أدب ما بعد الحرب غير الأدب الذي قبلها»(3).

ولقد نشطت مجلة المنهل - بالأخص - إلى عقد ندوات أدبية في مكاتبها لتقويم الحركة الأدبية التي تعيشها المملكة بعد الحرب، ففي جمادى الأولى 1368هـ عقدت المجلة ندوة تحت عنوان «هل تقدمت حياتنا الفكرية أم لا؟» شارك فيها: محمد حسين زيدان، ومحمد حسن فقي، وأحمد عبدالغفور عطار، وعبدالقدوس الأنصاري. وقد خلصت المجلة إلى القول: «.. وهكذا انتهت هذه الندوة إلى اتفاق في آراء الجميع على أن حياتنا الفكرية قد تقدمت بعض الشيء، تقدمًا يرى بعضهم أنه فردي محض، ويراه الآخرون فرديًا في ناحية، وجماعيًا في ناحية أخرى»(4).

وليس هذا فحسب، بل إن الأنصاري، في العام نفسه وقبل انعقاد هذه الندوة، يحاول أن يسابق الزمن في خيال لذيذ - كما يصفه - ليكتب مقالاً مطولاً عنوانه «أحلام!» يبدؤه بالقول: «نحن الآن في سنة 1400هـ، لقد بلغت البلاد شأوًا من التطور والنهوض... إلخ»(5).

وما هذه الأحلام إلا تعبير صادق عن الطموح والتطلع لغد أفضل يراود مخيلة أدبائنا منذ أن بدأت بلادنا خطواتها في الرقي والتطور.

ولقد استقبلت المملكة أواخر السبعينيات من القرن الهجري الماضي وثمانينياته نهضة ثقافية شاملة كبرى على الأصعدة كافة، فتأسست الإذاعة 1368هـ، وافتُتحت كلية الشريعة واللغة العربية بمكة المكرمة كأول تعليم جامعي تشهده البلاد 1369هـ، وافتتح معهد الرياض العلمي 1370هـ، وأمر الملك سعود - رحمه الله - بإنشاء مكتبة عامة 1372هـ، وأُنشئت وزارة المعارف 1373هـ، فعممت التعليم في كل مدينة وقرية وهجرة تعليمًا أفقيًا (ابتدائي، متوسط، ثانوي)، فيما قامت كليتا الشريعة 1373هـ، واللغة العربية 1374هـ بالرياض بمهمة التعليم الرأسي، إضافة إلى كلية الشريعة واللغة العربية بمكة المكرمة(6).

وكان أن أُنشئت مطابع الرياض 1374هـ، وصدر الأمر بإنشاء جامعة الملك سعود

ـسيرة الذاتية


عبد العزيز الربيع


محمد حسين زيدان


محمد عمر توفيق


عبد الفتاح أبو مدين


محمد حسن فقي


أحمد السباعي

1377هـ، كما تبنت الحكومة رسميًا مدارس البنات عام 1379هـ بافتتاح ست عشرة مدرسة شهدت إقبالاً منقطع النظير.

وفي هذه المدة وما تلاها بقليل (1372 - 1383هـ) صدرت إحدى وعشرون مجلة وجريدة(7)، كما صدر في هذه المدة كتابان نقديان مهمّان هما: «المرصاد» لإبراهيم هاشم فلالي 1370هـ، و«التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية» لعبدالله عبدالجبار 1379هـ.

وفي ظل هذا النشاط الثقافي المميز صدرت بواكير كتب السيرة الذاتية لدينا إيذانًا بالانطلاقة الأولى نحو التأليف في هذا الفن، مما لم يكن معروفًا في العقود الثلاثة السابقة (1344 - 1373هـ).

ولنا الآن بعد هذا المدخل أن نتساءل: ماذا عن مراحل كتابة السيرة الذاتية في أدبنا؟

المرحلة في مدلولها اللغوي تعني المسافة يقطعها السائر في نحو يوم، أو ما بين المنزلين، والجمع مراحل(8). وإن في تحديد بدء كل مرحلة زمنيًا ما يُعطي القارئ تصورًا للتطور الكيفي والكمي الذي طرأ على إنتاج أدبائنا في هذا الجنس الأدبي. وكل مرحلة لابد أن تتصف بخصائص وظروف تميزها من المرحلة التي تليها، والتي يفترض أن تتخطاها، بحيث تبدو للباحث والقارئ المعالم الرئيسة التي ساعدت على ظهور أعمال السيرة الذاتية في أدبنا، والظروف التي أحاطت بها حتى وصلت إلى وضعها الحالي الذي نعيشه.

وإذا كان من السهل تحديد البداية الحقيقية للسيرة الذاتية في أدبنا بظهور «أبو زامل» لأحمد السباعي عام 1374هـ/1954م، و«46 يومًا في المستشفى» لمحمد عمر توفيق في العام نفسه، فإنه من المتعذر تحديد نهاية هذه المرحلة، وتعيين بدء المرحلة التي تليها، والتي جاءت بعدها. إننا إن أردنا وضع تاريخ معين له أهميته الثقافية كنهاية صحافة الأفراد 1383هـ، أو تأسيس الأندية الأدبية 1395هـ - مثلاً -، أو له أهميته السياسية كنكسة 1387 هـ/1967م، أو حرب 1393هـ/1973م لم نجد له رابطًا بين هذه الأحداث وهذا اللون الذي نحن بصدد دراسته؛ لذلك آثرت أن يكون الحديث عن هذه المراحل خلوًا من التحديد الزمني الصارم الذي يدعو الباحثين - أحيانًا - إلى التكلّف!

على أنني سأستعين - عوضًا عن ذلك - بالحديث عن بعض المؤثرات أو الأعمال المهمة التي كان لها دور في تطور هذا الفن وثرائه على مدى أكثر من أربعة عقود، في محاولة لتلمس مراحل كتابة السيرة الذاتية ضمنيًا دون تحديد متكلّف.

وإذا كنا بنظرة عجلى نستخلص أن مرحلة البدايات 1344-1373هـ، كانت قفرًا لم تنتج لنا كتبًا في السيرة الذاتية، فإننا بإحصائية يسيرة نستطيع أن نضع أيدينا على أكثر من خمسة وعشرين عملاً أنتجها أدباؤنا منذ عام 1374هـ وحتى الآن؛ مما يطلعنا بوضوح على الكم والكيف الذي أضافه أدباؤنا في هذا الفن، هذا عدا ما طالعتنا به الصحف والمجلات من ذكريات مقتضبة متفرقة لا تشكل كتابًا مفردًا.

على أن هذه الأعمال الكثيرة لم تكن متوزعة خلال هذه الأربعين سنة تقريبًا بالشكل المتوقع، ففي حين شهد العقد الثامن من القرن الماضي خمسة أعمال، هي: «أبو زامل» لأحمد السباعي، «46 يومًا في المستشفى» لمحمد عمر توفيق، «هذه حياتي» لحسن كتبي، «مذكرات طالب» لحسن نصيف، «أشخاص في حياتي» لحسن كتبي، لم نر أعمالاً في العقد التاسع، فيما شهد العقد الأخير من القرن الماضي - 1390-1399هـ - أربعة أعمال، هي: «أيامي» لأحمد السباعي، «تجربتي الشعرية» لحسن القرشي، «ذكريات طفل وديع» لعبدالعزيز الربيع، «ذكريات» لأحمد علي.

أما العقدان: الأول والثاني من هذا القرن (الخامس عشر) فقد شهد أعمالاً كثيرة متواصلة في خط بياني يكاد يكون متصاعدًا: «سيرة شعرية» للدكتور غازي القصيبي، «ذكريات مدرس» لعبدالرحمن صبّاغ، «رحلة الثلاثين عامًا» للدكتور زاهر الألمعي، «مشواري مع الكلمة» ج1،2 لحسن عبدالحي قزاز، «تلك

الأيام» لعبدالفتاح أبو مدين، «ذكريات العهود الثلاثة» لمحمد حسين زيدان، «أيام في المستشفى» لمحمد عمر توفيق، «من ذكرياتي» لسعيد بوقري، «تباريح التباريح» لأبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري، «رحلة العمر» لمحمد عبدالحميد مرداد، «بداياتي في الصحافة والأدب» لعلي العمير، «حياتي مع الجوع والحب والحرب» لعزيز ضياء، «شيء من التباريح» لأبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري، «صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث: مذكراتي خلال قرن من الأحداث» لخليل الرواف، «مذكرات وذكريات من حياتي» لعبدالكريم الجهيمان، «ترجمة حياة» لمحمد حسن فقي، و«حكاية الفتى مفتاح» لعبدالفتاح أبو مدين.

ولا ريب أن دارس السيرة الذاتية في أدبنا السعودي، حين يتوقف عند عام 1374هـ ليجعل منه البداية الحقيقية لفن السيرة الذاتية في أدبنا سيعجب بالمستوى الذي وصل إليه كُتّاب



عبد القدوس الأنصاري



حسن عبدالله القرشي



عزيز ضياء

السيرة الذاتية الأوائل: أحمد السباعي ومحمد عمر توفيق وحسن كتبي، إذا أخذنا في الحسبان أن البواكير ترتبط ارتباطًا طبعيًا بالضعف في غالب الأحيان.

ولو لم نحدد تاريخ صدور الأعمال «السير ذاتية» موزعة على العقود الماضية لربما وقع في حسبان القارئ أن السنوات التي تلت أعمال الرواد الأوائل قد كوّنت خطًا بيانيًا متصاعدًا لارتقاء هذا الفن وتجويده على يد الجيل الذي جاء بعدهم، تبعًا لقواعد التأثر والتأثير، واستجابة للنهضة التعليمية الشاملة التي تعيشها البلاد.

وهو أمر لاحظه مؤرخو الأدب الذين درسوا فنون الشعر والمقالة والقصة، غير أن السيرة الذاتية في أدبنا - لأسباب سنبسط الحديث عنها بعد قليل - لم تخضع لهذه المؤثرات، ولم نلحظ الخط البياني الذي نتوقعه، وكان علينا أن ننتظر سنين حتى نظفر بأعمال تتجاوز محاولة السباعي الرائدة، كـ «سيرة شعرية» لغازي القصيبي 1400هـ، و«حياتي مع الجوع والحب والحرب» لعزيز ضياء 1414هـ.

ولعل أهم عامل كان وراء البداية القوية على يد السباعي هو تمرسه بفن القصة واهتمامه بهذا الجانب، فجاءت سيرته التي لم يفصح فيها عن اسمه الصريح إلا بعد ست عشرة سنة من صدور الطبعة الأولى حدًا مميزًا مهمًا في نشوء هذا الفن في أدبنا في اتجاه قصصي محبب.

فـ «أبو زامل» محاولة جريئة بحد ذاتها، وقد ساعده على هذه الجرأة - فيما يبدو - اختفاؤه وراء اسم مستعار. ولكن لماذا نعدها محاولة جريئة؟

هي كذلك؛ لأن طبيعة هذا الفن - إذا أفصح الكاتب عن شخصيته - تقتضي أن يتحدث المرء عن نفسه «بأنا، وكنت»، وهي مسألة عسيرة غير طيِّعة على النفس البشرية، وبخاصة في بيئة كالجزيرة العربية يتصف أناسها بشكل ملحوظ بالتواضع الشديد ونكران الذات إلى درجة قد يُطلق عليه «التواضع غير المحدود»، أو «التواضع المرفوض» كما اتضح ذلك للدكتور إبراهيم الفوزان - في أثناء استقرائه لأدب شبه الجزيرة العربية -، حيث وصف هذه الظاهرة بأنها «ظاهرة مزمنة خطيرة أبطالها من الأدباء الشيوخ والشباب، وهي أخذهم عند تقويم أدبهم وأدبائهم بأسلوب التواضع السائد لدى مشايخ الكتّاب في العصور القديمة!»(9).

ودعا الفوزان إلى قصر التواضع «على الشهامة والضيافة»، واستشهد بأقوال لرواد الأدب لدينا والمبرِّزين، فيها تنقُّصٌ من أدبهم ومكانته في حين يشيد به الآخرون.

وأكد أن سلبيات هذا التواضع الذي يصرح به أدباؤنا «عن آثارهم بدافع عدم حب الظهور، ودفع غيرهم إلى العطاء سلبياته أكثر من إيجابياته»(10).

ومن الأمور التي يلحظها الدارس دون عناء أن الكتابة عن النفس لدى عدد من أدبائنا تشعرهم بأنها شيء شبه محذور، فكلمة «أنا» تقترن عند أكثرهم بتقييد واستثناء يُخفِّف من مباشرتها وقوتها، ونرى في بعض كتاباتهم الذاتية التي ترد فيها كلمة «أنا» حلية معها مثل: أنا، وأستغفر الله من أنا، أو: أنا، وأعوذ بالله من أنا!، ونحو ذلك. والأمثلة كثيرة.

فحسن القرشي يعتذر في ختام كتابه الصغير «تجربتي الشعرية» عن الصيغة التي فرضت عليه أن يتحدث عن نفسه؛ لأنه ينفر كثيرًا من صيغة «الأنا» هذه، ولا يودّها لأي إنسان - كما يقول -!(11).

وغازي القصيبي يتعوذ من «الأنا» عندما سئل: من أنت؟ فيقول: «من أنا؟.. الأنا أعقد بكثير من التعريف، أصعب بكثير من التصنيف، أتعرف لماذا؟، لأنها لا تتكون من «أنا» واحدة، ولكن من «أنا» و«أنا» و«أنا» وأعوذ بالله منها جميعًا!!»(12). وكذلك صنع سعد البواردي: «أعوذ بالله من كلمة أنا..»(13).

أما عثمان حافظ فيقرر «ما أصعب أن يكتب المرء عن نفسه!»(14).

وإذا كان الحديث عن النفس وظهور «الأنا» شيئًا غير محبب لدى الأكثرية من أدبائنا - كما قدمنا - خوفًا من اتهامهم بالغرور و«النرجسية» وحب الذات، فإن هذا المفهوم بمرور الوقت أصبح غير متفق عليه، ولم يعد الكاتب السعودي وكذلك الكاتبة يجدان حرجًا في أن يقولا: «أنا» من منطلق الثقة بالنفس وإثبات الذات، ومن منطلق إنصاف النفس والتحدث بنعمة الله، فـ: علي محمد العمير لا يرى بأسًا في الحديث عن نفسه بين الحين والآخر مما يؤاخذه عليه بعض القُرّاء، ويرى أن ذلك ليس مما يُعاب في قليل أو كثير، ويستشهد بوجود ما يسمى بالأدب الذاتي في الأدب العربي وفي غيره من الآداب(15). وهو يعني بالأدب الذاتي هنا السيرة الذاتية، حيث يعرفه بالقول: «هو صياغة الكثير من الأحداث والذكريات في مجال الحديث عن النفس أو الذات»(16).

مراحل كتابة السيرة الذاتية

في الأدب السعودي

1

وقد يكون من المستغرب أن نجد لدى المرأة الكاتبة مسوغًا لاستخدام «الأنا» دون حرج بصورة أقوى تأثيرًا وإقناعًا مما وجدناه عند علي العمير - مثلاً -. فانتصار العقيل لا تجد ما يمنعها أن تقول بملء فيها: أنا والحمد لله!، وأن تستعرض من أقوال علماء النفس ما يدعم حجتها التي تبدو مقنعة ومقبولة إلى حد كبير: «صرح "أنا" هو أهم مقوم للشخصية، فالأنا هي الشعور الداعي للشخص بكينونته، وقد اتفق علماء النفس أن «الأنا» في الفرد تعكس خصائص ومكونات الحضارة التي تنمو فيها، وتعكس خصائص واتجاهات الشخصية الخاصة التي تنفرد بها تلك «الأنا» عن غيرها في المجتمع الواحد؛ لهذا صحة «الأنا» ورشدها يكوّنان قوة الفرد، وفسادها وجهلها يكونان ضعفه»(17).

وتسوق انتصار العقيل تقسيم علماء النفس لمراحل تكوين الشخصية الأساسية، وهي: الأنا السفلى، الأنا العليا، الأنا السوية. وقد لا تعنينا السفلى والعليا بقدر ما تعنينا «السوية» التي يصفها علماء النفس بأنها «تتكون في الفرد في عهد الطفولة من خلال سياسة التربية التي يجب أن تكون في الوسط بين الإشباع المفرط لدوافعه وبين كبحها الشديد»، وأنها «مركز الشعور والإدراك والحكم والتبصر في العواقب، وهي الاعتدال والنضج والمرونة والتوافق الاجتماعي، ومن واجب «الأنا السوية» أن توفق بين مطالب «الأنا السفلى» و«الأنا العليا»، وكذلك مطالب المجتمع حتى يحقق الفرد اتزانه النفسي، ويصل إلى مرحلة الإنسان السوي»(18).

وتقرر «انتصار» وجهة نظرها تجاه «الأنا» منتقدة من يستعيذون منها، فتقول: «الأنا السوية نعمة من نعم الله علينا، ولا أدري كيف سرت عدوى في عقل الجميع ورعب تغلغل في النفوس، كلما ذكرت «الأنا»، وكأنها وصمة عار ينكر وجودها كل مفكر أو عالم أو أديب؟، فمهما عظمت أفعال «الأنا» ما إن يقول أحد كلمة «أنا» حتى يلحقها - وبسرعة - بـ «وأعوذ بالله من كلمة أنا!»؛ خوفًا من الاتهام بالغرور»(19).

ولا تكتفي انتصار العقيل بنقد الظاهرة، بل تشرح سلبيتها بأسلوب يدل على مستوى من النضج والثقة بالنفس وصلت إليه المرأة الكاتبة لدينا فتقول: «أيُّ «الأنا» هذه التي تستعيذون منها؟ لمَ إنكار حق الذات وتحقير نجاحها؟ حالة واحدة نستعيذ فيها من «الأنا» حينما تسيء لنا، ولا تشرفنا، وتوصلنا إلى التهلكة. في هذه الحالة فقط علينا أن نستعيذ منها، أما «الأنا السوية» التي هي ثمرة كفاح وجهد مضنيين فلا يعيبنا - أبدًا - أن نستمرئ الفرح بها، ونحمد الله عليها...»(20).

ولعل مما يفسِّر إقبال أدبائنا في مستهل القرن الخامس عشر الهجري، وحتى الآن، على الإسهام في هذا الفن بشكل لم يسبق له مثيل فيما خلا من سنوات، هذا الوعي من الرجل والمرأة بأحقية المرء في الحديث عن نفسه وإثبات ذاته وتسجيل ما أنجزه لنفسه ووطنه.

وإضافة إلى الحذر من «الأنا» والنظر إليها بحذر مما كان معوّقًا لفن السيرة الذاتية في أدبنا، فإن هناك معوّقًا آخر لا يقل أثرًا وتأثيرًا عن سابقه، وكان مثبطًا لفن السيرة أن يبلغ مداه المرجو منه في الربع الأخير من القرن الماضي (الرابع عشر)، ذلكم هو ارتباط مفهوم السيرة الذاتية لدى بعض أدبائنا بالاعترافات، لذلك رأى هؤلاء القوم أن هذا الفن لا يناسب بيئتهم، ولا عاداتهم، ولا تقاليدهم من منطلق أن المؤمن مطالب بستر نقائصه وذنوبه، وألا يفضح نفسه أمام الآخرين ما دام في ستر اللّه، واللّه لا يحب الجهر بالسوء.

وهذا التصور يستشف منه الباحث أن هناك صراعًا ضمنيًا بين اتجاهين، أو فريقين: فريق يرى أنه من المستهجن أن يكتب المرء عن نفسه(21)، وفريق يرى أن ذلك ليس بمعيب، وأنه ضرورة يمليها أحدث الأجناس الأدبية في العالم وهو جنس السيرة الذاتية. فممن يمثل الفريق الثاني علي العمير الذي يؤكد أنه «لا ينبغي أن يذكر الإنسان كل شيء وكل ما حدث وكل قصة، إن هناك ما ينبغي ستره كعورات النفس والسلوك وإن زعم بعض من كتبوا عن حياتهم ويومياتهم أنهم كتبوها كما هي»(22)، لكنه في الوقت نفسه يرى ضرورة أن يكتب المرء سيرة حياته، ويعيب من يرون غير ذلك: «الذين يستهجنون ما يكتبه الكاتب - أي كاتب - مشيرًا إلى نفسه عبر تجربة معينة أو لمحة ذاتية.. الذين ينظرون إلى هذا النوع من الكتابات باستهجان و«مط شفة» ليسوا على حق دائمًا، بل هم على خطأ دائمًا»(23).

ويعطينا علي العمير تحديدًا للذين ينتقصون من هذا اللون من الكتابة، وهم الذين اقتصرت ثقافتهم على التراث ولم يطالعوا أدب الغرب الذي يزخر بكم هائل من السير الذاتية، فيقول: «وعندما تفتش عن هؤلاء الذين يضيقون ذرعًا بهذا النوع من الكتابة تجدهم عادة من أولئك الذين اقتصرت ثقافتهم على طراز عتيق ومفهوم أعتق!»(24).

مرحلة البدايات من 1344- 1373هـ كانت قفرًا لم تنتج كتبًا في السيرة الذاتية، في حين أن المرحلة التي بدأت من 1374هـ أنتجت أكثر من 25 عملاً في هذا الفن

على أن ارتباط السيرة الذاتية بالاعترافات في بعض الأذهان ما لبث أن تبدَّل حين أدرك غيرهم أن السيرة الذاتية لا تعني بالضرورة الاعترافات - وإن كانت إحدى أشكالها -، ولكنها تعني أيضًا الذكريات أو المذكرات يكتبها المرء عن نفسه.

وقد رأينا غير واحد يعلن ارتياحه لهذا اللون من الكتابة ويدعو زملاءه للمساهمة فيه: «أدب الذكريات والمذكرات أدب مميز، وله عشاقه ومريدوه، وهم يجدون فيه ألوانًا من المتعة، قد يجدون هذه المتعة في الأسلوب الكلي، أو الطريف، أو في طبيعة الأحداث نفسها، أو في غرابتها أو شذوذها»(25).

مراحل كتابة السيرة الذاتية في الأدب السعودي

1

ويقول غيره: «أما أنا فإنني شديد الشوق إلى هذا اللون من الكتابات، يشدني إليها تبسط المحدث واعترافه»(26).

أما غازي القصيبي في مقدمة سيرته الشعرية فيقول: «أعتقد أنه لو لجأ كل أديب عربي إلى تحرير كتاب عن حياته الأدبية لكان في ذلك ما يُثري حركة التأليف والنقد»(27).

من المستغرب أن نجد لدى المرأة الكاتبة مسوّغات لاستخدام «الأنا» دون حرج، وبصورة أكثر تأثيراً وإقناعاً مما لدى بعض الكتاب الرجال

وقد يظن من يرى كثرة الأعمال «السير ذاتية» في العقد الأول من هذا القرن (الخامس عشر) وما تلاه أن هذا اللون من الكتابة يسير بشكل تدريجي: ضعفًا فقوة؛ تبعًا لحركة النقد الموضوعية، وتبعًا لمؤثرات أخرى تسهم في رقي الأجناس الأدبية وتطورها. وقد يظن أيضًا أن حركة النقد أسهمت بشكل كبير في التعريف بإسهامات أدبائنا في هذا اللون ونقدها وتقويمها في محاولة للمسير بهذا الفن إلى مراتب التجويد والإتقان. لكن الحقيقة المؤسفة أن هذه الأعمال لقيت الإهمال الشديد والتجاهل؛ لأنها لا تدخل في اهتمام دارس الشعر فيدرسها، ولا في اهتمام دارس المقالة فيقومها، ولا في اهتمام ناقد القصة فيحللها؛ ولذلك بقيت أرضًا بكرًا لا ينال صاحبها سوى الإهمال!

ومع وفرة الكتب التي صدرت وتنتمي إلى هذا اللون من الأدب، فإن غالبية الدارسين وعارضي الكتب اقتصرت نظرتهم إليها على أنها كتب جديدة يجب التعريف بها بشكل خاطف كأي كتاب جديد يصدر، ولو أنهم أضافوا إلى ذلك تحديد الجنس الأدبي الذي يصدق عليها، ودعوا إلى الكتابة والإسهام في هذا اللون الجديد، لكان ذلك عاملاً مهمًا لدارس هذا الفن في أدبنا الذي قد تأخذه الحيرة عند اطلاعه على الإسهامات التي أنتجها أدباؤنا في هذا اللون من حيث تفاوت المستوى، وضعف التأثير والتأثر بينها، وخلو سنوات قد تصل إلى العشر من عطاء في هذا الفن(28).

ولا ريب أن هذه التيارات المتباينة تجاه جنس «السيرة الذاتية» بين كاتب فيها، وداعٍ لها، ومرحب بها، ومتجاهل لها أو رافض، كان لها أكبر الأثر في كتابة السيرة الذاتية لدينا وفي مراحل ما بعد البدايات التي نحن بصدد الحديث عنها.

ولعل ما قدمنا من معوقات تفسيرًا لما يلاحظه الباحث الفاحص في إنتاج كتابنا المتقطع وغير المنتظم طوال ربع قرن من الزمان تقريبًا (1374 - 1400هـ) سببه - فيما يظهر - أن الكتب التي أُنتجت خلال المدة المشار إليها لا نجد بينها عوامل استفادة وإضافة وتأثر وتأثير، فكل كاتب يعبِّر بالطريقة التي يرتضيها دون أن يستفيد من تجارب من سبقه.

وهذه النتيجة تقودنا إلى محاولة البحث عن تفسير مقبول للاتجاهات المتباينة التي اتخذتها السيرة الذاتية السعودية في مرحلة ما بعد البدايات، حيث حقق فن السيرة خلال أكثر من أربعة عقود تبدأ من عام 1374هـ وحتى الآن تطورًا ملحوظًا كمًا وكيفًا، ففي هذه العقود القصيرة في عمر الأجناس الأدبية أصبح للسيرة الذاتية كتّاب يُعْنون بها، وأصبح المفهوم واضحًا في أذهان الكثيرين ممن أسهموا في الكتابة في هذا اللون(29)، في حين لم يعرف أدبنا وأدباؤنا في مرحلة البدايات - فيما وصل إليه علمي - هذا المصطلح، كما أننا لم نعثر على سيرة ذاتية مطلقًا سوى تراجم ذاتية موجزة ومقالات ذاتية لا ترقى أن تكون سيرًا ذاتية بالمفهوم المعاصر.

الهوامش:

1- صحيفة أم القرى لم تتوقف سوى ثمانية أسابيع فقط، لنفاد الورق سنة 1363هـ/1944م. ويعلل د. منصور الحازمي عدم توقفها في أثناء الحرب كغيرها من الصحف كونها «الصحيفة الرسمية للدولة». معجم المصادر الصحفية «صحيفة أم القرى» 17.

2- عبدالقدوس الأنصاري، «اتجاه حسن واتجاه أحسن»، المنهل، س7، ج2، صفر 1366هـ، ص49.

3- تعقيب لحسين سرحان على مقال الأنصاري، المنهل، س7، ج3، ربيع لأول 1366هـ، ص136.

4- المنهل، جمادى الأولى 1368هـ، ص193.

5- عبدالقدوس الأنصاري، «أحلام!»، المنهل، س9، ج4، ربيع الآخر 1368هـ، ص 143.

6-7- انظر: الأدب الحديث تاريخ ودراسات 17/2، 20، 26.

8- المعجم الوسيط، مادة: رحل.

9- د. إبراهيم الفوزان، «التواضع المرفوض والحقائق الموؤودة». مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع7، 1397هـ، ص301، 302.

10- المرجع السابق 307. ولا ننس قول الباري عز وجل: وأما بنعمة ربّك فحدّث. الضحى: 11.

11- حسن القرشي، تجربتي الشعرية. دار القرشي للنشر والتوزيع، ط4، 1413هـ/1993م، ص36.

12- سيرة شعرية، ط2، ص161.

13- سعد البواردي، «سيرة ذاتية». مجلة الحرس الوطني، ع148، جمادى الآخرة 1415هـ، ص97.

14- عبدالسلام الساسي، الموسوعة الأدبيَّة. الطائف: النادي الأدبي، 1400 هـ، 198/3.

15- علي محمد العمير، ركض الخاطر لذعات وقفشات باسمة. جدة: دار العمير للثقافة والنشر، ط1، 1406هـ، 1986م، ص16، 17.

16- المرجع السابق 17.

17-20- انتصار العقيل، أنا والحمد لله. جدة: المؤلفة 1411هـ، 1991م، ص 10، 11، 12.

21- عدّ محمد بن ناصر العبودي المترجم لنفسه من الثقلاء، ونقل عن بعض أصحابه قال: «هذا الثقيل قد شرع يترجم نفسه منذ عقل، ولم ينته بعد وهو يبدئ ويعيد في ترجمة نفسه في كل مناسبة وفي غير مناسبة!». محمد العبودي، صور ثقيلة. الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ط1، 1405هـ/1985م، ص27. كما هاجم عبدالعزيز بن عبدالله التويجري كتاب عبدالفتاح أبو مدين «وتلك الأيام» ووصفه بأنه «مجموعة من الأوراق الصفراء عفّرها أبو مدين بالذاتية والأنا» المجلة العربية، ع111، س10، ربيع الآخر 1407، ص66.

22- علي العمير، أدب وأدباء 41. وتاريخ نشر المقالة 1394/10/12.

23- علي العمير، على الماشي. جدة: دار العمير للثقافة والنشر، ط2، 1404هـ، 1984م، ص40. وتاريخ نشر المقالة 1385/3/14هـ.

24- المرجع السابق 40.

25- عبدالعزيز الرفاعي، «كتب قرأتها»، مجلة الدارة، ع3، س5، ربيع الآخر 1400هـ، ص64.

26- د. حسن الهويمل، في الفكر والأدب دراسات وذكريات. المدينة المنورة: النادي الأدبي، ط1، 1408 هـ، 1988م، ص187.

27- سيرة شعرية، ط2، ص10.

28- المقصود بذلك العقد التاسع من القرن الماضي 1380-1389هـ.

29- أقدم إشارة وجدتها لمصطلح «السيرة الذاتية» واستخداماته، فيما اطلعت عليه، تعود إلى عام 1384هـ/1965م في مقالة لعلي العمير عنوانها «سيرة الأديب» نشرها بتاريخ 1384/9/10هـ، وأعاد نشرها في كتابه «على الماشي» ص47. كما ينبغي أن يلاحظ أن الذين كتبوا سيرهم الذاتية قبل عام 1400هـ لم يذكروا هذا المصطلح بالتحديد، وإنما استعاضوا عنه بمصطلحات شبه مترادفة، كأن يقولوا: أدب الذكريات والمذكرات. انظر مقدمة الطبعة الثانية من كتاب ذكريات طفل وديع 5- 9. وربما يكون غازي القصيبي أول من استخدم هذا المصطلح تحديدًا من كتاب السير الذاتية، وذلك في كتابه «سيرة شعرية» الذي صدرت طبعته الأولى عام 1400هـ. سيرة شعرية، ط1 المقدمة.



صوموا لرؤيته

كيف تثبت رؤية الصوم والفطر؟

محمد عبدالحكيم القاضي

في محاولة متواضعة لوضع مسألة «بداية الصوم ونهايته» في حجمها الفقهي المناسب نقدم هذه الصفحات، لظننا بأهمية الوصول إلى منطلق فقهي للتعامل مع هذه المسألة، وصياغة فقهية لاستيعابها، فهي تثير في كل عام جدلاً قد يغيب في جوانبه «التوصيف الفقهي»، حيث تعلو أصوات أخرى، ولعلمنا بأن مشكلات العبادة في الإسلام لا تُطرح بالهوى ولا بالرأي، ولا بالظن ولا بالتوهم، وإنما تُطرح باتباع الهدى الربّاني المبارك، وليقيننا بأن في تراثنا الفقهي الخالد زادًا من الهدى أي زاد.

الصوم بدءًا، وختمًا

الصوم المفروض المطلق من الله تعالى - وهو شهر رمضان - يبدأ بأول يوم في الشهر، وينتهي بآخر يوم فيه، والذي ينبغي للمسلم معرفته بطريق الشرع - لا بطريق غيره - هو: متى يقال إن هذا اليوم - دون غيره - هو أول يوم في الشهر أو آخره؟

إذا علمت هذا فاعلم أن لأول يوم وآخر يوم علامة يُعرف بها، وأن هذه العلامة يصل العلم بها إلى الناس بوسائل وصول العلم المعروفة شرعًا.

علامة البداية

وقد حدَّد الشرع كيف يُعرف أول يوم في الصوم وآخر يوم فيه بعلامة واحدة لا ثاني لها؛ وهي رؤية هلال الشهر، لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»(1). ثم نقل الإجماع على أن الاعتبار في تحديد شهر رمضان إنما هو الرؤية(2).

وقال الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله:

«واتفقت كلمتهم (يعني الفقهاء) - أو كادت - على أن العبرة في ثبوت الشهر بالرؤية وحدها، وأنه لا يعتبر حساب منازل القمر، ولا حساب المنجم...»(3).

هذا إذا رُئِيَ الهلال. يعني أنهم متفقون على أنه إذا رئي الهلال بعد الزوال في يوم التاسع والعشرين من شهر شعبان، فهذا دليل على أن غدًا هو أول الشهر قطعًا وجزمًا، يلتزم الناس صيامه، وهذا هو ظاهر عبارة ابن حزم في «مراتب الإجماع»(4)، ولذلك جزم به الأئمة، قال في «المهذب»: «ولا يجب صوم رمضان إلا برؤية الهلال»(5). وهذا كله ظاهر في الاتفاق على أن رؤية الهلال - فقط - هي العلامة التي تحدد بداية الشهر أو نهايته، والتي يُصام على أساسها ويُفطر.

ما الحكم إذا لم يظهر الهلال في الأفق ولم يره أحد؟

فهنا أحد أمرين:

إما أن يكون الجو صحوًا صافيًا، والرؤية ممكنة.

وإما أن يكون الجو غائمًا، أو غبشًا، والرؤية متعذرة.

ففي الحالة الأولى: يجب اعتبار اليوم التالي مكملاً لعدة الشهر السابق، بلا خلاف في ذلك؛ لأن ذلك معناه أن الهلال لا يوجد في السماء، إذ إنه لو كان موجودًا لرئي؛ لصفاء السماء، وإمكان الرؤية.

وفي الحالة الثانية «وهي حالة تعذر الرؤية أصلاً» قولان:

القول الأول: قول الجماعة من أهل العلم، أنه يكمل الشهر السابق ثلاثين يومًا، ولا يعتبر فلك ولا حساب ولا نجوم، قال في (القوانين):

المشهور من مذاهب العلماء أن رؤية البلد تلزم كل المسلمين ؛ لعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم : « صوموا لرؤيته » . إلا البلد النائية جدا

«إن غم الهلال أكملت العدة، ولم يلتفت إلى قول المنجمين - خلافًا لقوم»(6).

وقال الشيرازي من الشافعية:

«فإن غم عليهم وجب استكمال شعبان ثلاثين يومًا، ثم يصومون».

قال ابن بطال في شرحه لغريب المهذب:

قوله: «فإن غم عليهم: أي غطاه غيم أو قترة؛ يقال غممته أي غطيته»(7).

أما القول الثاني: فهو قول طائفة؛ منهم مطرف بن الشخير، يقولون: إن غم الهلال يلجأ إلى الحساب الفلكي(8). وهذا الرأي مال إليه ابن دقيق العيد في «الإحكام»، وانظر إلى قوله مفصّلاً رأي هذا الفريق من العلماء، يقول: «والذي أقول به إن الحساب لا يجوز أن يُعتمد عليه في الصوم بمفارقة القمر للشمس على ما يراه المنجمون، فإن ذلك إحداث لسبب لم يشرعه الله تعالى، وأما إذا دل الحساب على أن الهلال قد طلع من الأفق على وجه يُرى لولا وجود المانع - كالغيم مثلاً - فهذا يقتضي الوجوب لوجود السبب الشرعي»(9).

وكلام ابن دقيق العيد في هذا يلخص مذهب هذا الفريق من السلف، لذلك ننبه على ما يأتي:

1- أن هذا الرأي لا يجيز العمل بالحساب الفلكي في حالة رؤية الهلال.

2- أنه لا يجيز اعتبار الفلك أيضًا في حالة عدم الرؤية مع صفاء السماء.

3- أنه لا يجيز اعتبار الفلك من قبل بدء الشهر، لأنهم يتفقون على أن الحساب لا يكون فيصلاً أصلاً، لكنهم يقولون أنه يرجح العمل به في حالة واحدة هي حالة عدم رؤية الهلال - لاستحالة الرؤية أصلاً - لغيم.

أما دليل اجتماعهم على وجوب الرؤية فلنص الحديث: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته».

وأما دليل من قال يكمل الشهر السابق حين يغم الهلال، فلظاهر قوله - صلى الله عليه وسلم -: «فإن غم عليكم فأكملوا شعبان ثلاثين يومًا»(10). وهذا اللفظ نص - أو أقرب ما يكون إلى النص - في هذا الموضوع.

لكن الذين خالفوا فقالوا: يعتبر الفلك في هذه الحالة، فتمسكوا بلفظ آخر للحديث، هو قوله - صلى الله عليه وسلم: «فإن غم عليكم فاقدروا له»(11)، وفسّروا قوله: «اقدروا له» يعني احسبوا له بالحساب الفلكي.

قلت: لكن هذا التفسير وجهه ضعيف؛ لأن لفظ حديث ابن عباس الثابت هو: «فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا»، وهذا يفسر معنى «اقدروا له»، وهو أولى من التفسير بالرأي، قال ابن رشد في «بداية المجتهد»:

«وإنما صار الجمهور إلى هذا التأويل - يعني تأويل «اقدروا له»، بإكمال العدة - لحديث ابن عباس الثابت أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين»، وهذا مجمل، وهذا مفسر، فوجب أن يُحمل المجمل على المفسر، وهي طريقة لا خلاف فيها بين الأصوليين؛ فمذهب الجمهور في هذا لائح والله أعلم»(12). وهذا هو قول الحافظ ابن حجر نفسه بعد ذلك الحديث في الفتح:

«... بل ظاهر السياق ينفي تعليق الحكم بالحساب أصلاً، ويوضحه قوله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الماضي: «فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين»، ولم يقل: فسلوا أهل الحساب»(13).

أهم أدلة الحساب الفلكي

ومن أهم معتمدات الذين يرون اعتبار الفلك أنهم يظنون أنه علم قطعي النتائج، وقد تَوَهَّم مثل ذلك الإمام السبكي في فتاويه، إذ يقول: «إن الحساب قطعي، والشهادة والخبر ظنيان»(14)، لكنه يعود فيفسر ما يقصده بالقطع، فيقول: «واعلم أنه ليس مرادًا بالقطع ههنا الذي يحصل بالبرهان الذي مقدماته كلها عقلية؛ فإن الحال هنا ليس كذلك، وإنما هو مبني على أرصاد وتجارب طويلة...»(15).

قلت: وهذا كله لا يدل على القطع، ووصف نتائج ذلك بأنها قطعية فيه تجاوز، وحتى يومنا هذا يختلفون في التقدير الفلكي، لذلك قال الحافظ ابن حجر العسقلاني - وهو من هو في هذه الفنون - قال في مسألة الحساب الفلكي والنجوم.

«... لأنها حدس وتخمين، وليس فيها قطع ولا ظن غالب»(16).

نصوص أهل العلم في ذلك

وهذه بعض النقول عن الأئمة تؤكد عدم اعتبار الحساب الفلكي، وأن الأصل عندهم هو الرؤية ليس غير، قال ابن خزيمة في

كيف تثبت رؤية الصوم والفطر؟

صحيحه: قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾. البقرة: 189.

وساق الحديث بسنده إلى النبي - صلى الله عليه وسلم: «بأن الله جعل الأهلّة مواقيت؛ فإذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غُمَّ عليكم فاقدروا له، واعلموا أن الشهر لا يزيد على الثلاثين». وقال بعد هذا بباب ما يفسر به التقدير: «باب ذكر الدليل على أن الأمر بالتقدير للشهر إذا غم يعد شعبان ثلاثين يومًا ثم يصام»، ثم روى حديث النبي - صلى الله عليه وسلم: «فإن غم عليكم فاقدروا له ثلاثين».

وقال بعد ذلك: «باب الزجر عن الصيام لرمضان قبل مضي ثلاثين يومًا من شعبان إذا لم يُرَ الهلال»(17).

أقول: ويتضمن هذا الزجر عن حساب الفلك قبل الرؤية أصلاً، ولذلك ساق ابن خزيمة حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - بإسناده: «لا تستقبلوا الشهر استقبالاً؛ صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته فإن حال بينك وبين منظره سحاب أو قترة فأكملوا العدة ثلاثين».

قلت: وهذا اللفظ صحيح الإسناد، وهو نص في أنه إذا كان السبب في هذه الغمة سحاب أو نحوه لا يُحسب بالنجوم، وإنما يكمل الشهر الماضي ثلاثين.

ومما نقلناه عن الأئمة المتقدمين أيضًا في هذا الصدد قول الإمام الخطابي في شرحه لسنن أبي داود:

«قوله: فاقدروا له: معناه التقدير بإكمال العدد ثلاثين؛ يقال: قدرت الشيء أقدره قدرًا بمعنى قدرته تقديرًا، وكان بعض أهل المذهب يذهب في ذلك غير هذا، وتأوَّله على التقدير بحساب سير القمر في المنازل، والقول الأول أشبه، ألا تراه يقول في الرواية الأخرى: «فإن غم عليكم فصوموا ثلاثين يومًا». قال الخطابي: «وعلى هذا قول عامة أهل العلم ويؤكده نهي النبي - صلى الله عليه وسلم - عن صوم يوم الشك»(18).

ونختم هذه المقولة بتلخيص الحافظ الذي يصح أن يُعدّ قاعدة في هذا الباب: «قال الجمهور: المراد بقوله «فاقدروا له» أي انظروا في أول الشهر، واحسبوا تمام الثلاثين، ويرجح هذا التأويل الروايات الأخر المصرحة بالمراد، وهي «فأكملُوا العدد ثلاثين» ونحوها. وهو أولى ما فسر الحديث بالحديث».

كيف يعرف الناس رؤية الهلال ؟

والهلال: إما أن يراه الناس كافة أو بعضهم:

فإن رآه الناس كافة - يعني أكثر الناس، أو كلهم - فلا خلاف في وجوب الصوم، وقد حكى الإجماع عليه ابن حزم في «مراتب الإجماع»(19)، وهذا هو المفهوم من نقل صاحب «رحمة الأمة»(20).

أما إذا رآه قليل منهم وأفرادهم، فإنه يُعرض هؤلاء على القاضي، فإن جازت عدالتهم وقُبلت شهادتهم وإلا فلا.

مسائل مهمة تتعلق بالرؤية

وينبني على ما سبق جملة مسائل، منها:

أولاً- عدد الشهود المعتبرين في الرؤية:

1- بالنسبة لهلال الفطر - وهو هلال شوال - اتفقوا على أنه يجب شاهدان عدلان ليثبت الفطر، لحديث عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب، أن النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال:

«... فإن شهد شاهدان فصوموا وأفطروا»(21).

وشهد أعرابيان عند النبي - صلى الله عليه وسلم - أنهما أبصرا الهلال فأمر الناس أن يفطروا.

2- بالنسبة لهلال الصيام: اشترط جماعة منهم المالكية أن يشهد شاهدا عدل. ودليلهم في ذلك عموم حديث عبدالرحمن بن زيد - السابق - وعموم شهادة الرجلين، لأنهم اعتبروا الأمر شهادة، لا عبادة محضة يصلح فيها خبر الواحد. لكن ذهب قوم منهم الإمام الشافعي في أحد قوليه على أن في هلال الصوم يجزئ الشاهد الواحد، لحديث ابن عباس أنه جاء أعرابيٌّ إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فشهد أنه أبصر هلال يوم الصوم، فأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - الناس بالصوم.

قال الشافعي في (الأم): «فإن لم تر العامة هلال رمضان، ورآه رجل عدل رأيت

> **اتفقت كلمة الفقهاء - أو كادت - على أن العبرة في ثبوت الشهر بالرؤية وحدها، وأنه لا عبرة بحساب منازل القمر ولا حساب المنجمين..**

أن أقبله للأثر والاحتياط»(22). لكن نقل الربيع أنه رجع بعد ذلك فاشترط شاهدين عدلين.

قلت: والقول الأول للشافعي - عندي - أحكم لدلالة الحديث عليه بوضوح، وقد نسبه الشيرازي إلى الجديد، واختاره، وصححه. قال: «وقال في القديم والجديد: يقبل من عدل واحد، وهو الصحيح»(23).

وأما مذهب الإمام أبي حنيفة في اشتراط رؤية الهلال الجم الغفير إذا كان الجو صحواً والرؤية واضحة فلا أعلم له دليلاً من الأثر.

ثانيًا - ميقات الرؤية:

اتفقوا جميعًا أنه إذا رُئي الهلال بعد الزوال - يعني بعد الظهر - صام الناس اليوم التالي، وذلك لأنه يكون هلال الليلة التالية.

كيف تثبت رؤية الصوم والفطر؟

نقل هذا الاتفاق ابن حزم في «مراتب الإجماع»، وابن رشد في «بداية المجتهد» وهو المنقول عن مصنفات الأئمة.

أما إذا شوهد قبل الزوال فالجمهور على عدم التفريق بين رؤيته قبل الزوال وبعده، وذهب الحنفية وابن حبيب من المالكية إلى أن المُشاهَد قبل الزوال هو هلال الليلة الماضية لا الآتية. ومذهب الجمهور أقوى، لأن التفريق ليس له معتمد قوى وإن كانت إمكانية رؤية الهلال قبل المغرب فيها كلام كثير، لأن ذلك يصعب أو يستحيل، إلا أن جوازه وارد. وقد استبعده ابن رشد، إذ قال: «... فبعيد والله أعلم، أن يبلغ - يعني الهلال - من الكبر أن يُرى والشمس بعد لم تغب»(24).

ثالثًا - هل الرؤية لأهل البلد الواحد أم لكل المسلمين:

المشهور من مذاهب العلماء أن رؤية البلد تلزم كل المسلمين؛ لعموم الخطاب في قوله - صلى الله عليه وسلم: «صوموا لرؤيته»، الحديث. إلا البلد النائية جدًا؛ كأن يظهر الهلال في الأندلس فلا يلزم أهل الحجاز، أو العكس. (وهذا الاستثناء موضع اتفاق بين العلماء). وهذا المذهب في أن رؤية البلد تلزم كل المسلمين هو مذهب الشافعي وأحمد، وإحدى الروايتين عن مالك، ويعضده ظاهر الحديث السابق.

ورأى مالك في رواية المدنيين عنه أن الخبر بالرؤية لا يلزم إلا أهل البلد الذي رُئي فيه الهلال. وهو قول بعض أصحابه. وعزاه الترمذي إلى أكثر أهل العلم، واستدلوا بحديث كريب - رضي الله عنه - أن أم الفضل بنت الحرث بعثته إلى معاوية بالشام فقال: قدمت من الشام فقضيت حاجتي، واستهل عليّ رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة، ثم قدمت إلى المدينة في آخر الشهر، فسألني عبدالله بن عباس، ثم ذكر الهلال، فقال: متى رأيتم الهلال؟ فقلت: رأيته ليلة الجمعة. فقال: أنت رأيته؟ فقلت: نعم، ورآه الناس، وصاموا، وصام معاوية. قال: لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه. فقلت: ألا تكتفي برؤية معاوية؟ قال: لا، هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (25).

والذي يظهر لي أن هذا الأثر محتمل في لفظه، وأن الظاهر من الأثر الأول أدخل في باب الحجة وأنص والله أعلم، لذلك نرجح مذهب الجمهور.

رابعًا - إذا رآه رجل ولم يقبل القاضي شهادته:

فإن كان هلال صوم أو فطر وجب عليه أن يعمل بما رأى هو؛ لأنه مسؤول عما يرى، وشهادته إن كانت ظنًا في حق القاضي فهي يقين في حق نفسه، لكن في حالة الفطر يفطر سرًا حتى لا يُتَّهم.

فأما الصوم فهذا الذي اخترناه هو مذهب الجماعة، ونقل ابن رشد الإجماع عليه إلا مخالفة لعطاء بن أبي رباح.

وأما في الفطر فالذي اخترناه في وجوب فطره هو مذهب الشافعي - رحمه الله تعالى -، لكن ذهب أبو حنيفة والمالكية والحنابلة إلى عدم جواز فطره، وذلك لما يلي:

1- أن الفطر عندهم لا يجوز إلا بشهادة اثنين لا واحد.

2- سدًا لذريعة التساهل في تطبيق أحكام الشرع.

والظن أن الأولى يجاب عليها فإن ذلك في حق القاضي والناس لا في حق الرائي نفسه، فإن الرائي يستيقن بما رأته عيناه فلا يحتاج إلى شاهد مع نفسه. وكذلك الثانية متعلقة بالظاهر لا بأصل الإفطار، ولذلك قال ابن جُزَيّ في «القوانين» وهو من كتب المالكية:

«... وعلى المذهب إن أفطر فلا شيء عليه فيما بينه وبين الله تعالى، فإن عُثِرَ عليه عُوقب إن اتُّهِم»(26)..

خامسًا - إذا أصبح القوم مفطرين ثم قامت البينة على أن اليوم من رمضان:

حينئذ يلزمهم القضاء، وإنما يمسكون بقية اليوم، وذلك لأنهم أفطروا لظنهم أنه شعبان إذ لم يروا الهلال، فلما علموا أنه رمضان وجب عليهم الإمساك لحرمة الشهر، وأما القضاء فلأنهم أفطروا خطأ، ثم عرفوا أنه من رمضان. وهذا يخالف ما ذهب إليه قوم إلى أنه لا يُمسك، لأنهم أفطروا لعذر فلم يلزمهم إمساك، والأول لائح والله أعلم.

سادسًا - إذا صام القوم إكمالاً لرمضان، ثم أصبحوا فقامت البينة على أنه من شوال:

وجب عليهم الفطر قولاً واحدًا، لا أعلم مخالفًا فيه، وقد جزم به صاحب القوانين(27) والله أعلم.

فهذا آخر ما كنا انتوينا أن نقيده في هذا الموضوع أداءً لأمانة البلاغ، وعملاً بوظيفة التعليم، نسأل الله الفقه في الدين ومنازل العاملين، آمين.

الهوامش:

1- متفق عليه من حديث أبي هريرة: البخاري: كتاب الصوم، الفتح: 119/4 ح 1909، ومسلم: كتاب الصيام 762/2 ح 1081.
2- بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد، ط دار الفكر ج5 ص127.
3- أوائل الشهور العربية، شاكر، ص4.
4- مراتب الإجماع، ابن حزم، ص40.
5- المهذب للشيرازي، ط الحلبي 186/1.
6- القوانين الفقهية لابن جُزَيّ ص103.
7-8- المهذب ص 186.
9- الأحكام لابن دقيق العيد: 206/2.
10- هذه تكملة للحديث السابق.
11- هذا لفظ ابن عمر وهو متفق عليه.
12- بداية المجتهد، ط مرعشلي: 129/5، 130.
13- فتح الباري، ط السلفية: 108/4، 109.
14-15- فتاوى السبكي: 219/1.
16- فتح الباري، مصدر سابق.
17- صحيح ابن خزيمة، ط المكتب الإسلامي: 201/3.
18- تهذيب السنن (هامش الخطابي): 210/3.
19- مراتب الإجماع: ص40.
20- رحمة الأمة في اختلاف الأئمة، ط الحلبي: 94.
21- سنن أبي داود، ط دار الحديث، كتاب الصوم: 752/2.
22- الأم للشافعي، ط دار الكتاب العربي 103/1.
23- الشيرازي: 186/1.
24- ابن رشد: 131/5.
25- مسلم في كتاب الصيام، والترمذي في كتاب الصوم. قال الترمذي حديث حسن صحيح غريب.
26-27- القوانين، ص 102، 103.

فلنحافظ على روح رمضان

د. محمد بن لطفي الصباغ

رمضان شهرٌ مبارك، دلّت على بركته الآياتُ القرآنية، والأحاديثُ النبوية، وحدّثتنا عنه أنباء التاريخ أنّه شهر البطولات في أمتنا، كانت فيه المعارك المظفّرة التي غيرّت مجرى التاريخ.

وهو شهر الجود والكرم، يذكر فيه الناس إخوانهم من الفقراء والمساكين، يواصلونهم ويواسونهم، ويدفعون إليهم ما يحتاجون. ولقد أدركنا رمضان في الواقع شهر التعاون والتوادّ والتراحم، يتزاور الناس فيه، ويهنئ بعضهم بعضًا بقدومه.

ورمضان شهر الطاعة والعبادة، تمتلئ فيه المساجد، ويتسابق الناس فيه إلى القُرُبات من قراءةٍ للقرآن، وقيامٍ لليل، وأمرٍ بالمعروف ونهيٍ عن المنكر، وحضورِ لمجالس التذكير والموعظة.

ورمضان شهر تُعَظَّم فيه الحرمات، وتُرعى فيه مكارم الأخلاق، وتُوصل فيه الأرحام، وتسود فيه المعاملة الحسنة، فلا تسمع فيه إلا الكلمة الطيبة، ولا ترى فيه إلا التسامح.

ولرمضان جوّ خاصّ يلمسه كل من عاش في المجتمع الإسلامي، ففيه تُغلق المطاعم، وتُوصد المقاهي ودور اللهو، وتخلو الطرقات من المارة وقت الإفطار، ويتغير نظام الحياة عند الناس جميعًا. وفي رمضان ألوان من المآكل والحلويات الرمضانية، وتزدحم الشوارع قبيل الإفطار بالباعة، وبالمارة الذين يسارعون إلى بيوتهم. وفي رمضان يوزع الأغنياء زكوات أموالهم، فتراهم يتفقدون إخوانهم المسلمين من الفقراء والمساكين ينفقون مما رزقهم الله، ويطعمون الطعام على حُبِّه اليتامى والمساكين والأرامل والمحتاجين.

ليل متميز.. وأجواء إيمانية

وفي رمضان تقوم دروس الوعظ في الجوامع والمساجد ويقبل عليها المئات من السامعين. وليل رمضان متميز، فالرجال والنساء يؤمون المساجد لصلاة التراويح، أما الفتيان والأطفال فإنهم بعد أن يؤدوا صلاة الفريضة مع آبائهم ينطلقون إلى الساحات المزدانة بالأضواء الساطعة، والزينة المرفوعة ليُسَلُّوا أنفسهم بما يجدون فيها من الألعاب البريئة والجلبة تُشعر الناس أن شيئًا جديدًا قد قام في حياتهم.

وفي رمضان يلتقي أفراد الأسرة الذين لم يكونوا يلتقون بسبب مشاغلهم طوال العام على طعام الإفطار وطعام السحور لا يتخلف منهم أحد.

وتعظيم رمضان في نطاق الأسرة والمجتمع أمر مُشاهَد ملموس.. فالطفل عندما يرى أهله يمتنعون عن الطعام والشراب، ويُحسّ بجو رمضان يطلب أن يصوم بإلحاح، فإذا صام الطفل لأول مرة كان في الأسرة حدث مهم.. فالكل يثنون عليه، واحتفالاً بهذا الحدث المهم تُعدُّ مائدة خاصة فيها من المأكولات والحلويات والنقول التي يحبها الأطفال الشيء الكثير.. ومن مظاهر الاحتفال أن يعمد أبوه فيحمله على ظهره، ويجوب به جوانب الدار، ثم تأتي أمه فتحمله على ظهرها وتنطلق به مزغردة ومرددة أحلى عبارات الثناء والتشجيع، ثم يتعاقب أفراد الأسرة الكبار على حمله وإكرامه، وهم يحمدون الله أن كبر ابنهم وأصبح قادرًا على القيام بهذه الفريضة، وعند الإفطار تُقَدَّم له تلك المائدة، ويتولى هو دعوة إخوانه إلى المشاركة بالأكل منها.

فينشأ هذا الطفل على حب رمضان وعلى الرغبة في أن يصوم وعلى تعظيم هذا الركن من أركان الإسلام.

إن هذا الجوّ المفعم بالودّ والعواطف السامية وبالروح المشرقة جعل الناس يحبون رمضان حبًا جمًا، ويحزنون لفراقه، ويودعونه وداعًا حارًا متألمين، وحق لهم أن يتألموا لفراقه لأن هذا اللون من الحياة السعيدة سيفقدونه عندما يذهب رمضان.

صورة مشرقة مهددة بالزوال!

تلك صورة رمضان كما أدركناها، وكما حدثتنا عنها أنباء التاريخ، ولكن التأثر بالكفار الذي يتعاظم يومًا بعد يوم يهدد تلك الصورة المشرقة الجميلة الرائعة بالزوال، ويحاول أن يطمسها ويقضي عليها في كثير من بلاد المسلمين، وقد اهتزت هذه الصورة

شيئًا من الاهتزاز في بعض بقاع العالم الإسلامي.

ونستطيع أن نتبيّن أنواعًا من هذا الاهتزاز.. فقد أقدم فريق من الناس - والعياذ بالله - على انتهاك حرمة هذا الشهر بالإفطار.. وإنهم لخاسرون هالكون، وإن كانوا لا يرون حرمة ما يفعلون خرجوا من الملّة بالإجماع.. وقام فريق آخر بالاحتفال بليالي رمضان بمعصية الله من ممارسة الغناء الماجن أو سماعه، وممارسة العبث المقيت، والنظر إلى ما حرّم الله.. وحافظ فريق ثالث على هذه العبادة ولكنهم عمدوا إلى النوم سحابة النهار، وقضوا ليلهم ساهرين يتسكعون في الطرقات، أو يتحلّقون حول أجهزة التلفاز يرون ما لا يجوز أن يُرى من القنوات الفضائية وغيرها، ويسمعون منها ما لا يجوز أن يُسمع، وفي أثناء ذلك يملؤون بطونهم بالطعام والشراب فيأكلون أضعاف ما كانوا يأكلون، ويبقون في لهو وعبث حتى يطلع الفجر. وهذا لون من السلوك ما كنا نعرفه في رمضان أبدًا.

وكل ذلك يعود إلى ضعف الناحية الروحية عند كثير من المسلمين وسيطرة الحياة المادية عليهم.

إن الحياة المادية تسيطر على جوانب الحياة في العصر الحاضر، وتضغط على كثير من المسلمين ضغطًا شديدًا، فترى كثيرًا منهم يشغلهم التفكير في المادة والعمل لها كلّ أوقاتهم، حتى إن الواحد منهم لا يكاد يجد وقتًا يخلو فيه إلى نفسه ويتعهدها.

إن هذه الحياة على هذا النمط تسلب الإنسان إنسانيته؛ لأن الإنسان إنما يتميز من الحيوان بأن له مُثُلاً يعظمها، وقيمًا يرعاها ويحيا وفق تعاليمها، ومعاني تملأ عليه نفسه.

أما إذا تحولت الحياة إلى لقمة يزدردها، أو شهوة يقضيها، أو متعة يمارسها، لم يعد هناك فارق بينه وبين غيره من المخلوقات والعجماوات.

التأثر بالكفار يتعاظم يومًا بعد يوم، ويكاد يهدد صورة رمضان المشرقة ويطمسها ويقضي عليها في كثير من بلاد المسلمين!

الحاجة إلى صيانة النفس

ومن هنا كان الإنسان بحاجة إلى أزمنة يعيش فيها مع عقيدته ومُثُله وقيمه ويستطيع أن يعمل وفق هذه العقيدة والمثل، وإلى أمكنة يأوي إليها يصون بها نفسه مما يكدر عليها إنسانيتها كما يصون المرء سيارته وأدواته مما يصيبها بأن يضعها بين يدي قادر على إصلاحها وعلاجها.

فرمضان يمثل الزمان الذي يتيح له العيش وفق عقيدته، يفر إليه المرء المثقل بأعباء المادة ليجد في أيامه ولياليه العلاج والوقاية، والصفاء والصيانة، ويجد فيه ما يصلح من شأنه ويعينه على مواجهة الصعاب.

والمساجد بيوت الله هي الأمكنة التي يجد المرء في جنباتها الطمأنينة والراحة النفسية، ويسعد عندما يدخلها وقد انخلع من أوضار المادة وأثقالها ليقف بين يدي الله ويحكم الصلة به سبحانه.

إن ضغط الحياة المادية لا يكاد ينجو من التأثر به أحد من الأثرياء أو الفقراء، فالمترفون الأثرياء لاهثون مهرولون ساعون لكسب المزيد من المال الذي يؤمّن لهم شهواتهم. والفقراء المعوزون لاهثون مهرولون ساعون لتأمين ضرورياتهم من الطعام واللباس والمسكن.

وهذا السعي الحثيث في ذلك يقسّي القلب، ويجمّد العواطف، ويضعف الثقة بما عند الله. فرمضان وسيلة ليبلغ العبد بها منزلة التقوى والتوكل على الله.

إن تقوى الله تثمر قلبًا رقيقًا يخشع لله، لا تحل فيه إلا محبة الله وحده ومراقبته، ويأتي رمضان ليقدم العون للراغبين في إصلاح أنفسهم فيحررهم من شهوة البطن والفرج ويقول للمسرفين على أنفسهم: تعالوا إلى ما يحييكم، لا تيأسوا من رحمه الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا. فهذا شهر الطاعة والإقبال على الله.

لقد كان رمضان يؤدي دورًا مهمًا في التذكير وفي إعادة كثير من المسرفين على أنفسهم إلى جادة الحق.

وإننا لنحمد الله أنّ كثيرًا من معالم هذه الصورة المشرقة لرمضان مازال حيًا في هذه البلاد التي شرّفها الله بالحرمين الشريفين، وصانها بإقامة حدود الله فيها، وتحكيم الكتاب والسنة في شؤونها. نسأل الله تعالى أن يحفظ بلاد المسلمين كلها وأن يردّ المسلمين إلى دينهم ردًا جميلاً.

هذا ومن مهمات الدعاة إلى الله من العلماء تذكير الناس بفضل رمضان، ودعوتهم الناس إلى أن يسموا بأنفسهم للإفادة من بركات هذا الشهر المبارك ليكونوا كما كان أسلافهم في هذا الشهر، وأن يحافظوا على المعاني الكريمة والعادات الشرعية الصحيحة، وأن يحافظوا على روح رمضان.

رمضان بين عهدين

لقد كتب الكاتب البليغ الأستاذ أحمد حسن الزيات يوازن بين رمضان في عهدين، ويبيّن خطر هذا التحوّل الذي شهد أماراته، وسنورد من مقاله الصورة المشرقة لرمضان التي أدركها. قال: «كان عهدنا بالصوم قبل اليوم أن يكون عصيانًا للنفس في طاعة الله، وحرمانًا للجسم في مبرّة الروح، ونكرانًا للذات في معرفة الناس، فالجوارح مغلولة عن الأذى، والمشاعر مكفوفة عن الشهوة، والخواطر مستغرقة في الدعاء، بين نهار كله إحسان وتأمل وتصدّق، وليل كله قرآن وتواصل وتهجّد، فلا الغني يهيج به البطر، ولا القوي تفرط عليه القدرة، ولا الفقير يتجهّم له الحرمان، وكأنما زالت الفروق بين الناس، فأصبحوا سواسية في نعمة الدين وسعادة الدنيا.

كان الرجل الدنيويُّ الشهوان إذا أقبل عليه رمضان تاب وتطهر، فما يفتح فمه لهُجْر، ولا عينه لفحش، ولا أذنه للغو، ولا قلبه لخطيئة، يقضي يومه مضطربًا في المعاش على أفضل ما يكون الخلق، فإذا كان تاجرًا لا يدلّس، أو صانعًا لا يزوّر، أو عاملاً لا يفرّط، أو معاملاً لا يخون، ويحيي ليلة في استماع القرآن، ومواصلة الإخوان، ومودّة ذوي القربى، فإذا ما انقضى بعض الشهر بدا عليه شحوب الصوم، وكلال السهر، وخشوع الورع...»(1). ثم أتى الزيات بعد ذلك ببيان الحال التي آل إليها رمضان.

إنّ الصيام ركن من أركان الإسلام يجب على المسلمين تعظيمه وحمايته من أي عدوان عليه.. لقد خصّه الله تعالى بأنه له كما جاء في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي. والصيام جُنّة، فإذا كان يومُ صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم. إني صائم. والذي نفس محمد بيده لخُلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه»(2).

وفي رواية لمسلم: «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف. قال الله تعالى: إلاّ الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي»(3).

وفي رواية للترمذي: «إنّ ربّكم يقول: كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف، والصوم لي وأنا أجزي به»(4).

هذه الروايات المتعددة للحديث تدلّ على أنّ ثواب الصيام يُضاعَف إلى ما يزيد على سبعمئة ضعف، أي إن الله تبارك وتعالى يثيب عليه بغير تقدير.

فلنحافظ على روح رمضان

والكريم عندما يقول: أنا أجزي بهذا الأمر كان ذلك إشارة إلى تعظيم الثواب، فليتوقع المخاطَب العطاء الجزيل الذي لا يخطر ببال بشر.

واستدل على صحة هذا المعنى بقوله سبحانه: *إنّما يُوَفَّى الصابرون أجرَهُم بغير حساب*. **الزمر: 10.**

قال الرغب في «المفردات»: «وسُمِّي الصوم صبراً، لكونه كالنوع له»، وقال صلى الله عليه وسلم: «صيام شهر الصبر وثلاثة أيام في كل شهر يذهب وَحَرَ الصدر»ة(5)

وقال ابن حجر في التعليق على هذه الآية: والصابرون الصائمون في أكثر الأقوال (6). فإذا كان ثواب الصائم على هذا النحو فكيف يسوغ لنا أن نقبل أن يفقد رمضان روحه؟ وكيف لا نحرص على الصوم الذي يرضاه الله؟ وكيف لا نحرص على المحافظة على روح رمضان التي تبلغ بنا منزلة التقوى إن نحن قمنا بالصيام حق القيام؟

عليك بالصوم فإنه لا مثل له

والصوم عبادة لا يقع فيها الرياء كما يقع في الصلاة والزكاة والحجّ؛ لأنه امتناع عن المفطرات، وليس قياماً بعمل يراه الناس.. فيتحقق فيه الإخلاص.. إنه امتناع عن الطعام والشراب والشهوة بنيّة العبادة وفق ما شرع الله، والنية تخفى على الناس ولا يطلع عليها إلا الله تبارك وتعالى ولذا قال سبحانه: «إلا الصوم فإنّه لي». ويؤيد ذلك ما أخرجه الإمام النسائي بسند صحيح عن أبي أمامة أنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: مرني بأمر آخذه عنك. قال: «عليك بالصوم فإنه لا مثل له»(7) وفي رواية «... فإنه لا عدل له»(8). والصوم جنّة - أي وقاية - من النار، وقد جاء في بعض الروايات أنه حصن حصين من النار(9)، وذلك بأن تقيه هذه الجُنّة موجبات النار من المعاصي، فإذا كفَّ المرء نفسه عن الشهوات والمحرمات، وقام بالطاعات الواجبات، وخَالَقَ الناس بخلق حسن، كان ذلك ساتراً له من النار في الآخرة.

فلسان الصائم عفيف، فهو لا يشتم ولا يرفث، والرفث هنا الكلام الفاحش، ولا يغتاب ولا ينمّ ولا يكذب.. بل يكون لسانه رطبًا بذكر الله وبالكلمة الطيبة.

وقلبه قلبٌ سليم منيب، بريء من الشرك والحقد والحسد والكِبْر، يحبّ لإخوانه ما يحب لنفسه، ولا يحقر أحداً من المسلمين.

وعمله صالح خالص لا رياء فيه ولا ابتداع، وخلقه زكي حسن، فالصائم يدفع بالتي هي أحسن السيئة، يعامل الناس بالحسنى ولو أساؤوا إليه، وإن سابّه أحدٌ ذكّر نفسه أنه متلبس بعبادة الصيام فيقول: إني صائم. إني صائم.

وسلوكه وقور فلا يصخب ولا يجهل أي لا يفعل شيئًا من أفعال أهل الجهل كالصياح والسفه هذا هو الصوم الذي تتحقق به التقوى، ويكون جُنّة لصاحبه من النار.

أما الامتناع عن الطعام والشراب والمفطرات فقط دون رعاية ما ذكرنا فهذا لا يجني صاحبه منه إلا الجوع والعطش والحرمان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رُبّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، وربّ قائم ليس له من قيامه إلاّ السهر» رواه ابن ماجه واللفظ له(10)، والنسائي في الكبرى(11)، وابن خزيمة(12)، والحاكم (13) وقال: صحيح على شرط البخاري. ولفظ ابن خزيمة والحاكم: «ربّ صائم حظُّه من صيامه الجوع والعطش، وربّ قائم حظُّه من قيامه السهر».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لم يَدَعْ قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه». رواه البخاري (14) وأبو داود(15) وأحمد(16) والترمذي(17) وابن خزيمة(18) والنسائي(19) وابن ماجه(20).

كيف ننتفع من مدرسة الصيام؟

إن هذه المعاصي ونحوها من الكذب والغيبة واحتقار مسلم من المسلمين وقول الفحش لا يليق بالصائم أن يأتي بشيء منها وهو متلبس بهذه العبادة العظيمة.

إن الذين يصومون عن الطعام ويقترفون المعاصي يكونون قد صاموا عما أحلّ الله لهم في غير رمضان، وأفطروا على ما حرّم الله عليهم في رمضان وغير رمضان، ولا يكونون قد انتفعوا من مدرسة رمضان.

إذن فليس الصيام امتناعًا عن المفطرات فحسب.. بل إنه بالإضافة إلى ذلك تدريب عملي على الحياة الإسلامية، وتذكير للصائمين بكثير من حقائق هذا الدين، وحمل لهم على سلوك الطريق المستقيم.

ومن هنا كان كثير من المقصرين يتوبون إلى الله في رمضان، ويعودون فيه إلى الحق بسبب روح رمضان.. وهذه الحقيقة الملموسة تُحَمِّل الدعاة إلى الله مسؤولية خاصة .. إنّ عليهم أن ينشطوا في الدعوة، وأن يستفيدوا من هذه المناسبة التي تساعدهم في الوصول إلى ما يبغون، وإنهم لبالغون ذلك إن هم أحسنوا التصرف، وكلموا الناس بالمقنع، فقد أخرج البخاري تعليقًا عن علي رضي الله عنه أنه قال: «حَدِّثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله»(21). وقريب منه ما أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «ما أنت محدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»(22).

ودعوا إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة وأقاموا من أنفسهم نماذج حيّة للاستقامة والورع والتقوى.

إن رمضان مدرسة ذات أثر كبير فلنحرص على أن نعيد له سيرته الأولى، فما أحوجنا وأحوج الدنيا كلها إلى أفراد يبلغون ذاك المستوى الكريم الذي يعمل الصيام على تحقيقه في الصائمين.

الهوامش::

1ـ وحي الرسالة لأحمد حسن الزيات 390/1.

2ـ صحيح البخاري (مع الفتح) 4/برقم 1904، وصحيح مسلم ط محمد فؤاد عبدالباقي 2/ برقم 1151(الرقم الخاص 163).

3ـ صحيح مسلم 2/ برقم 1151 (الرقم الخاص 164)

4ـ جامع الترمذي 3/ برقم 764.

5ـ والحديث: «صيام شهر الصبر..» صحيح رواه أحمد في المسند 75/5 و 363 عن الأعرابي، وابن حبان في صحيحه (انظر موارد الظمآن 235 - 236 والإحسان 498/14) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» 196/3: رجال أحمد رجال الصحيح. ورواه البزار عن ابن عباس ورجاله رجال الصحيح. ورواه البزار أيضاً عن عليّ قال الهيثمي: وفيه الحجاج بن أرطاه وفيه كلام. ورواه الطبراني في الأوسط 494/5 عن الأعرابي وهو النمر بن تولب ولفظه (وغر الصدر). وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» 32/2 عن ابن عباس وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ورواه أحمد وابن حبان في صحيحه والبيهقي: الثلاثة من حديث الأعرابي، ولم يسموه. ورواه البزار عن علي. ووحر الصدر: هو غشه وحقده ووساوسه. وانظر «الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني» 9/ 224.

قلت: وقد ورد في تسمية رمضان شهر الصبر حديث أيضاً أخرجه النسائي عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر» انظر سنن النسائي 218/4 - 219.

6ـ فتح الباري 180/4.

7ـ سنن النسائي 5/4 (صحيح النسائي للألباني 475/2 - 476) وصحيح ابن خزيمة 194/3 والمستدرك 421/1 وصحيح ابن حبان (الإحسان 212/8).

8ـ سنن النسائي 4/ 165.

9ـ جاء ذلك في بعض روايات الحديث التي أخرجها سعيد بن منصور وأحمد.

10ـ سنن ابن ماجه 1/برقم 1690.

11ـ سنن النسائي الكبرى 239/2 برقم 3249.

12ـ صحيح ابن خزيمة 242/3 برقم 1997.

13ـ المستدرك 431/1.

14ـ صحيح البخاري 4/ برقم 1903.

15ـ سنن أبي داود 2/ برقم 2362.

16ـ المسند للإمام أحمد 2/ 452 - 453.

17ـ جامع الترمذي 3/ برقم 707.

18ـ صحيح ابن خزيمة 241/3 برقم 1995.

19ـ سنن النسائي الكبرى 238/2 بأرقام من 3245 إلى 3248.

20ـ سنن ابن ماجه 1/ برقم 1689 ولفظه: «من لم يدع قول الزور والجهل والعمل به..».

21ـ صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خصّ بالعلم قومًا دون قوم كراهية ألا يفهموا. الفتح 225/1 وطبعة الفجالة الجديدة 31/1.

22ـ صحيح مسلم ط محمد فؤاد عبدالباقي 11/1 وطبعة استانبول 9/1.

صوموا لا تشيخوا!

د. فوزي عبدالقادر الفيشاوي

لا تعي ذاكرة التاريخ عصرًا واحدًا لم يوجد فيه أناس يَجِدّون في طلب الإكسير الذي يطيل مرحلة الشباب، أو يعيد إلى الأجسام الشائخة، الفتوة والحيوية والنشاط من بعد ذهاب. وفي الأساطير القديمة لشعوب العالم جميعها، نقرأ عن قصة الفارس المغوار الذي يخوض الصعاب، بحثًا عن «نبع الشباب»، أو «ماء الخلود» الذي يهب شاربيه صحة من بعد سقم، وعافية وشبابًا من بعد شيخوخة ووهن. فهذه الأمنية إذن أمنية شائخة، عاشت مع الإنسان في جميع حضاراته منذ بدأت إلى يوم الناس هذا.

ومع ذلك، يبدو أننا كي ننهل من نبع الحيوية الصافي ونظفر بكل مظاهر الشباب، فإننا لا نحتاج إلى شيء من الخوارق أو إلى قليل أو كثير من الترحال، فكل ما نحتاج إليه، أن نصوم صومًا صحيحًا لا كسل فيه ولا إسراف. وعندئذ سوف نرى عجبًا، إذ تتجدد ينابيع الشباب والفتوة تجددًا متواصلاً؛ فالتجاعيد في الوجوه تختفي، والبشرة تصبح أكثر نضارة، والعيون أشد صفاءً وأكثر بريقًا، ويبدو المرء كما لو كان قد وُلد من جديد، وذلك بإعادة بث الحيوية والنشاط في بنائه العضوي.

وعلى الإجمال، فإننا إذا بحثنا عن أفضل وسيلة لإيقاف عمليات التخريب التي تقوم بها يد الشيخوخة، لما وجدنا أفضل من الصوم. وإنك لو سألت المُعَمَّرِينَ عن سر احتفاظهم بحيويتهم ونشاطهم وصفائهم الذهني والنفسي، لقالوا لك: إنه الصوم. وليست خبرة المعمَّرين وحدها هي الدليل، فثمة دليل آخر لا يقل أهمية تشير إليه بحوث العلماء والباحثين.

الصيام والشيخوخة في معامل الباحثين

حول دور الصيام في إطالة مرحلة الشباب، قام عالم الأحياء (البيولوجي) «كليف ماكاي» في جامعة كورنيل الأمريكية بتجارب مثيرة على فئران التجارب. ففي معمله مجموعتان من الفئران، إحداهما فئران «مرفهة مدللة» تنال من الطعام الدسم الشهي أطيبه وأوفره حتى سمنت وترهلت، ويراها الناظر وقد ثقلت حركتها وصار الكسل والخمول ديدنها. هذا بينما كانت فئران المجموعة الثانية تخضع لبرنامج غذائي محدد، يعتمد الصوم لساعات طويلة أسلوبًا أساسيًا في الحياة. ولكنها - والحق يقال - تبدو في كامل صحتها، فهي أكثر نشاطًا وأوفر حيوية عن أخواتها المرفهات. على أن المدهش أن الفئران الصائمة ظلت محتفضة بشبابها مدة تجاوزت 1460 يومًا، بينما زحفت أعراض الشيخوخة على الفئران الأكولة بعد مدة لم تتجاوز 960 يومًا. تجربة رشيقة ولاشك تَعدُ بالكثير. وفي هذا السياق، يذكر أن باحثَيْن آخرين أثبتا أن متوسط أعمار الفئران الصائمة يزيد دائمًا بنسبة تتراوح ما بين 25 - 100٪ على أعمار الفئران العادية.

تجارب أخرى أجريت على أسماك الأرجنتين التي تعيش سنة واحدة، أبانت إمكانية زيادة أعمارها إلى ثلاث سنوات، بفضل تحديد كمية طعامها وإخضاعها لنظام تصويمي خاص، مع خفض درجة حرارة الماء تسع درجات مئوية.

وعلى أحد أنواع الديدان أجرى باحثون تجارب مماثلة، إذ عمدوا إلى تقسيمها في مجموعتين: إحداهما توافر لديها الطعام بشكل دائم، بينما جرى تصويم المجموعة الثانية أيامًا حتى تقلصت أجسامها، وعندئذ أعطيت طعامًا حتى استردت حجمها الطبيعي، ثم منع عنها الطعام أيامًا متتالية حتى تقلصت أجسامها وانكمشت. ولكن ما إن غذيت حتى استردت حجمها المألوف، ثم صُوِّمت مرة ثالثة، ورابعة، وعاشرة. وفي كل مرة تفيض بالشباب والحيوية، ولم تبد عليها مظاهر الشيخوخة وأوجاعها. هذا بينما كانت ديدان المجموعة الأولى المرفهة قد ماتت - منذ زمن - وتحللت.

وطبقًا لتجارب أخرى أجراها العالم الأحيائي (البيولوجي) «ولفرد» على حيوانات التجارب، فإن

إنقـاص السعـرات الحرارية في الغذاء المقـدم للحيوانـات بنسبـة 30 ـ 40٪، يؤدي إلى تأخير واضح لمظاهر الشيـخوخة، كمـا يزيـد متـوسط أعـمارهـا بنسبـة تصل إلى 40٪. وفي جـامعـة تكسـاس، وبالتـحديد في المركـز الصـحي التـابع للجامعـة في سانت أنطـونيو، أجـرى البروفيسـور «إدوارد مـاسورو» تجـارب مماثلة، أشـارت بوضـوح إلى أن إقلال الطعام مع إنقـاص السعرات الحرارية، يؤخـر شيـخـوخة حـيوانات الـتجـارب ويطيل في أعـمارها. وعـملية تأجيل الشيـخوخـة هذه عبـر الصوم أكدتها باحثـة أخرى، هي «سوزان سبجلر» التي سجلت أن فـئران المعمل التي يجري إطعـامها على وجبات محدودة البروتين، ثم يتم تصويمها في اليوم التالي، تعيش بصحة جيدة أطول 50٪ موازنة بأقرانها ذات التغذية العادية.

حقائق عن الشيخوخة وأحوالها

لقد اعتدنا النظر إلى حـياة الإنسان ـ بوجه عام ـ بوصـفهـا رحلـة من ثلاث مـراحل متـتابعـة هي: النمو والنـضج والشيخـوخة. وبطبيعة الحـال، فإن مرحلة النضج تمثل حالة التـعادل بين البناء والهدم، بينمـا تكون السيـادة لقـوى البناء في مرحلة النمـو ولقوى الهـدم في مرحلة الشيـخـوخة. والواقع، أنه يتعذر علينا رسم حدٍّ زمنيّ فاصل بين هذه المراحل، فـعلى الرغم مما يقـوله الكثيـــرون من أن سن الشيـخوخـة يبدأ عادة في سن الستين أو الخامسـة والستين، فإن حقائق العلم ربما تقول غير ذلك. وها هي ذي وجهـة النظر العلمية الأصيلة: إن أجسـامنا لا تصل إلى الشيـخوخة فـجأة، ولكن عبـر سلسلة من عـمليات الـتحلل والانكمـاش والضـعف التي تصيب أعـضـاء الجـسم وخلايـاه بلا ألم وبشكل خفيٍّ وتدريجي ومستمر منذ لحظة الولادة. وهكذا فـإنه يمكن وصف حيـاتنا منذ الولادة بأنهـا عمليـة استهـلاك مطرد، ونحن لا نواجه تلك المرحلة التي توصف عـادة بأنهـا سـن الشـيـخـوخـة إلا عندمـا تشرف عملية الاستهلاك البطيئة هذه على نهايتها، حيـث يتـآكل الاحـتيـاطـي أو الرصيـد الوظيـفي لأعضاء الجـسم الحيوية. ولعل مما يعلمـه الكثيرون، أن أجسـامنا تحتـفظ برصيـد وظيفي من أربعـة إلى عشـرة أضعاف ما تستلزمه في وضع الاسترخاء.

فالقلب ـ على سبيل المثـال ـ يمكنه في حالة المجهود العنيف زيادة كمية الدم المندفع ستة أضعاف، كما تستطيع الكُلى طرح النفايات حتى لو لم يتبق منها إلا مـا يوازي السـدس، ويمكن لنصف رئة واحـدة تجـديد الهواء، كـمـا تظل عـجلة الحيـاة دائرة بربع كبد.

وبديهي أنه يحدث مع تقـدم العمر، تآكل في حجم هذا الرصيد الاحتيـاطي، مما يؤثر بالتبعية في قيام الجسم بعمليـة التنظيم الداخلي، ولاسيما عند حدوث أي خلل في إحدى وظائفـه الحيوية؛ وهذا ما يعبِّر عنه الجسم في صورة عـلامات الشيخوخة المعروفـة لدى الجميع من مثل: جفـاف الجلد وقلة مرونتـه، وطول مدة التئام الجـروح، وليونة العظام، وانقطاع الطـمث عند النسـاء، وانعـدام قـدرتهن على الإنجـاب، كـمـا تقل في هـذه المرحلة مناعـة الجسم، وتضـعف قدرة الحواس كـالسمع والنظر، ناهيك عن كـثـرة التـعـرض لما يـعرف بأمـراض الشيخوخة، كـالتهـاب المفـاصل وتعتيـم عدسـة العين، وازدياد أزمـات القلـب وتصلب الشـرايين، وغيـر ذلـك من مظاهر الضـعـف والكلال. وهي الحـال التي عبَّـر عن أشجـانها «أبو العتـاهيـة» أبلغ تعبير في شعر رقراق يقول فيه:

بكيت على الشباب بدمع عيني
فلم يُغنِ البكاء ولا النحيبُ
ألا ليتَ الشبابَ يعودُ يومًا
فأخبرَه بما صنع المشيبُ

ولكن هيـهات، هيـهـات أن يعود، فـمن بلغ مـرحلة الضـعف والشيـخـوخـة، لا حـيلة له في النكوص عنهـا أو الارتداد منها، فليس هناك من وصفة أو عقَّار كائنًا ما كان يمكن أن يعيد الشباب الراحل.

تلك هي الحقـيقـة، ولكن القضيـة التي يدافع عنهـا العلم الآن هـي: أنه إذا كـانت هناك عـوامل تزيد من سرعة عـمليات التدرج نحو الشيـخـوخة، فإنه يغدو ممكنًا استنبـاط طريقة لعرقلة هذا التطور. وبتعبير آخر: إن الاحتـفاظ بحيوية الشباب لأطول مـدة ممكنة، لا إعـادته هو الهـدف المقبـول الذي يمكن الوصـول إليـه، ولاسيـمـا أن ذلك يسيـر مع منطق الحياة وقـوانينها التي لم تضن بهذه الظاهرة، فكثـيرًا ما نلـحظ وجود مسـنين يتمـتعون بنـضارة الشبـاب وحيـويته وكـأنهم قـد اكتشـفوا سـر القوّة التي لا تبلى والنشـاط الدائم، وعلى النقـيض منهم كثيـرًا ما نرى أشخاصًـا منحنية ظهورهم، متـغضنة جبـاههم، يـبـدون متـهـدمين، مع أنهم مـازالوا في ذروة السن الـنشـيطة. وهي الـظاهرة التي تُظهـر بجـلاء، أنَّ لكلٍ منا عُمْرَيْن: عمـرًا عدديًا، وآخر طبيـعيًا (فسيولوجيًا)، وإذا اتفقنا عـلى أنه لا حيلة للمرء تجاه تقدم عمره العددي، فإنه لا مانع مطلقًا ـ من وجـهة النظر الـعلميـة ـ من مـحاولة إيقـاف أو إبطاء تقدم عمره الطبيعي (الفسيولوجي)، بانتهاج سبل عديدة يأتي الصيـام في مـقدمـتهـا. وهذا مما يقتضي منا وقفة تأمل ونظر.

الصيام في مواجهة شيخوخة الخلايا

إن الإنسان يبدأ كيانه بخليـة وحيدة ملقحة ما تزال تنقسم حتى يتشكل من نتـاجها جنين، يخرج بعد حين ولـيدًا ينمو مع الأيام ويكـبر. ويدل اطّراد النمو على استمرار قدرة الخـلايا على تجديد شبابها عبر عملية الانقسام. ولقد قدر العلماء ما في جسم الإنسان البالغ من خلايا فبلغ نحو 60 بليون خلية، ورصـدوا عـدد خـلاياه التي تموت في كل ثانيـة، بنحو 50 مليونًا، يُـولَد مكانها من طريق الانقسام الخلوي خمسون مليونًا أخرى في الثانية نفسها.

ذلكم هو الميـزان الحيـوي الذي يعطي نضـارة الحيـاة على وجـوه الكثيـرين ممـن هم في مـرحلة الشباب. ولكن لابد للميـزان يومًا أن يختل، حينما يتـدنى معـدل انقسـام الخلايا، ويزحف الخـريف ـ عندئذ ـ على الأجسام.

فالحقيقة أن أجسامنا تهرم وتشيخ، لأن الخلايا الحيّة مـوقوتة بعدد من الانقسامات مـحدد. وكأنما الخلايا تحمل ساعة (بيولوجية) مدهشة، ما إن تفرغ شـحنتهـا (زنبـركهـا) حـتى تتوقـف دقاتهـا، أعني يتوقف انقسامها الحيوي.

وطبيعي أن تَوَقُّف الخليـة عن الانقسـام يؤدي إلى نقص في الـعـدد النهـائي للخـلايا، وبذلك لا يبدل ما يهرم منها ويشيخ.

تلك ـ بإيجـاز ـ خلاصـة النظرية التي أعلنهـا ـ منذ بداية الستـينيات ـ العالمان: «لـيونارد هايفليك» و«لول مـورهيد». ولـقد دلت عـشـرات التجـارب

العلمية التي أجرياها، على أن الخلية الأولى الملقحة لديها القدرة على الانقسام هي وذريتها قرابة 50 مرة، زائدًا أو ناقصًا عشرة، تتوقف بعدها مؤذنة بالدخول في نفق الضعف والتدهور والأفول.

إذن فعوامل الضعف والتدهور والشيخوخة، أو عوامل القوة والحيوية والشباب، موقوتة بعدد محدد من الانقسامات الخلوية، وهاهنا تكمن قوة الصيام وبركته، فقد تأكد الباحثون - من خلال نتائج دراساتهم الكثيرة - من قدرة الصيام على تقليل مرات انقسام الخلايا، بمعنى أنه يوفر في «رصيد» الانقسام، مؤجلاً بذلك شيخوختها وموتها. وتفسير ذلك: أنه يحدث، نتيجةً للصوم، تأثير في مراكز مهمة بالمخ، مما يحفز إلى إنتاج بعض الهرمونات التي تبطئ عملية الانقسام الخلوي، وبخاصة هرمون الشباب المسمى: Dehydro epiandro sterone (DHEA) وهو الهرمون الذي كُشف عن وجوده بتركيز مرتفع في أجسام الشباب، بينما لا تتجاوز نسبته في أجسام الشيوخ الطاعنين (فيما فوق السبعين): 5٪ فقط موازنة بمستوى وجوده في أجسام الشباب.

الصيام.. هل يوقف «تراكم الإهانات»؟

ذكرنا أنّ في نواة كل خلية ما يمكن تسميته بالساعة الخلوية Cell Clock، وهي تبدأ في العمل مع بدء حياة الخلية، وتحدد هذه الساعة معدلات انقسام الخلية وعدد مرات انقسامها طبقًا لبرنامج محدد، إذا انتهى زحفت علامات الشيخوخة على الأجسام. تلكم هي القاعدة الأساسية، ولكن واقع الحياة يقدم لنا عددًا من الاستثناءات، إذ يلاحظ باحثو طب الشيخوخة، أن الكثيرين لا يصلون عادة إلى الشيخوخة بسبب انتهاء برنامج الانقسام الموضوع، ولكن قبل هذا بسنوات. وما ذلك إلا بسبب تدخل عوامل أخرى خارجية، وفي مقدمتها بعض النواتج المؤذية لعملية التمثيل الغذائي للطعام، مما يعجل بتلف الخلايا وشيخوختها قبل انتهاء عمرها الحيوي (البيولوجي). وبصيغة أخرى، فإن في مقدور أنسجة الجسم وخلاياه، البقاء سنوات طويلة، قوية صحيحة وشابة، لولا تدخل مثل هذه العوامل المؤذية وتراكمها في الأجسام. وخير دليل على صحة هذه النظرية، هو ما يلاحظ من استمرار بقاء الأنسجة الحية المنقولة من شخص حديث الوفاة إلى شخص آخر مريض. فطعامنا إذن هو سبب رئيسي من أسباب شيخوختنا، تمامًا مثلما يقول خبراء التغذية: "فإن الطعام ليس كله خيرًا، بل تكمن فيه عوامل مرضنا وصحتنا وضعفنا وقوتنا وتجدد خلايانا وشيخوختها. فبجانب الأثر الطيب للطعام، وهو المساعدة على النمو واستمرار عمليات الحياة، فإن الإفراط في تعاطيه يزيد العوامل الضارة على العوامل النافعة، مما يسرّع سيل التفاعلات الكيماوية الوثيقة الصلة بالشيخوخة. ومما يستطاب ذكره، أنه يصحب عملية التمثيل الغذائي إنتاج مركبات ضارة أو سامة، يمكن لخلايا الأجسام النشطة الشابة كسحها والتخلص من آثارها سريعًا بكفاءة واقتدار. ولكن، مع تقدم العمر، تعجز هذه الخلايا عن أداء مهمتها، فيحدث من وراء ذلك ضرر عظيم.

وهذه هي الآلية التي يسميها العلماء «آلية تراكم الإهانات» أو «تراكم التأثيرات»، والتي تقول: إن النظام الخلوي الطبيعي ينتج نفايات بسرعة قد تفوق طاقة الخلايا على الإزالة العاجلة، مما يؤدي - مع تطاول الأيام - إلى تراكم المزيد من النفايات، إلى الحد الذي يؤثر في نظام تغذية الخلايا، فتصاب عندئذ بالوهن والخمول والاضطراب. وهكذا، فإذا كانت تلك هي «آلية الشيخوخة» المقترحة في بعض الحالات، فإن إيجاد وسيلة تكفل إبطاء عملية توليد النفايات، أو مساعدة الجسم على إزالتها أولاً بأول، يصبح هو الأساس، لمواجهة زحف الشيخوخة على الأجسام. ومرة أخرى نكتشف أن الصوم هو أقوى الوسائل وأجداها في المواجهة. ففي رأي باحثي طب الشيخوخة، أن النظرية القائلة بأن الصوم هو الأسلوب الأمثل لتخليص الجسم من النفايات والسموم المتراكمة، هي نظرية مجدية تمامًا ونافعة من الوجوه كافة. وها هو ذا الدكتور «ماك فادون» الطبيب الأمريكي الشهير يذكر، أن كل إنسان يحتاج إلى الصيام، لأن السموم الناتجة من تمثيل طعامه تجتمع في جسمه فتجعله كالمريض وتثقله وتُحدّ من نشاطه، فإذا صام خف وزنه وتحللت السموم وذهبت عنه حتى يصفو صفاءً تامًا.

الصيام الصحيح يصبح فرصة طيبة لغدد الجسم لتستريح من عبء الإسراف الذي تواجهه طوال العام، ولتستعيد نشاطها وتوازنها الوظيفي بعد الضعف والاضطراب

وهكذا، فبالصوم يحدث ما يسميه الدكتور «جان فرموزان» غسل الأحشاء والأعضاء الحيوية من الفضلات السمية المتراكمة. وماذا تلاحظ في بداية صومك؟ ألا تلاحظ العرق الصبيب يخرج من جسمك.. ألا تلاحظ لون لسانك ورائحة فمك وتلك المادة المخاطية التي تفرز فيه زمنًا. إنها كلها دلائل تشير إلى عملية الغسيل الحيوي، ثم بعدها تشعر بانتعاش وخفة لا عهد لك بها. وإننا لنقرأ دراسات لباحثَين في جامعة شيكاغو، هما: «كارلستون» و«كوند»، تشير إلى أن الصيام مدة أسبوعين كفيل بتخليص الجسم من مخزون الفضلات الضارة والسموم المتراكمة، كما يعيد الحيوية والشباب لعمليات الجسم الحيوية، بحيث تبدو لشخص في عمر الأربعين مماثلة لشاب لم يتعد العشرين.

الشقوق الحرة وصحة الصائمين

لقد تراكمت في السنوات الأخيرة نظريات كثيرة حول الشيخوخة ودواعيها، منها نظرية خرجت - مؤخرًا - تقول بأن الشيخوخة هي في جوهرها مشكلة على المستوى الجزيئي الكيماوي، وأن الشقوق الحرة Free radicals هي ركن مهم في المشكلة. والشقوق الحرة هذه هي كل جزيء أو ذرة فقدت إليكترونًا واحدًا من إليكتروناتها، بحيث تصير من ذوات العدد الفردي من الإليكترونات، مما يجعلها غير ثابتة إلى درجة هائلة. وفي هذا ضرر على خلايا الجسم، وأي ضرر.

فالحقيقة التي نريد أن نعيها، أننا مع كل نَفَس

يرى باحثو طب الشيخوخة أن النظرية القائلة بأن الصوم هو الأسلوب الأمثل لتخليص الجسم من النفايات والسموم المتراكمة، هي نظرية مجدية تماماً ونافعة من كل الوجوه

نستنشقه نعطي الفرصة لجزيئات الأكسجين الداخلة إلى الجسم، لتقوم بعملية أكسدة لجزيئات الدهون الداخلة في تركيب غشاء الخلية، وإذ يفعل الأكسجين ذلك، فإنه يحول الجزيء الذي اختطف منه الأليكترون إلى «شق حر» قلق كيماويًا، تعتريه رغبة جامحة في الارتباط بأحد الأليكترونات من مركب آخر مجاور، مُفَجِّرًا بذلك سلسلة من التفاعلات الضارة المتسلسلة. ويكفي أن تعلم أن هذه الشقوق العدوانية متهمة الآن بالتسبب فيما لا يقل عن ستين مرضًا بما في ذلك السرطان وضغط الدم المرتفع وأمراض القلب بأنواعها وتصلب الشرايين وإصابة العين بالمياه البيضاء (الكتاركتا) وغيرها.

ولكن لا بد هنا من الإشارة إلى أن أجسامنا - بفضل ما لديها من خطط مناعية وأساليب استراتيجية للسيطرة - لا تألو جهدًا في مواجهة الشقوق المشاغبة والحد من أذى عمليات التأكسد الحادثة. على أن الباحثين أثبتوا - منذ وقت قريب - أن ثمة عوامل عديدة منها: التقدم في السن، والتدخين، والتعرض للإشعاع وغيرها، تتسبب في زيادة الأثر الضار للشقوق الحرة المتكونة. وفي الوقت نفسه، تحقق الباحثون من وجود علاقة طردية بين مستوى الشقوق الحرة المتكونة، ومظاهر الشيخوخة البادية على الأجسام. ويعتقد الأحيائيون (البيولوجيون) أن للشقوق الحرة دورًا لا يستهان به في تقدم عمر الخلايا، كما يرون أن الآثار التراكمية لعمليات التخريب التي تقوم بها الشقوق الحرة تعد مسؤولة بشكل واسع عن التلف الذي يصاحب مرحلة الشيخوخة.

والآن يتعين علينا أن نتساءل عن الوسيلة الفاعلة لكبح جماح الشقوق الحرة المشاغبة وتخليص الجسم من شرورها؟ لقد تبين للباحثين أن تناول مزيد من مضادات الأكسدة الطبيعية وبخاصة فيتامينات: ج، هـ، أ، يكفل معادلة التأثير السام للشقوق الحرة وجعلها أكثر ثباتًا إلى حد كبير، كما كشفوا النقاب أيضًا عن طبيعة الدور الذي يقوم به الصيام، من خلال قدرته على خفض تركيز الشقوق الحرة المتكونة، ومن ثم زيادة متوسط عمر الخلايا وتأخير شيخوختها.

الصيام غذاء الغدد الصماء الأمثل

كثيرًا ما يتساءل المرء: لماذا يظهر بعض الأشخاص من رجال ونساء شيوخًا متهدمين وهم في سن الأربعين، بينما يبدو آخرون شبابًا وهم في سن الستين؟ بعد درس عميق لأسباب الشيخوخة المبكرة ودواعيها، خرج علينا بعض الباحثين برأي مفاده: أن السرعة التي تذهب بشبابنا ترتبط إلى حد كبير بحالة غددنا الصماء. وعندهم أن الغدد، وإن كانت لا تحدد الشيخوخة نفسها، فهي تحدد شكل ظهورها وساعته، فإذا تلفت الغدد فإن الهرم يتقدم بخطى خفيفة ويهاجمنا بغير استحياء. ويضيف الباحثون، أن الإفراط في تناول الطعام هو مما يعجل بإصابة غددنا بإجهاد وظيفي يفضي إلى نقصان فاحش في إفرازاتها الحيوية، مما يؤثر سلبيًا في سائر أعضاء الجسم. فعلى سبيل المثال، يؤدي الإفراط في تناول الأطعمة السكرية والنشوية إلى إفراط مقابل في إفراز هرمون الأنسولين من خلايا بيتا في المُعَتْكلة (غدة البنكرياس). وفي حال استمرار هذا الوضع، مدة من الوقت تصاب الخلايا (البنكرياسية) بإرهاق شديد يعجزها عن مواجهة المطلوب منها لتمثيل السكر، فيصاب المرء عندئذ بمرض البول السكري.

ولكن المهم، أن حالة العجز والإخفاق تلك، لا تقتصر على غدة (البنكرياس)، بل يمتد أثرها أيضًا إلى غدد أخرى مثل الغدة الكظرية (فوق الكلية)، والغدة الدرقية، والغدد الجنسية ذكرية كانت أم أنثوية.

وقصارى القول، فإنه يحدث نتيجة لكل هذه الإخفاقات، انكماش وظيفيّ للغدد، مع تغيرات كيماوية ووظيفية في أدائها، مما يؤدي إلى حدوث تغيرات عضوية تلم بسائر الأعضاء. فإذا كان الأمر كذلك، فما هي يا ترى المساعدة التي يمكن أن يقدمها صيام رمضان كي تستعيد غددنا حيويتها ونشاطها؟

إن صيامًا صحيحًا لم يَفْسَد بالأكل الكثير بعد الإفطار، يصبح فرصة طيبة لغدد الجسم، لتستريح من عبء الإسراف الذي تواجهه يوميًا طوال شهور العام، ولتستعيد كذلك نشاطها وتوازنها الوظيفي من بعد ضعف واضطراب، ومن ثم تكون قادرة على مواجهة ضغوط الحياة من دون تقهقر أو إخفاق.

والآن ربما يبدو لبعض الناس، أن كل شيء عن أسرار الصوم وتحصيناته في مواجهة زحف الشيخوخة، أصبح واضحًا ومفهومًا تمامًا، ولكن الحقيقة غير ذلك، فلا يزال رجال العلم متلهفين على اكتشاف المزيد من أسراره، ويبدو أن كل سر جديد ليس إلا خطوة صغيرة على درب طويل بغير نهاية.

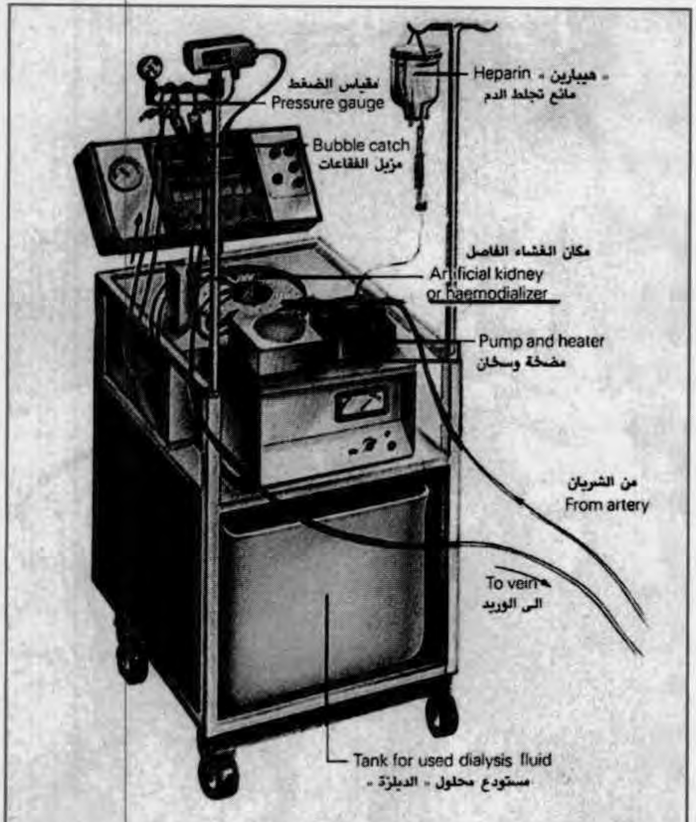
مراجع للاستزادة:

1- أبو الشوك، م: الشيخوخة، العربي، العدد 158، الكويت، يناير 1972م.
2- الحوطي، و: الشيخوخة: لماذا تأتي مبكرة؟ العربي، العدد 374، الكويت، يناير 1990م.
3- الخطيب، م: من دلائل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية، مؤسسة الخليج العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1994م.
4- السكري، م: الشيخوخة (وداعًا للشيخوخة)، كتاب الهلال الطبي، دار الهلال، القاهرة، 1988م.
5- الصياد، أ: الشيخوخة المبكرة وأمراض العصر، العربي، العدد 300، الكويت، نوفمبر 1983م.
6- الفنجري، أ: الطب الوقائي في الإسلام، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1985م.
7- حسن، ع: دعوة إلى الحياة، مؤسسة المطبوعات الحديثة، القاهرة (دون تاريخ).
8- داراك، ب وكريستين، أ: لا شيخوخة بعد اليوم، ترجمة غصون عمار، الثقافة العالمية، العدد 58، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، مايو 1993م.
9- صالح، ع: «وأن تصوموا خير لكم»، العلم، العدد 19، أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا، القاهرة، سبتمبر 1977م.
10- صالح، ع: وهم اسمه إكسير الشباب، العربي، العدد 234، الكويت، مايو 1978م.
11- صفوت، أ: بدأ عصر الشيوخ، طبيبك الخاص، دار الهلال، القاهرة، أغسطس 1984م.
12- عزيز، س: التخلص من الشيخوخة: وهم أم معجزة؟ العربي، العدد 362، الكويت، يناير 1989م.
13- كوت، أ: دراسة حول الصوم الطبي، ترجمة فاروق آقبيق، ومحمد الحمصي، مؤسسة الإيمان، بيروت، 1982م.
14- نورالدين، ع: أطال الله عمرك، طبيبك الخاص، العدد 218، دار الهلال، القاهرة، فبراير 1987م.
15- هاشم، م: رمضان والطب، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1982م.
16- هاوزر، ج: الغذاء يصنع المعجزات، ترجمة أحمد قدامة، الطبعة الثالثة، دار النفائس، بيروت، 1977م.

مريض الكلى في شهر الصيام

د. حسان شمسي باشا

لكل مخلوق كُليتان، ومع أن حجم الكُلية لا يزيد على قبضة اليد، فإن لها وظائف عديدة. إذ تقوم الكليتان بتنظيم المياه والأملاح الموجودة داخل الجسم، كما تفرز مادة تدعى الأرثرو بيوتين التي تحث نقي العظام على تشكيل كريات الدم الحمراء. وتحتوي كل كلية على 1,3 مليون نفرون، والنفرون هو الوحدة الأساسية لوظائف الكلى من ترشيح وامتصاص وإفراز وإخراج. ويصل طول النفرونات في الكلية الواحدة إلى 60 كيلو متراً.



اهم اجراء جهاز الكلية الصناعى

وقد جعل الله تعالى في الكليتين قدرة تستطيع بها تركيز البول لعشرة أضعاف أو أكثر. وللمحافظة على حجم السوائل في الجسم تحافظ الكليتان على كل قطرة من الماء، ولا تطرح إلا ما تضطر إليه في البول.

وفي الأحوال الطبيعية يكون مقدار البول بين 800 مل إلى 2500 مل خلال الـ 24 ساعة. وتستطيع الكلى تحت ظروف خاصة أن تركز البول حتى يصبح مقداره 800 مل لتطرح البولة الدموية وحمض البول، وبقية الأملاح التي يريد الجسم التخلص منها.

وإذا كانت الكليتان سليمتين، فالصوم للكلية راحة وعافية، إذ تستريح من عناء التخلص من فضلات الطعام. فالبروتينات مثلاً تتحول في الكليتين إلى مادة البولة الدموية urea، وهي مادة سُمِّية للجسم، إذا ما تراكمت فيه.

ولكن عندما تصبح الكلى مريضة، ولا تستطيع القيام بالكفاءة المطلوبة لتركيز البول حجم 800 مل مثلاً، يزداد حجم البول لكي تتمكن الكلى من التخلص من تلك المواد. وهنا يحتاج المريض إلى تناول الماء بكمية كافية لتعويض ما تطرحه الكلى في حالة الفشل الكلوي.

ومن هنا قد يصبح الصيام عبئاً على المريض المصاب بالفشل الكلوي، ولاسيما في المناطق الحارة، مما قد يؤدي إلى ارتفاع نسبة البولة الدموية والكرياتنين في الدم. وينبغي على أي مريض مصاب بمرض كلوي استشارة طبيبه قبل البدء بالصوم.

فالمصابون بتخرُّب في لُبِّ الكلية، لا تستطيع الكلية عندهم تركيز البول. ومعنى هذا أن الكليتين ستطرحان المزيد من السوائل. وإذا لم يشرب المريض المصاب بمرض كلوي كمية كافية من الماء فقد يصاب بالفشل الكلوي.

هل يستطيع المصابون بالفشل الكلوي الصيام؟

يقول الدكتور أحمد متولي الأستاذ المساعد في جامعة الملك سعود: إذا كان المصاب بالفشل الكلوي يحتاج إلى غسيل الكلى، فيُنصح بعدم الصوم في اليوم الذي يأتي فيه لإجراء الغسيل الكلوي، حيث يُعطى المريض سوائل

مختلفة، كما قد يُعطى الأدوية الأخرى الأمر الذي يتعارض مع الصوم.

كما يُنصح المرضى الذين يجرى لهم الرحض البريتواني Peritoreal dialysis بعدم الصوم في الأيام التي يتلقون فيها هذا الرحض.

وقد نشرت مجلة Annals of Saudi Medecine عام 1988م دراسة أُجريت في المستشفى العسكري بالرياض على مرضى الفشل الكلوي الذين يُعالَجون بالكلية الاصطناعية (الغسيل الكلوي). وقد نصح الباحثون أولئك المرضى بالصيام في الأيام التي لا يجري فيها الغسيل الكلوي، والامتناع عن الصوم في أيام الغسيل الكلوي.

> المرضى المصابون بحصيات الكلى تزداد لديهم نوبات المغص الكلوي في أثناء الصيام

وينبغي في كل الأحوال استشارة الطبيب الإخصائي المسلم.

التهاب المجاري البولية

التهاب المجاري البولية شائع بشكل خاص عند النساء، وخاصة من هُنَّ في سن الإنجاب، والحوامل أو المتزوجات حديثًا، أو بعد الولادة، وهو شائع أيضًا عند المسنين والأطفال.

وقد ينجم هذا الالتهاب عن وجود حصيات كلوية أو عيب خلقي في الجهاز البولي، أو اضطراب في النخاع الشوكي، أو رضّ للمنطقة التناسلية. وفي حالات أخرى كثيرة لا نعرف سبب تكررها.

ويحتاج مرضى التهاب المجاري البولية إلى تناول كمية من السوائل تكفي لتخفيف أعراض الحرقة التي يعانون منها، إضافة إلى استخدام المضادات الحيوية لعلاج الالتهاب.

ويعود تقويم الحالة إلى الطبيب المختص، كما يمكن استخدام المضادات الحيوية الحديثة ذات التأثير المديد، حيث يُعطى المريض جرعة واحدة، أو اثنتين في اليوم لمساعدة المريض على الصيام، إن كان ذلك لا يضره.

الحصيات الكلوية

الحصيات الكلوية هي تجمعات من أملاح معدنية، ومركبات كيماوية أخرى.

وليس من المعروف حتى الآن سبب تشكل الحصيات الكلوية عند بعض الناس وعدم تشكلها عند آخرين، ولكن من المعروف أن هناك استعدادًا عائليًا لتشكل الحصيات.

ويزداد حدوث الحصيات الكلوية في المناطق الحارة، بسبب عدم تناول كميات كافية من السوائل تعوّض ما فقده الجسم من الماء أثناء التعرق.

هل يزداد حدوث الحصيات الكلوية في شهر رمضان؟

إذا لم يكن لدى المرء حصيات كلوية من قبل فلا داعي للقلق في شهر رمضان.

أما الذين لديهم حصيات أو تكرر عندهم حدوث حصيات كلوية، فيمكن أن تزداد حالتهم سوءًا بالتجفاف إذا لم يشرب المريض السوائل بكميات كافية.

ويُستحسن في مرضى الحصيات بالذات الامتناع عن الصيام في الأيام الشديدة الحرارة، حيث تقل كمية البول بدرجة ملحوظة، مما قد يساعد على زيادة حجم الحصيات، وتشكيل حصيات جديدة.

وقد لوحظ ازدياد نوبات المغص الكلوي في شهر رمضان عند بعض المصابين بحصيات الكلى. ولعل ذلك عائد إلى زيادة تركيز البول بالتعرض للحر الشديد مع عدم تناول كمية كافية من السوائل، إضافة إلى تناول كمية زائدة من المواد الغذائية التي تزيد من الأملاح البولية.

ومع ذلك هناك العديد من مرضى الحصيات الكلوية الذين لا يشعرون بأية مضاعفات في أثناء الصيام.

وعمومًا يُنصح مرضى الحصيات الكلوية بتناول كميات كافية من السوائل في المساء وعند السحور، مع تجنب التعرض للحر والمجهود في أثناء النهار. كما يُنصح هؤلاء بالإقلال من تناول اللحوم، والمواد الغذائية التي تحتوي على نسبة عالية من الأوكسالات؛ كالسبانخ والسلق والمكسرات وغيرها.

هل يؤثر الصيام في حمض البول uric acid؟

قام فريق من الأطباء في جامعة الخرطوم بدراسة طلاب مسلمين تتراوح سنهم بين العشرين والثانية والعشرين من العمر. وقد درسوا خلال هذا البحث التغيرات الكيماوية التي حدثت في بعض فحوص الدم خلال شهر رمضان.

وقد أظهرت الدراسة التي نُشرت في المجلة البريطانية للتغذية، أن حمض البول قد انخفض خلال الأسبوعين الأولين من الصيام، إلا أنه ازداد زيادة طفيفة جدًا في الأسبوعين الأخيرين. وعلى الرغم من هذه الزيادة البسيطة إلا أنها لم ترافقها أية أعراض. كما لم تحدث أية حالة من حالات النقرس عند الصائمين.

ويُنصح المصابون بارتفاع طفيف في حمض البول بتعويض ما فاتهم في أثناء الصيام من الشراب بعد الإفطار مباشرة، بالإكثار من السوائل في فترة الإفطار، وخاصة عند السحور.

وينبغي التنبيه على أن الإكثار من اللحوم في شهر رمضان يرفع نسبة حمض البول وهو من الأملاح التي قد تسبب تشكيل بعض الحصيات في الكلى.

> الصيام قد يصبح عبئًا على المريض المصاب بالفشل الكلوي، ولاسيما في المناطق الحارة

ورضي الله عن عمر بن الخطاب إذ يقول: «لا تكثروا من اللحم فإن له ضراوة كضراوة الخمر».

وعلى مريض الكلى استشارة طبيبه الإخصائي المسلم، فهو الذي يعطيه النصيحة المثلى والإرشاد السليم.



الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

التعبير الفني

الأصل في هذه المادة التجاوز من شيء إلى شيء، وإنما الخلاف في وجه اشتقاق التعبير بالكلام، فعند ابن فارس أن الوجه النفوذ بالكلام كما ينفذ من يعبر النهر، ولهذا جعل أصل المادة النفوذ والمضي في الشيء.

وعند الراغب أن الوجه عبور الهواء من لسان المتكلم إلى سمع السامع.

ولاحظ الجرجاني العبور من اللفظ إلى المعنى.

قال أبو عبدالرحمن: ليس الأصل مجرد النفوذ والمضي، بل يُراعى الوسائط في المضي والنفوذ والانتقال من شيء إلى شيء.

والتعبير من فعل رباعي فيكون معناه مشتقًا من معنى الفعل الثلاثي؛ لأن الأقل حروفًا هو أصل الاستعمال، ولأن زيادة المبنى من أجل زيادة المعنى.

وقد تَوَسَّع الاستعمال لِعَبَرَ الثلاثي مجازًا، فأُطلق على مجرد النفوذ والمضي والوصول.

والتعبير بالكلام إظهار لما في النفس والعقل من معان (أفكارًا، وأخيلة، وأماني، وآمالاً ولذائذ، وآلامًا، وشتى المشاعر والتصورات)، فهو إظهار لكل ذلك يحصل من المواضعة والتعارف على دلالات الكلام.. والتعبير عن المراد يحتاج إلى تعمُّل وجهد في اختيار الكلام الأدل الأجمل، فاحتيج إلى صيغة التفعيل من الرباعي إضافة إلى دلالة التعدية، لأنه جعل معانيه أو معاني غيره - إذا عَبَّرَ عن غيره - تَعْبُرُ (مضارع عَبَرَ الثلاثي) من كلامه.. إذ هو الذي جعل المعاني تعبر، ولهذا جاءت صيغة عبَّر المضعف.

ومن التوسع بعبر لمجرد النفوذ إطلاق العَبْرة بمعنى الدمعة؛ لأنها تنفذ وتمضي.

والتعبير ضيِّقُ الدلالة في الإصطلاح الأدبي، لأنه مُقَيَّدٌ بتجسيد المشاعر والانفعالات والتصورات والتخيلات بقيم جمالية، والتعبير المباشر تعبير لغوي وليس تعبيرًا أدبيًا.. وبقدر سموق القيم الجمالية يكون تحديد التعبير الأدبي بقوة التعبير.

والتعبير الأدبي يتميز من التعبير العادي بأنه مصبوغ بموهبة الأديب في التعبير عن الواقع الخارجي بلغة جمالية من إحساسه وخياله ورصيد تجربته.. وبأنه مصبوغ بمشاعر الأديب مع ما مضى من عناصر جمالية إذا عَبَّرَ عن الأشياء من خلال انفعالاته.

والتعبير الجمالي - بقسميه الواقعي والذاتي المذكورين آنفًا - يتنوع بتنوع المذاهب الأدبية والجمالية، فهناك التعبيرية، والتعبيرية المجردة، والتعبير الرمزي.

قال الأستاذ مجاهد: «التعبير تجسيد المشاعر والانفعالات في عمل خارجي، هو نقل الانطباعات وإبرازها في العمل الفني لجعل ما هو محسوس لغة أصلية تحمل طابع الطراز أو الأسلوب»(1).

وفي تعريف الدكتور جميل صليبا كُليمات جرت على المتعارف عليه المألوف الصحيح وهو قابلية الفن للتعبير خلافًا لسارتر.. قال: «ويُطلق التعبير أيضًا على الوسائل التي يعتمد عليها المرء في نقل أفكاره وعواطفه ومقاصده إلى غيره.

من هذه الوسائل لغة الكلام، والأصوات الموسيقية، والصور، والرموز، والإشارات.. تقول: التعبير الأدبي، والتعبير الموسيقي، والتعبير الرمزي.. إلخ».

ثم قال عن خصوص التعبير الأدبي: «والقوة على التعبير صفة بعض الآثار الفنية الرائعة التي توحي بالصور والأفكار والعواطف.

وليس المقصود بالتعبير هنا أن تكون الصورة الفنية مطابقة للأشياء التي تمثلها، وإنما المقصود به أن تكون دلالة هذه الصور على الأشياء مصحوبة بما يضعه الفنان فيها من إحساسه وخياله، وعناصر تجربته.

ولولا اصطباغ الأثر الفني بمشاعر الفنان من جهة، وبرحيق الحياة من جهة أخرى لما كان نموذجًا أصيلاً»(2).

وقد أتى الفيلسوف الإيطالي الحديث بندتو كروتشي في كتابيه: علم الجمال (1902)، والشعر واللا شعر (1923) بالنظرية القائلة بأن الفنون الجميلة عامة ليس الغرض منها صنع شيء، بل التعبير عن فكرة أو تسجيل تجربة نفسية معينة.. الأمر الذي جعله يقرر أن الفن هو التعبير، وأن التعبير هو الفن.

وهو بمعناه الشعري القديم مرادف لنغمة الكلام المنطوق أو صوته، أو للعبارات المترنم بها في لحن مثلاً(3).

والتعبير الذاتي هو التعبير عن كل ما يختلج في النفس من أهواء وآراء وعواطف وانفعالات، ويُعدّ هذا من المميزات الرئيسة لنوع الأدب الجديد الذي قام بكتابته الرومانتيكيون بأوربا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر.

والتعبيرية نزعة أدبية ترمي إلى تمثيل الأشياء كما تصورها انفعالات الفنان أو الأديب لا كما هي في الحقيقة والواقع(4).

وهذه النزعة في الأدب والفن ظهرت أولاً في ألمانيا قبيل الحرب العالمية الأولى 1914م، وازدهرت هناك حتى سنة 1924م تقريبًا.

ويقابلها في إيطاليا الحركة المستقبلية، والحركة المستقبلية التكعيبية في روسيا قبل ثورة سنة 1917م.

ولا شك أن هذه النزعة بعيدة الأثر في الحركة السوريالية ما فوق الواقع بأوربا وأمريكا.

وقد استعمل المصور الفرنسي هيرفي عبارة التعبيرية لأول مرة سنة 1901م، ولم تُطلق على الأساليب الأدبية إلا سنة 1914م حينما استعملها الكاتب النمساوي هيرماند بار(5) وكان التعبيريون يدركون نوعًا من الركود العقلي(6) نتيجة للرخاء المادي في العقد الأول من القرن العشرين.

وقد أثرت فلسفة برجسون (وخاصة نظريته في الوثوب الحيوي) في هذه الحركة، كما أثرت فيها روايات دستويفسكي ومسرحيات ستربدبرج المتعمقة في استكشاف خبايا النفس.

ومن أشهر الأدباء التعبيريين الشاعر النمساوي فرانس فرفل، وفرانس كافكا الروائي الألماني اللغة التشيكي الوطن(7).

وقال الدكتور ثروت عكاشة: «التعبيرية مصطلح يُطلق على اتجاه فني تهيمن فيه انفعالات الفنان، فيحكي مشاعره الذاتية معبرًا عن خلجات نفسه ووجدانه دون محاكاته للواقع؛ ولذلك تنزع تكويناته الفنية وأشكاله التعبيرية نحو التهويل(8) والمبالغة كما نرى في فن المصور إلجريكو.

وترتبط التعبيرية في الفن المعاصر ارتباطًا وثيقًا بالحركات الفنية الألمانية في القرن العشرين، حيث استُخدم هذا التعبير لأول مرة عندما شُغِل نفر من المصورين باستغلال كل إمكانات التعبيرية.. ويأتي على رأسهم كاندنسكي وهو مصور عالمي عمل بألمانيا وفرنسا وفي موطنه الأصلي روسيا، وكان وثيق الصلة قبيل الحرب العالمية الأولى بمجموعة الفارس الأزرق بميونخ التي يشار بأنها التعبيرية الألمانية.

وكانت التعبيرية في فن التصوير في مبدأ الأمر أحد ردود الفعل أمام لا موضوعية الفن الانطباعي (البصري) وما ينطوي عليه من إيهام وتغليف للمشاهد المرئية بعوامل المناخ؛ إذ يتطلع الفنان التعبيري في أعماق ذاته إلى عالم الانفعالات والمواقف النفسية (السيكولوجية) أكثر مما يتطلع إلى الخارج نحو عالم زاخر بالانعكاسات الملونة، ويصغي إلى حدة مشاعره أكثر مما يلتفت إلى حدة الألوان، فهو يقدم رد فعله الذاتي لا الواقع الماثل أمامه؛ ذلك أنه يحس عالمها أكثر مما يراه، ومن ثم كانت حرارة الخلق والإبداع تحل محل برودة المحاكاة(9).

ومن هنا كان لابد من تفسير لوحاته تفسيرًا سيكولوجيًا، وعدم الاكتفاء بمجرد تأملها السطحي.

ويُعدّ الفنان فان جوخ من أفصح المصورين تعبيرية بلوحاته المفعمة بسعار جنونه وانفجاراته الوجدانية وألوانه المشبعة.. كذلك فإن روعة التناغم اللوني البدائي في لوحات غوغان قد أدت دورًا كبيرًا في إثارة الانفعالات الحية لدى مشاهديها.

ومن بين أول الإنجازات التعبيرية المهمة في حقل الموسيقى أوبرا سالومي 1905م وأوبرا إلكترا 1909م لريتشارد شتراوس؛ حيث اتخذ هذا المؤلف الموسيقي من الأوبرا وسيلة للكشف عن العلل الشاذة نفسيًا (10)، وواصل هذا الاتجاه مسيرته على يد أرنولد شونبرغ ثم ألبان برغ» (11).

قال أبو عبدالرحمن: النظر إنما هو إلى مجرد الاستعمال لتدل التعبيرية عما في النفس من مشاعر، وما في العقل من آراء، وما في الخيال من صور وتأليف.. إلا أن الاستعمال اللغوي مقيد في الاصطلاح بالتعبير عما في الذات لا مجرد صورة الواقع كما تتبدى، ولهذا أغرقوا المشاهد الواقعية بخصوص ما في الذات من انعكاس عن الواقع، وليس صورة له.

وهذه الذاتية التعبيرية ليست هي الذاتية في الرومانتيكية، لأن الرومانتيكي منكفئ على ذاته، والتعبيرية الذاتية تنحو منحى النقد والتغيير وتفجير انفعال المتلقي.

حسب الرومانتيكي أن تحس به فتشعر بما يشعر به من لذة أو ألم، ومطمح التعبيري أن يُوْجِد لديك ثورة بعد التفاعل معه.

الهوامش:

1- التعريفات ص146.
2- المعجم الفلسفي 301/1.
3- لا يُعهد التعبير بهذا الاصطلاح، وإنما يقال: غنائية النص، وموسيقته، ولحنه، ونغمته.. ويطلق التعبير مقيداً، فيقال: التعبير الغنائي.
4- هذا في الواقع هو ما مضى من مذهب الرومانتيكيين.
5- ووجه ذلك أن الأساليب يُعبَّر بها.
6- معنى ذلك أن قوة العقل وثمار ملكاته سبيل الكشف عن خبايا النفس.. كما أن الرخاء المادي يلهي عن التعمق في اكتشاف خبايا النفس.
7- معجم المصطلحات ص109- 110.
8- ليست هذه النتيجة حتمية، فقد توجد براعة التعبيرية الذاتية بلا تهويل.
9- انتقل من محاكاة الواقع الخارجي إلى محاكاة ما في الذات بمظاهر من الطبيعة يشحنها بانفعالاته.
10- قال أبو عبدالرحمن: في مثل هذه النماذج رد لدعوى سارتر أن الفن والشعر غير قابلين للالتزام.
11- المعجم الموسوعي ص153.

رمضان

أنت على الشهور أمير

شعر: يس الفيل

كل الشهور مباهجٌ وسرور رمضان، أنت على الشهور أميرُ
رمضان، حسبك أن تجيء، مؤكدًا معنى اليقين، لمن غزاه فتورُ
شهوات نفسي تستردُّ خلاصها ما رفّ منك سنًى، وفاح عبيرُ
وأكادُ أحتضن الوجود بفرحة وبغير أجنحة إليك أطيرُ
قدر المحبة أن أكون مع الهوى حيث انتهى، وأسير حين يسيرُ
هي فرحة المحروم أدرك وِرْدَهُ وإليه عاد غديره المطمورُ
واليوم، عاد مع الصيام نزوعه لذرًا سمت، وبها تحلّق نورُ

* * *

رمضان، عذرًا أن تكون مطيتي للقرب منك، عواطف وشعورُ
أنا لستُ أُدركُ ما أريد، وليتني أدركتُ، لارتفعت إليك بدورُ
ولرافقتكَ من السماء مواكبٌ جذلى، تكبّرُ ما احتفت بك دورُ
لكنما، أنا في مدار محبتي بشرٌ يريد، فيعتريه قصورُ
أملي يئن على مرافئ همتي وتخلفي - أبدًا - عليّ يجورُ
وأنا المحبُ، وبالمحبة أصطلي وبمرجلي ألَقُ الضياء يمورُ
يزدادُ يا رمضانُ فيك تدلّهي فمتى وكيف كما أريد أصيرُ؟

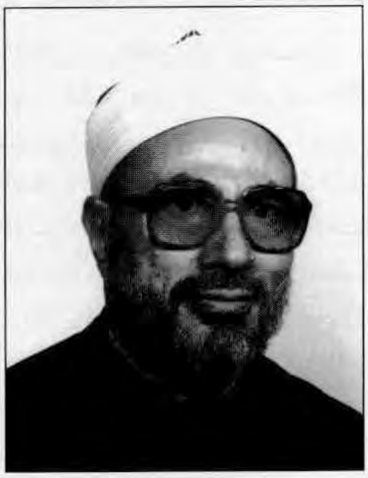
* * *

رمضان، تشرق في الوجود، فتنتشي مهجٌ، وتحتضِنُ الضياءَ صدورُ
ويتيه ليلٌ، لا يملُّ سجوده وإلى العلا يتصاعد التكبيرُ
وأنا المغامرُ، أستكين، كأنما أنا بالسكينة مبصرٌ وضريرُ
عجزي عن الإدراك يدرك ما يرى بصري، وإن يرتد وهو حسيرُ
حالٌ من الألق المضمّخ بالتقى كالغيث، حين يجيء، يورق بورُ
حتى إذا ما عدت، عاد نهارنا صلفًا، به يتأله المغرورُ
رمضان، لو لم ترتحل، لسما بنا فيك التقى، لكنه المقدورُ

* * *

رمضان أقبلْ، وانطلق برجائنا للّه، إنكَ بالرجاء جديرُ
هذي جراحٌ الأرض تعلن بُرأها وبأرضنا جرح الزمان خطيرُ
والمسلمون - كما ترى - بديارهم صَلَفُ القويّ على الضعيفِ يجورُ
ربّي الملاذُ لمن تناثر عقدهم واستَنْفَرتْهُم للصدام شرورُ
وهُوَ الذي به نستعين ليزدهي زمنٌ بنا، وبنا يَعِزُّ مصيرُ

الدكتور يوسف القرضاوي



الاقتصادُ الإسلاميُّ

يتسع ليشمل كلّ ما يجدّ من مُعاملات

أجراه: موسى محمد أحمد

الدكتور يوسف القرضاوي عالم وفقيه له رؤيته المتميزة في حقل الاقتصاد الإسلامي، وقد قدَّم كثيراً من البحوث العلمية في هذا المجال، وحصل على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية في العام 1414هـ عن كتابه «فقه الزكاة»، وله مؤلفات متعددة في الفقه والتربية والفلسفة وغيرها، كما أنه شاعر له عدد من الدواوين الشعرية [انظر ترجمة مفصلة عن حياته في العدد 208 من «الفيصل»، شوال 1414هـ ـ مارس/ أبريل 1994م].

في هذا الحوار يتطرق الدكتور القرضاوي إلى الاقتصاد الإسلامي: مفهومه وتطبيقه، وفي المقابل يتناول الحديث المفاهيم الأخرى للاقتصاد.

ـ ما الأسس التي تقوم عليها نظرية الاقتصاد الإسلامي؟

* النظام الاقتصادي في الدولة الإسلامية خاضع لأحكام الشريعة الإسلامية؛ لأن الإسلام يربط نشاط المسلم الاقتصادي بعقيدته الدينية، بل يلزم المسلمين أن يتقيّدوا بأحكام الشريعة الإسلامية في وسائل كسب المال وطرق تنميته واستثماره، بل في مجالات التعامل به واستغلاله وإنفاقه في الوجوه التى أمر الله سبحانه وتعالى بها وفي أيّ وجه من الوجوه. فالعقيدة الإسلامية تقرر أن كل شيء في الوجود إنما هو ملك لله تعالى، وأن الإنسان فيما لديه من مال إنما هو حائزٌ وديعةً أودعها الله بين يديه، بل إن الإنسان الذي هو خليفة الله في أرضه قد أمره خالقه بالانتفاع بهذا المال في صورته، ومكنه من هذا الانتفاع للوفاء بحاجاته وإصلاح معاشه على أن يتفق هذا الانتفاع مع مصلحة المجتمع الذي يعيش فيه.

ـ هل يمكن الحديث ببعض التفصيل عن مبادئ الاقتصاد الإسلامي؟

* في البداية: إن الملكية لله عز وجل، وملكية البشر استخلافه، والأصل في الملكية التامة أنها «لله»، فهو سبحانه وتعالى الخالق لا شريك له في ملكه، الرازق الواهب المانع مالك

الملك والملكوت، يقـول الله تعـالى: *هو الذي خَلَق لكم ما في الأرض جميعًا*. **البقرة**: 29. ويقول أيضًا: *ولله مُلك السَّماوات والأرض وما بينهما وإليه المَصير*. **المائدة**: 18. ويقول عز وجل: *ولو بَسَط اللهُ الرِّزقَ لعباده لَبَغَوْا في الأرض ولكن يُنَزِّلُ بقَدَر مايشاءُ إنَّهُ بعباده خبيرٌ بصيرٌ*. **الشورى**: 27. والآيات الكريمة في هذا المعنى كثيرة، وعلى ذلك فالمال كسائر الممتلكات ملك لله تعالى. وقد وجدنا، إلى جانب التذكير بالإنفاق من رزق الله، نسبةَ المال إلى الله عز وجل، يقول تعالى: *وآتُوهُم من مال الله الذي آتاكُم*. **النور**: 33. وعلى ذلك نجدَ في آيات أخرى نسبة المال للناس كقوله تعالى: *والَّذينَ في أموالهم حَقٌّ معلومٌ للسائل والمحروم*. **المعارج**: 24 و25. ويقول تعالى: *خُذْ منْ أموالهم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُم وتُزَكِّيهِم بها*. **التوبة**: 103. فالملكية هنا إنما تعني ملكية المنفعة والتصرف، وهنا يكمن إدراك هذا بضم الآيات بعضها إلى بعض وتدبر قوله تعالى: *ولا تُؤتُوا السُّفَهاءَ أَمْوَالَكُم التي جَعَلَ اللَّهُ لكم قيامًا*. **النساء**: 5. فالمال مال السفهاء لا الأوصياء غير أنه جعله هنا للأوصياء لأنهم هم الذين يملكون التصرف فيه، وملكية البشر هنا إنما جُعلَتْ تبعًا لمبدأ الاستخلاف، يقول تعالى: *وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُسْتَخْلَفِينَ فيه*. **الحديد**: 7. فالمالك عز وجل استخلف البَشَر في ماله وجعل لهم حق المنفعة والتصرف، وهذا الحق جعل بعض الأموال للأفراد وهو مايُعرف بالملكية الخاصة، وبعضها الآخر جُعل للجماعة أو الدولة وهو مايُعرف بالملكية العامة.

- ما مفهوم الملكية الخاصة في الإسلام؟

* الملكية الخاصة في الإسلام محمية مصونة لا يجوز اغتصابها أوالاعتداء عليها، وقد وُضعت العقوبات الزاجرة لحمايتها من المعتدين والمغتصبين والجائرين. أما الملكية العامة فنجد الإشارة إليها على سبيل المثال في «نيل الأوطار»، وفي رواية لابن ماجه بإسناد صحيح: «ثلاث لا يُمنَعن الماء والكلأ والنار»، وعند الشيخين: «لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلأ». والكلأ في الأرض التي لها مالك، والنار في الحطب المملوك غير المباح. ويمكن أن يُقاس على هذه الثلاثة أشياء أخرى، فالضرورات قد تختلف من عصر إلى عصر، ولكن القياس يجب أن يكون مستوفي الأركان، متفقًا مع مبادئ الإسلام وقواعده. وإلى ذلك وجدنا بجانب الملكية العامة نوعًا آخر من الملكية العامة أيضًا وهو ماكان ملكًا للدولة؛ كأراضي بيت المال التي كانت ترعى فيها إبل الصدقة، والأرض التي جُعلت لإبل عامة الناس دون أغنيائهم. فالاقتصاد الإسلامي أصوله ثابتة ومبادئه مقررة منذ النشأة فجمع بين الملكيتين معًا الخاصة والعامة.

في الفكر المادي تصبح لدور اللهو والمجون قيمة اقتصادية أكبر من مزرعة تدر ربحًا حلالاً، والمرأة التي تقوم على رعاية شؤون بيتها وأولادها تعد عند الماديين غير منتجة

- ما دور الفقه في تأصيل الجانب الإسلامي في هذا المجال الحيوي؟

* إن للفقه دوره في مجال الخصائص والمبادئ التي تميز الاقتصاد الإسلامي وتفرق بينه وبين غيره، إلا أن دوره في المبادئ أكبر منه في الخصائص. ودوره يظهر في «ربّانية المصدر»، ولا يتعلق الأمر بالفقه وحده بل بأصول الإسلام كله الذي يدعو إلى «ربانية الهدف» ومعها التوازن بين المادية والروحية. فدور الفقه يتضح في بيان الحلال والحرام في النشاط الاقتصادي والنفقات الواجبة والزكاة والصدقة وهذا يأتي في مبدأ التكافل، بل في التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة. كذلك يأتي دور الفقه في مبدأ الملكية المزدوجة ومبدأ الحرية المقيدة، ومن ذلك نجد الأبحاث المتعلقة بالملكية الخاصة وحدودها وعدم طغيانها على مصلحة الجماعة، وحرية الكسب الحلال مع منع الاحتكار، والإجبار على بيع مايُحتكر لمصلحة الجماعة ويكون بثمن المِثْل لمصلحة الفرد، وحرية العمل إلا إذا أصبح فرض عين فَتُقَدَّم مصلحة الجماعة ويُجبر الفرد على العمل الذي أصبح فرضًا، وما يجب أن يكون عندما يصبح العمل فرض كفاية.

والرقابة المزدوجة تأتي في بيان دور الدولة المسلمة في مجال الاقتصاد، وهذه الرقابة تحقق التوازن بين مصلحة الفرد والجماعة، وهذا يساعد على إبراز خصيصة «الواقعية»، وهنا نضرب مثلاً بنظرية السكان غير الواقعية عند «مالتوس»، والواقعية عندما وجدنا الزواج في بعض حالاته يصبح فرضًا على المسلم يأثم إن لم يفعله، ووجدنا من الفقهاء من لم يقتصر على صدقة التطوع لمساعدة المحتاجين للزواج بل جعل هذا من مصارف الزكاة وإنكاح مستحق نفقة الأقارب، وتصدى عدد من فقهاء العصر «للمالتوسيين»، وهنا أذكر أمرًا يتعلق بهذا الموضوع، ففي مؤتمر المجمع البحوث الإسلامية عام 1385هـ/1965م قدَّمَ فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة - رحمه الله - بحثًا للمؤتمر عنوانه «تنظيم النسل وتنظيم الأسرة»، فأصدر مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة آنذاك «أن الإسلام رغَّب في زيادة النسل وتكثيره، لأن كثرة النسل تقوّي الأمة الإسلامية اجتماعيًا واقتصاديًا وحربيًا، وتزيدها عزة ومنعة. وإذا كانت هناك ضرورة شخصية تحتم تنظيم النسل فللزوجين أن يتصرفا طبقًا لما تقتضيه الضرورة، وتقدير هذه الضرورة متروك لضمير الفرد ودينه، ولا يصح شرعًا وضع قوانين تجبر الناس على تحديد النسل بأي وجه من الوجوه.

أما من ناحية الإجهاض بقصد تحديد

يتسع ليشمل ما يجد من معاملات

النسل أو استعمال الوسائل التي تؤدي إلى العقم لهذا الغرض فأمر لا تجوز ممارسته شرعًا للزوجين أو لغيرهما»، وكان المؤتمر قد وصّى بتوعية المواطنين حين ذلك وتقديم المعونة لهم في كل مكان يوجدون فيه».

- ما أهداف الاقتصاد غير الإسلامي؟ وما الفروق الجوهرية بين الاقتصاد الإسلامي والمفاهيم الوضعية للاقتصاد؟

* الاقتصاد غير الإسلامي أهدافه مادية بحتة وإن كان بينها اختلاف، فالتجاريون هدفهم الحصول على أكبر قدر من الذهب، والطبيعون اتجهوا إلى الثروة الزراعية وقللوا من شأن الصناعة والتجارة، أما الرأسماليون فهم يتطلعون إلى المنفعة وإشباع الرغبات من دون نظر إلى حلال أو حرام. فالسلعة عندهم تُعدّ اقتصادية يُسعى إليها بقدرما تشبع من رغبات ومايقابلها من الثمن، والوسائل - في نظرهم - تُعدّ منتجة بقدرما تؤدي إليه من سلع وخدمات تقابلها أثمان مثل «دور اللهو والمجون» التي لها قيمة اقتصادية أكبر من مزرعة عائد إنتاجها أقل مما يدفع اللاهون والماجنون. فالزوجة التي تقوم على رعاية شؤون بيتها وأولادها ليست منتجة مادامت لا تتقاضى أجرًا، أما الفاجرة التي تعمل في تلك الدور وتشبع رغبات العابثين فهي تُعدّ منتجة لأنها تحصل على ثمن. أما الماركسيون فإن هدفهم المادي يتجه لخدمة الشيوعية الملحدة، فهذا لينين يقول: «علّمنا ماركس أن الصدق مسألة نسبية، أما الصدق المطلق والشيء الصادق الوحيد فهو الوسيلة التي تحقق الهدف الشيوعي»، ثم يأتي بعده ستالين ليقول لنا: «لن نكون ثوريين مناضلين بحق إلا إذا طبقنا دائمًا ماتعلمناه من ماركس عن ضرورة استخدام كل الوسائل الأخلاقية وغير الأخلاقية في كفاحنا من أجل الشيوعية». ويقول أيضًا: «إننا نستطيع أن نستخدم قوتنا الاقتصادية في تحقيق أهدافنا الدولية». فالهدف المادي ينضم إليه هدف آخر هو الشيوعية المنهارة وأهدافها معروفة، وأولها محاربة الأديان.

والنشاط الاقتصادي في الإسلام يخضع لرقابتين: رقابة بشرية ورقابة ذاتية. فالرقابة البشرية وجدناها بعد الهجرة؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يراقب الأسواق بنفسه، وعندما فُتحت مكة أرسل من يراقب أسواقها، ومن هنا ظهرت وظيفة «المحتسب» لمراقبة النشاط الاقتصادي إلى جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإحساس المسلم بأن الله عز وجل أحلَّ كذا وحَرَّمَ كذا يفرض رقابة ذاتية، ولذلك رأينا سلوك المسلم في نشاطه الاقتصادي كسلوكه في عبادته، وعندما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإحسان قال: «الإحسان أن تَعْبُدَ اللهَ كأنكَ تَرَاه فإنْ لم تكن تراه فإنه يراك».

> **المولى عز وجل استخلف البشر في ماله، فجعل بعض الأموال للأفراد، وهو ما يعرف بالملكية الخاصة، وبعضها الآخر للجماعة أو الدولة، وهو ما يعرف بالملكية العامة**

- فماذا عن الثابت والمتغير في الاقتصاد الإسلامي؟

* الاقتصاد الإسلامي أموره ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، مهما تغير الزمان والمكان؛ ومنها تحريم الربا والميسر وحِل البيع وكثير من العقود والنصاب والمقدار في الزكاة، وتوزيع التركة على الورثة. فليس لأحد أن يُحلَّ ما حَرَّمَ اللهُ أو يُحَرِّمَ ما أحَلَّ اللهُ، أو يغير في أحكام الزكاة والميراث. ومنها حد السرقة فليس لأحد أن يستبدل به عقوبةً أخرى. فالإسلام جاء خاتمًا للأديان ليُطَبَّق في كل زمان ومكان؛ فكان في اقتصاده من المرونة والتطور ماجعله يتسع للأساليب المختلفة والوسائل المتجددة والعرف مادام لا يتعارض مع أصل ثابت، ومن المعروف أن الأصل في العبادات الحظر وفي المعاملات الإباحة، فكل عبادة ممنوعة مالم يوجد مايدل على مشروعيتها، وكل معاملة مباحة مالم يثبت مايمنعها، لذا اتسع الاقتصاد الإسلامي ليشمل مايجد من المعاملات المختلفة التي خلت من الربا والميسر والغرر الفاحش، ورأينا تغير الفتوى تبعًا لتغير الزمان والمكان.

- ما الفارق إذن بين البنوك الإسلامية وغيرها؟

* البنوك غير الإسلامية قامت على أساس القرض الربوي، بينما تقوم البنوك الإسلامية على أساس القرض أو المضاربة، لذلك فإن البنوك الربوية يقوم جل نشاطها على الاتجار في الديون، فالبنك إما أن يكون مقرضًا أو مقترضًا، فنراه مقرضًا القرض العادي أو البسيط، ومقترضًا كذلك من طريق فتح الاعتماد وخصم الكمبيالات والسحب على المكشوف، كما نراه مقترضًا في الحساب الجاري ودفتر التوفير والودائع لأجل بصورها المختلفة، وتعددت هذه الصور حتى أعلن بنك واحد عن ستة عشر وعاء ادخاريًا، ودراسة هذه الأوعية تُبيِّن أنها جميعًا عقد واحد، وهو عقد القرض بزيادة مرتبطة بالمبلغ والزمن وهذه الزيادة من ربا الديون.

والمصارف الإسلامية لا تتخذ من القرض وسيلة للاستثمار كما كان الأمر في الجاهلية الأولى وفي البنوك الربوية المعاصرة، وإنما يستثمر المال بالطرق التي يقرها الإسلام، فهو إذن يطبق النشاط الاقتصادي الإسلامي، ويضع له من الأطر التي يتعامل بها مايطابق أحكام الشرع الحنيف، فالمصرف يمثل عامل المضاربة والمودعون يمثلون أصحاب رؤوس الأموال، والأرباح التي يحققها المصرف تُوَزَّع بالنسبة المتفق عليها، والخسارة تكون من رأس المال.

قصة قصيدة

وعين الرضا عن كلّ ذنبٍ كليلةٌ

د. محمود جبر الربداوي

قال محمد بن عبدالله النُميري:

تضوّع مسكًا بطنُ نَعمانَ(1) إذْ مَشَتْ ... به زينبٌ في نِسوةٍ خَفِراتِ
له أرَجٌ من مِجْمَرِ الهند ساطعٌ ... تطلّع ريّاهُ من الكَفِراتِ(2)
تهادين ما بين المحصّب(3) من منًى ... وأقبلنَ لا شُعْثًا ولا غَبِراتِ
أعان الذي فوق السماوات عرشُهُ ... مواشيَ بالبطحاءِ مؤتَجِراتِ(4)
مَرَرنَ بفخٍّ(5)، ثم رُحْنَ عشيّةً ... يُلَبِّينَ للرحمن مُعتَمِراتِ
يُخَبّئْنَ أطرافَ البنانِ من التُّقى ... ويقتلن بالألحاظ مقتدراتِ(6)
تقسمن لُبّي يوم نعمان، إنّني ... رأيتُ فؤادي عارمَ النظراتِ(7)
جلَوْنَ وجوهًا لم تَلُحْها سمائمٌ ... حَرور، ولم يُسْفَعْنَ بالسَّبَراتِ(8)
فلما رأتْ ركْبَ النميريّ راعها ... وكنَّ مِن انْ يَلْقَيْنَهُ حذِراتِ
فَأدْنَيْنَ حتى جاوز الركب دونها ... حجابًا من القَسِّيِّ(9) والحِبَراتِ
فكدتُ اشتياقًا نحوها وصبابةً ... تقطّعُ نفسي إثْرها حسراتِ
فراجعتُ نفسي والحفيظة بعدما ... بَلَلْتُ رداء العَصْب(10) بالعَبَرَاتِ

حقًّا إن عين الرضا عن كل ذنب كليلة، وفعلاً إن عين السخط تُبدي المساويا. لأن الرضا والسخط - وهما فعلان غريزيان - يصدران عن أعماق النفس الإنسانية في حالتي الانبساط والانقباض كما يقول علماء الطباع، وفي موقفي الرضا والغضب كما يقول علماء النفس. فعين الرضا تغضّ طرفها عن الهفوات والصغائر، وتُمعن أكثر من ذلك فتغفر الذنوب وتتسامح أحيانًا عن الكبائر، كما أن عين السخط تكبّر الصغير، وتضخّم الكبير، وفي تَيْنك النظرتين مبالغة، مرغوبة في نظرة الرضا، ممقوتة في نظرة السخط والغضب؛ لأن نظرة الرضا نسيمٌ رُخَاءٌ معطّر تنعش القلب وتنير الفكر، ونظرة السخط رياح هوجاء تطفئ شعلة العقل، وتذهب بتوازن النفس.

ولعل من أصدق الشواهد على ما نقول موقف عمرو بن الأهتم ووصفه للزبرقان بن بدر وصفَيْن متناقضَين بين يدي الرسول - صلى الله عليه وسلم - في لحظة واحدة، فعندما غضب الزبرقان واعترض، سأل الرسول عَمراً عن هذا التناقض فأجاب عمرو: «... رضيت فقلت أحسن ما علمت، وسخطت فقلتُ أقبح ما وجدت»(1). فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - قولته المشهورة: «إنّ من البيان لسحراً». هذه المقولة لم تبق حبيسة كتب الأحاديث، وإنما استغلتها كتب النقد والأدب، والمصنّفات في المحاسن والأضداد، كما استغلها (الدبلوماسيون) ورجال السياسة ليتعلموا منها درسًا في أدب الحوار، والأسلوب الدبلوماسي في تهدئة خواطر المنفعلين، وحسن إدارة النقاش بين شخصيتين مرموقتين متنافستَيْن.

وأجدر الناس بمعرفة أدَب الحوار ومراعاة الأسلوب الدبلوماسي في النقاش هم رجال السياسة، الذين يتصدَّوْن لمخاطبة أندادهم في أمور تختلف فيها وجهات النظر، متذرعين بالمقولة التي عبر عنها المثل القائل: «إن اختلاف وجهة النظر لا يفسد للود قضية»، وحتى في مخاطبة الأعلى للأدنى، فإن من

أدب الحوار أن يحلم الأعلى عَمَّنْ هو دونه، وأن يتجاوز عن هفواته، إذا هفا، ولو كان في صدره غُلّة لم تشتف، وشحنة لم تنفجر، وهذا ما لمسناه في قصة قصيدة شاعرنا النميريّ الآنفة الذكر.

فقد رَوَتْ كتب الأدب أن يوسف بن الحكم الثقفي والد الحجاج وأخته زينب قد مرض فطالت علته فنذرت ابنته زينب إن عوفي أبوها أن تمشي من الطائف إلى البيت الحرام في مكة، فوفّت بنذرها، فخرجت في نسوة معها، متجهة إلى مكة، مارّةً بالهَمَاء في بطن وادي نَعْمان، وكان محمد بن عبدالله النميريّ يهواها، وهو شاعر غَزِل من شعراء الدولة الأموية، ومن شباب ثقيف بالطائف. قال لزينب القصيدة التي أثبتناها والتي منها:

تضوّع مسكًا بطن نَعمانَ إذ مَشَتْ

به زينبٌ في نسوة عطرات

وقصائد غيرها، فانتهى إلى الحجاج خبرُ تغزّل النميريّ بأخته، فتوعده، فهرب النميريّ واستجار بالخليفة عبدالملك بن مروان، فقال له عبدالملك: أنشدني ما قلتَ في زينب فأنشده القصيدة التائية، فلما انتهى إلى قوله:

فلمّا رأت ركْبَ النميريّ أعرضتْ

وكُنّ مِنَ انْ يَلْقَيْنَهُ حذِرات

قال له عبدالملك: وما كان ركبك يا نميريّ؟ قال: أربعة أحمرة لي كنتُ أجلب عليها القَطران، وثلاثة أحمرة صحبتي تحمل البعر، فضحك عبدالملك حتى استغرب ضحكًا(2)، ثم قال: لقد عظّمتَ أمرك وأمر ركبك(3).

والذي يبدو لي أن عبدالملك بن مروان، وهو الذي تعلم من عميد أسرة الأمويين: معاوية الدهاء والحلم، أراد أن يصطنع أسلوب جَدِّ الأسرة (بشَعرته) التي بينه وبين الناس، وأن يصطنع الأسلوب الدبلوماسي - كما نسميه الآن -، وأن يعلّم هذا الأسلوب معاونيه من حكام الأمصار، فكتب إلى الحجاج رسالة يأمره فيها بالعفو عن النميري، وحمّلها المتهم نفسه ليمثُل بين يدَي الحجاج، فلما مثل بين يديه جرى بينهما الحوار التالي:

قال الحجاج أنشدني، فأنشده قوله:

تضوّع مسكًا بطن نَعمان إذ مشتْ

به زينب في نسوة عَطِرات

فقال الحجاج: كذبتَ والله، ما كانت تتعطر إذا خرجت من منزلها. ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله:

فلما رأت ركْبَ النميريّ راعَهَا

وكنَّ مِنَ ان يَلقَيْنَه حَذِرات

قال له: حق لها أن ترتاع؛ لأنها من نسوة خَفِرات صالحات. ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله:

مررنَ بفخٍّ رائحات عشيّة

يُلَبِّين للرحمن معتمرات

فقال: صدقت، لقد كانت حجّاجة صوّامة ما علمتها. ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله:

يخبئنَ أطراف البنان من التقى

ويخرجنَ جنح الليل معتجرات

فقال له: صدقت، هكذا كانت تفعل، وهكذا المرأة الحرَّة المسلمة. ثم قال له: ويحكَ! إني أرى ارتياعك ارتياع مريب، وقولك قول بريء، وقد أمّنتك، ولم يعرض له(4).

أرأيت إلى هذا الحلم المصطنع من رجل عُرف ببطشه وجبروته؟ ولكنها السياسة وتعليمات الخليفة وشيء آخر يعلمه الحجاج حق العلم، وهو قوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ. أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ. وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ﴾. الشعراء:224- 226.

وشيء ثالث خفّف من غلواء الحجاج هو أنه استمع إلى القصيدة فلم يجد فيها كلامًا يهيجه، أو فحشًا يستثيره، وإنما سمع شعرًا «لا تستحيي الفتاة الحييّة من إنشاده في ستر أبيها»(5)، كما يقول نُصَيب، علمًا بأن العصر الذي كان فيه النميريّ ازدوجت فيه مدرستان غزليتان: مدرسة الغزل العذري العفيف، ومدرسة الغزل الحسّي الصريح، ولم يكن النميري تابعًا لواحدة من هاتين المدرستين، بل كان في الغزل أمةً قائمةً بذاتها، يجمع إلى وهج نوازع الشباب، التعبير عن العفة، ولهذه النفحة العفيفة في شعره قال سعيد بن المسيب عندما سمع قصيدته التائية في زينب: « هذا واللّه مما يحسن استماعه ويلذ إنشاده»(6)، وعلى الرغم من المبدأ الذي أقرّه نُصيب، والشهادة التي تفوّه بها سعيد بن المسيّب في حق شعر النميريّ، إلا أن غيظ الحجاج لم تخمده إلا أوامر الخليفة التي حملت الحجاج على أن يصطنع «عينَ الرِّضا» ويفسر معاني القصيدة تفسيرًا (دبلوماسيًا) يحفظ له (ماء) كبريائه وأنفته.

غريب الألفاظ:

1- نَعمان: نَعمان الأراك، وهو بين مكة والطائف.
2- الكَفِرات: وهي الجبال العظيمة.
3- المحصّب: موضع بين مكة ومنى.
4- مؤتجرات: طالبات الأجر.
5- فخ: موضع بينه وبين مكة ثلاثة أميال.
6- يقال: ليست امرأة من الطائف تخرج إلا وعلى يديها قفازان من التقى. وللبيت رواية أخرى في الأغاني سترد في التعليق على القصيدة.
7- عارم النظرات: شارد النظرات وحائرها.
8- لم تَلْحَها: من لاحته الشمس ولَوّحته : لفحته وغيّرت وجهه، والسمائم، جمع سَموم: وهي ريح حارة، وسفعته: غيّرت لون بشرته. والسبرات: جمع سَبْرَة وهي شدة برد الشتاء.
9- القَسّيّ: ضرب من الثياب نسج من الكتان المخلوط بحرير، يجلب من القسّ: موضع من أرض مصر. والحِبرات: ضرب من برود اليمن موشّى، واحدتها: حِبَرَة.
10- العَصْبُ: ضرب من البرود يُصبغ غزلها ثم تُنسج.

المصادر:

1- زهر الآداب للحصري القيرواني 18/1، والفاضل للمبرد 9، وغيرهما.
2- استغرب في الضحك: بالغ فيه.
3- الأغاني للأصبهاني 183/6 - 184.
4- الأغاني 184/6.
5- الأغاني 324/1.
6- المصون في سر الهوى المكنون للحصري القيرواني 40.

من فقه الدين

الطلاق بين اللغة والفقه

محمد معصوم رسول

الطَّلاقُ في الشريعة الإسلامية، من القضايا المهمَّة، والدقيقة التي تهم كل فرد في المجتمع. والإحاطة به، وتعرُّفُ لفظه، لغةً وفقهًا، ومَضامينه، وكيفيته، ووقت إيقاعه، في المنظور الشرعي، ضرورةٌ شرعيةٌ لنا، لعدم الوقوع في الحرام، أو الإثم.

وقد أحببت في هذا الحديث، الكشف عن بعض الجوَانِب المهمّة فيه، إذ لا يتسع بحثنا للجوانب كلها في هذه العجالة، ومَحلّها كتب الفقه الموسعة التي تفيد الباحث وتغنيه إذا رغب في ذلك.

وقلّبتُ في ذلك أوجُهَ الرأيّ للسادة الأئمة والفُقهاء، من أوثق المصادر الفقهية كي أخلص أخيرًا إلى النتيجة التي رأيتها في هذه القضية.

فإن أصبت في ذلك، فلعل الله يكتبُ لي الأجر، وإن أخطأت فالخطأ والقُصورُ من طبيعة النفس البشرية، أرجو اللّه عنه العفوَ والمغفرةَ.

الطَّلاقُ في اللغة

جاء في المُعْجَم الوسيط لمجمع اللّغة العربية في القاهرة، حول مادة «طَلَقَ» ما يلي:

- طَلَقَ: طُلُوقًا، وطَلاَقًا: تحرر من قيده ونحوه. والمرأةُ من زوجها طلاقًا: تَحَلَّلت من قيدِ الزواج وخرجت من عصمته.

- وطَلَقَ - طَلَقًا: تباعد.

- أطلَقَ القومُ: طَلَقَتْ إبلُهُم ونحوها في طلب الكلأ والماء. والشيء: حلّهُ وحرَّرهُ. يقال: أطلقَ الأسيرَ ونحوه، ويقال أطلقَ الماشيةَ: أرسلها إلى المرعى أو غيره، وأطلقَ خيلَهُ في الحَلْبَة ونحوها: أجراها. وأطلق المرأة: حرَّرها من قيد الزواج. وأطلقَ له العنان: أرسله وتركه.

- الطالقُ: يقال: امرأة طالق: مُحَرَّرةٌ من قيدِ الزواج. وناقةٌ أو شاة طالق: مرسلة ترعى حيث شاءت.

وهي مادة واسعة من الناحية اللغوية، وفيها فوائد جمّة.

في كتاب الله تعالى

يقول الله تعالى: *الطَّلاقُ مَرّتان فإمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسان*. **البقرة**: 229.

ويقول عز وجل: *يأَيّها النبي إذا طَلَّقتُمُ النساء فطلِّقُوهنَّ لعِدَّتِهِنَّ وأحصُوا العِدَّةَ واتَّقُوا الله ربَّكم*. **الطلاق**:1.

في رحاب التفسير

جاء في كتاب: «زبدة التفسير من فتح القدير»: *الطَّلاقُ مرتان*؛ أي الطلاق الذي تثبت فيه الرجعة للأزواج هو مرتان، أي الطلقة الأولى والثانية، إذ لا رجعة بعد الثالثة.

مرتان: مرة بعد مرة، لا طلقتان دفعة واحدة، وبعد كل مرة من مَرَّتي الطلاق هاتين: إما إمساكٌ، وهو الرجعة *بمعروف*؛ أي بحسن العشرة، وأداء الحقوق، *أو تسريح*؛ أي أن يترك مراجعتها حتى انتهاء عدتها، ويسرحها إلى بيت أهلها بطيب من القول.

وجاء في تفسير الآية الثانية ما يلي:

يأيّها النبي إذا طَلَّقتُم النساء. نادى النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - أوّلاً تشريفًا به، ثم خاطبه مع أمته، والمعنى: إذا أردتم تطليقهن وعزمتم عليه، *فطلقوهن لعدتهن*؛ أي مستقبلات لعدتهن، أو قبل عدتهن. والمراد أنْ يطلقوهن في طُهْرٍ لم يقع فيه جماعٌ، ثم يُتركن حتى تنقضي عدتهن، فإذا طلقوهن هكذا، فقد طلقوهن لعدتهن(1).

ويقول الدكتور وهبة الزحيلي في تفسيره الكبير «التفسير المنير» ما يلي حول تفسير الآيتين المذكورتين: *الطلاق مرتان*: مبتدأ وخبر، وهذا الكلام فيه اتساع وتقديره: في مرتين.

ثم يقول: *الطلاق مرتان*؛ أي التطليق الذي يراجع فيه، كالسلام بمعنى التسليم، ومرتان: دفعتان، واثنتان. *فإمساك بمعروف*؛ أي فعليكم إمساكهن بعد المراجعة من غير إضرار، بل إصلاح، وحسن معاشرة. *أو تسريح بإحسان*؛ أي إيقاع الطلقة الثالثة من دون رجعة، وأداء حقوقهن المالية(2).

ثم يقول: «وقيل المراد من الآية، إيقاع الطلاق مفرقًا لا مجموعًا، فالجمع بين اثنتين أو الثلاث حرام كما قال بذلك جمع من الصحابة، منهم: عمر وعثمان وعلي وعبدالله بن مسعود وأبو موسى الأشعري، بدليل حديث ابن عمر، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إنما السنة أن تستقبل الطهر استقبالاً، فَطَلِّقْ لكل قُرْءٍ تطليقة».

وقال مجاهد، وعطاء وجمهور السلف، وعلماء الأمصار: المراد من التسريح بإحسان الطلقة الثالثة»... «والحكمة من جعل الطلاق مرتين، وإثبات حق الرجعة بعد كل من الطلاق الأول والثاني: هو إعطاء الفرصة لإصلاح كل من الزوجين حاله(3).

وفي القاموس الفقهي لـلقاضي سعدي أبو جيب جاء ما يلي حول هذه المادة:

- طَلَقَ طُلُوقًا وَطَلاقًا: تحرَّرَ من قيده، ونحوه.

- والمرأةُ من زوجها طلاقًا: تَحلّلت من قيد الزواج، وخرجتْ من عصمته فهي طالقٌ.

- الطَّلاقُ: إزالة القيد، والتخليةُ: رفع قيد النكاح.

قال إمام الحرمين: هو لفظٌ جاهليٌ وَرَدَ الشرعُ بتقريره.

- شرعًا: إزالة عصمة الزوجية، بصريح لفظ، أو كناية ظاهرة أو بلفظ مع نية (الدسوقي).

- الأحناف: حسن الطلاق عند الحنفية: هو أن يطلق الرجل امرأته في طُهر، لم يجامعها فيه، ويتركها حتى تنقضي عدتها (أي العدّة الشرعية).

طلاق البدعة عند الحنفية:

أن يطلق ثلاثًا متفرقة، أو اثنتين بمرة أو مرتين في طهر واحد، لا رجعة فيه، أو واحدة في طهر وُطئت فيه، أو واحدة في حيض موطوءة.

وهو: أن يطلقها ثلاثًا بكلمة واحدة، أو ثلاثًا في طهر واحد.

طلاق السنة عند جميع العلماء:

هو طلاق المرأة في طهر لم يمسها فيه طلقة واحدة (ابن رشد)(4).

وفي موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي:

44: اتفقوا على أن إيقاع الطلقة الواحدة أرجح من إيقاع الاثنتين.

46: أن جمع الطلقات الثلاث بكلمة واحدة، هو طلاق بدعة محرم، وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر ولم يصح في عصرهم خلافه، فيكون إجماعًا(5). نخلص ممّا تقدم إلى ما يلي:

إن الطلاق لغة يعني حل القيد، سواء كان حسيًا؛ كقيد الفرس وقيد الأسير، أو معنويًا؛ كقيد النكاح. فالطلاق مصدر طلق، عُرِّف في الاصطلاح: بأنه إزالة قيد النكاح. ومعنى إزالة قيد النكاح رفع العقد بحيث لا تحل له الزوجة بعد ذلك، إلا وفق شروط وأسس شرعية محددة.

آراء الفقهاء حوله

لئن كان عقد النكاح يعني ربطًا معنويًا بين الزوجين، ضمن شروط وحدود مرسومة لدى الفقهاء بدقة، فإن الطلاق هو خلافه تمامًا، ويعني حلُّ هذا الرباط المعنوي بين الزوجين، وإبعاد الزوجة من ساحة النكاح.

وقد تضاربت أقوال الفقهاء حول ألفاظ الطلاق، وكيفيته وزمان إيقاعه، وتوافقت أحيانًا، فكانوا في ذلك فرقًا، كل فرقة تستند إلى طائفة من الأدلة، من الكتاب وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وأقوال الأئمة والفقهاء.

فقال الشافعي رحمه الله: «ألفاظ الطلاق الصريحة ثلاثة: الطلاق والفراق والسَّراح وهي المذكورة في القرآن الكريم.

وقال بعض أهل الظاهر: لا يقع الطلاق إلا بهذه الثلاث»(6).

وألفاظه في نظر الفقهاء على قسمين اثنين:

1- الطلاق بألفاظ صريحة لا تحتمل التأويل، فهو لا يحتاج إلى نية، كأن يقول الرجل لزوجته: أنت طالق: وقع الطلاق ولا يُلتفت لادعائه أنه لا يريد الطلاق.

2- الطلاق بألفاظ كناية تحتمل التأويل، فهو لا يحتاج إلى نية وإلا كان معدومًا لا أثر له(7).

وقال الحنفية والحنابلة: لا يقع قضاء الطلاق بالكناية إلا بالنية أو دلالة الحال على إرادة الطلاق.

ورأى المالكية والشافعية أيضًا: أن الكناية لا يقع بها الطلاق إلا بالنية ولا عبرة بدلالة الحال، فلا يلزمه الطلاق إلا إن نواه(8).

وحددوا لذلك شرائط وحدودًا تفيض بها كتب الفقه. إلا أن القانون لم يأخذ بمذهب الأحناف في الاكتفاء بدلالة الحال، بل اشترط أن ينوي المطلِّق بالكناية الطلاق(9).

أما حول عدد الطلقات وكيفيته ووقت إيقاعه، فقد تباينت الأقوال لدى الفقهاء، وقالوا فيه: ينقسم إلى قسمين:

1 - طلاق سني. 2 - طلاق بدعي.

طلاق السنة

«هو الواقع على الوجه الذي ندب إليه الشرع، وهو أن يطلق الزوجُ المدخولَ بها طلقة واحدة في طهر لم يمسها فيه. لقوله تعالى: *الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحسان*. أي إنّ الطلاق المشروع، يكون مرّة يعقبها رجعة، ثم مرة ثانية يعقبها رجعة كذلك، ثم إنّ المطلِّق بعد ذلك له الخيار بين أن يمسكها بمعروف أو يفارقها بإحسان.

ويقول الله تعالى: *يَاأَيها النبيُّ إذا طَلَّقْتُمُ النساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لعدَّتِهِنَّ*»(10).

الطلاق البدعي

«هو الطلاق المخالف للمشروع، كأن يطلقها ثلاثًا بكلمة واحدة، أو يطلقها ثلاثًا متفرقات في مجلس واحد. كأن يقول: أنت طالق، أنت طالق، أنت طالق. أو يطلقها في حيض أو نفاس، أو في طهر جامعها فيه.

وأجمع العلماء على أن الطلاق البدعي حرام، وأن فاعله آثم. وذهب جمهور العلماء إلى أنه يقع. بينما قال بعضهم بعدم وقوعه، منهم: عبدالله بن عمر، وسعيد بن المسيب، وطاووس من أصحاب ابن عباس، وبه قال خلاس بن عمر وأبو قلابة من التابعين، والإمام ابن عقيل من أئمة الحنابلة، وأئمة آل البيت، والظاهرية، وأحد الوجهين في مذهب الإمام أحمد، واختاره ابن تيمية وابن قيّم الجوزية»(11).

واختلف الفقهاء أيضًا حول وقوع الطلاق،

أجمع العلماء على أن الطلاق البدعي حرام، وأن فاعله آثم. وذهب الجمهور من العلماء إلى أنه يقع، بينما قال بعض العلماء بعدم وقوعه

بلفظ واحد يتضمن الثلاث، أو بألفاظ متتابعة في مجلس واحد، أي حول عدد هذه الطلقات، واعتمد الذين يرون وقوعه ثلاثًا الأدلة التالية:

1- من الكتاب:

وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ. بعد قوله تعالى: *يَاأَيُّهَا النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن*. والله عز وجل يقول: *وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا*. **الطلاق**: 2. أي إن المطلِّق لو خشي الله تعالى واتبع السنة في طلاقه لما وقع في الحرج، ولوجد لنفسه مخرجًا لطلاقه عند الندم، أي لو كان طلاقه وفق السنة. وقوله تعالى: *فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجًا غيره*. **البقرة**: 230(12).

2- من السنة:

منها حديث عويمر العجلاني الذي رواه الشيخان في باب اللعان، وهو حديث طويل، وفيه أنه قال بعد أن لاعن زوجته في مجلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «كذبتُ عليها يارسول الله إن أمسكتها، هي طالق ثلاثًا»، ومحل الاستدلال بالحديث، أن رسول الله لم ينكر على عويمر جمع الطلاق الثلاث بكلمة واحدة(13).

ومنها ما رواه الشيخان عن عائشة أن امرأة رفاعة القرظي جاءت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت: يارسول الله، إن رفاعة طلقني فبتَّ طلاقي، وإني نكحت بعده عبدالرحمن بن الزبير القرظي، وإن ما معه مثل الهدبة، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة. لا، حتى يذوق عسيلتك، وتذوقي عسيلته»(14).

ومنها ما رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والدارقطني والشافعي عن آل بيت ركانة، أن ركانة طلق زوجته البتة، فسأل عن ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وقال له: والله ما أردتُ إلا واحدة. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «والله ما أردتَ إلا واحدة؟»، فقال ركانة: والله ما أردت إلا واحدة، فردها إليه رسول الله(15).

ومنها ما رواه الدارقطني عن عبدالله بن عمر أنه قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، لما أمره أن يراجع زوجته: أفرأيت يارسول الله لو أني طلقتها ثلاثًا، أكان يحل لي أن أراجعها..؟ قال: «لا، كانت تبين منك وتكون معصية»(15).

وقد استدلوا أيضًا بآثار كثيرة عن علي بن أبي طالب وابن عباس وابن مسعود وابن شهاب الزهري وعمر بن عبدالعزيز، وغيرهم: أن من طلق ثلاثًا، فقد استقر في حقهم الثلاث وبانت زوجاتهم منهم(15).

أما القائلون بعدم وقوعه إلا واحدة، مهما تعدد اللفظ في مجلس واحد فقد اعتمدوا الأدلة التالية:

من الكتاب:

الطَّلاقُ مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان.

«وتقرير الحجة، هو أن الله عز وجل، بيَّنَ الطلقات الثلاث المشروعة إنما يكون بأن يطلق الزوج مرة أخرى، إن أراد ذلك، ثم يطلقها الثالثة وهي التسريح الأخير. وهذه الطريقة تخالف ما قد يفعله الرجل من التطليق ثلاثًا دفعة واحدة، إذ إن قوله: طلقتك ثلاثًا لا يسمى لغة ثلاث مرات، بل هي في الحقيقة مرة واحدة، واستدلوا على ذلك بالحديث الذي ورد فيه: «من قال في يومه سبحان الله وبحمده مئة مرة، حُطَّتْ عنه خطاياه، ولو كانت مثل زبد البحر»، فلو قال الإنسان: سبحان الله وبحمده مئة مرة لم يحصل له الثواب حتى يكررها مئة مرة»(16).

من السنة:

ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان الطلاق في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر، طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم(17).

«فالحديث صريح في أنهم كانوا يعدون الطلاق الثلاث بلفظ واحد على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وأبي بكر طلقة واحدة، وهو الحكم الأصلي الذي أقره رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وتم إجماع الصحابة عليه. وما كان إلزام عمر الناس فيما بعد بالثلاث، وإمضاؤها عليهم إلا عقوبة رأى أن من المصلحة أن يعاقبهم بها لتماديهم في الطلاق، واستهانتهم بأمره»(18).

وقالوا أيضًا: إن جمع الثلاث بلفظ واحد، عمل بدعي محرم، والبدعة مردودة، قال عليه الصلاة والسلام: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَدّ».

ومن أوضح الأدلة على حرمه الطلاق الثلاث ما رواه النَّسائي عن محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: أُخبر النبي - صلى الله عليه وسلم -، عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعًا، فقام غضبان، ثم قال: «أيُلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم»، حتى قام رجل فقال: يارسول الله: ألا أقتله(18).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: طلق أبو ركانة أم ركانة، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «راجع امرأتك» فقال: إني طلقتها ثلاثًا، قال: «قد علمت، راجعها». رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه(19).

فإذا ثبت أن الطلاق الثلاث في مجلس واحد عمل محرم فينبغي ألاّ يقع أيضًا، لأن النهي عن الشيء يقتضي بطلان المنهي عنه.

وقالوا: إنه طلاق بدعي محرم للأدلة السابقة، وكل محرم مردود بجملته ولا يجوز التجزيء، إذ كل ما ترتب على الفساد فهو فاسد(20).

في مناقشة هذه الآراء والأدلة

مما تقدم من الأدلة، من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وآراء الفقهاء، حول الطلاق وتعريفه، وألفاظه، نخلص لما يلي:

إن لكل فريق من هؤلاء الفقهاء من الأدلة التي يعتمد عليها ما يعزز تصويب ما يدعو إليه، وتخطئة غيره، أو بطلان رأيه، أو تضعيفه، لكننا نرجع إلى أمور بينهم محل اتفاق وأخرى محل خلاف لنخلص منها إلى نتيجة.

من المسلم به أن جمهور الفقهاء اتفقوا على أن الطلاق البدعي محرم يأثم به المطلِّق، واختلفوا حول آثاره، فالجمهور يراه محرمًا يأثم به المطلق، إنما ينفذ في آثاره، فطلاق الثلاث ينفذ ثلاثًا على المطلق، ولو كان في مجلس واحد، ولو كان بدعيًا محرمًا.. بينما يراه الفريق الآخر بأنه محرم وباطل، ولا أثر للمحرم والباطل من الناحية الشرعية، لأنه بدعة مردودة. ويراه فريق ثالث أنه ينفذ طلقةً واحدةً في

اتفق جمهور العلماء على أن الطلقة الرجعية لا تحل قيد الزوجية حلاً تامًا، وتبقى فيه الزوجة في عصمة المُطلِّق ما دام يملك عليها الرجعة

الطلاق

بين اللغة والفقه

مجلس واحد وإن كان بدعيًا محرمًا وهو آثم به، ولا اعتبار لباقي الطلقات التي تليها ما دامت في مجلس واحد ولم تحصل فيه الرجعة قولاً وفعلاً ونية.

وقد اتفق الجمهور على أن الطلقة الرجعية لا تحل قيد الزوجية حلاً تامًا، وتبقى فيه الزوجة في عصمة المطلق مادام يملك عليها الرجعة، وتستمر على نفقته فترة العدة، وإن مات خلال ذلك ترثه.

بينما هنا رأي للسادة الشافعية قالوا فيه: إن الطلقة الرجعية ترفع قيد النكاح، كالطلاق البائن، فلا يحل للمطلق أن يطأها، أو يتمتع بها قبل أن يراجعها قولاً(21).

وقال المالكية: لا يجوز للرجل أن يطأ مطلقته في طلاق رجعي إلا بنية الرجعة خلافًا للحنفية والحنابلة.

ومما تقدم من أقوال فقهاء اللغة العربية حول الطلاق وأقوال المفسرين حوله في آيات الطلاق وفقهاء الشريعة، يظهر لنا بوضوح جلي أن الطلاق في حقيقته يفيد الإطلاق والإرسال، وحلّ القيد المعنوي لعقد النكاح بين الزوجين. وأن ما رآه السادة الشافعية من أنّه يرفع قيد النكاح كالطلاق البائن (أي الطلقة الرجعية)، يقول الشافعي رحمه الله في كتابه الموسوعي «الأم»: «كان بينا أن الرد (أي الرجعة) إنما هو بالكلام دون الفعل.. وقال: «لو طلقها فخرجت من بيته فردها إليه ينوي الرجعة أو جامعها ينوي الرجعة أو لا ينويها ولم يتكلم بالرجعة لم تكن هذه رجعة حتى يتكلم بها».. ثم قال: «إذا جامعها بعد الطلاق ينوي الرجعة أو لا ينويها، فالجماع جماع شبهة لاحد عليهما فيه ويُعزّر الزوج والمرأة إن كانت عالمة.. إلى أن يقول: لأن النكاح تحليل بعد تحريم، وكذلك الرجعة تحليل بعد تحريم»(22). وهذا ما تطمئن إليه النفس، وينسجم مع الحقيقة، حقيقة الطلاق لفظًا ومعنى، وشرعًا.

ولما كان الطلاق قد حدد له الفقهاء خمسة أركان إن اختلّ ركن منها انعدم أثره وأضحى باطلاً لا معنى له، وهي: مطلق - صيغة - محل - ولاية - قصد(23). فحينما يقدم الزوج على تطليق زوجته، فبمجرد تلفظه بالتطليقة الأولى تخرج الزوجة من عصمته، ويختل ركن من أركان الطلاق الخمسة وهو (محل الطلاق، أي الزوجة)، وتخرج بها عن ساحة نكاحه، ولا عبرة بما يقذف من فمه من الطلقات بعدها، لأنها لن تلقى محلاً لها، ما لم يُعدها إلى عصمته قولاً(1). ثم يوقع باقي الطلقات التي يمتلكها إن شاء، وهكذا. وإلا فأين محل طلاقه لباقي الطلقات التي تلفظ بها بعد الطلقة الأولى؟ فالسجان عندما يطلق أسيره من السجن، يفتح له الباب، ثم يقول له: اخرج مرة واحدة، ولا معنى لتكرار ألفاظ الخروج، ما لم يُعَد السجين إلى سجنه، ثم يتم الإطلاق ثانية، وكذلك الطائر عندما تطلقه من قفصه.

وختامًا: بعد هذه الجولة الطويلة، في رحاب الطلاق لغةً، وفقهًا، نعود لنقول: إن الكلام في ذلك بين الفقهاء قد طال وكثر، بين متشدد لدرجة التعصب، ومتسامح لدرجة اللين، والحقيقة لاشك أنها بانت من خلال هذه الأسطر، ومن خلال دراستنا لنصوص القرآن الكريم، ومنها: *وما جعل عليكم في الدين من حرج*. **الحج**: 78. *وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين*. **الأنبياء**: 107.

ونصوص السنة النبوية الشريفة، ومنها: «إن هذا الدينَ يُسرٌ، ولن يُشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه، فسدِّدوا، وقاربوا، وبشّروا، ويسّروا، واستعينُوا بالغُدْوة، والروحة وشيء من الدُّلْجَة. رواه البخاري. ومما جاء في الأثر، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما. ونصوص القرآن الكريم والسنة النبوية تفيضُ بذلك.

ونعود لنقول أخيرًا: لعل السادة الفقهاء يتحرّون اليسر واللين في فتاويهم، في مثل هذه القضية، استنادًا إلى وصية نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام: «بشّروا، ويسّروا».

فكم من الأسر تمزقت، وكم من الأطفال أُبعدوا عن حنان الأمومة وعطف الأبوة، بل شُرِّدوا نتيجة نزوة رعناء، لأب احتدّ في شجار مع زوجته.. وإثْرَ حالة نفسية، أطلق العنان لطلقاته الثلاث، بل المئة أحيانًا.. وبعدها ولو بعد حين.. جاءنا نادمًا، كليلاً، يلتمس الحل مما أوقع نفسه فيه، والفتوى على ذلك.

ألا نلمّ الشمل بعد هذا، وفي شرعنا الكثير مما نستند إليه، من دون تعصب لفقيه أو إمام، مع جل احترامنا لهم جميعًا، دون تمييز، على جلالة قدرهم، وعلو منزلتهم، ومكانتهم العالية في نفوسنا، وتشريعنا.

يقول الدكتور وهبة الزحيلي: «والظاهر ألا حجة لهؤلاء إلا الغلو في تحديد مرتبة الاجتهاد، وَقَصْره على الأئمة السابقين، والتزام تقليدهم، مع أن وسائل الاجتهاد متوافرة لمن بعدهم أكثر منهم، وإن فضل الله في إفاضة العلم والفهم لا يقتصر على زمان دون زمان.. أو أن يكون مرادهم، الخلوّ عن المجتهد المطلق المستقل بوضع أصول فقهية، وهذا لاشك قد فُرغ منه، وليس لأحد زيادة عليه، أما بقية أنواع المجتهدين فلا يخلو منهم عصر. أخرج أبو نعيم في الحلية عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -، قال: «لن تخلو الأرض من قائم لله بحجة لكيلا تبطل حجج الله وبيناته، أولئك هم الأقلّون عددًا الأعظمون عند الله قدرًا»(24).

اللهم، علّمنا ما نجهل، وارزقنا الفهم والإخلاص في ذلك، علمًا وعملاً، لوجهك الكريم وخدمة عبادك، يارب.

وآخر دعوانا، أن الحمد لله ربّ العالمين.

الهوامش:

1- زبدة التفسير، ط4 ص46، 748، للدكتور محمد سليمان عبدالله الأشقر، عن تفسير الإمام الشوكاني: فتح القدير.

2-3- التفسير المنير، للدكتور وهبة الزحيلي، ط1، 1991م، ج2، ص 330، 331، 333، 334.

4- القاموس الفقهي، للقاضي سعدى أبو جيب، ط1، دار الفكر، ص 230، 231.

5- موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، للقاضي سعدي أبو جيب، ط2، دار الفكر بدمشق، ج2، ص 710.

6-7- فقه السنة. السيد سابق، ط3، ج2، ص253، 154.

8- الفقه الإسلامي وأدلته، للدكتور وهبة الزحيلي، ط3، دار الفكر دمشق، ج7، ص381.

9- فقه السنة، مصدر سابق، ص255، والقانون هو القانون المصري رقم 25 لعام 1929م، المادة 4 منه: «كنايات الطلاق: وهي تحتمل الطلاق أو غيره لا يقع بها الطلاق إلا بالنية». وكذلك المادة 93 من من قانون الأحوال الشخصية السوري التي نصت،: «ويقع بالألفاظ الكنائية التي تحتمل معنى الطلاق وغيره بالنية».

10-11- فقه السنة، مصدر سابق ص264، 265، 266.

12-16- محاضرات في الفقه المقارن، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، ط2، دار الفكر، ص100، 101، 102، 104، 105بشيء من التصرف.

17- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ج2، ص 1099 رقم الحديث 1472.

18- محاضرات في الفقه، مصدر سابق، ص 106، ورواه النسائي في كتاب الطلاق. سبل السلام ج3، صفحة 363.

19- سبل السلام، للشيخ الإمام محمد بن إسماعيل اليمني الصنعاني، الجزء الثالث، ص 364.

20- محاضرات في الفقه، مصدر سابق، ص 107، وهذا المرجع كان المصدر الرئيس لبحثنا في الأدلة للطرفين، فجرى الاقتباس منه مطولاً.

21- الفقه على المذاهب الأربعة، عبدالرحمن الجزيري، ج4، ص278، 279. وفقه السنة، السيد سابق، ج2، ص275.

22- الأم، للإمام الشافعي، ط. دار المعرفة، المجلد الثالث، ج5، ص244.

23- ذلك مما حدده السادة الشافعية والحنابلة، وقال المالكية: إن أركان الطلاق أربعة. انظر: الفقه الإسلامي وأدلته، مصدر سابق، ج7، ص361، 362.

24- أصول الفقه الإسلامي، للدكتور وهبة الزحيلي، ط1، دار الفكر، ج2، ص1071، 1072.

سرقتان في الأدب

د. الصادقي العماري

تنتاب واقعنا الثقافي عدةُ مظاهر سلبية، مما جعل العبء مُضْنيًا وثقيلاً على كاهل المخلصين من النقاد والباحثين، ومن هذه المظاهر السلبية - على سبيل المثال - لا الحصر:

- الاستهانة بأساليب التعبير وفحش الأخطاء اللغوية وتفشّيها حتى بين أولئك الذين يُعَدُّون من المتخصصين باللغة العربية وآدابها، ومنهم من يدّعي القدرة على الكتابة، فلا تكاد تسلم له مقالة من هنات لا يرتكبها إلا صبيان المدارس.

- ظهور الغموض على الوضوح، والمواربة على القصد والتصريح، والهيام بالألقاب الفارغة من كل دلالة إلا على التهافت والاستلاب مع التعالي والادّعاء، واللهث وراء الشهرة وحبّ الظهور. فهذا ناقدٌ مع أنه لا يملك من مؤهلات النقد نقيرًا ولا قطميرًا إلا ترديد الألفاظ أو المصطلحات الجوفاء، والتعلق بما هو أوهن من خيوط العنكبوت. وذاك مبدعٌ مع أن رصيده المعرفي ضئيل بئيل [بُؤل بآلة وبُؤولةً فهو بئيل: ضَؤُل فهو ضَئيل]، وبضاعته مزجاة، وليس له من الزاد ما يبلغ المراد.

- شيوع السرقات الأدبية، والأنكى أن يكون بعض مرتكبيها دكاترة وأساتذة جامعيين، حتى غدا بعض من يعمد إلى تصدير اسمه بهذا اللقب العلمي موضع ريب، بعد أن كان من يحمله فيما مضى موطن ثقة ونزاهة، وهذا المظهر هو محط الاهتمام في هذه المقالة آملاً أن تتاح الفرصة في مناسبات أُخَر لتناول المظهرَيْن الآخريْن.

لقد سبق لي أن أمطت اللثام عن سرقتين أقدم عليهما أحد أساتذة كلية الآداب بجامعة المنصورة بمصر، وأعرض الآن سرقتين اقترفتهما أستاذة النقد المسرحي والإلقاء بمعهد الفنون التابع للجامعة اللبنانية، وهي الدكتوره «هند قواص».

فقد ادَّعَتْ الدكتوره أن الكتابَيْن الآتي ذكرهما من تأليفها، وهما:

1- المدخل إلى المسرح العربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1981م.

2- المسرح في مجال الأدب وعلم النفس، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1982م.

ورغبة في إشراك القارئ في كيفية توصلي إلى معرفة السرقتين، أذكر له أنه منذ مدة ليست باليسيرة وقع بين يدي الكتاب الأول «المدخل إلى المسرح العربي»، وتوقعت أن أجد فيه بعض ما يغني معلوماتي في هذا الفن، ولما تصفحت بعض مضامينه ألفيته كتابًا لا يقدم ما يرضي فضول الباحث، فتركته جانبًا، ثم بعد أشهر اقتنيت الكتاب الثاني: «المسرح في مجال الأدب وعلم النفس». ولما كان الكتابان لمؤلفة واحدة وتيسر لي بعض الفراغ عزمت على قراءتهما. وبدأت بالكتاب الأول، ولما تجاوزت بعض الصفحات شعرت بتغير في الأسلوب، إذ كان أسلوب الصفحات الأولى سقيمًا ركيكًا.

وشعرت فوق ذلك بأن المعلومات التي أقرؤها سبق أن اطلعت عليها في كتاب ما، ولما تأكدت من هذا الإحساس أخذت أقابل بين ما لديّ من مراجع وما ورد في هذا الكتاب، حتى وقفت على موطن السرقة وهو كتاب: «الفن المسرحي في الأدب العربي الحديث» تأليف الدكتور محمود حامد شوكت، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة 1970م. هذا هو الكتاب الذي سطت عليه الدكتوره هند، دون أدنى إشارة إلى الكتاب أو إحالة عليه.

وليقف القارئ على مواقع السرقة، أقدم ذكر الصفحات السارقة من كتاب المؤلفة الدكتوره هند وما يقابلها من الصفحات المسروقة من كتاب الدكتور شوكت.

- في ص27 من كتاب المؤلفة بدءًا من الفقرة التي قبل الأخيرة إلى ص31، الفقرة التي قبل الأخيرة. هذه الصفحات سُرقت من كتاب شوكت: من ص5 إلى ص11، ثم تعود المؤلفة للنقل من ص38، 39 في كتابها وتقابل في الكتاب المسروق منه: ص12، 13، 14.

ثم تورد المؤلفة مجموعة من الصور لأعلام المسرح وغيرهم من ص40 إلى ص55. وفي الصفحات 56، 59، 60، 61، 62، وهذه الصفحات تقابل الصفحات الآتية من الكتاب المسروق منه: ص14، 15، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 32، 33، 41.

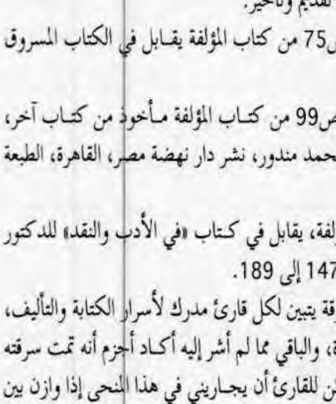
- الصفحات 68- 72 من الكتاب السارق تقابل ما يأتي من صفحات الكتاب المسروق منه: ص46، 47، 52، 56، 58، 60، 29، 61، 62، 165، 168، 169، 32، 33، 41، 46، 47، 52، 56، 80، 81، بهذا الترتيب الذي يلاحظ فيه تقديم وتأخير.

- وما جاء في ص74 إلى الفقرة الأولى من ص75 من كتاب المؤلفة يقابل في الكتاب المسروق منه: ص67، 68، 75.

- وبعض ما في الصفحات من 89 إلى أول ص99 من كتاب المؤلفة مأخوذ من كتاب آخر، وهذه المرة من كتاب «في الأدب والنقد» للدكتور محمد مندور، نشر دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الخامسة، ص14، 15، 16.

- وما في ص126 إلى ص151 من كتاب المؤلفة، يقابل في كتاب «في الأدب والنقد» للدكتور مندور الصفحات الآتية: من 141 إلى 145، ومن 147 إلى 189.

بهذه المتابعة لأرقام الصفحات السارقة والمسروقة يتبين لكل قارئ مدرك لأسرار الكتابة والتأليف، أن المؤلفة ليس لها من الكتاب إلا صفحات معدودة، والباقي مما لم أشر إليه أكاد أجزم أنه تمت سرقته من مراجع أخرى غير الكتابين المشار إليهما، ويمكن للقارئ أن يجاريني في هذا النحى إذا وازن بين أسلوب المؤلفة عندما تكتب، والأسلوب الذي صيغت به الموضوعات المسروقة. ولا أرى المجال هنا متسعًا لعرض نماذج من «كتابة» المؤلفة ليدرك القارئ أنها دخيلة على الكتابة، إذ لا قدرة لها على الصياغة السليمة والقويمة؛ لا من حيث التعابير والتصميم، ولا من حيث المضامين، وأكتفي هنا بإثبات أمثلة بإيجاز:



زكي طليمات

تقول المؤلفة في ص58، الفقرة الثانية:

«.. إذًا فالإنسان العربي بطبيعته ولد فنانًا موهوبًا وشاعرًا، ولكن لم يكن في ذلك الوقت معروف (كذا) بفن التمثيل، ولكن كل ما كان يحصل أخذته المسارح الغربية...

فحياة العرب صورة حيّة من البطولات والفنون، جميع الفنون. وأما ما يقرره علم النفس

المسرحية!

أن هناك دوافع تقف خلف الإنسان بفطرته يميل إلى المعاطاة الطبيعية فيما يتدعه، وما يحيط به، وأن الإنسان بطبيعته قوة مبدعة خلاقة وخصوصًا الإنسان العربي فهو أكثر الناس حماسية، فلهذا أبدعوا الشعراء ولمعوا الفنانين العرب وبفترة وجيزة استطاع العرب أن يسبق الغرب في هذا المجال..».

فهذه التعابير تنم على عجز واضح وضعف القدرة على الصياغة السليمة. وتبدو هذه الصياغة أقرب إلى ما عهده المدرسون في إنشاء التلاميذ، فلينظر القارئ إلى كلمة «معروف»، وكان أن تقول «معروفًا»، ثم «.. خلف الإنسان بفطرته يميل إلى المعاطاة..»، كم هو سقيم هذا التركيب وما بعده، ثم «.. أكثر الناس حماسية..» من أي جهة يستساغ؟ ثم «... فلهذا أبدعوا الشعراء ولمعوا الفنانين..».

فعلام يعود ضمير واو الجماعة في أبدعوا ولمعوا؟ هذا هو الأسلوب عند المؤلفة! وهذا هو التصميم المحكم لعرض الأفكار!

ومثال آخر صارخ ودال على الفراغ المعرفي والعجز عن الصياغة البريئة من المعاضلة، تقول المؤلفة في آخر صفحة 57: «.. فبرغم ما كان الشرق العربي إذ ذاك أخيرًا بأسباب إحياء الأدب العربي في لغته وتراثه، فقد كانت هناك ندوات تقام بشكل تمثيلي حواري بأمة العرب للاستمتاع به..».

انظر إلى هذا التعبير السقيم الفج الذي يدل على الجهل بأسرار العربية «.. إذ ذاك أخيرًا..»، و«.. ندوات تقام بشكل تمثيلي حواري بأمة العرب..».

ولا يتسع المقام لإيراد المزيد، ولكن تمكن الإشارة إلى الصفحات والجمل الآتية للتأكد من ضعف التعبير لدى المؤلفة، انظروا أول ص58: «.. وانتخاب أجمل قصيدة وخطها في الماء الذهب». ومثل «.. ويقف الناقد فينتخب أحدهم ويصار إلى تعليق شعره على الجدران تقديرًا له وعلى فنه الرفيع..».

وفي ص32، السطر 5: «أكثر من مئة عام يكاد أن يفسدان كل ما نسميه فنًا مسرحيًا...». في الصفحة نفسها السطر 14: «... وقد كان للمستر كريج أتباعًا ومعجبين»، وكذلك ما في ص99 السطر 20: «... كما كان هناك مؤلفين في المسرح الفرنسي...».

إلى غير هذه من التعابير الفاسدة والأخطاء الفاحشة، ثم هناك جانب آخر هو تصرف المؤلفة في بعض المواطن مما سرقته. وهذا التصرف يدل دلالة واضحة على عدم فهم؛ مما يشوه المقاصد المتوخاة ويضيع السياق. ومن ذلك مثلاً ما نقلته المؤلفة إلى كتابها ص 62: «.. وجدت المدرسة المصرية تنهج نهج المدرسة السورية، ففي دار التمثيل العربي مثّل سلامة حجازي وغنّى، ومن المؤلفين في مصر عبر بالعامية والزجل، وفريق آخر غنى على المسرح، وفريق استوحى موضوعاته من الحياة القومية معبرًا بالفصحى والسجع في الحوار».


ظافر القاسمي

وفي كتاب شوكت، ص28:

«.. وُجدت مدرسة مصرية تنهج نهج المدرسة السورية المتمصرة، ففي دار التمثيل العربي مَثّل سلامة حجازي وغَنّى، ومن المؤلفين فريق مَصّر وعَبّر بالعامية وبالزجل، وفريق غنى على المسرح، وفريق استوحى موضوعاته من الحياة القومية معبرًا بالفصحى والسجع في الحوار».

وبالموازنة بين النصين يتضح أن المؤلفة عمدت إلى حذف ما لا يصح حذفه، إذ بذلك شوهت ما كان يقصد إليه المؤلف ظانة أن تصرفها قد يضفي الشرعية على سرقتها الصارخة، أو أنها أدرى وأكثر حذقًا من المؤلف المسروق منه.

وفي الصفحة نفسها من كتاب المؤلفة ما يأتي:

«وإذا ألقينا نظرة عابرة على مسرح سلامة حجازي نجد دلالة واضحة لاعتماده على الغناء، وعلى روعة المناظر والملابس والتلائم (كذا) بين الذوق الشعبي وهذا النوع، وقد ظهرت معالم المسرح الغنائي الشعبي واضحة للأبصار، حيث اكتسب الشهرة والأهمية..».

وفي الكتاب المسروق منه ص21، 22:

«.. وإن نظرة عابرة إلى مسرح سلامة حجازي لَتَدُلُّ دلالة واضحة على اعتماده على الغناء، وعلى روعة المناظر والملابس، ولملاءمة هذا النوع للذوق الشعبي - كما ذكر المرحوم سليمان نجيب - ظهرت معالم المسرح الغنائي الشعبي واضحة للأبصار، وعلى يديه اكتسب المسرح الغنائي الشعبي أهمية وشهرة...».

وهذا نقل مشوه ومثله كثير، فما من تصرف تقدم عليه المؤلفة الدكتوره إلا وتسيء إلى السياق وإلى المعاني المراد عرضها. ومن ذلك ما ورد في الفقرة الثانية من الصفحة نفسها (62) وبمقابلتها بما عند المؤلف المسروق منه في ص22، 32، 33، 41، ندرك مدى التشويه الذي أخرج النص عن المقصود، وكذلك ما ورد عند المؤلفة في ص68، ومقابلته بما عند المؤلف المسروق منه ص46، 47، 52، 56، 58، 60، 29، 61 بهذا الترتيب.

والتصرف عند المؤلفة لا يعدو أن يكون أخذ سطر أو أكثر من هذه الصفحة أو تلك، أو حذف جملة أو فقرة أو كلمة. انظر مثلاً ما جاء في «كتابها» ص71، الفقرة الثالثة والرابعة، ومقابلة ذلك بما جاء في كتاب المؤلف المسروق منه ص32، 33، 41، 46.

كما أن هذا التصرف يؤدي بالمؤلفة إلى ارتكاب أخطاء نحوية وإملائية وأسلوبية لا تخفى على القارئ.

وبصفة عامة، فإن كتاب المؤلفة ليس ككل الكتب الموضوعية التي تأخذ بتقسيم من التقسيمات المعهودة، فهو ليس من هذا القبيل؛ فلا أبواب ولا فصول ولا يحكمه أي تنظيم؛ لا من حيث ترتيب المادة المعروضة، ولا من حيث التدرج التاريخي، ولا من حيث الموضوعات، بل هو شذرات من الفقرات الموزعة والمشتتة وبعناوين لا تدل في كثير من الأحيان على المحتوى، مما جعله مزقًا لا رابط بينها. وحتى يكون القارئ على بينة يمكنه أن يلقي نظرة على الفهرس، ثم إذا تصفح الكتاب سيقتنع بأن ليس للمؤلفة أي تصور منسجم ومتكامل للموضوع، ولإبراز هذه الظاهرة نورد الإشارات الآتية:

- تضع المؤلفة كلمة «الفصل الأول» في ص23، وإذا تتبع القارئ مضمون الكتاب لا يجد الفصل الثاني ولا غيره، فكأن الكتاب كله فصل واحد.

- نجد عنوانًا باسم «الملهاة» في ص28، وفي ص35 نجد عنوانًا آخر باسم «الكوميديا»، وكأن الملهاة شيء والكوميديا شيء آخر. وفي ص30 نجد عنوانًا باسم «ظهور الدراما الحديثة»، وفي ص152 «المسرح الديني في العصور الوسطى»، وفي ص129 نجد عنوانًا باسم «المسرحية في العصور الوسطى». فأين التدرج الزمني التاريخي؟ وأين المتقدم من المتأخر؟ بالإضافة إلى هذا نجد فوضى في توزيع المادة المبعثرة. وفي ص99 عنوان باسم «المسرح الاجتماعي»، ثم تثبت بعده عناوين تتعلق بالإلقاء والتمثيل والإخراج، وغير هذه العناصر ولكن، كل ذلك مجرد عناوين لا تحمل مضمونًا رصينًا ومنضبطًا.

كتاب المؤلفة لا يأخذ بتقسيم من التقسيمات المعهودة؛ فلا أبواب ولا فصول ولا تنظيم ولا تدرج؛ بل شذرات موزعة ومشتتة، مما جعله مزقًا لا رابط بينها!

أما ما سرقته المؤلفة من كتاب «في الأدب

سرقتان في الأدب المسرحي

والنقد» للدكتور محمد مندور، ونقلته إلى كتابها بدءًا من صفحة 89، 90، 126، 127، 128، 129 إلى ص151، فهذه الصفحات تقابل في كتاب الدكتور مندور: من ص14 إلى ص16، ومن ص141 إلى189.

في هذا القسم يقل «تصرف» المؤلفة، إذ تنقل نقلاً مطابقًا لما في الكتاب المسروق منه باستثناء بعض الجمل أو الكلمات.

هذا هو التأليف عند الدكتوره هند قواص في كتابها «المدخل إلى المسرح العربي». ومن الغريب أن نجد في تقديم الكتاب ثناءً وتمجيداً فائقًا لها ولكتابها من عَلَمَيْن من أعلام الثقافة والمسرح، وهما: زكي طليمات، وهو من عمداء المسرح في مصر، وظافر القاسمي من رجال القانون والفكر السوريين.

مما قاله الأستاذ ظافر القاسمي في ص11 من الكتاب المذكور: «حين ألقت إلي السيدة الدكتوره هند قواص كتابها الممتع الفريد عن المسرح وتاريخه وأصوله، هاجت في نفسي ذكريات ...». ثم يقول في ص13: «الدكتوره قواص، هاوية لفنها ممارسة له عمليًا، فهي قد جمعت بين الفضائل العلمية والخصائص والدراسات النظرية».

ويقول أيضًا في ص15: «وحسب السيدة المؤلفة أنها أهدت إلى المكتبة العربية كتابًا بكرًا في موضوعه وفي أسلوب معالجته».

أما زكي طليمات فيقول ص6: «إن مؤلفة هذا الكتاب الذي يعتبر موسوعة في أدب المسرح وفن التمثيل وفقهه، وكل ما يتصل بالمسرح منذ نشأته حتى يومنا هذا من إلقاء وتمثيل وفن وخطابة وإخراج ونقد وشعر، ولقد لفتت هذه الفنانة الأنظار منذ صغرها...». ويقول أيضًا في ص8: «وهي اليوم تدرس الفقه المسرحي والإلقاء والصوت وفن التمثيل والإخراج والأدب المسرحي بجميع ألوانه، وهي من أبرز من عمل في هذا الحقل على الإطلاق».

كيف جاز لعلمين من أعلام الثقافة والمسرح أن يقرظا كتاب المؤلفة، على ما فيه من سرقة وخلط وتشويه؟ أهي المحاباة المكشوفة، أم الثقة المبالغ فيها؟!

مما يبعث على الاستغراب أن يصدر هذا التبجيل وهذا التقدير عن عَلَمَيْن ضربا بسهم وافر في المجال الثقافي والمسرحي، والأمر لايعدو أن يكون: إما من باب إطلاق الكلام على عواهنه دون اطلاع على الكتاب، نظراً للثقة المبالغ فيها بالمؤلفة، وإما على سبيل المحاباة المكشوفة دون إعارة أي اعتبار للقارئ الذي سيضلله ما قدماه من إشادة بالكتاب وإطراء له بلا حساب. ومما لا مراء فيه ألا مجال للمحاباة في الميدان العلمي، ولا يحق لهما ذلك مراعاة لمكانتهما أولاً، وللقارئ ثانيًا، ثم للأمانة العلمية ثالثًا، ولا يستبعد ـ من جراء هذا الموقف الغريب ـ أن نقول إن درايتهما ضحلة وضعيفة إلى حد انطلاء حيلة المؤلفة وسرقتها عليهما، وإلا كيف يُستساغ أن يقول زكي طليمات: «... الكتاب يعتبر موسوعة في أدب المسرح...»، أو أن يقول: «... إنها أبرز من عمل في هذا الحقل على الإطلاق!»، كيف حسب هذا الكتاب السارق موسوعة وهو مهلهل البناء؟ وكيف يُستساغ قول ظافر القاسمي: «إنه الكتاب الممتع الفريد عن المسرح؟»، وقوله: «إنها أهدت إلى المكتبة العربية كتابًا بكرًا في موضوعه وأسلوبه»! هل يعرف الكاتب الفاضل ما في المكتبة العربية، فالموضوع مطروق بكثرة وهو لا يحمل على الإطلاق جديداً، وأسلوبه سقيم إلا ما سرقته، وبناؤه متداع. وتقول المؤلفة بصلف وادعاء: «.. وخلاصة تجاربنا هذه وضعناها في هذا الكتاب الذي يعتبر مرجعًا للمسرح منذ نشأته حتى كتابة هذه السطور» ص18. وتقول أيضًا: «إن سيرة هذا الكتاب تتضمن عصارة عمر أنفقته في قراءة الأدب والشعر والقصص» ص 18. كيف تأتّى لها أن تقول ما قالته وهي بمنأى عن الأمانة؟ فهل خلاصة التجارب هي السرقة؟! وهل عصارة العمر هي السطو على جهود الآخرين من دون تورع!؟ اللهم الطف بنا.

الكتاب الثاني للمؤلفة وهو «المسرح في مجال الأدب وعلم النفس». هذا الكتاب فيه قسم سُرِقَ من كتاب «في الأدب والنقد» للدكتور مندور، ابتداء من ص161 إلى ص262، وتقابل في كتاب مندور الصفحات الآتية: 183، 184، ثم من ص6 إلى ص140.

أما ما قبل ص161 من كتاب المؤلفة؛ أي من ص5 إلى 160، فيبدو واضحًا أن بعض الصفحات من «إنشاء» المؤلفة وهو إنشاء لا تخفى ركاكته وضحالة مضمونه على القارئ، لما فيه من أخطاء لغوية فاحشة وضعف في تراكيبه. ثم يلاحظ القارئ أن هناك مواطن تتسم بالاتساق وصحة التعبير وسلامته وانسجام فقراته وإحكام بنائه، وهذا مخالف تمام المخالفة لما لاحظه القارئ في «إنشاء» المؤلفة، مما يؤكد أن هذا القسم المتسق، ليس قطعًا من إنشائها، ويبتدئ من ص49 إلى 135، وأكاد أجزم أنه منقول من أحد كتب علم النفس، والدليل المرجِّح أن هذا القسم يحمل عناوين: الأبواب والفصول خلاف ما في الكتاب كله، فلماذا هذا القسم وحده هو الموزع على أبواب وفصول؟ كما أن هناك خللاً واضحًا في عدد الفصول، مما يدل على أن المؤلفة تصرفت بالتقديم والتأخير فيما نقلته، أو أنها تجاوزت بعض الفصول دون أن تعمد إلى نقلها ـ كما هو دأبها ـ. نجد في ص61: الباب الثاني، الفصل الأول. وإذا راجعنا ما تقدم لا نجد أبداً الباب الأول، ثم نجد بعد ذلك عنوان «الفصل الثالث»، فأين الفصل الثاني؟ وفي ص91 نجد الفصل الثاني، فهل الثاني يأتي بعد الثالث؟!

وفي ص101 نجد «الفصل الثالث» مرة أخرى، وفي ص113 نجد الفصل الثاني، وفي ص119 نجد الفصل الثالث، وفي ص127 نجد الفصل الرابع، وفي ص129 نجد الفصل الأول دون أن نجد الفصل الثاني أو غيره، ودون أن نجد للباب الأول بابًا ثانيًا! وبعد ذلك كله ينقطع التقسيم إلى أبواب أو فصول، ونستنتج من ذلك أن التقسيم المثبت إنما هو خاص بالكتاب المسروق منه، وليس من وضع المؤلفة، وقد عمدت إلى نقله لجهلها بمقتضيات التأليف. لقد سبقت الإشارة إلى أن المادة العلمية المتضمنة في الكتاب الأول لا جدال في صحة ما تمت سرقته وفائدته، أما حينما تُقْحِمُ المؤلفة نفسها، فما تذكره نتف من هنا وهناك، دون تنظيم ولا ربط ولا إحكام، وتعيد وتكرر ولو بعد أسطر قليلة وبذلك لا تصيب المَفْصِل ـ كما يقال ـ ومن ذلك مثلاً ما في ص26، السطر 19 وما بعده، وفي ص28 السطر الخامس. سبق ذكر مضمون ذلك في ص 35 تكرار. في الكتاب الثاني، تذكر في ص21 أن الإلياذة من الشعر الغنائي، ثم تكرر الكلام تكرارًا مملاً في الصفحة نفسها، السطر الثامن والتاسع والحادي عشر والثاني عشر، وانظر أيضًا ص28 وغير هذه المواطن مما لا يخفى على القارئ. والمؤلفة ترتكب هذه الأخطاء في اللغة والمعنى مع أن ما كتبته من إنشائها لا يعدو صفحات معدودة، والباقي سرقة مكشوفة، ولهذا كله لا يُعفى الناقد من تمحيص صحة نسبة النص إلى صاحبه.

والجدير بالذكر ـ قبل أن أفرغ من هذا الموضوع ـ أن المنهج البنوي الشكلي أو اللساني في النقد ينطلق من مبدأ متداول، وهو ما عرف «بموت المؤلف»، ويعني اتباع هذا المنهج تغييب كل ما يتعلق بالمؤلف في أثناء الممارسة النقدية، قصد توجيه الجهد كله بكيفية مكثفة إلى النص، بنياته ومكوناته الدلالية والتركيبية والصرفية والصوتية، ولا شيء غير النص، وكل ذلك حتى لا يتخذ النص دلالة ثابتة محددة أو سرية إذا ما رُبط بمبدعه. وليس هذا الموقف إلاّ رد فعل للمناهج السائدة من قبل، من المنهج التاريخي أو الاجتماعي أو النفسي أو النقد التأثري، تلك المناهج كانت تعنى بما سمي «خارج النص»؛ أي دراسة سيرة المؤلف ونفسيته ومكوناته المعرفية والمؤثرات فيه وعصره وواقعه الاجتماعي والثقافي، بحسبان أن للنص صلةً وثيقة بتلك المجالات ولا سبيل للنفاذ إلى صميمه واستنطاق دلالته والكشف عن مقاصده وخفاياه بغير بسط القول في الجوانب المومى إليها. ولتدارك ما أغفله المنهج البنوي اللساني حاولت البنوية التكوينية تلافي النقص فأدخلت في حسبانها رؤية الكاتب للعالم وربطته بالواقع الاجتماعي والثقافي دون إغفال الجانب البنائي للنص. ويبدو من خلال التجارب النقدية ألاّ سبيل إلى تنحية مؤلف النص أو مبدعه، وهذا يستدعي النظر في صحة نسبة النص إليه بحكم أن هذا الإجراء خطوة لا غنى عنها، أما ما يدعيه البعض من أن الوقوف على مبدأ التناص يلغي النظر في قضية السرقات فأمر فيه خلط، لأن التماثل أو الاقتباس أو التضمين أو توارد الخواطر شيء، والسرقة التي تتم عن عمد وبكيفية استنساخية شيء آخر. فالسرقة شذوذ والتناص ظاهرة ملازمة داخلة في الرصيد الثقافي للمبدع أو الدارس؛ سواء حصل تناص مع نصوص سابقة أو مع الواقع، ولا يتسع المجال هنا لبيان أكثر. وما أرجوه هو أن تُحشد جهود النقاد لمحاصرة هذه الآفة ـ السرقات ـ.

والله المستعان وبه التوفيق والسداد وهو الهادي إلي سبيل الرشاد.

أقوال وخواطر

المتشاعرون

د. نوره صالح الشملان

يموتُ رديء الشعر من قبل أهله
وجيِّدُهُ يحيا وإن مات قائله

تزدحم الساحة الأدبية بغثِّ الشعر، فالباب مفتوح للجميع، والصحف أكثر من الشعراء، والنقاد غائبون؛ لأنهم بين مترفع عن نقد هذا الغثاء، وخائف من عاقبة قول الحق.

إن كل من أمسك قلمًا وورقة ووضع بعض الكلمات المتجاورة قال عن نفسه: إنه شاعر، وهللت لقدومه الساحة الأدبية أو من يمسك بزمام هذه الساحة؛ إما جهلاً أو مجاملة.

لقد كان النقاد القدماء يتّسمُون بالحزم والصراحة، فلا يمدحون إلا ما هو أهل للمدح، وكانوا لا يجاملون من لا يتمتع بشعر جيد، ولهم مواقف طريفة تتسم بالصدق والصراحة مع أبنائهم وتلامذتهم

فهذا رجل يعرض عليه ابنه شعرًا ركيكًا فيقول له: يا بني ما بَقِي أحد إلا وقد عرض عليه الشيطان هذا الشعر فما قبله إلا أنت.

وسمع الفقيه أحمد بن الوليد بن برد فقيه أنطاكية شعرًا مرة لشاعر مبتدئ طلب منه أن يبدي رأيه فيه فأجابه الفقيه شعرًا:

قد جاءني لك شعر لم يكن حسنًا
ولا صوابًا ولا قصدًا ولا سددا
وجدتُ فيه عيوبًا غير واحدة
ولم أزل لعيوب الشعر منتقدًا
كأن ذا خبرة بالشعر جَمّعه
ثم انتقى منه شرَّ ما وجدا
إني نصحتك فيما قد أتيتَ به
من الفضائح نُصحَ الوالدِ الولَدَا

وبشار، الشاعر المعروف، عرض عليه رجل شعرًا فلم يعجبه لركاكته فقال للرجل: يا هذا أَخْبِئ هذا الشعر كما تُخبِئ سوأتك.

وحين ذهب الأصمعي إلى بغداد عرض عليه أحد الشعراء شعرًا ضعيفًا فبكى الأصمعي، وحين سُئل عما يبكيه قال: يبكيني أنه ليس لغريب عندكم قدر، لو كنت ببلدي البصرة ما تجرأ هذا الكشحان(1) أن يعرض عليّ هذا الشعر وأسكت عنه. وحين سُئل المفضل الضبيّ: لم لا تقول الشعر وأنت أعلم الناس به؟ قال: علمي به يمنعني من قوله.

ولم تكن عاطفة الأبوة لتقود الأب إلى تبني ابنه إذا كان مدركًا أنه لانفع من ورائه، وأن الشعر موهبة لا يملكها هذا الابن، ولعل في موقف أبي العتاهية من ابنه ما يوضح ذلك.

كان قوم عند أبي العتاهية فأتى ابنه وأنشده شعرًا، فخجل أبو العتاهية من ضعف هذا الشعر، فقال لجلسائه: إني والله نهيته عن هذا فما انتهى؛ فقال ولده: أريد أن أتعوده وأنشأ عليه، فقال: يا بني هذا الأمر يحتاج إلى رقة وطبع فائض، وأنت ثقيل الجوانب مظلم الحركات فاذهب إلى سوقك سوق البز فإنه أعود عليك.

ولعل من أغرب المواقف ما حدث لأحد سادات العرب، وهو محمد بن الحسن المصني الذي أتاه ولده بشعر فلما سمعه قال: أمك طالق ثلاثًا إذ ولدت مثلك.

ويبدو أن من يتجرؤون على نشر نتاجهم الركيك قد سمعوا بما قاله أحدهم لخصمه:

سوف أهجوك إن بقيتُ بشعر
ليس إن قوّموه فَلْسَيْن يسوى
ويقولون ذا رديء وحسبي
أن يقولوا: هذا رديء ويُروَى

اللهم طَهِّرْ ساحتنا الأدبية وصحفنا من الشعر الرديء الذي يُمجُّهُ الذوق السليم، وامنح نُقَّادنا شجاعة تمكنهم من قول الحق وتحمل تبعاته.

وصدق الله العظيم الذي قال: *فأما الزَّبدُ فيذهب جُفاءً وأما ما ينفعُ الناسَ فيمكُثُ في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال.* الرعد: 17.

الهوامش:

1- الكشحان: داء يصيب الكشح ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي.

بشير باتيل:

مِنْ تعدُّد الآلهة إلى التوحيد المُطلق!

ولد رامش شاندرا بوروشوتـا ماد باتيل عام 1929م وسط أسرة هندوسية تُعَدّ من نبلاء الهندوس، وتتميز - إلى جانب ثقافتها العالية ومركزها الاجتماعي الراقي بين طبقة البراهمة، أعلى طبقات الهندوس - بكونها أسرة محافظة متدينة إلى أقصى الحدود.

وبين ظهراني هذه الأسرة المرموقة المكانة، شبَّ رامش باتيل، مزهواً بنفسه وعائلته؛ فحيثما يحل يجد نفسه محاطًا بالتبجيل والاحترام اللائقين باسم الأسرة ومكانتها، وعلى دين والديه طفق يعبد الأصنام، ويقدس الصور، ويقدم لكاهن المعبد القرابين ليضمن رضا الآلهة المزعومة عنه، ويعتقد بقدرة نهر الجانج «المقدس» على تطهيره من الذنوب والمعاصي وشرور البشرية كافة.

تفرقة عنصرية

كانت هذه معتقداته، وذاك إيمانه كما علمته إياه الأسرة، وكما شاهد الشطر الأكبر من مجتمعه يؤمن به، إلا أن وضعًا شاذاً مؤلمًا كان يستوقفه، يدعوه إلى أن يراجع عقيدته وعقيدة آبائه، ليرى إن كانت - بالفعل - تحقق العدل الذي هو أسمى غايات البشر. ففي الهندوسية - على ميلها، شأن العقائد الوثنية عامة، إلى الفلسفة والروحانيات - توجد تفرقة عنصرية بغيضة، فالبشر عند هذه العقيدة لا يتساوون، بل هم درجات: أعلاها البراهمة، وأدناها المنبوذون، وعلى عاتق هذه الطائفة الأخيرة تقع كل الجرائم التي تُرتكب باسم العقيدة. فالمنبوذ في التصور الهندوسي وُجد ليخدم طبقة السادة «البراهمة»، ومهما علا المنبوذ أو أظهر نبوغًا فإنه يظل في أسفل المجتمع، يحرم عليه ما يباح لغيره من الطبقات، وعليه أن يتقبل ذلك بلا تذمر، فهذه رغبة الآلهة، مهما بذل في سبيل تلك الآلهة المزعومة من قرابين أو طاعة عمياء، ذلك أن النص على هذه التفرقة العنصرية موجود في الكتب المقدسة لأصول الهندوسية، ولا سبيل لتبديله.

كان موقف الهندوسية من طائفة المنبوذين أقوى من أن يتقبله إنسان فطره الله على الرحمة وحب الخير مثل رامش باتيل، إذ وجد هذا الموقف سببًا في تلك الأمراض والآلام النفسية التي يعانيها شعبه، وأشعره بعدم راحة الضمير، بوصفه واحداً من المستفيدين من هذا الوضع الشاذ، لديانة حافلة بالمتناقضات، ودفعه هذا الشعور النبيل إلى أن يجدَّ السعي في دراسة عقيدة لعله يخرج منها بشيء يهدي روحه الحيرى، ويسوّغ لها أسباب تلك التفرقة بين أبناء عقيدة واحدة، لكنه كلما أوغل في دراساته للهندوسية كان يجد نفسه يزداد بعداً عنها كلما أراد اقترابًا، فأصابته خيبة أمل كبير، وفقد الثقة بالعقيدة التي شب منذ طفولته معتقداً صحتها.

رحلة مع العقائد والأديان

وللخلاص من التمزق النفسي الذي تحياه روحه، لجأ رامش باتيل إلى دراسة العقائد والأديان والمبادئ التي يزخر بها العالم، بحثًا عن الخلاص المفقود، يقوده إلى ذلك شعور جارف بالإنسانية، وإحساس راق بأن العدل حق طبيعي للبشر. ولأن الإنسان بحاجة ماسة إلى عقيدة أو دين يرشده إلى الصواب من أمره، فقد اتجه في بحثه إلى محاولة إيجاد أصدق العقائد، وأكثرها تحقيقًا لمبدأ العدل، إلا أن خيبة أمل شديدة أصابته حين وجد أفكاره تصطدم بمسائل سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية تضمنتها العقائد التي درسها.

واكب ظهور الفكر الشيوعي، وانتشار أفكار ماركس ولينين بين طبقات كثيرة في مجتمعات وبلدان العالم الثالث خاصة، ولأن باتيل كان يعاني وقتها من خيبة أمل كبيرة، فقد انجرف بسهولة في تيار تلك الأفكار وما تنادي به من العدالة والمساواة بين البشر، لكنه لم يلبث فترة إلا وصحا عقله ليبحث تلك الأفكار ويحللها ويمحصها، فوجدها قد استبدلت بعبودية عبودية أخرى، وانحرفت كليًا وراء الماديات، وجعلت الإنسان مجرد آلة أو ترسًا ضمن آلة كبيرة تمتص جهده، ولا تشبع روحه، أو تروي له غليلاً. وجد في الشيوعية أكثر المبادئ ازدراء لفكر الإنسان وذاته، لأنها تقضي على كل حافز لديه، وتجعله مسلوب الإرادة؛ لا يؤمن بشيء، وليس له من الحقوق سوى الحق في المأكل والمشرب، شأنه شأن أي حيوان، بل ربما أقل، لأن الحيوان قد لا يفكر في وضعه، بينما الإنسان خُلق ليفكر، لأنه الوحيد من بين خلق الله الذي ميزه الله بالعقل.

إحباط وتساؤلات

عند ذاك نفر رامش باتيل من الشيوعية، أحس بأنها لا تحقق ما يبحث عنه، فاتجه إلى مواصلة دراساته في الأديان، درس العقيدة اليهودية المحرفة، فوجدها لا تقل غلواً عن عقيدته الهندوسية.

فاليهود يزعمون أنهم شعب الله المختار، وفي ضوء هذا الزعم فإنهم يبيحون لأنفسهم ما يحرمونه على غيرهم، ويتعاملون مع الآخرين من منطلق فوقي، ويعدُّون كل مَنْ هو غير يهودي لا يرقى إلى جنسهم «السامي».

ومن اليهودية انتقل لدراسة الحكم الصينية، فإذ به يجد نفسه وسط كم هائل من التهويمات الفلسفية التي لا تقدم حلولاً عملية لمشكلات البشرية، حيث لا توازن بين الروح والمادة، بل تحتقر المادة كليًا وتزدريها، غير مدركة لحاجة البشر إلى كلا العنصرين، فاتجه إلى النصرانية دارسًا وفاحصًا، لكنه اصطدم بأسرار الكنيسة السبعة، لم يستطع عقله الواعي أن يفهم لماذا يفتدي عيسى - عليه السلام - خطيئة أبيه آدم؟ ولماذا لم يُكَفِّر آدم - عليه السلام - عن خطيئته بنفسه ليفتدي أبناءه؟ ثم كيف يمكن أن يكون عيسى - عليه السلام - إلهًا ثم يقبل أن يصلبه أحد مخلوقاته كما تزعم النصارى.

كانت هذه التساؤلات وأشياء أخرى عديدة، وراء عدم اقتناع رامش باتيل بصواب عقيدة النصارى، فتركها ليدرس البهائية، ووجد في سيرة البهاء نفسه ما يزكم الأنوف، ويجعل كل ذي بصيرة لا يرجو خيراً من رجل

على شاكلة ذلك المدعي الذي أحاط نفسه بمجموعة من الحشاشين والزناة وجدوا في مصلحتهم الدنيوية الرخيصة أن يعلنوه نبيًا، ثم يرفعوه بعد ذلك إلى مرتبة الألوهية، تعالى الله عما يقولون.

على هذه الوتيرة سار رامش باتيل في دراساته للعقائد والأديان باحثًا عن الحقيقة، لكنه كلما أوغل في الدرس كان يكتشف في كل عقيدة يدرسها عدم التوازن بين الروح والمادة، ففيما يهتم بعضها بالماديات على حساب الروحانيات، تنعكس الآية في بعضها الآخر، نشعر أن ما درسه يفتقر إلى العلم والحقيقة والإيمان القوي بوجود قوى خارقة وراء العقل هي التي تدبر مقادير الحياة والكون.

إشعاع الإيمان والتوحيد

وحين بدأ في دراسة الإسلام وجد أمامه خيوطًا جديدة من إشعاع الأمل، فشعر بالأسف لأنه أضاع كل تلك السنوات في دراسة عقائد تناقض تعاليمها نفسها، إذ وجد في عقيدة التوحيد العقل والفطرة، فهي تقدم التصور الأمثل لحقيقة تلك القوى الغيبية الخارقة التي تحكم وتتحكم في الحياة بشتى صورها، وجد المسلمين وعقيدتهم يؤمنون بإله واحد ليس كمثله شيء، إله منزه عن الصفات البشرية، ولا يفرق بين عباده، فالكل عنده سواسية، أقربهم إليه أتقاهم بغض النظر عن حسبه ونسبه ومكانته، فلا تفضيل لديه لمخلوق على آخر إلا بالتقوى، فهي خير الزاد، كما وصفها الخالق المتعال في كتابه المحكم.

ولم يطل بالمهتدي الجديد الأمر، إذ ما كاد يقرأ قوله تعالى: إن الدين عند الله الإسلام، حتى وجد ذاته تنتفض، كما وجد شعورًا خفيًا عامرًا بإشعاع الأمل يحدوه أن يعتنق هذا الدين الذي يهدي للصلاح الدنيوي والأخروي، ويحقق للإنسان شعورًا بالإنسانية، والسمو على النقائص.

وفي يوم الجمعة الرابع عشر من شهر يوليو/ تموز 1967م كانت النهاية السعيدة لرحلة دامت ما يزيد على خمسة عشر عامًا قضاها رامش باتيل منكبًا على دراسة العقائد والديانات، ففي ذلك اليوم أعلن إسلامه ونطق بالشهادتين مؤكدًا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، واتخذ اسمًا جديدًا ليطلّ به على الدنيا مرة أخرى، هو «بشير أحمد عبدالرحمن باتيل». وكانت هذه بداية رحلة في دنيا جديدة.. دنيا الإيمان والتوحيد وخلاص الروح.

كلمات مضيئة

الفقرة التالية

وحيدالدين خان

الحياة قصة طويلة متشعبة يتمكن من قراءتها بنجاح من لايزال اهتمامه مرتكزا دائمًا على الفقرة التالية. وحياة كل إنسان قصة من هذا النوع، سواء أكان صغيرًا أم كبيرًا؛ يعيش حياة عادية متواضعة، أم يتقلب في أعطاف العيش الناعم.

والحقيقة هي أن الحياة عَلَمٌ على معاناة قاسية وتجربة مُرَّة المذاق؛ فمن مشاعر الأسف واللوعة على الفرص المفقودة والإمكانات الضائعة، إلى الحزن المتجدد - بين الحين والحين - على أحداث أليمة مضت، إلى ذكريات مريرة لما قد يعرض من قبل الناس من أذى وجفوة في السلوك وسوء المعاملة، إلى تبرُّم المرءِ بنفسه وشكواه مما فيها من نقائص وعيوب، إلى آخر ما هنالك من أشياء لا تُحصى، تدفع تفكير المرء إلى اتجاه سلبي. ولو أنه تأثر بذلك، لأصيبت حياته كلها بالشلل. والعاقل في هذه الحالة هو الذي ينظر نحو الأمام بدلاً من النظر إلى الوراء، والذي يركز بصره على غده بدلاً من التباكي على أيامه الماضية...

وكل واحد منا يكتب قصة حياته بما يقول ويفعل، ولكنه هو نفسه لايدري ما المراحل التي ستواجهه حتى إكمال هذه القصة؟ ولا يعرف أتطول هي أم تقصر؟ ولا ماذا سيكون ختامها الأخير؟! مما يستلزم أن يكون المرء دوما على أهبة لاستقبال كلِ مرحلة قادمة، ويمضي قدما في كتابة الفصول المتبقية من قصة عمره بجدٍ وعناية وشوق. إذ المهم في الحياة ليس ما عساه يحصل له، وإنما المهم هو: كيف يعيش؟ فمن الممكن هنا أن يحيا أحد الناس حياة طيبة وحظه من المال والمتاع ضئيل، وآخر يمارس حياة سيئة نكدة مع كونه يمتلك ثروة طائلة. كما يمكن أن يكون رجلٌ أُميٌ أعقلَ في ضبط أموره لما فيه مصلحته، وأكثر دقة وفهمًا من رجل مثقف ليس عنده من دقة الفهم والخبرة العملية ما يعينه على تصريف شؤونه بلباقة.

إذن، فلا تنظر إلى ما تكسبه في الحياة، وإنما انظر كيف تعيش هذه الحياة.. فإنَّ من تعلّم كيف يمارس حياة طيبة كريمة، هو الإنسان الناجح حقا في هذا العالم، وهو الذي استطاع الوصول بنفسه إلى مستقبله

طريق الهدى

فضيلة الشيخ
د. صالح بن فوزان الفوزان

خطبة الجمعة وصحة الصلاة

تفوتني كثيرًا خطبة الجمعة، فهل تجوز صلاتي؟

أشرف خليل
الرياض.

صلاتك الجمعة صحيحة ولو لم تحضر الخطبة. لكن يفوتك فضل عظيم وهو التبكير لصلاة الجمعة وسماع الخطبة - وقد قال الله تعالى: *يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون*. **الجمعة**: 9. وذكر الله هو الخطبة في قول كثير من المفسرين. فاحرص، وفقك الله، على التبكير لصلاة الجمعة يُكتب لك الأجر العظيم الذي هو خير من الدنيا وما فيها.

وقف ما بُني بقرض

هل يجوز وقف العمائر التي بُنيت بقرض من صندوق التنمية العقاري، وما تزال مرهونة لدى الصندوق؟

عبيد السبيعي
حائل.

لا بأس بوقف المرهون إذا أذن المرتهن. فإن لم يأذن فإنه لا يصح لأنه يُفَوِّت عليه حقه. فإذا أذن البنك للراهن أن يقف المرهون صح، وإلا فلا.

الدخان

ما حكم شرب الدخان، وبيعه والاتِّجار فيه؟

عبيد سالم الشريف
الرياض.

الدخان مادة خبيثة ضارة لا نفع فيها بوجه من الوجوه. فلا شك في تحريم شربه وبيعه وشرائه لقوله تعالى في وصف النبي صلى الله عليه وسلم: *ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث*. **الأعراف**: 157. والدخان من الخبائث فهو حرام، وكذلك الدخان ضار وكل ما فيه مضرة فهو حرام لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا ضرر ولا ضرار»، فهو ضار لأنه يسبب حدوث أمراض خطيرة كما قرر الأطباء، لذا لا شك في تحريمه، وإذا حَرَّم الله شيئًا حَرَّم ثمنه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم.

من سلوك المنافقين

يرمي كثيرون بالقاذورات في الطرقات بحجة أن هناك عمالاً يقومون بمسؤولية النظافة، فهل هم على حق في هذا السلوك؟

صالح فضي الحربي
الرياض.

إلقاء القاذورات في طرقات المسلمين حرام لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اتقوا اللاعنين... الذي يتخلى في طريق الناس وظلهم»؛ أي إن ذلك يسبب لعن من فعله. وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن إزالة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان. فَدَلَّ على أن إلقاء الأذى في الطريق من شعب النفاق والكفر. وبهذه المناسبة فإن الذين يوقفون سياراتهم في طريق الناس أو يفسدون المرافق العامة التي ينتفع بها الناس من الحدائق وظل الأشجار والجسور التي على الطرق الطويلة يتعرضون للإثم الكبير والذم والدعاء عليهم من الناس. فليتق الله من يفعل ذلك. وكون عمال البلدية يرفعون ذلك لا يبرئ ساحة من ألقاه من الإثم والتبعة.

متى أقرأ الفاتحة؟

ما حكم سكتة الإمام بعد الفاتحة لحين يقرأ المأموم الفاتحة، وإذا لم يسكت الإمام فمتى يقرأ المأموم الفاتحة؟

عبدالله محمد الأسمري
الطائف.

الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم السكوت بعدالفاتحة حتى يرجع إليه نفسه. وأما تمديد السكوت إلى أن يقرأ المأموم الفاتحة فلم يثبت به حديث لكن من فعله فلا بأس، وإذا لم يفعله فالمأموم يقرأ الفاتحة في سكتات الإمام. وإن لم يتمكن فلا حرج عليه وتكفى قراءة الإمام إن شاء الله. لقول الله تعالى: *وما جعل عليكم في الدين من حرج*. **الحج**: 78.

الحلف بالتحريم والطلاق

ما حكم الحلف بالتحريم والطلاق، حتى إنه صار كالعادة للحالف؟

صبري عبدالرحيم
جدة.

الحلف بالتحريم أو الطلاق معناه استعمالهما استعمال اليمين في المنع من الشيء أو الحث عليه أو التصديق أو التكذيب فيأخذان حكم اليمين في وجوب الكفارة إذا حنث فيهما، لا أنهما مثل الحلف بغير الله فيكون ذلك من الشرك. ولا ينبغي للمسلم أن يستعمل الطلاق أو تحريم الحلال استعمال اليمين لما في ذلك من الحرج، وقد قال الله تعالى: *يا أيها النبي لم تُحَرِّم ما أَحلَّ الله لك*. **التحريم**: 1. والطلاق أبغض الحلال إلى الله - عز وجل - وقد يترتب عليه الفراق بين الزوجين.

قصة قصيرة

هل يضيع الإحسان؟

رامه عمر باشا الإدلبي

استيقظت النَّمْلة «مبروكة» في الصباح الباكر، مع أصدقائها النَّمْل، ليبدؤوا نهار عملٍ جديد. كانت أوكارهم قد امتلأت بالقوت المدّخر للشتاء الطويل، ولكن كان هناك متّسعٌ لجديدٍ من القوت يجمعونه من الغابة، فلماذا لا يفعلون؟

همّت مبروكة بأن تقول كعادتها كلّ صباح: سأبدأ، أيها الأصدقاء، نهارًا جديدًا، ممتلئًا بالعمل والخير!، ولكنها لم تستطع ذلك. كانت تُحسّ في جسمها إعياء وفي رأسها دَوْخَة.

سألتْها نَمْلةٌ:

ـ ما بك يا مبروكة؟.

أجابت:

ـ لا شيء! قليلٌ من التعب أُحسُّه في أطرافي.

غادر الجميع، لينتشروا في كلّ مكانٍ في الغابة. وظلّت مبروكة وحدها في البيت.

تساءلت: هل أنا مريضة؟

فأجابت نفسها: ولكن من أين يأتيني المرض؟ صحّتي عال العال! لقد خرجتُ من كلّ امتحان تعرّضت له سليمةً: السنجاب «حبّاب» رماني بقشرة البندق على رأسي، فما قعدتُ في البيت يومًا! وكان المجهود، الذي بذلتُه في إنقاذ البرغوث ياقوت من الدّبق، عظيمًا، عدت بعده إلى البيت معافاةً! وصحيحٌ أنّ تَدَحْرُجي من أذُن الفيل هَبيل، قد أقعدني في البيت ثلاثة أيام، لكن ذلك كان لرضوض أصابتني من جرّاء سقوطي على الأرض!

استعرضتْ مبروكة في خاطرها هذه الصور، وصورًا غيرها:

يوم خلّصتْ الفراشة «عُكَاشة» من خيوط العنكبوت، بأن أخذت تُقطّع الخيوط بفكّيها، خيطًا خيطًا، حتى حرّرتْها. أجل، وقد غضب العنكبوت «تابوت» لذلك غضبًا شديدًا، وتوعّد بأن يلتهمها بلقمة واحدة، إذا ما وقعت في قبضته يومًا.. ولكن هيهات!

ووحيد القرن، الذي اشتدّ عليه الألم في جنبه ذات يوم، فأشارت عليه بأن يستحمّ في البحيرة الذهبيّة، ذات المياه المعدنية، فحملها على ظهره إلى هناك، ثم تركها على الشاطئ، فلمّا ألقى بجسمه الضخم في البحيرة ارتفع الماء، وبلغ الموضع الذي كانت تقف فيه، فغمرتها المياه، فعامت، وسبحت، موجةٌ تأخذها وموجةٌ تقذفها، وهي تستنجد بوحيد القرن، ولكنه لم يسمعها؛ لأنه كان يستمتع بالاستحمام طلبًا للشفاء، إلى أن وجدها آخر الأمر مطروحة على الشاطئ، مبلّلةً، تتنشّف بأشعة الشمس، فاعتذر لها، ثم شكرها شكرًا كثيرًا؛ لأنه عوفي من كلّ الآلام التي كانت تُمسك بجنبه.

شعرت مبروكة بالابتهاج، وهي تستعيد في خاطرها هذه الذكريات العذبة: أن تعمل الخير، وتظلّ تعمله، وإن نالتها المتاعب.

ولكنها تكتشف، الآن، أنها مريضة!

حرّكت رأسها يَمنةً ويَسرة. كانت الدَّوْخة قد ازدادت. ماذا أصابني؟ سألت نفسها. البارحة كنت في أتم عافيتي!

جرّت جسمها جرًا، حتى خرجت من البيت. وقفت على الباب، ترنو بعينيها إلى الأشجار الخُضْر: ما أجمل الغابة! ما أجمل الحياة! ما أحبَّ الآخرين إلى نفسها! ما أجمل أن تستمرّ في أداء المعروف إليهم!

ازداد إحساسُها بالإعياء، حتى خُيِّل إليها أن منيّتها قد دنت! هل قُدِّر لها أن تُغادر هذه الدنيا الجميلة؟ والغابة؟ والحيوانات؟ وهذا البيت الذي ألِفتْه، وظلّت تتعاون مع أصدقائها حتى ملؤوه قوتًا للشتاء القادم؟

تُرى، هل كُتبَ عليها أن تُفارق الحياة مع نهاية هذا الصيف؟

عادت نَمْلةٌ، ساعةَ الضحى، إلى البيت وهي تحمل ما جمعت من قوت. فرأت صديقتها مبروكة على الباب، ولاحظت أنها في حال غير عادية. سألتها:

ـ هل أنت بخير، يا مبروكة؟.

فغمغمت مبروكة بكلام غير مفهوم.

وأدركت النَّمْلة أنَّ مرضًا حلَّ بالعزيزة مبروكة، ومنعها من أن تُغادر البيت إلى الغابة. وسرعان ما توارد النَّمْل في رجوعهم إلى البيت. وأحسّوا بخطورة حالة مبروكة، فقاموا بما في مستطاعهم من الإسعافات الأوّليّة. ولكنّ ذلك لم يُجْد نفعًا. فأسرعوا يُخبرون حيوانات الغابة.

كانَ السنجاب أوّلَ من التقوا به:

ـ مبروكة مريضة، يا حبّاب. هيّا استدعِ طبيبة الغابة البومة سلّومة! وإيّاك أن تتأخّر، فإن مبروكة في حالة احتضار!.

ولم تمضِ دقائق حتى كان فناء البيت قد امتلأ بالأصدقاء: الفراشة عُكاشة، والبرغوث ياقوت، ووحيد القرن، والأرانب والسلاحف، والعصافير، وكثيرٌ من الحيوانات، فضلاً عن النِّمَال الذين جاؤوا من كلّ مكان.

ثم جاءت البومة سلّومة، تحمل في منقارها حقيبةً تضمّ أدواتها. وحطّت أمام البيت.

سألت بلهفة:

ـ ما بها مبروكة؟ أين هي؟ ابتعدوا أنتم من المكان، وإلا اختنقت المسكينة! ما بك، يا مبروكة؟.

ومبروكة لا تُجيب.

فأخرجت سلّومة النظّارة من حقيبتها، ووضعتها على عينيها. ثم أخرجت السمّاعة وعاينت بها ظهر مبروكة، وطلبت من أصدقائها أن يقلبوها ظهرًا لبطن. وتسمّعت إلى دقّات قلبها. ونظرت في عينيها الصغيرتين، ثم قالت:

ـ إنه الإرهاق!.

فسألها النَّمْلُ:

ـ وهل الإرهاق هذا مرضٌ خطير؟!.

ـ لكل داء دواء. ولكنّ دواء مبروكة عزيزٌ بعيدُ المنال!

ووصفته لهم:

«وردةٌ صغيرة جدًا، لها رائحة زهر الياسمين، وأمّا لونها فيجمع كلّ ألوان قوس قُزح، كلُّ ورقة بلون. تأتونني بها اليوم قبل مغيب الشمس، فأعتصرها، وأسقي مبروكة من شرابها. فإذا تأخّرنا فارقت المسكينة الحياة!».

تساءل النَّمْل:

ـ ومن أين نأتي لك بهذا الدواء المستحيل، أيتها البومة سلّومة؟.

أجابت طبيبة الغابة:

ـ لا توجد هذه الوردة إلاّ في الوادي الذي يقع وراء الجبل الأخضر!.

فتعالت أصوات النَّمْل يكون من شدّة اليأس!

وقالت نملة منهم:

ـ ومَن منّا تستطيع أن تقطع هذه المسافات البعيدة لتصل إلى وادي الجبل الأخضر، ونحن مخلوقات ضعيفاتٌ لا حول لنا؟.

وقالت نملةٌ أخرى:

ـ ولنفترض أننا وصلنا إلى هناك، فكيف نَعْثَر على هذه الوردة بين أزهار ذلك الوادي السحيق؟.

وقالت نملةٌ ثالثة:

ـ وإذا وصلنا إلى هناك وعثرنا على الوردة، فكيف نتمكن من قطفها وحملها إلى هنا؟... هل قُدِّر لنا أن نفقد مبروكة، في هذه الليلة!.

اعترضت البومة سلّومة:

ـ ومن قال إنّ عليكم، أنتم معشر النِّمَال، أن تذهبوا بأنفسكم إلى ذلك الوادي البعيد؟ أليس لمبروكة أصدقاء؟ ألَمْ تَقْض الصيفَ كلَّه وهي تُقدِّم العونَ لكلّ محتاج في الغابة، والغوثَ لكلّ ملهوف؟ إنّ الإحسان لا يضيع أبدًا!.

كان الفيل هَبيل قد جاء متأخِّرًا، فارتفع صوتُه من الصفوف الخلفية قائلاً:

ـ أيها الأصدقاء! أعتقد أني أستطيع، بقوتي العضليّة، أن أقطع المسافات عبر الغابات، حتى أصل إلى وادي الجبل الأخضر. وإنّي على استعداد لأن أحمل على ظهري من أحبّ منكم أن يُرافقني في هذه الرحلة!.

وهنا أعلن السنجاب حبّاب:

ـ أنا أذهب معك، أيها الفيل، وأبحث عن هذه الوردة العجيبة في الوادي الأخضر.

وقال البرغوث ياقوت:

ـ خذوني معكم!.

فضحك الحاضرون. والسنجاب قال متهكِّمًا:

ـ أنت أيها البرغوث الصغير، ماذا يُمكنك أن تُفيدنا؟.

فقال الفيل هَبيل:

ـ لا تكسر خاطره، يا حبّاب. ياقوت يُسلّينا بحكاياته الظريفة. ولن يكون وزنه ثقيلاً وهو على ظهري!.

أعلنت البومة سلّومة:

ـ اكتمل العدد. الفيل يقطع المسافة مسرعًا. والسنجاب يبحث في الوادي الأخضر عن الوردة القُزَحيّة الألوان. والبرغوث يُسلّي رفيقيه في الذهاب والإياب. هيّا انطلقوا حالاً، ولا تتلكؤوا.

هنا قفز السنجاب، فاستوى على مَتْن الفيل. ونطّ البرغوث فاندسّ في الأذُن الكبيرة المتهدّلة. وانطلقوا باتجاه الجبل الأخضر وواديه.

وصوت البومة سلّومة يُلاحقهم:

على بركة الله أيها الأبطال الثلاثة.

أخذ الفيل هَبيل يُهرول بأقصى سرعته. والبرغوث ياقوت يُحدِّث رفيقَي الرحلة بحكايته يوم عَلِقَ بالدِّبق: كنت أسير، كنت أطير، فجأة أحسستُ رجلي يُمسك بها دبَقٌ شقي، حاولت تخليصها برجلي الأخرى، فأمسك الدِّبقُ برجليّ الاثنتين..

فقهقه الفيل مبتهجًا.

والسنجاب قال ساخرًا:

ـ ألم تكن لك عينان تُبصر بهما الدّبق؟!

أجاب ياقوت:

ـ لي طبعًا. ولكني كنت ألعب مع برغوث صديق، يسبقني وأركض وراءه، فعَلِقَت رجلي، وتركني..

ـ يا له من صديق! لو كنت أنا لما تركتك!

خرجوا من الغابة ودخلوا غابة أخرى، ثم غابةً ثالثة، إلى أن وصل المسافرون إلى جبل يكسوه شجرٌ أخضر كثيف.

فتوقّف الفيل قائلاً:

ـ هذا هو الجبل الأخضر، وها هو ذا واديه!.

قال السنجاب:

ـ ولماذا وقفتَ، يا هبيل؟ انزلْ إلى الوادي!.

فصرخ الفيل:

ـ هل تريدني أن أتحطّم على هذه الصخور يا حبّاب؟ الطبيبة سلُّومة قالت أن تبحث أنت عن الدواء. هيّا انزلْ إلى الوادي وحدك، وتنقَّلْ بين الأشجار والأعشاب، ولن أستقبلك إلاّ ومعك الوردة العجيبة!.

ـ أليس هناك مَن يفترسني؟

ـ أنت خفيف، رشيق، سريع الحركة، لا يلحق بك حيوانٌ قطّ.

ونزل السنجاب.

وبقي الفيل في أعلى الوادي، يؤانسه البرغوث ياقوت، الذي راح يُتابع حكايته مع النَّمْلة مبروكة:

ـ أخذتُ أصرخُ وأنا في الدّبق: أغيثوني! أكاد أموت! فجأة ظهرتْ مبروكة، فتوسلتُ إليها: أين شهامتُك وحبُّك للخير، يا مبروكة؟. قالت لي: لا تيأسْ، يا صديقي! وأتت بعُود، ومدّته نحويَ، فأمسكتُ بطرفه.. هي تشدّ وأنا أحاول تخليص قدميّ من الدّبق... واحد، اثنان، ثلاثة... هيه! أنقذتُ، كُتِبَتْ

هل يضيع الإحسان؟

لي النجاة! تصوّر، يا هَبيل: صديقي البرغوث، الذي كنت أُلاعبه، تركني ومضى، ومبروكة، النَّمْلة، التي ليست من جنسي أشفقت عليّ وأنقذتني!.

وأمّا السنجاب حبّاب، فقد أخذ يقفز بين الأشجار، من غصن إلى غصن، وهو ينحدر نازلاً إلى الوادي. فإذا صادف بُقْعَةً جرداء ليس فيها أشجار، انتابه الخوف من أن يفترسه وحشٌ من وحوش الغابة!

جعل يتنقّل، في الوادي، بين الأعشاب والشُّجيرات الصغيرات، وهو يردِّدُ في خاطره أوصافَ الوردة العجيبة كما وصفتْها له طبيبة الغابة سلّومة: صغيرة جدًا، ياسمين، قوس قزح.

كان يقفز هنا وهناك. ويختبئ كلما سمع صوتًا غريبًا لم تألفه أُذناه في غابته البعيدة. ثم يظهر، ليتغلغل بين الأعشاب، ويشمّ الأزهار الجميلة: ما أحلى هذا الوادي! ولكنّ غابتنا أجمل، لأننا وُلدنا وعشنا فيها.

وأنهكه التعب. فقعد يتفيّأ في ظلّ شجرة ورد ليرتاح قليلاً. وعندما رفع ناظريه، وجدها.. وجد أمام عينيه تلك الوردة الرائعة: كانت صغيرة جدًا. لها رائحة الياسمين، وأمّا لونها فيجمع كلّ ألوان قوس قزح، كلّ ورقة بلون!

فبادر بقطفها، وأخذها في طرف فمه، وصَعِدَ بها سفح الجبل.

والبرغوث ياقوت، هناك، مازال يتحدّث إلى الفيل هَبيل:

- وطِرْتُ، بعد شَدَّة قويّة، مثل صاروخ، هل تعرف أين حَطَطْتُ، يا هَبيل؟.

- ومن أين لي أن أعرف؟ إني لم أكن معك!.

- نزلتُ في الموضع، الذي كانت مبروكة قد تركتْ فيه ما جمعتْه في يومها من قوت. ولمّا كنت جائعًا جدًا، فقد التهمتُه بلمح البصر. صرختْ بي مبروكة لمّا رأتني: أين القوت، يا ياقوت؟

وأقبل السنجاب حبّاب، وهو يلهث من التعب، وفي طرف فمه الوردة الرائعة.

ولم يُضيّعوا وقتًا. قفز حبّاب واستوى على مَتْن الفيل.

وسريعًا توجّهوا نحو الغابة.

بعد الراحة التي نالها، مستمتعًا بفصول حكاية البرغوث، أخذ يُسرع في هَرْوَلته.

وحبّاب، وهو على ظهر الفيل، يُحدث صديقيه عمّا لاقى، في بحثه عن الوردة، من المخاطر والأهوال: وَثَبَتْ نحوي أفعى، فهربتُ منها بخفّة! تصدّى لي ابنُ آوى، ولكني أفلتُّ منه بأعجوبة!... ذلك كلّه يَهُون من أجل مبروكة. كنت قد أخطأت بحق النَّمْل، حين جعلتُ أرميهم بقشور البندق في أثناء مرورهم من تحت الشجرة. فلمّا جاءتْني مبروكة تلتمس منّي أن أكُفّ عن ذلك، رميتُها هي الأخرى بقشرة كبيرة، فصرخت: آخ راسي! آخ راسي!

قال الفيل مقرِّعًا:

- يا لكما من صديقين لمبروكة، شَقِيَّيْن! أوّلكُما يأكل لها قوت يومها، والثاني يرميها بقشرة بندق على رأسها!.

قال الاثنان:

- ولكننا تصالحنا وإيّاها بعد ذلك، يا هَبيل. اعتذرنا لها، ووعدناها بأن نكون طيّبين....

فضحك الفيل هَبيل، وقال:

- مثل هذا وقع ليَ مع مبروكة أيضًا: أحسنتْ إليَّ عندما عالجت لي أُذُني من ألمها حتّى زال، فارتميت على الأرض من شدّة التعب، وهي... أين؟

أين كانت مبروكة تلك اللحظة؟.

أجابه ياقوت:

- ومن أين لنا أن نعرف؟ نحن لم نكن معك، يا هَبيل!.

- كانت في أُذُني. فتدحرجتْ، المسكينة، على الأرض. ولكني اعتذرت لها. ووعدتُها بأن أبقى مدى عمري وفيًا لها ولكلّ نمال الغابات!

كانت حيوانات الغابة مجتمعةً في الساحة الكبيرة أمام بيت مبروكة. وقد هَلّلوا، وصفّقوا، وغرّدوا، لحظة لمحوا الفيل مُقبلاً من بعيد.

وفرحت البومة سلّومة، وهي تتناول الوردة من السنجاب حبّاب. وتفحّصتْها بعناية، قبل أن تُعلن: أجل إنها هي الوردة المطلوبة. شكرًا لكما، يا حبّاب، ويا هَبيل. وأنت، يا ياقوت، هل سلّيْتهما في الطريق، أم أثَرْتَ لهما المتاعب؟.

وقامت الطبيبة بعصر أوراق الوردة، كلَّ ورقة على حدَة. ثم أخذت مقاديرَ معيّنةً من كلّ عصير، ومزجتْها معًا، بإضافة قليل من الماء العذب.

- استيقظي، يا مبروكة. أصبح الدواء جاهزًا.

هكذا قالت الطبيبة للنَّمْلة، التي بدت مرهقة جدًا جدًا.

- افتحي فمك، حتى أسكب لك الدواء، نقطة نقطة.

فتحت مبروكة فمها، مستسلمة لطبيبتها.

ونقّطت لها سلّومة من العصير نقطًا صغيرة جدًا على قدر فمها الصغير. ثم قالت لها: تذهبين الآن إلى فراشك، وتنامين بهناء. وصباح غد تكونين قد استعدت قوتك وعافيتك، فتستأنفين حياتك اليوميّة المعتادة.

قالت مبروكَة، التي بدأت تُحس بالعافية تسري في أوصالها:

- شكرًا لك يا طبيبة الغابة، على كلّ ما فعلته من أجلي.

قالت البومةَ سلّومة:

- لا تشكريني، بل اشكري الأصدقاء، هَبيل وحبّاب وياقوت، الذين أتَوْا لك بالدواء في رحلة بعيدة جدًا وشاقّة جدًا.

- شكرًا لكم، أيها الأصدقاء الثلاثة. كنت أعرف أنكم طيّبون. أنا مَدينةٌ لكم بهذا الفضل طوال حياتي. قال الفيل هَبيل:

- بل نحن مَدينون لكِ، لما قدّمت لنا من عمل الخير. إنَّ أُذُني لم تعد تؤلمني من يوم أن عالجتها!.

وأرسلت مبروكة نظرها، فرأت أصدقاءها جماعات جماعات، وكلّهم ينظرون إليها بعيون يملؤها الحبّ والحنان.

قالت:

- ما أسعَدَني بكم، أيها الأصدقاء الطيّبون!.

فارتفعت الأصوات من هنا وهناك:

- نحن نردّ معروفك، يا مبروكة.

فقالت لهم:

- أنا سعيدةٌ بما تغمرونني به من المودّة. وسوف أكون أكثر سعادةً إذا رأيتكم تتعاملون بعضُكم مع بعض بالحُسنى، وتتبادلون أفعالَ الخير، في كلّ يوم، وفي كلّ ساعة!.

وكان على مبروكة أن تأوي إلى فراشها، بعدما نالها من الإعياء والتعب والمرض.

فاعتذرتْ لأصدقائها الحيوانات، ودخلت إلى بيتها لتغفو، وتحلُم بأن تستأنف صباح غدٍ نشاطها، في العمل وصنع الخير.

قراءة
نقدية

أمية بن

نظرات في حياته وشعره 2

المختار حسني

شخصية أمية

تذهب بعض الروايات إلى أن خروج أمية إلى الشام، كان من أجل التجارة أيضًا، وكان يرافق في هذه المهمة أبا سفيان، ذكر ذلك محقق ديوانه معتمدًا تاريخ ابن عساكر، وذكرَ أمرَ التجارة المسعوديُّ كذلك، فقال في حق أمية(1): «وكان شاعرًا عاقلاً، وكان يتّجر إلى الشام، فتلقاه أهل الكنائس من اليهود والنصارى».

وفي تقديري أنه ليس من الضروري الافتراض بأن أمية كان تاجرًا كبيرًا لمجرد مرافقته أبا سفيان. فليس المال وحده الذي يوطد العلاقة بين شخصين، فقد تكون رجاحة عقل أمية - وأَخْلِقْ بها أن تكون - العامل الرئيس في ذلك، وقد يكون شعره، وما له من ثقافة وخاصة الدينية منها، أو غير ذلك. فليس حتمًا إذن أن تحتل التجارة مركز الصدارة لدى أمية فنتصوره من المثرين؛ لأن ذلك، إن وقع، سيجعل العجب يشتد بنا كما اشتد بمحقق ديوانه، حين وازن بين ثرائه المادي - الذي تصوره - وبين ما نجد في شعره وأخباره من دلالة واضحة على احتياجه، وسنصل إلى النتيجة نفسها التي وصل إليها حين قال(2): «وإذا كان شعره ينم عن رقة حاله، فإننا ندرك التناقض بينه وبين قصة ابن عساكر التي تجعله «تاجرًا يخرج إلى الشام في رفقة أبي سفيان»». ولن نرتاح نحن أيضًا إلا عندما نجد روايات أخرى لا تذكر شيئًا عن التجارة. إننا إذا تصورنا أن التجارة كانت مسألة ثانوية لدى أمية، وأن همّه الأساس في تلك السبيل هو الالتقاء بأهل الكنائس من اليهود والنصارى، كما تدل على ذلك الروايات، إذ تهمل(3) في بعض الأحيان أمر التجارة، ساغ لنا ما نجده في شعره من مدح وتكسّب على عادة الشعراء، واقتربنا من تصور شخصية منسجمة لأمية مع ما في شعره، وفهمنا حاجته لدى عبدالله بن جدعان، وهنا نصل إلى وجه آخر لشخصية شاعرنا رسمت قسماته المصادر. فقد حكى أبو الفرج في الأغاني أن عبدالله بن جُدعان(4)، كانت له أَمَتان تسميان الجرادتين وهبهما أُمية تباعًا، قال(5): «قدم أمية بن أبي الصلت على عبدالله بن جُدعان، فلما دخل عليه قال له عبدالله: أمرٌ ما أتى بك! فقال أمية: كلابٌ غُرماء نبحتني ونهشتني، فقال له عبدالله: قدمتَ عليّ وأنا عليل من حقوق لزمتني ونهشتني، فأنظرني قليلاً، ما في يدي، وقد ضَمِنْتُكَ قضاءَ دَينك ولا أسأل عن مبلغه، قال: فأقام أمية أيامًا، فأتاه فقال(6) [من الوافر]:

أأذكُرُ حاجتي أمْ قَدْ كَفَاني
حَيَاؤُكَ إن شِيمَتَكَ الحَيَاءُ
وَعِلْمُكَ بالأمُورِ وأنتَ قَرْمٌ(7)
لَكَ الحَسَبُ المُهَذَّبُ وَالسَّنَاءُ
كَرِيمٌ لاَ يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ
عَنِ الخُلُقِ السَّنِيِّ وَلاَ مَسَاءُ
تُبَارِي الرِّيحَ مَكْرُمَةً وَجُودًا
إذَا مَا الكَلْبُ أجْحَرَهُ الشِّتَاءُ(8)
إذَا أثْنَى عَلَيْكَ المَرْءُ يومًا
كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ

فلما أنشده أمية هذا الشعر كانت عنده قينتان فقال: خذ أيهما شئت، فأخذ إحداهما وانصرف، فمر بمجلس من مجالس قريش فلاموه على أخذها، وقالوا له: لقد لَقِيتَهُ عليلاً، فلو رددتها عليه، فإن الشيخ يحتاج إلى

أبي الصلت

خدمتها»، فرجع أمية ليردها عليه، ولكن ابن جُدعان زاده الثانية، فقال الشاعر(9) [الوافر]:

وَمَا لي لاَ أُحَيِّيه وَعِنْدي
مَوَاهِبُ يَطَّلِعْنَ مِنَ النِّجَادِ(10)
لأَبْيَضَ مِنْ بَنِي تَيْمِ بْنَ كَعْبٍ
وَهُمْ كالمَشْرَفِيَّاتِ الحِدَادِ
لِكُلِّ قَبِيلَةٍ هَادٍ وَرَأْسٌ
وَأَنْتَ الرَّأْسُ تَقْدُمُ كُلَّ هَادي(11)

ومن خلال هذه القصة وهذا الشعر يبدو أن أمية لم يكن جشعًا، وأن تَكَسُّبَه كان يشوبه الحياء وتقدير ظروف الممدوح واحترامه، فإن وقع يومًا وعرَّض بابن جدعان في أثناء مدحه لبني الديان(12) [الكامل]:

وَلَقَدْ رَأَيْتُ القَائلِينَ وَفِعْلَهُمْ
فَرَأَيْتُ أَكْرَمَهُمْ بني الدَّيَّانِ
البِرُّ يُلْبَكُ بِالشِّهَادِ طَعَامُهُمْ
لاَ مَا يُعَلِّلُنَا بَنُو جُدْعَانِ

فإن ذلك دليل على أن الرجل كان على سجيته يعرض له ما يعرض للناس جميعًا فيعبر عن ذلك. وحتى هذا التعريض كما يقول محقق ديوانه(13) «تعريض فني خالص يبتعد من قذف المحصنات، أو نهش الأعراض، وربما كان مدفوعًا إلى ذلك بجفوة بينهما، أو بسبب مجهول لم تحفظه لنا أخبار الرواة»، أضف إلى هذا أن المدح قليل في شعر أمية، وجلّه في عبدالله بن جُدعان. وهناك اللامية المشهورة في سيف بن ذي يزن، والتي تُنسب إليه تارة، وطورًا إلى أبيه، ورأينا المسعودي يعزوها لجد أمية أبي زمعة. فإن صَحَّت لأمية فإنها تدل على المكانة الرفيعة التي كان يحتلها بين قومه كسائر الشعراء الكبار في ذلك الوقت.

وأهم ما يميز شخصية أمية الطابع الأسطوري، جاء في الأغاني:(14) «خرج ركب من ثقيف إلى الشام، وفيهم أمية بن أبي الصلت، فلما قفلوا راجعين نزلوا منزلاً ليتعشوا بعشاء، إذ أقبلت عَظَايَة(15)، حتى دنت منهم، فحصبها بعضهم بشيء في وجهها فرجعت، وكَفَتُوا(16) سفرتهم، ثم قاموا يرحلون ممسين فطلعت عليهم عجوز من وراء كثيب مقابل لهم تتوكأ على عصا، فقالت: ما منعكم أن تطعموا رجيمة الجارية اليتيمة التي جاءتكم عشية!؟ قالوا: ومن أنت؟ قالت: أنا أم العوّام، إِمْتُ منذ أعوام؛ أما وربّ العباد، لتفترقُن في البلاد، وضربت بعصاها الأرض، ثم قالت: بَطِّئي إيابَهم، ونفِّري ركابهم؛ فوثبت الإبل كأنّ على ذروة كل بعير منها شيطانًا ما يُملك منها شيء، حتى افترقت في الوادي فجمعناها في آخر النهار من الغَدِ ولَمْ نَكَدْ...». صَنَعَتْ بهم ذلك ثلاث مرات في ثلاثة أيام فاستنجدوا بأمية فتوجه إلى ذلك الكثيب فإذا وراءه وادٍ به كنيسة، «وإذا رجل مضطجع معترض على بابها، وإذا رجل أبيض الرأس واللحية، قال...: فما حَاجتك؟ فحدثه حديث العجوز فقال: ... هي امرأة يهودية من الجن هلك زوجها منذ أعوام، وإنها لن تزل تصنع ذلك بكم حتى تهلككم إن استطاعت، فقال أمية: وما الحيلة؟ فقال: جَمِّعُوا ظهركم فإذا جاءتكم ففعلت كما كانت تفعل فقولوا لها: سبعٌ من فوق سبع من أسفل، باسمك اللهم، فلن تضركم. فرجع أمية إليهم وقد جمَّعوا الظهر، فلما أقبلت قال لها ما أمره به الشيخ، فلم تضرهم؛ فلما رأت الإبلَ لم تتحرك، قالت: قد عرفت صاحبكم، ولَيَبْيَضَّنَّ أعلاه، ولَيسوَدَّنَّ أسفله. فأصبح أمية وقد برص في عِذاريه، واسود أسفله، فلمّا قدموا مكة ذكروا لهم هذا الحديث، فكان ذلك أوَّلَ ما كتب أهل مكة (باسمك اللهم) في كتبهم»(17).

وأورد أبو الفرج قصصًا أخرى، منها أن أمية كان يفهم لغة الحيوانات، ومنها الشياه، فقد كان مرة في مجلس، إذ مرت بهم غنم فثغت شاة، فقال إنها قالت لسَخْلتها: مُرِّي لا يجيء الذئب فيأكلك كما أكل أختك عام أول في هذا الموضع، فلما حقق القوم في الأمر مع الراعي وجدوا الأمر كذلك. وحكى أيضًا أن أمية كان «نائمًا فجاء طائران، فوقع أحدهما على باب البيت، ودخل الآخر فشق عن قلبه، ثم رده الطائر، فقال له الطائر الآخر: أَوَعى؟ قال: نعم. قال: زكا؟ قال: أبى»(18).

كان أمية ممن تكسبوا بشعرهم على عادة الشعراء، لكنه لم يكن جشعًا، بل كان تكسبه يشوبه الحياء وتقدير ظروف الممدوح

خبر وفاة أمية بن أبي الصلت

أحيطت حادثة وفاة أمية أيضًا بجملة من الأساطير، فرويت بعدة أوجه، منها أنه حين بُعث النبي - صلى الله عليه وسلم - أخذ بنتيه وهرب بهما إلى أقصى اليمن، ثم عاد إلى الطائف، فبينما هو يشرب مع إخوان له في قصر غيلان بالطائف، إذ سقط غراب على شرفة في القصر فَنَعَب في القصر فقال أمية: بفيك الكثكث! - وهو التراب - فقال أصحابه: ما يقول؟ قال: يقول إنك إذا شربت الكأس التي بيدك مت، فقلت: بفيك الكثكث. ثم نعب نعبة أخرى، فقال أمية نحو ذلك؛ فقال أصحابه: ما يقول؟ قال: زعم أنه يقع على هذه المزبلة أسفلَ القصر، فيستثير عظمًا فيبتلعه فيشجى به فيموت، فقلت نحو ذلك، فوقع الغراب على المزبلة فأثار العظم فشجي به فمات، فانكسر أمية، ووضع الكأس من يده وتغير لونُه، فقال له أصحابه: ما أكثر ما سمعنا بمثل هذا وكان باطلاً، فألحوا عليه حتى شرب الكأس فمال في شق وأغمي عليه، ثم أفاق، ثم قال: لا بريء فأعتذر، ولا قوي فأنتصر، ثم خرجت نفسه»(19).

وفي خبر موته قصص أخرى مختلفة، من الإطالة التطرق إليها كلها(20). ونقول مع محقق ديوانه، إن هذه «الأساطير لا تحتاج إلى تعليق حولها، فهي لا تعدو أن تكون مجرد أساطير فحسب، ولكنها مع ذلك ذات قيمة كبيرة، لأنها تكشف عن منزلة أمية بعد وفاته، فالرجل أصبح بطلاً من أبطال الأساطير، وهذه الأساطير لم تكن أساطير البطولة كعنترة، وإنما هي أساطير الجن والعفاريت، أو قل أساطير النبوة والتألّه»(21).

نماذج من شعر أمية

1- روى أبو الفرج الأصفهاني أن الرسول - صلى الله عليه وسلم -، قال: «إن كاد أمية ليُسلم» لَمَّا أُنشد قول أمية بن أبي الصلت(22) [من البسيط]:

الحَمْدُللّه مُمْسانَا وَمُصْبحَنَا(23)
بالخَيْرِ صَبَّحَنَا رَبِّي وَمَسَّانَا
رَبُّ الحَنيفَة لَمْ تَنفَدْ خَزائنُها
مَمْلُوءَةً طَبّق الآفاقَ سُلْطَانَا(24)
ألاَ نَبيٌّ لَنَا منَّا فَيُخبرَنَا
مَا بعد غَايَتِنَا مِنْ رَأْسِ مَحْيَانَا(25)
بَيْنَا يُرَبِّبُنَا آبَاؤُنَا هَلَكُوا
وَبَيْنَمَا نَقْتَنِي الأَوْلاَدَ أفْنَانَا
وَقَدْ عَلِمْنَا لَو انَّ العلْمَ يَنْفَعُنَا
أنْ سَوْفَ يَلْحَقُ أُخْرَانَا بأوْلاَنَا

2 - دخل أمية بن أبي الصلت على عبدالله بن جدعان وهو يجود بنفسه، فقال له أمية: كيف تجدك أبا زهير؟ قال: إني لمدابر، فقال أمية [مجزوء الكامل](26):

عَلِمَ ابْنُ جُدْعانَ بْنِ عَمْـ
ـرو أنَّه يَوْمًا مُدابِرْ(27)
وَمُسافِرٌ سَفَرًا بَعيـ
ـدًا لاَ يَؤوبُ بِهِ المُسَافِرْ
فَقُدُورُهُ بِفِنَائِـه
للضَيْفِ مُتْرَعَـةٌ زَوَاخِـرْ
تَبْدُو الكُسُورُ مِنَ انْفِرَا
جِ الغَلْيِ فِيهَا وَالكَرَاكِـرْ(28)
فَكأنَّهُنَّ بمَا حمِينَ وَمَا
شُحِنَّ بِهَا ضَرَائِرْ(29)

بَذَّ المَعَاشِرَ كُلَّها
بالفَضْلِ قَدْ عَلِمَ المَعَاشِرْ
وَعَلاَ عُلُوَّ الشَّمْسِ حَـ
ـتَّى مَا يُفَاخِرُه مُفَاخِـرْ
دَانَتْ لَهُ أبْنَاءُ فِهْـ
ـرِ مِنْ بَنِي كَعْبٍ وَعَامِرْ
أنْتَ الجَوَادُ ابْنُ الجَوا
دِ بِكُمْ يُنافِرُ مَنْ يُنَافِرْ

3 - وقال يرثي من أصيب من قريش يوم بدر(30) [مجزوء الكامل]:

مَاذَا بِبَدْرٍ فَالعَقَنْـ
ـقَلِ مِنْ مرازبـةٍ جَحاجحْ(31)
شُمْطٍ وَشُبَّانٍ بَهَا
لِيلَ مَغَاوِيرَ وَحاوِحْ(32)
ألاَ تَرَوْنَ لِمَا أرَى
وَلَقَدْ أبَانَ لِكُلِّ لاَمِحْ
أنْ قَدْ تَغَيَّرَ بَطْنُ مَـ
ـكَّـةَ فَهْيَ مُوحِشَـةُ الأَبَـاطِحْ
مِنْ كُلِّ بِطْرِيقٍ لبط
ـرِيقٍ نَقِيِّ اللَّوْنِ وَاضِحْ
خَذَلَتْهمْ فِئَـةٌ وَهُـمْ
يَحْمُونَ عَوْرَاتِ الفَضَائِحْ
وَلَقَدْ عَنَانِي(33) صَوْتُهُمْ
مِنْ بَيْنِ مُسْتَسْقٍ وَصَائِحْ
لِلّهِ دَرُّ بَنِي عَلِـ
ـيٍّ أَيِّمٍ مِنْهُمْ وَنَاكِحْ
إنْ لَمْ يُغِيرُوا غَارَةً
شَعْوَاءَ تُجْحِرُ كُلَّ ذَابِحْ

4 - وقال يفتخر [من الكامل] وتُروى لابنه القاسم(34):

قَوْمِي ثَقِيفٌ إنْ سَأَلْتَ وَأُسْرَتِي
وَبِهِمْ أُدَافِعُ رُكْنَ مَنْ عَادَانِي
لاَ يَنْكُتُونَ الأرْضَ عِنْدَ سُؤَالِهِمْ
لِتَلَمُّسِ العِلاَّتِ بِالعِيدَانِ
بَلْ يُسْفِرُونَ وُجُوهَهُمْ فَتَرى لَهَا
عِنْدَ السُّؤَالِ كَأَحْسَنِ الأَلْوَانِ

أحاط الرواة حادثة وفاة أمية بجملة من الأساطير لا تحتاج إلي تعليق، لكنها تكشف عن منزلة أمية بعد وفاته

قَوْمٌ إذَا نَزَلَ الغَرِيبُ بِدَارِهِمْ
رَدُّوهُ رَبَّ صَوَاهِلٍ وَقِيَانِ
وَإِذَا دَعَوْتَهُمُ لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ
سَدُّوا شُعاعَ الشَّمْسِ بِالفُرْسَانِ

5 - ومما ينسب لـه قـولـه يعتب عـلى ابن له عقَّه [من الطويل](35):

غَذَوْتُكَ مَوْلُودًا وَمُنْتُكَ يَافِعًا
تُعَلُّ بِما أَجْنِي عَلَيْكَ وَتُنْهَلُ(36)
إذَا لَيْلَةٌ آبَتْكَ بِالشَّجْوِ لَمْ أَبِتْ
لِشَكْوَاكَ إِلاَّ سَاهِرًا أَتَمَلْمَلُ
كَأَنِّي أَنَا المَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي
طُرِقْتَ بِهِ دُونِي فَعَيْنِي تَهْمُلُ
تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنَّنِي
لأَعْلَمُ أَنَّ المَوْتَ حَتْمٌ مُؤَجَّلُ
فَلَمَّا بَلَغْتَ السنَّ وَالغَايَةَ الَّتِي
إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيكَ أُؤَمِّلُ
جَعَلْتَ جَزَائِي غِلْظَـةً وَفَظَاظَـةً
كَأَنَّكَ أَنْتَ المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ

وبعد؛ فهـذه بعض النماذج التي إن كانت لا تمثل كل أغـراض شعر أمية، فـهي تمثل جل هذه الأغراض، كـما تمثل قـصائده الجيـدة التي وددنا التنبيه عليهـا لعلّها تـنال من اهتمام الـدارسين ما تستحقه من عناية.

الهوامش:

1- المروج 1: 70.
2- الديوان المقدمة 48، 51.
3- ولا يستقيم، عقلا، أن إهمال الشيء يعني بالضرورة عدم وجوده!
4- هو ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي. لشـرفة تداعت قبائل من قريش فتعاقدوا على نصرة المظلومين بمكة، فسُمي الحلف حلف الفضول، وفيه قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «لقد شهدتُ في دار عبدالله بن جُدعان حلفًا ما أحب أن لي به حمر النَّعَم، ولو أُدعى به في الإسلام لأجبت». السيرة 1: 133، 134.
5- الأغاني 8 : 329، 331.
6- تقع هذه القـصيـدة في ديوان الشـاعـر من ص 333 إلى 335. نقـلاً عن الأغـاني مـع بعض التـصـرف والإضافة.
7- القرم السيد، وأصله الفحل الذي يترك من الركوب والعمل ويودع للفحلة. اللسان: قرم.
8- أجْحَره: أدخله الجحر من شدة البرد.
9- القصيدة في الديوان 379، 382، وتقع في أحد عشر بيتًا.
10- النجاد جمع النَّجْد وهو الطريق في الجبل: اللسان نجد، يشير إلى مواهب الممدوح من الإبل.
11- الهادي: العنق، لأنه يتقدم سائر الجسم: الأساس: هدى.
12- الديوان 502 مقطوعة من ثلاثة أبيات.
13- الديوان 257.
14- الأغاني 4: 129، 130.
15- دُوَيبةٌ كَسَامٌ أبرص القاموس: عظى.
16- كَفتَ الشيء إليه: ضمَّه وقبضه: القاموس: كفت.
17- الأغاني 4: 129، 130.
18- الأغاني 4 : 129، والخبر في طبقات ابن سلام 266، مع بعض الاختلاف.
19- الأغاني 4: 132.
20- الأغاني 4: 135، وطبقات ابن سلام 265، 267، والمروج 1: 71.
21- الديوان المقدمة 80، 81.
22- الأغاني 4 : 132، 133، والقصيدة في الديوان عدَّتها عشرون بيتًا 516، 521.
23- الممسى والمصبح: مصدران وموضعان اللسان: مسا. واستشهد سيبويه بالبيت على هذا الأمر: الكتاب 4: 95. والمعنى: نحمده في صباحنا ومسائنا، أو حين إصباحنا وإمسائنا.
24- طَبَّقَ الآفاقَ: غطاها وعمها فصار طَبَقًا لها. والطَّبَقُ: كلُّ غطاء لازم على الشيء: اللسان: طبق.
25- قال الأستاذ عبدالسلام هارون في الهامش من الكتاب 3: 33: «يقول: ألا رسول يُبعث من الأموات فيخبرنا عن المدة التي تنقضي بين موتنا ومبعثنا. يقول عن طريق الوعظ: لا يدري امرؤ حقيقة ما يكون بعد الموت، وضرب المجري والغاية مثلاً، وأصلهما في سباق الخيل».
26- الأغاني 8: 333، والقصيدة في الديوان: 411 في ستة عشر بيتًا.
27- من الدَّبْر وهو الموت اللسان : دبر.
28- الكسور جمع الكسر: الجزء من العضو اللسان: كسر، والانفراج: الانشقاق والاتساع الذي يحدث عند الغلي فتبدو منه الكسور: اللسان: ضرج. والكراكر: جمع كِركِرة: وهي رَحَى زَوْرِ الناقة والبعير، والصدر من كل ذي خف، وهي من أطايب ما يؤكل من الأبل: اللسان: كرر.
29- الضرائر جمع الضرة: القطعة من المال والإبل والغنم: القاموس: ضرر. شبه القدور وما ملئت به بجماعات من الإبل والماشية لكثرتها وانتشارها بفنائه.
30- من قصيدة عدتها واحد وثلاثون بيتًا، كما في الديوان 345، 351. روى صاحب الأغاني 4: 126 منها بيتًا واحدًا، وأورد بسنده خبرًا يقول: «وهي قصيدة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن روايتها»، وقد اعتمد بروكلمان في تاريخ الأدب العربي 1: 113 هذا الخبر عندما زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم منع إنشادها. بينما في السيرة 2: 32: «قال ابن هشام: تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم».
31- العقنقل: كثيب رمل ببدر: البكري 951، جحاجح: مسارعون إلى المكارم: الأساس: جحجح.
32- وحاوح: أشلاء.
33- عناني: من العناء.
34- الأبيات في الديوان 500، 502.
35- في الديوان 430، 433 عدَّتها أربعة عشر بيتًا، نسب ابن قتيبة في عيون الأخبار 3: 99 ستةً منها ليحيى بن سعيد مولى تيم، وفي نوادر المخطوطات 2: 352، 355 كتاب العققة والبررة لأبي عبيدة، تُنسبُ في أربعٍ وثلاثين بيتًا ليحيى بن سعيد هذا.
36- غذوتك: من الغذاء. تُعَلُّ مبني للمجهول من عَلَّ يَعُلُّ، والعلُّ والعَلَلُ: الشربة الثانية أو الشُّرب بعد الشُّرب تباعًا: القاموس: علل. والنَّهَلُ محركة أول الشُّرب: القاموس: نهل.

المصادر:

- أساس البلاغة، الزمخشري ت: 538هـ، دار الفكر، د ت، بيروت.
- الأعلام، خيرالدين الزركلي ت: 1396هـ، دار العلم للملايين ط 1986/7م، بيروت.
- تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، ج1، ترجمة د. عبدالحليم النجار، دار المعارف ط 1983/5م، مصر.
- تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ت: 864هـ، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ت: 911هـ دار الفكر، بيروت.
- جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسي، ت: 456هـ، دار الكتب العلمية ط1، 1983م، نسخة مصورة عن طبعة هارون .
- خزانة الأدب، البغدادي ت: 1093هـ تحقيق وشرح الأستاذ عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ديوان أمية بن أبي الصلت [ت: 2 أو 5هـ] صنعة د. عبدالحفيظ السطلي، ط1977/2م، دمشق.
- الروض الأنف، السهيلي [ت: 581هـ] تقديم وتعليق طه عبدالرؤوف سعد، دار الفكر 1989م، بيروت.
- السيرة النبوية لابن هشام [ت: نحو 213، 218هـ] تحقيق مصطفى السقا وزميليه، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الشعراء الحنفاء، الدكتور أحمد جمال العمري، دار المعارف ط1981/1م، مصر.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة [ت: 276هـ] دار الثقافة 1969م، بيروت.
- شعراء النصرانية قبل الإسلام، لويس شيخو، دار المشرق ط1982/3م، بيروت، ومطبعة مكتبة الآداب، مصر.
- طبقات فحول الشعراء، ابن سلاّم الجمحي، ت: 231هـ قراءة وشرح الأستاذ محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مصر.
- العقد الفريد، ابن عبد ربه [327هـ] شرح وتصحيح لجنة التأليف والترجمة والنشر، طبعة مصورة، دار الكتاب العربي 1986م، بيروت.
- القاموس المحيط للفيروز آبادي [ت: 817هـ] مؤسسة الرسالة، ط1987/2م.
- كتاب سيبويه [ت: نحو 180هـ] تحقيق وشرح الأستاذ عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي ط1988/3م، القاهرة.
- لسان العرب، ابن منظور [ت: 711هـ] دار صادر، بيروت.
- مروج الذهب، المسعودي [ت: 346هـ] تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة الإسلامية 1948م، بيروت.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي [ت: 626هـ] دار صادر، بيروت.
- معجم ما استعجم، البكري [ت: 487هـ] تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، ط1983/3م، بيروت.

ثغر طرسوس

بين عصر هارون الرشيد والاحتلال البيزنطي

170- 354= 786- 965م

2

د. أمينة البيطار

الحياة الاجتماعية والعسكرية

كان سكان طرسوس أخلاطًا من الناس، فقد استقرت فيها مجموعات سكانية من أرجاء الوطن الإسلامي كافة(1)، بما فيهم جماعات من أبناء المهاجرين والأنصار، الذين كان لهم سجل خاص بهم منذ خلافة المأمون. كما كان لهم عطاء مقرر من عشور طرسوس يجري عليهم مجرى الميراث، يأخذه خلفهم عن سلفهم(2).

وهناك المطوعة من جميع المدن الإسلامية، إذ ليس من مدينة إسلامية كبيرة «من حد سجستان إلى كرمان وفارس والجبل وخوزستان وسائر العراق والحجاز واليمن والشامات ومصر، ألا وبها لأهلها دار وأكثر، أهلها ينزلونها إذا وردوها»(3).

كما كان هناك الشيوخ المسجدية الذين لا عمل لهم إلا الغزو والجهاد في سبيل الله والصلاة الدائمة(4)، من أبرزهم إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الشهرزوري المرابط والغازي(5)، ومنهم زبرج الثملي الأسود غلام ثمل الخادم، الناسك المتعبد(6). وقد كان لهؤلاء الشيوخ المسجدية دور في حث الناس على الجهاد حين تضعف الهمم لسبب من الأسباب. ومن الذين برزوا في حث الناس على الجهاد أبو القاسم الحمامي(7).

كما كان في طرسوس فئة الأدلاء المؤلفة قلوبهم من البيزنطيين والأرمن وغيرهم. وكان الحكام يستعينون بهم في التجسس على العدو(8). وأهم من هذه الفئات كلها: الحاميات العسكرية، إضافة إلى التجار. وقد أدى وجود هذه الفئات جميعًا في طرسوس إلى أن تصبح أكثر مدن الثغور سكانًا.

وينقسم هؤلاء السكان إلى أحرار ورقيق، والأغلب على ألوانهم البياض والحمرة، والسمرة الصافية. واتصف عامة السكان بالأخلاق الحسنة. فقد كان أولاد المجاهدين وأولاد الغلمان وأولاد خراسان أخلاقهم سمحة، ونفوسهم كريمة، وهممهم عالية، ويحبون الغريب(9) إلا أنه كان في أخلاق الرقيق جفاء وغلظة على الغريب إلا من كان منهم قريب عهد بالغربة(10). وغلب على السوقة والمستخدمين قوم من الخوز، وسفلة العجم، ومن شاكلهم (غلب عليهم) الكسل عن طلب المعاش، فكانوا يتحايلون للعيش بالتظاهر بالزهد والورع، وكان الشُّحُ بينهم فاشيًا إلا في الغريب(11).

حبس القادرون الأحباس في طرسوس للجهاد والخير، يتضح ذلك من النص التالي: «.. وليس على وجه الأرض مدينة جليلة، إلا ولبعض أهلها دار حبس عليها حبس نفيس، وغلمان برسم تلك الدار بأحسن العدة، وأكمل الآلة، يقوم بهم الحبس الذي عليهم. وكان أكثر ذلك لأهل بغداد، فإنه كان لهم بها ولغيرهم من وجوه البلدان وذوي اليسار منهم جلة الغلمان، مقيمين عليهم الوقوف السنية، والأرزاق الدارة...»(12).

كانت الأوقاف التي يقفها أهل البر والإحسان على مدينة طرسوس، من أهم الموارد التي يعتمد عليها السكان سواء في حياتهم اليومية، أم في الحياة العسكرية. من ذلك أن ضيعة من ضياع حلب على بعد ثمانية عشر كيلومترًا منها، تعرف بأورم الكبرى. أوقف بعض أهلها وقفًا يُنفق منه على فرس تُجعل في طرسوس بدار السبيل المعروفة بزهير بن الحارث، ويقام لها العلوف، وأجرة من يخدمها، ويقام عليها فارس يقيم بدار السبيل هذه، يجاهد عليها عن زهير بن هارون، ومافضل من وارد هذا الوقف، يُعدّ لنائبة إن لحقت هذه الفرس(13).

ودار السبيل هذه في طرسوس فيها بيوت

في الطابق الأسفل، واصطبلات ومخازن، كما فيها غرف علوية. وكانت المخازن وقفًا على سبعة أفراس، تكون في مربط هذه الدار بسروجها وآلاتها وجلالاتها، وأطعامها، وأنعالها ومساميرها وأجرة بياطرتها وأجرة ساستها، ولكل فرس فارس يُختار من بين قادة طرسوس. فمتى نودي للنفير قاد السائس الفرس إلى قائد بعينه بعد القيام بكفاية الفرس. حتى إذا عاد القائد من نفيره أو غزوه، رد الفرس إلى مربطه(14).

كثر في طرسوس الزهاد الذين أفرغوا أنفسهم للغزو والجهاد في سبيل الله، وتلاوة القرآن، وازدحم فيها أهل الستر والسداد، واعتكف فيها العابدون وأهل العلم والحديث، حتى أصبح إحصاء أعدادهم صعبًا للكثرة. فقد كان أهل التقى والورع يؤمونها من أرجاء العالم الإسلامي كافة، وخاصة من مشرق أراضي الخلافة الإسلامية، حيث كان لكل فئة دارها تعيش فيها على العطايا التي تُرسل إليها من جميع الأنحاء(15).

ومن الزهاد الذين عاشوا في طرسوس: إسحق بن خلاد الذي كان يعلم القرآن، وأمضى خمسين سنة من حياته صائمًا متعبدًا(16). وأبو إسحق الفزاري (188هـ/ 803- 804م) الذي توفي غازيًا في المصيصة، وعمل في أثناء إقامته على تأديب أهل الثغر(17). كما كان منهم أحمد بن حرب (234هـ/ 848- 849م)، وحمش التُريكي وهو محمد بن عبدالرحيم (275هـ/ 888م)(18)، وعبد الله بن المبارك الذي أقام بطرسوس والمصيصة غازيًا سنين عدة(19)، وأبو الحارث فيض بن الخضر بن أحمد التميمي الأولاسي أحد الأولياء المشهورين في حصن أولاس(20)، وأبو أمية محمد بن إبراهيم بن مسلم بن سالم الطرسوسي وهو من الثقات المكثرين (273هـ/ 886- 887م)(21)، وأبو بكر أحمد بن الحسين بن بندار بن أبان الأصهباني القاضي الطرسوسي، كان شيخًا عابدًا صالحًا مجتهدًا (370هـ/ 980- 981م) بنيسابور، وكان قد ترك طرسوس إثر احتلالها من قبل البيزنطيين سنة 354هـ/965م(22). كما كان من زهاد طرسوس زهير بن محمد بن قصير المروزي، البغدادي الأصل. انتقل إلى طرسوس، ورابط فيها، قال عنه البغوي: «مارأيت بعد أحمد بن حنبل أورع من زهير ولا أفضل، سمعته يقول: أشتهي لحمًا أربعين سنة، ولا آكله، حتى أدخل أرض الروم، فآكله من مغانم الروم(23). وكان أبو عبدالله الرازي من المحدثين الصالحين المستورين(24)، وكذلك أبو الترك السلمي الذي كان من أهل العلم والحديث والجهاد(25). وأبو القاسم القحطبي، وأبو القاسم الأبار، كانا من الزهاد الصوفية(26)، كما قيل إن بطرسوس من قبور الأنبياء عشرة(27).

أعياد طرسوس: زينة وقوة

ومن أجمل ما كان يُحتفل فيه بطرسوس، الأعياد، حتى ضرب بذلك المثل، فقيل: «زينة الإسلام ثلاثة: التراويح بمكة.. ويوم الجمعة بجامع المنصور.. ويوم العيد بطرسوس..»(28). فقد كان أهل طرسوس يتزيون في الأعياد بأجمل الأزياء، ويخرجون بالأسلحة الكثيرة المليحة والخيل الحسان، يبغون من وراء ذلك أن يصل الخبر إلى أعدائهم البيزنطيين بما يملكه المسلمون من قوة وعزة ومنعة، فلا يحاولون الاعتداء على طرسوس، ودخولها(29).

ويبدو مما ذكره ابن العديم(30) عند حديثه عن دار «قبيحة» أم الخليفة العباسي المعتز بالله (232- 255هـ/ 846- 869م) أنه على العداء الذي كان سائدًا بين البيزنطيين وأهالي طرسوس، فإن البيزنطيين كانوا يرسلون في الأعياد الرسل إلى طرسوس للتهنئة بالعيد، فيستقبلهم أهالي طرسوس بالأزياء العسكرية، فقد كان أصحاب السلاح يظهرون سلاحهم بهذه المناسبة، ويرتدون الدروع الحصينة التي تستر الفارس والفرس، ويضعون الخوذ المنيعة على رؤوسهم، ويحمل كل غلام السلاح الذي اعتاد العمل به(31). وغايتهم من ذلك إظهار قوتهم أمام رسل البيزنطيين ليخشوهم.

أما أعمال السكان، فكانت التجارة والزراعة وتربية الحيوان، ولكن المهمة الرئيسية لهم المرابطة للجهاد في سبيل الله. فقد كان دأب المجاهدين في أيام السلم تدريب الخيل على الجهاد والكر والفر، وممارسة استخدام السلاح، ليكون المجاهد جاهزًا في كل حين للجهاد. فقد كان الجميع يصرفون صدور أيامهم في الطراد، ويستخدمون في أثناء الطراد سائر السلاح، ثم يعودون في أعجاز النهار إلى منازلهم التي حبسها لهم القادرون من أصحاب الخير. وهي منازل فياحة، فيها البساتين والمياه الجارية، والعيش الرغد(32).

لم تكن هذه سمة المجاهدين فحسب بل أهل طرسوس عامة، فهم جميعًا يركبون الخيل، ويعملون في السلاح، حتى صغار التجار والصناع، فإنهم كانوا يلحقون بالطبقة العليا في الفروسية والشجاعة، ورباط الخيل، وإعداد السلاح(33).

أما في أيام النفير، فقد كان لهذه المدينة نظام دقيق تتبعه. فما إن تدعو الحاجة إلى النفير ليلاً أو نهارًا، حتى ينهض المحتسب، فيركب دابته ورجاله بين يديه، يطوفون في كل شوارع المدينة قديمها وجديدها، ينادون بصوت مرتفع واحد قائلين: «النفير يا أصحاب الخيل والرّجالة»، ويحددون للمجاهدين الباب الذي سينطلقون منه، سواء أكان باب الجهاد، الذي هو الباب

كان البيزنطيون، على ما بينهم وبين أهل طرسوس من العداء، يرسلون إليهم رسلاً لتهنئتهم بأيام العيد

الذي تخرج منه الجيوش غالبًا، أم غيره من الأبواب، كباب قلمية أو باب الصفصاف أو أي باب اتُّفق على الخروج منه، ويحضونهم على المسير في إثر الأمير أو السلطان أين أخذ وكيف سار. وكثيرًا مايلتحق برجال المحتسب عدد كثير من الصبيان يساعدونهم على النداء بالنفير. ثم يُفتح الباب الذي سيخرج منه الجيش، وتُغلق بقية أبواب المدينة، وتحصل مفاتيحها عند صاحب الشرطة، وتبقى كذلك حتى يعود السلطان من النفير، ويستقر في داره، ثم تفتح الأبواب المغلقة(34). ولا يقتصر الأمر في النفير على رجال الجيش، بل قد تدعو الحاجة الملحة، وصعوبة الوضع العسكري إلى حشد الناس من الفئات كافة، فيؤمر أهل الأسواق بالمسير في إثر الأمير(35).

هذا وعندما يقع النفير، يتمركز صاحب الشرطة مع رجاله عند الباب الأول الذي يلي الباب الذي سيخرج منه الجيش، وكثيرًا مايكون المحتسب معه، إلا إذا طال أمر النفير، وتأخّر خبره، فإنه يدخل المدينة، ليتردد في الأسواق، ويحث المتأخرين على اللحاق بمن سار مع الأمير(36).

ويحدد السلطان أو الأمير قائدَ الفرسان الذي سيخرج ليستقبل من ورد من المجاهدين الفرسان، كما يعيّن قائد الرجالة، ويلحق به أجلاد الرجّالة من أهل القوة والنشاط من المطوّعة المسجدية (مشايخ المساجد)، ويحمل كل شيخ من الشيوخ الصلحاء منهم علمًا، فكلما نزل الشيخ منزلاً ينضم إليه عدد من الغلمان المدربين من ذوي معرفته، ومعرفة من معه، لاطمئنانهم إليه. فيصبح هذا الشيخ مسؤولاً ومشرفًا عليهم، تقع عليه عبء مراقبتهم في كل أمورهم، «فلو همَّ أحدهم بالوضوء لصلاة، لما أفرج عنه، إلا برقيب ثقة أمين يمضي معه لحاجته، حتى إذا فرغ منها عاد إلى جملته»(37).

وتكون لهؤلاء الغلمان المنضمين إلى الشيوخ خبرة وتدريب على حمل السلاح منذ نعومة أظفارهم، ويتم تدريبهم وتربيتهم تربية عسكرية، في طرسوس نفسها، وتكون البداية تدريبهم على حمل السلاح لاستقبال السلطان في عودته من القتال، استقبالاً يليق بمقامه. ثم يتدرجون في العمل العسكري حتى يصبحوا قادرين على حمل السلاح والانضمام إلى أحد الشيوخ من قادة الرجّالة. وقد أوضح الطرسوسي كيف يتم تدريب هؤلاء الغلمان، بما ذكره عن غلمان شيخ عُرف باسم رؤبة، فقد كان يجتمع لهذا الشيخ من الصبيان الذين لم يبلغوا الحلم مايزيد على ألف صبي كلهم يحملون السلاح الذي يتناسب مع مقدرتهم، كما يحملون المزاود التي فيها أطعمتهم، يدربهم على حمل السلاح، وهم بدورهم يطيعونه في كل مايأمرهم به، فيسيرون بسيره، ويقفون بوقوفه. وإذا عاد السلطان من الحرب بعد طول غيبة إلى مقر داره، يحتفلون بعودته، فيدخل أولئك الصبيان أمامه «فوجًا فوجًا صبيين صبيين، على مراتبهم» ينظمهم قائدهم، فيجعل رماتهم الذين يحملون القسي المصنوعة على مقاديرهم، ثم رماتهم أصحاب القسي الفارسية، وأصحاب القسي العربية من أولاد اليمانية، ثم يدخل من يحسن الثقاف، فيثاقف قرينه وخدينه، حتى يدخل كل صنف منهم في مرتبته، ثم يتلوهم قائدهم بمطرده وعلامته(38).

يبقى تدريب الصبيان على ذلك حتى يخرجوا من حد الطفولة، ويشتدّ عضدهم، ويصلوا إلى مرحلة البلوغ، فينضموا بعدها إلى قائد من قادة الرجالة، يسيرون بسيره في النفير والغزو. ولهؤلاء الغلمان حق اختيار القائد الذي ينضمون إليه، وغالبًا مايختارون الشيخ الذي يكون معه أقرباؤهم وجيرانهم ومعارفهم. ويمكن لهؤلاء الغلمان الجدد الذين انتسبوا كرجّالة، أن يصبحوا في عداد الفرسان، أو أن يبقوا على حالهم، وهذا يكون بعد أن يصبح الغلام حاذقًا بما يحتاج إليه، ماهرًا بصيرًا بأمر جهاده، وتدبير أمره، يقظًا(39)، ويملك فرسًا، أويُهيَّأ له.

الأسلحة المستخدمة وحامية طرسوس

أما الأسلحة المستخدمة في القتال في طرسوس فهي أسلحة خفيفة في الغالب، مثل القسي بأنواعها الفارسية واليمانية(40)، والمزارق، والخطّي والرماح وغيرها(41)، والدروع السابغة التي تستر الفارس والفرس، والجواشن (الدروع) والخوذ(42)، إضافة إلى المجانيق الحررية، والمجانيق الكبار والعرّادات(43).

كانت حامية طرسوس قوامها أصلاً ثمانية آلاف رجل، يخرجون إلى القتال من باب الجهاد غالبًا(44). ومنا إن حلّت سنة 340هـ/951م حتى أصبحت طرسوس مدينة كبيرة، وصل تعداد حاميتها إلى مئة ألف فارس(45)، وبلغ تعداد الجيش الخارج من طرسوس في بعض الحملات زيادة على عشرين ألف فارس وراجل(46). وليست هذه الأعداد مبالغًا فيها. فقد كان عدد الرماة الذين يرمون من فوق أسوار طرسوس ستة عشر ألف رام، كما كان ثلثا دور المدينة البالغ عددها أربعة وثلاثين ألف دار مخصصة للعزاب، وهم من المرابطين الذين سَخَّروا حياتهم للجهاد في سبيل الله(47).

كان الأغنياء وأصحاب الثروات في كل أرجاء الخلافة يعملون على المشاركة في الجهاد بالمرابطة بأنفسهم، فإن لم يتمكنوا من ذلك، أقاموا دور ضيافة أو أماكن إقامة للمتطوعة والمرابطين، ووقفوا على هذه الدور الأوقاف

كان الأغنياء يعملون على المشاركة في الجهاد بأنفسهم. فإن لم يتيسر لهم ذلك أقاموا دور ضيافة للمتطوعة والخيالة

بين عصر هارون الرشيد والاحتلال البيزنطي170 - 354= 786- 965م

الكثيرة للإنفاق على من يقيم فيها وعلى تجهيزهم بالخيول والسلاح(48).

ومن هذه الدور: دار السيدة أم الخليفة المقتدر بالله عند آخر شارع النجارين، وكان في هذه الدار مئة وخمسون غلامًا مجهزون بالخيول والأسلحة يقودهم رجل منهم، يضع على رأسه مطارد ليعرف به. ويشكل هؤلاء فرقة عسكرية تدعى عند الحاجة، فتنضم إما إلى ميمنة الجيش أو ميسرته أو ساقته، أو أنها تُرسل بمفردها للقيام ببعض المهمات. وبرسم هذه الدار صناع معروفون من أهل سوق السلاح، لتأمين السلاح وإصلاحه، وجلاء الدروع والسيوف في كل سنة مرة أو مرتين(49).

وكانت واردات هذه الدار في السنة مئة ألف دينار، تُنفق على من فيها، وربما قصرت هذه الواردات في بعض السنوات عن الحاجة، فيستدين أصحابها ثم يردون مااقترضوا حين يتيسر لهم ذلك. وواردات هذه الدار التي بنيت في مطلع القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي تعادل ارتفاع الثغور عامة بجميع جباياتها التي ذكرها ابن العديم في النص المذكور فيما سبق(50).

وهناك دار أخرى في شارع الصفصاف لقبيحة أم الخليفة المعتز بالله(51)، تتسع أيضًا لمئة وخمسين غلامًا، لهم رئيس يسيرون معه في الجهاد، ويُنشر على رأسه مطرد وأعلام مكتوب عليها المعتز بالله، ويُشترط في هذا الرئيس أن يكون فارسًا مقدمًا من موالي المعتز، فإن تعذر ذلك، نُصب للرئاسة قائد من قواد طرسوس، ويلحق بهذه الدار خزانة للسلاح فيها الدروع والعمد المذهبة والجواشن والخوذ، وأنواع من الأسلحة، ولم تكن هذه الدار للمرابطة فقط، بل كان يجري فيها تعليم الغلمان موالي المعتز بالله وأبنائهم على يد مؤدب خاص بهذه الدار(52).

أما ماعُرف باسم كنيسة أبي سليم فرج الخادم، فهي عبارة عن دار كبيرة تشتمل على دور كبيرة يسكنها موالي فرج الخادم، وفيها «ديوانه، وعاملهم وكاتبهم، ورئيسهم، وخزائن أسلحتهم وعددهم»(53).

وصف أبو عمرو الطرسوسي هذا الوقف بأنه «أزجى وقوف طرسوس، وأكثرها مالاً وأوفره وأكثره موالي صالحين مجاهدين متنسكين». وأشهر من عُرف من رجال هذه الدار أبو الترك السُلَمي الذي كان يتأهب حين يخرج من طرسوس تأهب من يبارز عدوه في مصافه(54).

نهاية حزينة!

هكذا كانت حياة هذا الثغر المهم من ثغور المسلمين، الذي كان كابحًا للبيزنطيين ومانعًا لهم من التقدم في بلاد الشام، حتى كانت سنة 354هـ/ 965م، حين خرج إليه الإمبراطور نقفور لاحتلاله، واحتلال بقية الثغور القريبة منه، فقاومه أهله، وشُغِل حكام البلاد الإسلامية عن إمداده بالمعونات بخلافاتهم الداخلية، واتبع نقفور سياسة الأرض المحروقة، فأحرق كل الأراضي الزراعية المحيطة به، وحاصر المدينة، ومنع عن سكانها المؤن والإمداد. أما سيف الدولة فكان قد أصيب بالفالج، وخرج عليه مواليه، مما أدى إلى استسلام الثغر، فنال سكانه مانالوه من نقفور من قتل وسبي، وحُوِّل مسجده إلى اصطبل، ولما دخل نقفور المدينة، صعد على منبرها، وقال للحاضرين: أتعرفون أين أنا؟ فأجابوه إنه على منبر طرسوس، فأجاب: إنه على منبر بيت المقدس، لأن طرسوس هي التي كانت تمنعه من الوصول إليها(55).

الهوامش:

1-3- ابن العديم: المصدر السابق، ح1، ص178، 181، 177. وقد بنيت هذه الدور فيها بعد تخطيطها من قبل هارون الرشيد، والمقصود بالدار هنا، دار ضيافة كبيرة لأهل كل منطقة.

4-11- ابن العديم: المصدر السابق: 181/1، 1540/3، 3744/8-3745. 4590/10-4591، 181/1، 180/1، 179/1، 179/1، ويبدو أن الخوز اشتهروا بسوء الأخلاق والبخل المفرط والمنافسة فيما بينهم. عن هذه الصفات، راجع ياقوت الحموي: معجم البلدان، مادة الخوزستان.

12-15- ابن العديم: المصدر السابق 179/1، 184، 185، 196، 197. وانظر: دائرة المعارف الإسلامية مادة طرسوس، ص155.

16- ابن العديم: المصدر السابق، 1461/3 وهو أبو يعقوب إسحق بن خلاد التيلمي، كان يقرئ تلامذته بعدة قراءات.

17- ابن النديم: الفهرست، الفن الأول من المقالة الثالثة. وابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ح1، ص37. والزركلي: الأعلام.

18- الذهبي: ميزان الاعتدال، ح1، ص89.

19-20- ابن العديم: المصدر السابق 202/1- 203، 218.

21-22- السمعاني: الأنساب، تحقيق محمد عوامة، نشر محمد أمين دمج، بيروت 231/8، 232.

23- الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، 484/8-485.

24-27- ابن العديم: المصدر السابق: 4516/10، 4517، 4369، 4591، 163/1.

28-29- السمعاني: المصدر السابق 231/8. وانظر: ابن العديم: المصدر السابق187/1.

30-ابن العديم 183/1، وعن هذه الدار انظر فيما سبق.

31-32- ابن العديم: المصدر السابق، 183/1، 179.

34- أبو عمرو الطرسوسي: تخريج ابن العديم: المصدر السابق188/1.

35-43- ابن العديم: المصدر السابق 188/1، 189، 215، 216، 189، 190، 183، 178.

44- انظر فيما سبق، وانظر دائرة المعارف الإسلامية، مادة طرسوس، ص156 نقلاً عن المسعودي، مروج الذهب.

45- ابن حوقل: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص168. ودائرة المعارف الإسلامية، مادة طرسوس، ص156.

46- ابن العديم: المصدر السابق 182/1.

47- ابن العديم: المصدر السابق 184/1 نقلاً عن أبي عمرو عثمان بن عبد الله الطرسوسي.

48- عن هذه الأوقاف انظر ابن العديم: المصدر السابق 179/1، 184.

49- ابن العديم: المصدر السابق 182/1.

50- قد يكون ارتفاع الثغور المذكورة في نص ابن العديم في فترة الاضطراب، أو في فترة تأسيسها، ولا يمكن أن يكون ارتفاع دار السيدة يعادل ارتفاع الثغور، ومما لاشك فيه أن هذه النقطة تحتاج إلى تمحيص أكثر، وأرجو أن تتاح لي الفرصة لذلك. من أجل ارتفاع الثغور، انظر فيما سبق.

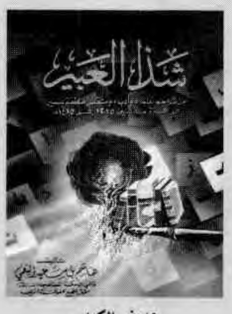
51- تولى الخليفة المعتز بالله الخلافة فيما بين سنتي 251- 255هـ.

52-53- ابن العديم: المصدر السابق 183/1، 4369/10.

54- أبو عمرو الطرسوسي، تصدير ابن العديم، المصدر السابق 4369/10.

55- أمينة البيطار: الحياة السياسية 294-295.

العنوان: شذا العبير.
من تراجم علماء وأدباء ومثقفي منطقة عسير في الفترة ما بين 1215 إلى 1415هـ.
المؤلف: هاشم بن سعيد النعمي.
الناشر: نادي أبها الأدبي،
ط1، 1415هـ، 480ص.



غلاف الكتاب

هذا السِّفْرُ يضم بين دفتيه تراجم مئة وعشرة من رجال العلم والفكر والأدب والثقافة في منطقة عسير. ومؤلف الكتاب مؤرخ مدقق، لذلك كان حريصًا على تأكيد تحريه الدقة فيما أورده: «توخيت في نصوصه التوثيق، كيلا أتعرض لملامة». وهو يستهل الكتاب بمدخل مقتضب يحدد فيه غرضه من معالجة الموضوع «نشر التراث الأدبي، والمشاركة في إثراء مكتبتنا العربية»، كما يتناول الأدب بمفهومه الواسع، ويتتبع أحوال الدول الإسلامية وواقع الأدب فيها، وما أصاب الحضارة الإسلامية من تخلُّف وركود. ويذكر أن إقليم منطقة عسير كان قد حظي بنوع من الحياة الفكرية المحدودة ممثلة في الكتاتيب التي كان يقيمها الأهالي، وفي الكفايات العلمية ممن لهم نتاج ملموس من علماء المنطقة؛ إلا أن هذا الإقليم اعتورته «مؤثرات مضادة هبطت به إلى حالة الجمود والانطوائية»، إلى أن توحدت أقاليم المملكة عام 1351هـ على يد الملك عبدالعزيز - رحمه الله -، وكان من آثار هذه الوحدة توافر أسباب الرقي وخاصة في مجال العلم، والاهتمام بالعلماء ونتاجهم وعطاءاتهم.

وقد احتفى نادي أبها الأدبي بفكرة المؤلف وبموضوع الكتاب، وعدَّه «مكسبًا لهواة التاريخ والبحث العلمي»، وأعربت إدارة النادي عن اغتباطها بما حواه الكتاب، وذكرت في تقديمه: «فكم من الشخصيات التي وردت ترجماتها في هذا السفر كانت مجهولة لدى الكثير، ويمكن، بل كاد يُطوى ذكرها مع أمثالها الذين ذهبوا وأعمالهم في غياهب النسيان».

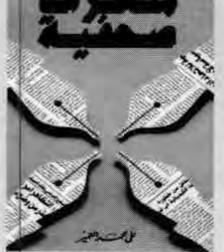
رتب المؤلف الشخصيات التي ترجم لها ترتيبًا هجائيًا، وأورد معلومات حول السيرة الذاتية للشخصية والوظائف التي تقلدتها، ونشاطاتها الفكرية والعلمية والثقافية، كما أورد نماذج من النتاج الفكري والأدبي. وهذا التعريف يطول ويقصر حسبما توافر للمؤلف من معلومات، فبعض الشخصيات خصِّص لها صفحات، بينما لم تتجاوز الترجمة لآخرين نصف صفحة من الكتاب، ونحسب أن المؤلف معذور في ذلك، فالإصدار يغطي مساحة زمنية طويلة، ومن الصعوبة بمكان الإحاطة بالتفاصيل كلها، وهو نفسه - أي المؤلف - ذكر أنه استكتب عددًا من المثقفين، ولكنه لم يتلق ردودهم، كما ذكر أنه لم يستوعب أدباء وعلماء ومثقفي المنطقة كافة، ويرى أن الأمر يستوجب إصدار جزء ثانٍ.

ولا شك أن الإصدارات التي تسعى لتوثيق وجمع شتات النتاج الفكري والعلمي والأدبي لشخصيات أسهمت في إغناء التاريخ، تتطلب مستويات من المبادرة والتعاون من كل الجهات والأفراد والهيئات التي يتوافر لديها أية معلومات عن موضوع الإصدار، مع المؤلفين والباحثين الذين يتصدون لمثل هذه القضية.

العنوان: مناقرات صحفية.
المؤلف: علي محمد العمير.
الناشر: نادي جازان الأدبي،
ط1، 1416هـ، 216ص.



علي محمد العمير



غلاف الكتاب

ارتبط اسم علي العمير «بالأدب الساخر» لدرجة أن صفة «الكاتب الساخر» قد طغت على الصفات الأخرى التي يتمتع بها «الأديب الناقد الكاتب الاجتماعي» علي العمير. وهو نفسه يعترف بذلك، ويذكره باعتزاز شديد: «السخرية صفة ملازمة لكتاباتي الأدبية والاجتماعية، فالسخرية أرفع أنواع الأدب، وما يريد أن يقوله الساخر حتمًا هو أعمق بكثير مما يكتبه الآخرون بجدية».

والكتاب الذي بين أيدينا يضيء جوانب عديدة في شخصية علي العمير، وخاصة الجانب الساخر. وقد يكون العنوان «مناقرات صحفية» خير دليل على ذلك.

وأصل مادة الكتاب مجموعة مختارة من المقابلات الصحفية التي أجريت مع العمير في بعض الصحف والمجلات السعودية، تسلط الضوء على مراحل مختلفة من حياة الكاتب، وآرائه حول كثير من القضايا الفكرية والأدبية والاجتماعية.

والناظر إلي رحلة حياة العمير التي بدأها من بلدة صامطة في منطقة جازان يجدها تتسم بالعصامية والتنوع والقدرة والإصرار على المواصلة وتحقيق الطموح، ولذلك نجده قد أوجز مشواره مع الكتابة، الذي بدأ عام 1377هـ، في أنه «كان حفرًا بأصابعي التي أدماها طول الحفر». وهذا الكتاب يعطي القارئ فكرة واضحة عن الأسلوب الذي اتبعه الكاتب في الحفر لشق طريق حياته، حتى أصبح أحد رموز الثقافة السعودية برؤية مميزة في الدعوة إلى نشر الثقافة: «لن تكون لدينا ثقافة عالية المستوى حتى تكون الثقافة جزءًا لا يتجزأ من اهتماماتنا، وضمن خطط طموحة..»، ويرى أنه لكي نرقى بالثقافة لا بد أن تتساوى مع السلع الاستهلاكية الأخرى. وله رأي حول تأثر الكتاب بانتشار الفضائيات، إذ يقول: «سيبقى الكتاب لكل طالب علم رغم أية معوقات. أما طلاب الإثارة فهم دائما يجدون ما يصدهم عن الكتاب، وليس البث المباشر فحسب».

ومن أكثر آراء الكاتب تحديدًا أو مباشرة حول ما يدور في الساحة الثقافية، موقفه من الحداثة: «لست ضد التجديد ولكن ضد الانسلاخ، ولست ضد الإبداع ولكنه ضد التهويم، وضد التجني على التراث»، وقد وصف الحداثة بـ «هذا الطوفان الذي لا ينتهي من الغثاء والهذر باسم الأدب وباسم الثقافة».

وشغل استجلاء رأي الكاتب حول الحركة النقدية حيِّزًا كبيرًا من صفحات الكتاب، وقد جمع العمير رؤيته في عبارة نجدها محكمة: «النقد يجب أن يساير أية حركة منذ نشأتها، إنك لا تستطيع أن تبني عمارة ثم تأتي بمهندس ليبدي ملاحظاته عليها، فملاحظاته حينئذ قد توجب هدم العمارة من أساسها، وفي ذلك خسارة وأية خسارة. وهكذا فالنقد يجب أن يساير أية حركة كما يساير المهندس الإشراف على مبنى من المباني».

العنوان: التحضر في مدينة الطائف 1367- 1407هـ = 1948- 1987م.
المؤلف د. حمد زيد الزيد.
الناشر: لجنة التنشيط السياحي بالطائف، ط1، 1417هـ، 246ص.


د. حمد الزيد


غلاف الكتاب

موضوع الكتاب في الأصل أطروحة نال بها المؤلف درجة الدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة كينسنجتون بولاية كاليفورنيا الأمريكية. وقد وصف الباحث المرحلة التاريخية التي شملتها الدراسة بأنها «فترة انتقالية في تاريخ الطائف ومجتمعها، وهي الفترة الممتدة من هدم السور وحتى انتهاء البنية الأساسية - افتراضًا - في عام 1407هـ، أي مدة أربعين سنة، وهي عمر الجيل الذي أشار إليه العلامة ابن خلدون». ويذكر د. الزيد أن اختياره موضوع البحث مرده إلى سببين، الأول: شخصي، وهو حبه لمدينة الطائف، والآخر وطني: وهو رغبته في أن تنال هذه المدينة حظها من الدراسات الاجتماعية، بعدما أُتخمت قديمًا وحديثًا بالإصدارات التاريخية والجغرافية والإعلامية.

استهل المؤلف موضوع بحثه بتصدير ومقدمة وأربعة فصول، تقصى فيها الطائف تاريخيًا وجغرافيًا، وسكانيًا، وتتبع مراحل تطورها، والمشروعات الحكومية فيها، وناقش أثر التحضر والهجرة في مجتمع الطائف، وعرض المقومات السياحية للمدينة، ومستقبل السياحة فيها.

أما الفصل الخامس فقد تضمن الموضوع الأساسي، وقد عالجه الباحث في تمهيد واستقصاء آراء عينة مختارة من 25 فردًا «جلهم من الذين ولدوا، أو عاشوا معظم حياتهم في الطائف، وعاصروا السور، وشهدوا هدمه، كما عاصروا مراحل تطور المدينة». ركزت الأسئلة التي أجاب عنها أفراد العينة على 3 محاور: ماضي الطائف القريب منذ هدم السور، حاضرها حتى 1987م، إمكاناتها السياحية. وقد جاءت الأسئلة مباشرة في استكشاف طموحات أفراد العينة وتطلعاتهم، واستدعاء ذكرياتهم، وإتاحة هامش للموازنة بين الماضي والحاضر، عبر سؤال مفتوح في نهاية الاستبانة يعرض فيه الفرد مايروق له من رأي أو فكرة.

يبدأ المؤلف أسئلته البحثية بإشارة موحية: كيف كانت تبدو الطائف وهي مسورة، بعد ذلك يعرض أسئلة تفصيلية متباينة: هل كان السور مبنيًا من الطين أم من غيره؟ كم عدد سكان الطائف عام 1367هـ؟ هل كان هناك عمران خارج السور قبل هدمه؟ ومتى وكيف تم هدم السور؟ هل سكان الطائف متحضرون؟ كيف كانت التركيبة السكانية؟ ما الطابع الاجتماعي للسكان؟ ما مواد البناء المستعملة في بناء المساكن؟ متى بدأت الطائف تكبر وتتطور؟ ما أثر الهجرة من الطائف وإليها؟ هل تغيرت الطائف بعد الهجرة؟ هل خسرت بالهجرة منها؟ ما نوع مجتمع الطائف الحالي: قبلي، حضري، خليط؟، لماذا الطائف مصيف؟ ما معوقات السياحة فيها؟ هل ستكون المدينة مستقبلاً منطقة سياحية منافسة؟ وأسئلة أخرى. ويختتم المؤلف أسئلته المباشرة بسؤال: ما معوقات تطوير الطائف إلى الأفضل؟

ويمثل البحث إضاءة جيدة للطائف تفتح آفاقًا جديدة لإجراء دراسات وبحوث اجتماعية واقتصادية، وخاصة حول تقويم مستقبل الطائف السياحي.

تجربتي مع اللسانيات

د. نجيب غزاوي

بدأ اهتمامي باللسانيات حين كنت طالبًا في دبلوم التأهيل التربوي بجامعة دمشق عام 1967م. فقد قُيِّضَ لنا مدرس فرنسي هو السيد فيالار، في مقرر طرائق التدريس الخاصة باللغة الفرنسية. لقد أطلعنا هذا المدرس على تطبيقات معطيات اللسانيات في تعليم اللغة الفرنسية لغير الناطقين بها، من خلال قراءة العديد من الكتب التي تصدرها مؤسسة فرنسية تختص بهذا الموضوع هي مؤسسة BELC، وكذلك من خلال مجلة تصدرها هذه المؤسسة هي مجلة الفرنسية في العالم .Le Francais dans le Monde

كانت الموضوعات التي تعرضها هذه الكتب، وتلك المجلة تعالج قضايا اللغة والقواعد والمفردات والصوتيات وتعليمها من خلال مفاهيم جديدة تختلف عما هو سائد في تعليم اللغة. كان من أبرز هذه المفاهيم الجديدة - حينذاك - الطرائق الشمولية التي تبدأ تعليم اللغة بالجملة بدل الحرف والكلمة: فالطفل في حياته الاجتماعية إنما يبدأ بتعلم الجمل حين يتعلم لغته الأم، كذلك يجب أن يكون درس اللغة الأجنبية وفاقًا لهذه الطرائق الشمولية. ثم يبدأ الطفل بعد ذلك بتعرف روابط الكلمات في الجملة واكتشاف مكوناتها من كلمات وأحرف وأصوات عبر مقارنات وتقطيعات واستبدال مكوّن بآخر؛ كي يتمكن من إدراك الخصائص النحوية والصوتية والدلالية لكل مكوّن. أما المفهوم اللساني الثاني الذي تدربنا عليه، فكان مفهوم الطرق المباشرة التي ترى أن يتم تعليم اللغة في مواقف حياتية مثل الحوار والتمثيل واللعب والغناء واستخدام الوسائل المعينة من مخابر لغوية وتسجيلات صوتية ولوحات جدارية.

ولقد قام اللسانيون بتقديم المادة العلمية لهذه الثورة في مناهج تدريس اللغة الفرنسية وطرائقها ومضامينها، وذلك من خلال الأبحاث التي قاموا بها حول بنية اللغة ومفرداتها: فقدموا ما يعرف بالتمرينات البنوية التي تعلّم بنية الجملة، كذلك قدموا ما يعرف «باللغة الفرنسية الأساسية»؛ أي مجموع المفردات والبنى اللغوية التي أثبتت التسجيلات الحيّة أنها الأكثر استخدامًا، والتي يحتاج إليها الناطق باللغة في مواقف حياته، فشكلت هذه البنى والمفردات الأساس الذي قامت عليه مناهج التعليم.

لقد انعكست هذه المعطيات بشكل جوهري في تجربتي التدريسية في المرحلة الثانوية. فقد أضفت حيوية على درس اللغة الفرنسية كما أدت إلى ريعية عالية في هذا الدرس، إذ أصبح الطالب فاعلاً بدل أن يكون منفعلاً، وراح يدير حوارات باللغة الأجنبية، واكتشف استخدامات هذه اللغة، بعد أن كان متلقيًا سلبيًا للمادة اللغوية مدة طويلة.

أول كتاب مع «اللسانيات»

تابعت دراسة اللسانيات بعد التخرج من خلال متابعة ما تنشره المجلة المذكورة، وكذلك من خلال الكتب التي استطعت الحصول عليها من مكتبات

سورية ولبنان. وأذكر أن أول كتاب قرأته في اللسانيات، كان كتاب جون ليونز «اللسانيات العامة، مدخل إلى اللسانيات النظرية». وهو كتاب أساسي يعرض للقفزة النوعية التي اعترت الدرس اللغوي مع فردناند دوسوسور، حيث وضع هذا اللساني حداً للدراسات التاريخية التي أخذت مداها، ليفتح الباب أمام الدراسة الموضوعية والوصفية للغة. كما يتطرق الكتاب المذكور لأهم مسائل اللسانيات النظرية، مثل: بنية اللغة، أصواتها، المبادئ العامة للنحو، الوحدات النحوية.

لقد اطلعت في تلك المرحلة أيضًا على العديد من الكتب في اللسانيات، وخاصة سلسلة «اللساني» التي كانت تصدر في فرنسا تحت إشراف عالم اللسانيات الوظيفية أندره مارينيه. كانت هذه السلسلة تعالج مسألة أساسية في الدرس اللغوي: اللسانيات التاريخية، اللسانيات الوصفية، النحو الوظيفي، أسسه وتصنيفاته، علم الأصوات (الفونولوجيا) والتحليل الصوتي (الفونولوجي)، بنية الجملة ومكوناتها، الاقتصاد اللغوي.

ولقد استرعى انتباهي مسألة أساسية في اللسانيات الوظيفية، هي أن هذه اللغة المدرسة إنما تدرس اللغة وهي في حالة العمل بحسبانها وسيلة اتصال، كما أن هذه المدرسة قد استخدمت مصطلحات بسيطة وواضحة قابلة للفهم مما جعل دراستها سهلة وقريبة جداً للأذهان.

الأسباب الدافعة لدراسة اللسانيات

حين عُيِّنت معيداً في قسم اللغة الفرنسية بجامعة تشرين في اللاذقية، اخترت أن أدرس اللسانيات لأسباب، منها:

- أهمية هذا العلم الجديد التي تبرز بشكل أساسي في معالجته لمسألة اللغة من وجهة نظر علمية جديدة بوصفها موضوعًا قائمًا بذاته، بغض النظر عن القيود الاجتماعية والنفسية التاريخية المرافقة له، والتي كانت قد أُشبعت دراسة في ما قبل القرن العشرين وعلى حساب الموضوع الأصلي، أي اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها.
- لا بد من الحصول على مبادئ هذا العلم الجديد ونقله إلى جامعتنا وطلابنا من أجل تطوير البحث اللغوي في بلادنا من خلال رؤية جديدة لعمل اللغة العربية.
- علاقة هذا العلم الجديد الوثيقة بتعليم اللغات الحيّة وبقضايا الاتصال والإعلام والترجمة. إذ يعتمد السياسيون وعلماء الاتصال والإعلام كثيرًا على معطيات تحليل الخطاب، أحد فروع اللسانيات التطبيقية، في إعداد حملاتهم الانتخابية، أو خطاباتهم السياسية، أو مؤتمراتهم الصحفية، أو نشراتهم الإعلامية، أو الإعلانية.

وكنت قد كونت فكرة عامة عن موضوع هذا العلم، من خلال مطالعاتي السابقة، وقد حصلت على قبول من جامعة فرنسية لدراسة النحو الفرنسي بموضوع «بنية الجملة الفرنسية المعاصرة»، وكان عليّ، إضافة إلى اختيار الموضوع، أن أختار المنهجية اللازمة لمعالجته.

وأود هنا أن أذكر بعض الملابسات التي اعترت مراسلاتي للحصول على قبول لدارسة الدكتوراه في اللسانيات لما لها من أهمية منهجية. بدأت بالمراسلة للحصول على قبول لتحضير الدكتوراه. جاءني الرد: أي فرع من اللسانيات؟ اضطررت من أجل الإجابة إلى العودة إلى المراجع التي كانت في حوزتي لأحدد، فاخترت النحو. جاء في الرد: موضوع واسع جداً، وعليك أن تحدد نقطة معينة، أو موضوعًا معينًا دقيقًا في النحو، فتكوين الباحث إنما يتطلب معالجة موضوع دقيق أصيل وتعميقه بما يساعد على تطور العلم، أو حل إحدى مشكلاته. بعد مطالعات عديدة، تقدمت بثلاثة اقتراحات تتعلق ببنية الجملة الفرنسية. وافق الأستاذ المشرف على اثنين منها، مضيفًا: أنّ البحث ما يزال واسعًا وعليك تحديده بشكل أفضل، وعلى أية حال تستطيع أن تبدأ وسنرى. وبالفعل، فقد اضطررت مع تقدم البحث إلى الاقتصار على دراسة أربع بنى في الجملة الفرنسية المعاصرة.

هذا من حيث اختيار الموضوع. أما المنهجية فكان عليّ أيضًا اختيارها. لم أنطلق في البداية من منهجية محددة، بل بدأت دراسات معمقة حول المدارس اللسانية السائدة: البنوية، الوظيفية، النفسانية، التوزيعية، التوليدية، التحليلية. وقد استقر بي الأمر على هذه الأخيرة لأسباب عدة أوردها فيما يلي:

- أنها كانت أحدث النظريات اللسانية، وقد استفادت من معطيات المدارس التي سبقتها، وطورتها.
- تميزها من المدارس اللسانية الأخرى: فقد قدمت منهجية تعتمد شرح الظاهرة اللغوية، فيما ظلت المدارس اللسانية الأخرى وصفية.
- أنها تعتمد منهجية عقلية رياضية تقوم على التجريد في دراسة الظاهرة اللغوية، مما ساعد على قيام تطبيقات مهمة في مجال المعلوماتية والحاسوب. لقد ساعدت هذه المنهجية في تطوير الترجمة الآلية، وكذلك في إعداد برامج تعليم القواعد والتعبير بوساطة الحاسوب.

قمت بسبر غور عدد هائل من النصوص الفرنسية المعاصرة المكتوبة في مجال النثر القصصي والصحفي، واخترت أربع بنى لغوية بسيطة واسعة الانتشار في هذه النصوص وأعدتها إلى بنية عميقة معقدة مستخدمًا المنهجية التوليدية التحويلية. ولقد توصلت إلى رأي مفاده أن اللغة الفرنسية المعاصرة إنما تميل إلى التبسيط في التعبير اللغوي بدليل التواتر الشديد للبنى المدروسة، وذلك انسجامًا مع مبدأ لغوي معروف هو مبدأ الاقتصاد اللغوي الذي يقوم على تقديم أكبر كمية من المعلومات بأقل وسائل تعبيرية ممكنة (قانون الجهد الأقل).

مدرسة تكوين الشخصية المستقلة

وأود أن أشير إلى مسألة الإشراف وإدارة البحث العلمي من خلال تجربتي مع أستاذي المشرف. ينتمي أستاذي المشرف إلى مدرسة غير تدخلية في الإشراف. إذ كان يدفعني دومًا إلى تكوين شخصيتي الخاصة وآرائي كباحث دون أي تدخل، أو فرض. وكان يسألني حين أستشهد بآراء اللسانيين الآخرين: أين رأيك أنت؟ وحين أختلف معه كان يقول: إني غير موافق! ولكن إذا وجدت نفسك قادراً على الدفاع عن رأيك فهذا شأنك. لقد أتاح لي هذا الموقف راحة نفسية وعلمية كبيرة، وجعل مني باحثًا أصيلاً مسؤولاً عن آرائه ومنفتحًا على كل رأي. وما أزال أتبع الأسلوب نفسه في إشرافي على أعمال طلابي، أدعهم يعملون ويبدون آراءهم الخاصة مكتفيًا بتوجيههم من بعيد وبشكل غير مباشر.

بعد عودتي إلى بلدي سورية، تركز نشاطي العلمي في محاور ثلاثة:

المحور الأول: التدريس، فقد قمت بتدريس مقرر اللسانيات لطلاب قسم اللغة الفرنسية وطلاب دبلوم اللسانيات، كما دَرَّستُ نظرية الترجمة، وكذلك تطبيقات هذا العلم في مجال دراسة اللغة الفرنسية والنقد الأدبي. وبذلك تعرَّف الطلاب وجهة نظر جديدة في دراسة اللغة تختلف

تجربتي مع اللسانيات

عن وجهة النظر التقليدية. أما في مجال النقد الأدبي فقد اغتنت رؤيتهم للنص الأدبي من خلال ما كشفه التحليل اللساني من معطيات جديدة حول مسألة الإبداع، اعتمدها النقد الأدبي المعاصر.

المحور الثاني: الترجمة والبحوث: اعتمدت في عملية نشر الفكر اللساني على الترجمة وكتابة المقالات العلمية والبحوث، فنشرت لدى وزارة التعليم العالي السورية كتاب جورج مونان «علم اللغة في القرن العشرين». وهو كتاب يقدم تعريفًا بأهم اللسانيين في القرن العشرين، يعرض لحياتهم وتكوُّن فكرهم وأهم مؤلفاتهم ومنهجياتهم في التحليل اللساني. ونشرت أيضًا عددًا من البحوث والمقالات في المجالات الجامعية والثقافية، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- بحث عن فردناند دوسوسور مؤسس علم اللغة الحديث.

- بحث عن المدرسة الوظيفية في اللسانيات.

تعاني ترجمة اللسانيات من ندرة وجود المفهوم المقابل في اللغة العربية؛ الأمر الذي يضطر الباحث إلى اللجوء إلى الهوامش لشرح ما غمض من مفاهيم

- بحث عن النحو التوليدي التحويلي.

- بحث عن الفكر اللساني لدى ابن خلدون.

- بحث عن الاقتصاد اللغوي.

- بحث في النحو وعلاقته بعلم الدلالة.

المحور الثالث: المشاركة بعقد الندوات وتنظيمها حول اللسانيات المشاركة مع جامعة حلب، حيث عقدنا لسنوات عديدة ندوات نصف سنوية حول اللسانيات شارك فيها مختصون من الجامعات السورية والفرنسية، وحضرها جمهور من الأساتذة والطلاب، مما أسهم في نشر المعرفة اللسانية وتعميقها بين الأساتذة والطلاب من خلال العرض والحوار والمناقشة.

ولا بد من الإشارة إلى أن اللسانيات تبدو صعبة وجافة للوهلة الأولى وذلك لسببين اثنين:

الأول: أن دراسة اللسانيات تتطلب قدرة على التجريد غير متوافرة بشكل عام لدى طلابنا ولدى الطلاب الغربيين نتيجة لمنهجيات التدريس التي تدرس المجردات دون تدريب على عملية التجريد نفسها.

الثاني: اختلاف المصطلحات اللسانية بين مدرسة وأخرى. فيمكن أن تقع على المصطلح نفسه لدى مدارس لغوية مختلفة إلا أن دلالته تختلف بين هذه المدرسة أو تلك.

صعوبات تواجهها اللسانيات في اللغة العربية

أما ترجمة اللسانيات فتثير مشكلة أساسية: إنها وجود المفهوم المقابل: فلم تتطور الدراسات اللسانية في أقطارنا العربية؛ إذ مازلنا نعتمد في فهمنا للغة العربية على معطيات اللغويين العرب الأقدمين، ولم نطور مفاهيم جديدة تقدم رؤية جديدة عن اللغة العربية، مما يضطر المترجم في اللسانيات إلى اللجوء إلى الهوامش يشرح فيها كل مفهوم مثل: النظام، البنية، العلاقات الأفقية، العلاقات الشاقولية، البنية العميقة، البنية السطحية، الاقتصاد اللغوي.

اهتمت اللسانيات منذ بداياتها، حتى مرحلة متأخرة، بتطوير مفاهيمها العامة، وجرى التركيز فيها على دراسة النحو بوصفه الجانب الملموس والقابل للتحليل والقياس في اللغة: فنحن أمام الجملة التي يمكن تحديد مكوناتها وتقسيمها إلى مجموعات ودراسة مكونات هذه المجموعات بتفاصيلها والروابط التي تربط بينها. أقول هذا كي أشير إلى أن دراسة المعنى لم تأخذ أبعادها بشكل كامل إلا في منتصف الثمانينيات، ذلك أن المعنى قد استبعد من دراسة اللسانيات منذ البدايات بحسبانه فرعًا مجردًا، ولارتباطه بعلوم مختلفة هي اللغة وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والمنطق، وعلم الإنسان (الأنثروبولوجيا).

إلا أنه - مع الثمانينيات - جرى التركيز على دراسة المعنى في مختلف المدارس اللغوية، فجاء علم الدلالة (السيمياء)، أو علم الإشارات أو العلامات (السيميوتيك) ليشكل ثورة في هذا المجال، حيث طبق معطيات اللسانيات البنوية والتوليدية التحويلية في تحليل المعنى انطلاقًا من مفاهيم أجملها فيما يلي:

- الدلالة شكل وليست مادة، فهي تنتج من نظام العلاقات القائمة في النص.

- الدلالة إنما تنبثق عن النص وليس عن اللفظ، أو الجملة.

ترى (السيمياء) إذن أن الدلالة إنما تنبثق في نصٍّ ما عن نظام السمات (جمع سمة: عرّبتها عن الفرنسية Seme) الموجودة في النص. ويسعى هذا العلم إلى كشف هذا النظام من أجل إدراك دلالة نصٍّ ما.

بعض مجالات تطبيق اللسانيات

وقد جرى تطبيق آليات هذا العلم بداية على النصوص السردية القصيرة مثل الحكاية الشعبية والحكاية الأدبية. ثم جرى التوسع فيها. فدرست النصوص الشعرية والخطاب السياسي والإعلامي والإعلاني وكذلك النص السينمائي. كما جرى تطبيقها على الفنون التشكيلية، وأعطت نتائج غنية في إدراك دلالات لم تكن تدركها طرائق التحليل السابقة؛ ولقد تدربت على هذه المنهجيات وتقنيات التحليل في إقامة علمية عام 1985 - 1986م في مدرسة باريس (للسيمياء)، وقمت - وما أزال أقوم - باختبار هذه التقنيات على الحكاية الشعبية والأسطورة والأغنية، وقدمت دراسات في هذا المجال أذكر منها:

- دراسة دلالية في حكاية من اللاذقية.

- صورة المرأة في حكاية اللاذقية الشعبية.

- القمر في أغاني فيروز.

- مرضى الحب في أغاني أم كلثوم.

لقد تعرضت من خلال دراستي للنصوص السابقة إلى دراسة دلالات الصور الواردة فيها سواء كانت بشرية، أم حيوانية، أم خارقة (غول، عفريت، جنيّ، شيطان،...)، كما تعرضت لدراسة دلالة المكان فيها في علاقته مع حركة الصور المذكورة، أي مساراتها السردية، كما قمت بتصنيف الأشياء ذات القيمة فيها، هدف المسار السردي، وحللت دلالاتها.

وبعد، تظل اللسانيات حيّة وحركية ومثيرة للفضول العلمي. ولا غرو، فهي تعالج مسألة من ألصق المسائل بالإنسان، إنها اللغة، لغة التداول التي تعبر عن تجربة الإنسان الفكرية والروحية والعاطفية والانفعالية وتصله بالآخرين. ويظل الانكباب على دراسة هذه الظاهرة حيويًا وممتعًا بقدر حيوية اللغة البشرية وإمتاعها.


إبداع صحفى جديد
صباح كل سبت
أنتم على موعد مع
مجلة
الشرق
AL SHARQ
نقلة صحفية في عالم المجلات الأسبوعية
مقالات لأشهر الكتاب والمتخصصين
الجديد والمفيد من الموضوعات التى تهم كل أفراد الأسرة

الزجاج

الجمال في خدمة البشرية

د. الشافعي منصور محمد حسن - نجلاء حسن حامد

يدخل الزجاج في حياتنا قسراً. فنستعمله في النوافذ والسيارات، وفي صنع الأكواب والقوارير والنظارات، فضلا عن استخداماته العلمية والطبية. وحديثًا أصبح الزجاج ذا قدرة على منافسة الأقمار الصناعية في مجال الاتصالات، فمنه تُصنع الألياف البصرية التي إذا استُخدمت كأسلاك للهواتف، فإن كبْلاً واحداً منها يستطيع حمل 300 ألف مكالمة هاتفية في وقت واحد. فهل سألت نفسك يومًا ما عن ماهية الزجاج وآفاق استخداماته وكيف يُصنع؟ وكيف يتم تلوينه بالألوان المختلفة؟

الزجاج في حقيقته سائل سميك أو لزج زادت لزوجته فلم يعد يسيل كغيره من السوائل. وجزيئاته ليست مرتبة في نظام معين، ولكنها تنتشر عشوائيًا في أنحائه كانتشار الجزيئات في سائل نمطي مثل الماء. قد يبدو هذا غريبًا للوهلة الأولى، ولكن هذه الغرابة سرعان ما تزول، إذا علمنا أن لزوجته تفوق لزوجة الجلسرين بنحو عشرة آلاف بليون مرة. وعلى هذا إذا تُرك لوح زجاجي منتظم السمك مدة طويلة، فإن جزيئاته تهاجر من أعلاه إلى أسفله هجرة غاية في البطء؛ فيزداد سمك اللوح الزجاجي من أسفل على حساب أجزائه العليا، وهذا لا يحدث مع أيّ جامد آخر. وإذا كانت كل الجوامد لها درجة انصهار، فإن الزجاج ليس له درجة انصهار، إن له «درجة تحول»، حيث يتحول من سائل أقل لزوجة عندما يكون ساخنًا إلى سائل ذي درجة لزوجة فائقة عندما يبرد.

تاريخ الزجاج

عُرف الزجاج منذ نحو عشرة آلاف سنة. واستُخدم الطلاء الزجاجي طوال عقود العصر البربري، وكانت معظم الأدوات القديمة مصنوعة من الزجاج. وفي العصر الحجري استخدم الإنسان مادة تسمى «أوبسيديان» وهي عبارة عن زجاج بركاني نصف شفاف، عادة ما يكون أسوَدَ، ولكنه أحيانًا قد يكون أحمر، أو بنيًا، أو أخضر، وذلك لصنع رؤوس السهام ورؤوس الحراب ولصنع المجوهرات. لهذا يُعدّ الزجاج ضمن المواد القديمة التي صنعها الإنسان؛ فقد كان الزجاج الطبيعي الخارج من البراكين مهمًا منذ العصور (الجيولوجية) المبكرة، حيث استُخدمت بعض أنواعه لصناعة الأسلحة في عصور ما قبل التاريخ. حتى الإنسان البدائي اهتم بصناعة الزجاج لصفاته الجذابة مثل حدة حافته وشفافيته للضوء.

والحضارة المصرية القديمة عرفت قيمة الزجاج واستخدمته للزينة كأحجار نصف كريمة. واشتهر المصريون القدماء بصناعة الزجاج الملون، حيث كانوا يصنعون منه الأكواب والأباريق، وكانوا يحصلون على المادة الملونة من حجارة الجبال ويحولونها إلى مسحوق يضيفونه



بعد الألف الأولى قبل الميلاد طوّر الرومان صناعة الزجاج من طريقة «الصب في قالب» إلى النفخ، وأبدعوا أنواعا وأحجاما وأشكالا مختلفة من الزجاج

للزجاج في أثناء تشكيله. وقد تم العثور في قاعدة أحد الجبال الليبية على ضريح لامرأة مصرية، وكان العقد المأخوذ من مومياتها مصنوعًا من حبات لامعة من الزجاج، كل حبّة منقوش عليها اسم الملكة الفرعونية باللغة الهيروغليفية، وقُدِّر عمر هذا الزجاج بنحو 3400 عام.

وهناك أبحاث تؤرخ اكتشاف الزجاج في الألف الثالث قبل الميلاد في العراق وسورية، حيث كان صانعو الزجاج يصنعون الخرز الملون وأشياء أخرى لتقليد الأحجار الكريمة.

وبعد هذا بألف سنة تعلم الفنانون الرومان كيفية صنع علب صغيرة من الزجاج، إما بتشكيل الزجاج الساخن حول الطين ووضع روث الحيوان في قلبه، أو بصبه في قالب.

وقد استخدمت هذه العلب للاحتفاظ بالمراهم، وكان لها انتشار محدود في مصر القديمة، يقتنيها الأشخاص المميزون القادرون على شراء الزجاج.

ويعزو المؤرخ الروماني «بلليني الأكبر» اكتشاف الزجاج إلى مجموعة من البحارة الفنيقيين، الذين كانوا يستعدون لطهي طعامهم فوق رمال الشاطئ، ولعدم العثور على أحجار كي يضعوا عليها الأواني، أخذوا من حمولتهم كتلة من النَّطْرون القلوي - يُستخدم في تحنيط الموتى - ووضعوا الأواني فوقه، وعندما سُخن النَّطرون وامتزج بالرمال، تدفق سائل غريب.. وكان هذا «أصل الزجاج» كما كتب بلليني.

وعندما قام د. ل دافيد باي مدير مركز أبحاث الزجاج في جامعة ألفريد في نيويورك بتجربة تركيبة البحارة، ووضع الرمال والنَّطرون معا وقام بطهي الطعام فوقهما، وجد في النهاية أجزاء صغيرة بين النيران، عبارة عن خليط خشن له لون أزرق خفيف، ولكنه كان زجاجًا على أي حال.

وأول من قام بصناعة الزجاج في الأندلس هو أبو القاسم عباس بن فرناس، وهو الذي صاحب ذكر اسمه أول محاولة من قبل الإنسان للطيران تشبُّهًا بالطيور.

واليوم تحوي المتاحف الكبرى في العالم بعض هذه المنتجات الزجاجية مثل الزهرية Ajudgio الشهيرة بالمتحف البريطاني، والكؤوس التي اشتهرت بها مدينة البندقية، والأقداح والأباريق التي صنعها سجناء غير معروفين بجزيرة ميورانو Murano.

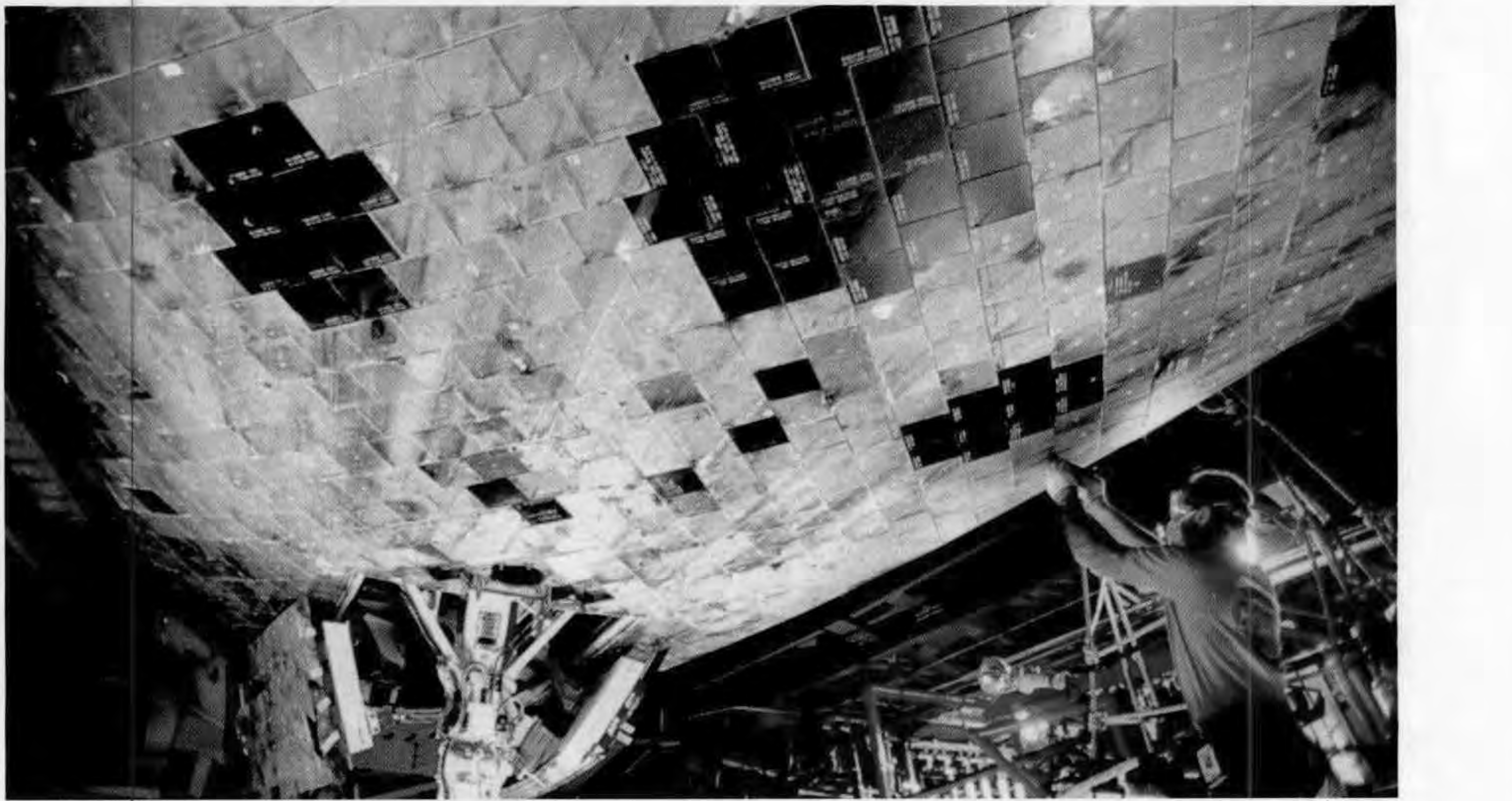
وفي الغرب كانت صناعة الزجاج مستخدمة في أماكن متفرقة بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية، واستمرت تلك الصناعة في بيزنطة، ثم في الشرق الأوسط من طريق العرب. ومنذ الحرب العالمية الثانية تزايد النشاط الخاص بعلم الزجاج وتقنيات صناعته زيادة كبيرة .

زجاج طبيعي

تتدخل الطبيعة كثيرًا في تكوين الزجاج.

فعندما يضرب البرق رمال الشاطئ في مكان ما يتكون الزجاج، وهو يظهر في شكل أنابيب دقيقة يُطلق عليها اسم FULGURITES.

كذلك يتكون زجاج التكتيت



زجاج سيراميك يُستخدم في صنع غلاف واق لمكوك الفضاء كولومبيا في أعقاب المهمة رقم 13 له

نتيجة تحطم النيازك على الأرض، وهو عبارة عن أجسام صغيرة مستديرة.

ويعد زجاج السَّبج OBISIDIAN أكثر أنواع الزجاج الطبيعي شيوعًا، وهو لامع، وله لون أسود بسبب احتوائه على كميات قليلة من الحديد، وقد استخدمه الإنسان منذ نحو مليون سنة لصنع أدواته. ويتكون عندما تبرد لافا البراكين عند إنسيابها على سطح الأرض، ويشبه تركيبه الكيماوي الجرانيت، فكل منهما يحتوي على كمية كبيرة من السيلكا - المقوم الأساسي في كل أنواع الزجاج -، ويستخدم السبج في الوقت الحالي في صناعة المجوهرات في بعض الأحيان.

تركيب الزجاج

الزجاج هو المادة الوحيدة التي طوّعها العلماء بنجاح لاستخدامها في كل غرض، والحصول منها على مواد يمكن إنتاجها في صور متناقضة في خواصها الطبيعية. فإذا كان هناك زجاج شفاف فهناك في المقابل زجاج شديد الإعتام، وإذا كان هناك زجاج أشدّ صلابة من المعادن، فعلى النقيض هناك زجاج يذوب في الماء، وإذا اشتهر الزجاج بكونه مادة عازلة، فقد نجحت محاولات للحصول على زجاج فائق التوصيل الكهربي.

إن الذي أكسب الزجاج هذه الميزة هي طبيعة الزجاج نفسه. فمعظم أنواعه خليط من أكاسيد المواد، كل أكسيد يضاف بنسبة معينة حسب الغرض الذي يصنع من أجله. من هذه الأكاسيد أنواع أساسية - كأكسيد السليكون أو السليكا (الرمل) - تُسَمَّى أكاسيد مكوِّنة، ولديها القدرة على تكوين زجاج بمفردها، أما المواد الأخرى التي تضاف إلى الأكسيد الأصلي فتكون إضافتها لإكساب الزجاج صفة معينة كالتلوين، أو الصلابة، ولذلك تسمى مواد محسِّنة. لكن مثل هذه الأكاسيد لا يمكن أن تكون زجاجًا إلا إذا صُهرت في أفران خاصة، ثم تُركت لتبرد فجأة مكونة المادة الزجاجية. وقد يتطلب تحضير بعض أنواع الزجاج درجة حرارة تصل إلى 1800 درجة مئوية. فإذا أردنا أن نُكْسِبَ الزجاج لونًا أخضر، فعلينا أن نضيف قليلاً من أكسيد النحاس، ولو أردنا لونًا بنيًا، فما علينا سوى إضافة قدر يسير من خامس أكسيد الفاناديوم. وبذلك يتضح أن الزجاج مادة يسهل إضافة العديد من المواد إليها، فتغير من خواصها حسب الغرض المطلوب، وهذا هو السبب في وجود قرابة 900 نوع من الزجاج تُستخدم على النطاق التجاري الآن.

ومع وجود هذا الكم الهائل من المواد الزجاجية المستخدمة في العالم، كان لا بد من إحداث وسيلة للتفريق بينها وتمييز كل نوع من الأنواع الأخرى. فكما أننا نفرق بين حاسوب وآخر بشفرة أو رمز (كود) خاص به، فنقول مثلاً: إن النوع 80486-DX لا يعني سوى نوع محدد من الحواسيب ذي سرعة وعدد من نواقل البيانات محددتين، فإن أنواع الزجاج المختلفة يفرق بينها باستخدام مثل ذلك الرمز Code، فالنوع 0080 يعني ذلك النوع من الزجاج الذي يتكون من 63٪ من السيلكا، و1٪ من أكسيد الألومنيوم، و7٪ من أكسيد البوتاسيوم، و7٪ من أكسيد الصوديوم، و22٪ من أكسيد الرصاص، ويستخدم في صنع المصابيح الكهربائية. وليس بالضرورة أن يكون الرمز (الكود) رباعيّ الأرقام 4 digit، فقد يحوي أرقامًا فقط كالأمثلة السابقة، أو حروفًا أبجدية، أو نمطًا مشتركًا منهما. مثل زجاج G-20 وزجاج N-51a كأنماط مشتركة، ومثل

الزجاج

الجمال في خدمة البشرية

الـ E, T glasses كرموز (أكواد) حرفية. وهي تعني الشيء نفسه، كالرموز الرباعية تمامًا، فالنوع 45S5 يستخدم لإصلاح العظام في جسم الإنسان وهو نوع من الزجاج الحيوي Bioglasses.

والنوع الواحد من الزجاج يحتوي على عديد من المواد قد تصل إلى ثلاثين مادة مختارة؛ فزجاج النوافذ مثلاً خليط من عدة مواد تغلب فيها السيلكا (الرمل) والصودا (كربونات الصوديوم) والحجر الجيري (كربونات الكالسيوم) يضاف إليها قليل من الزجاج المكسور بالإضافة إلى مواد أخرى تصل نسبتها إلى 5٪ قد يكون الهدف منها التلوين، أو إكساب صلابة، أو أيّ صفة فيزيائية أخرى. وهذا النوع من الزجاج يسمى الزجاج الصودي؛ وإذا خلا من الكالسيوم يسمى الزجاج المائي - لأنه يذوب في الماء الساخن - ويستخدم في حفظ البيض.

أساليب تشكيل الزجاج

1- النفخ: وهي أقدم طرائق معالجة الزجاج، حيث عُرفت هذه العملية قبل قرن من الميلاد، وما تزال طريقة النفخ في أنابيب هي الطريقة المستخدمة في تشكيل بعض أنواع الزجاج، حيث يقوم الصانع الماهر بأخذ قطعة من العجينة الزجاجية بعد انصهارها، ثم ينفخ فيها ليقوم بتشكيلها حسب الغرض المطلوب، وحاليًا تستخدم الآلات في إنتاج الزجاجات والمصابيح الكهربائية بأعداد وفيرة من طريق صبها في قوالب.

2- الكبس: في هذه الطريقة يتم تجهيز الأواني الزجاجية المضغوطة من طريق صب المصهور الزجاجي، ثم كبسه في آلات كابسة يتم تجهيزها عند درجة حرارة معينة.

3- الصب والسحب: وهذه الطريقة تستخدم في صناعة الألياف الزجاجية، أو ما يُسمَّى بالصوف الزجاجي وتستخدم أيضًا في صناعة ألواح الزجاج، كزجاج النوافذ الذي يتم سحبه رأسيًا من فوهة الفرن.

4- السحب بالأسطوانات: وهي تشبه طريقة تشكيل ألواح الصلب. حيث يتم سحب شريط من الزجاج أفقيًا بين أسطوانتين تبردان بالماء لإعطاء ألواح زجاجية، ويمكن التحكم في سمكها من طريق التحكم في المسافة بين الأسطوانات.

استخدامات الزجاج

توصف الخمسينيات والستينيات من هذا القرن بأنها العصر الذهبي لعلم الزجاج، ويمكن القول بأن التقدم في صناعة الزجاج في الخمسين سنة الأخيرة قد فاق كل السنوات السابقة على ذلك، حيث زادت أنواعه، والطرائق التي يُحضّر بها، ولهذا فإن الاستخدامات النمطية المشهورة للزجاج لم تعد تمثل سوى جانب واحد من جوانب عدة أسهم فيها الزجاج.

الاستخدامات المنزلية: وأنواع الزجاج التي تستخدم لهذا الغرض هي أشهر الأنواع وأرخصها على الإطلاق، فهي تستخدم في النوافذ والمصابيح الكهربائية والأدوات المنزلية. فضلاً عن استخدامها للزينة في صناعة التماثيل والزهريات (الفازات) والأقداح والأباريق.

الاستخدامات العلمية: وهذا الجانب على أهميته الفائقة، أقل شهرة من سالفه. فخلال التطور التاريخي لصناعة الزجاج أدّت هذه المادة دورًا مهمًا بوصفها مادة عالية الكفاءة في العديد من الاختراعات، مثل: المناظير (التلسكوبات)، والمجاهر (الميكروسكوبات)، والعدسات الفوتوغرافية. ومن دون تلك الأجهزة، فإن نمو علوم المواد الأرضية (الجيولوجية)، والحيوية (البيولوجية) يكون مستحيلاً، فإن تلك العلوم تعتمد اعتمادًا كبيرًا على الصفات الضوئية. وقد توصل العلماء إلى نوع من الزجاج يسمى «الزجاج المُخَمَّر»، ومن صفات هذا النوع أن له درجة صلابة عالية تكسبه القدرة على طرق المسامير الحديدية داخل الخشب، ولذلك يستخدم للوقاية من الصدمات، على أن التطبيق الفعلي لهذا النوع من الزجاج هو استخدامه في صناعة زجاج السيارات الواقي من الرصاص لحماية أصحابها ضد أيّ هجوم ناري. إنّ عملية التخمير الحراري للزجاج هي أشهر الطرائق لإكسابه صلابة عالية، حيث يتم حفظ الزجاج في أفران خاصة عند درجة حرارة معينة، أو برنامج حراريّ معين إلى أن يتغير



مبالغ باهظة تُدفع ثمنًا لمثل هذه الأعمال الفنية الزجاجية حيث يقبل جامعو التحف على اقتنائها مهما كان الثمن



التـركيب الـداخلي للزجـاج وتزداد روابطه الداخلية، ومن ثم صلابته.

إن الأقـمار الصناعيـة في مجـال الاتصـالات، إذا تنازلت عن عـرشـهـا يومًـا مـا، فإن السبب الأول لا يكون سوى تلـك الشعيـرة السحـرية التي لا يتـعـدى قـطرها 120 مـيكرومـتـر (الميكرومتر = جزء من مليـون جزء من المتـر)، والتي يتجـمع الآلاف منهـا في كبل واحـد يمكن مَـدّه عـبـر البـحـار والمحـيطات لينتـج أسلوبًا جـديدًا من الاتصال بين البشر.

الاستـخدامـات الطبـيـة: إنّ الاتصال الذي تحدّثه الأليـاف الضوئية الزجاجية لا يكون صـوتيًا فقط، كـما



«قيثارة الزجاج» تعزف أجمل الألحان باستخدام أكواب مختلفة الأحجام ممتلئة بالمياه إلى مستويات معينة



بعد خروج مكعب الزجاج السيراميك من الفرن بثوانٍ قليلة يمكن وضعه بأمان تام في المكان المرغوب ـ مكوك الفضاء مثلاً ـ مع أن درجة الحرارة داخله تبلغ 2200 فهرنهيت. ويتكون المكعب من 7٪ مادة صلبة ـ زجاج سيراميك ـ و93٪ هواء، وبذلك يُعدّ عازلاً كهربائيًا

هو الحـال في الهاتف، ولكنه قـد يكون ضوئيًا حاملاً للـصور، وأقرب مثال على استـخدام تلك الأليـاف في نقل الصور هو ذلك المنـظار الذي يدخله الطبـيـب في جوف المريض، فيستطيع بذلك رؤية مـا بداخـل المعـدة أو غيـرها، والجـزء الفـعال من هذه المناظيـر ما هو إلا كـبل من هذه الألياف.

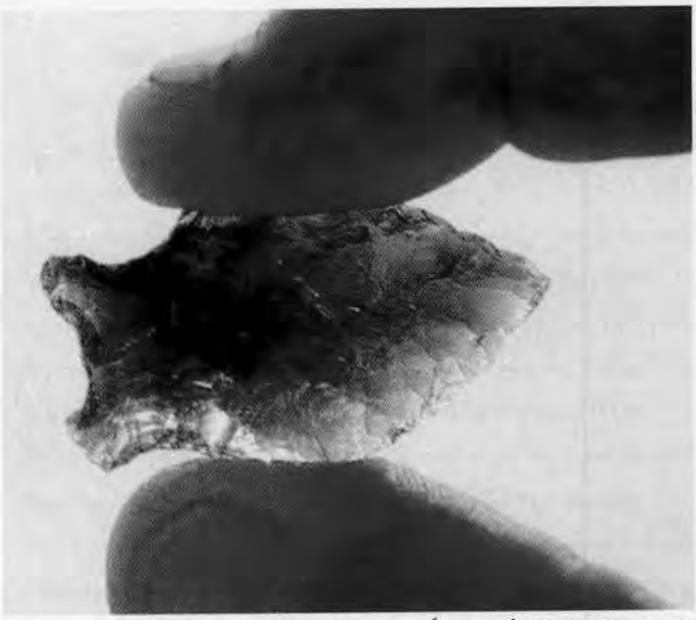
ومن الاسـتـخـدامـات الحـديثـة للزجاج استخدامـه في إصلاح الأسنان كمـادة فعّالة حـيويًا Bioactive material لإصـلاح الـعظام في جـسـم الإنسـان واستبـدالها. والزجـاج الذي يستـخدم لهـذا الغرض يسـمى الزجاج الحيـوي Bioglass، ويجب أن يشـابه العظام في تركـيبـها الكيـماوي، حـتى تحدث رابـطة طبيـعيـة بينه وبين العظم، لذلك يجب أن يحتـوي على عنصـري الكالسيـوم والفوسـفور، وهمـا المكونان الرئيـسـيـان لـلعظام، كـمـا يجب ألا يحتوي على أي مادة سامة.

كـذلـك ينقـذ الزجـاج ضحـايا سرطان الكبـد، ومن طريق خرز BEDS يبلغ حـجمـه ثلث سمـاكة شـعرة رأس الإنسان، يُحـمل الاشعاع مبـاشرة إلى الكبـد، ويـتم حـقن هذه الخـرزات المصـغـرة التي لا تزيد على جـزء من المليون، عبـر قسطرة في الشريان الذي يحمل الدم إلى الكبـد، وبهذه الطريقة يمكن أن يركـز الإشعـاع في منـطقـة الخطر، وأن يوزع أربعـة أو خـمـسـة أمثال الكميـة التي تُقدَّم بالطرق العادية التقليدية.

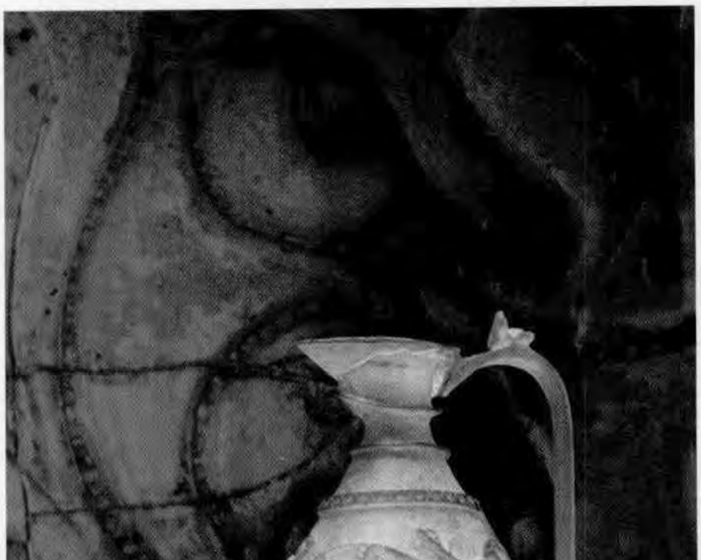
وهناك نظـم للأليـاف البـصـرية تسـتـخدم لـيزر لا يزيد حـجمـه على حجم ذرة من الرمل، ولكنهـا تستطيع نقل معلومات تزيد 32,000 مرة على الكمية التي ينقلها السلك النحاسي.

فـالولايات المتـحـدة واليـابانيـون والمسـتـثـمـرون في الشرق الأوسط يخططـون الآن لإنشاء أكبـر كـابل بصري تحت البحر يمتد من بريطانيا إلى اليابان عبر المحيط الهندي. وتوجد الآن خمـسة كابلات من الألياف البـصرية تربـط أوربا والولايـات المتـحـدة، بالإضـافـة إلى ثـلاثة كـابلات أخـرى تربط الساحل الغربي باليابان.

وقـد نمت عـدسـات الأليـاف



استخدم سكان أمريكا الأصليون السَّبج - زجاج بركاني داكن - في صناعة الأدوات التي يحتاجون إليها مثل رأس السهم هذا



أبريق في رقة قشرة البيض أبدع صنعه فنان مسلم منذ عدة قرون، قام بتغطية قطعة زجاج منفوخة بيضاء بزجاج أخضر مصهور ثم نحت عليها أشكالاً متنوعة

الزجاجية من تحدٍّ نشأ عام 1966م، وهو جعل الزجاج نقيًا بدرجة كافية لكي يسمح لنسبة 1٪ على الأقل من ذبذبات الضوء بالرحيل مسافة كيلو متر من خلاله، وفي هذا الوقت كان أحسن زجاج يحمل الضوء مسافة 30 قدمًا فقط.

وقد جاء الحل في ألياف زجاجية مغطاة مغلفة، مرنة ونقية لأقصى حد، يمكنها أن تنقل الذبذبات الضوئية أكثر من 75 ميلاً.

وهناك أيضًا الزجاج المُرصَّص، أي الذي يدخل أكسيد الرصاص في تركيبه، وهو زجاج ثقيل لامع ذو درجة انكسار عالية، ويستخدم على نطاق واسع في الأجهزة العلمية والطبية (أجهزة الإشعاع) لامتصاص الإشعاعات الضارة والحيلولة دون وصولها إلى مستخدمي تلك الأجهزة.

من جانب آخر هناك بحوثٌ أكثر تقدمًا تركز على إيجاد أساليب جديدة لجعل الزجاج مقاومًا تمامًا للحرارة والتمدد، وفي ألمانيا تقوم إحدى الشركات المتخصصة بإنتاج مرصد ضخم لجنوب أوربا، خاص باتحاد مكون من ثماني دول أوربية، وهذا المرصد هو الأول من أربع مرايا ضخمة سوف تمثل أكبر منظار (تلسكوب) بصري. وعند الانتهاء منه سوف يبلغ ارتفاعه 8740 قدمًا، وسوف يوضع في «سيروا بارنال» بصحراء أتاكاما في شيلي، وهو موقع تكون سماؤه صافية متلألئة في غالبية الليالي.

ويمثل إنتاج مرايا المنظار (التلسكوب) تحديًا في حد ذاته. فكل مرآة من المرايا الأربع مصنوعة من الزجاج السيراميك، وسوف يبلغ قطرها 27 قدمًا وتزن 24 طنًا وتقل سماكتها عن بوصتين.

وكل مرآة، بعد أن يتم تبريدها من درجة حرارة تبلغ 2200 درجة فهرنهيت إلى 1500 درجة فهرنهيت، تُنقل إلى فرن لتحمية الزجاج مدة أربعة أشهر إلى أن تبرد وتصبح في مثل درجة حرارة الغرفة.

ثم تنتقل رافعة وزنها 70 طنًا إلى موقع المرآة، تتدلى منها أسلاك ملحقة بأداة خوائية، وهكذا تُرفع المرآة حيث تصبح مثل الحوامة.

وفي النهاية، بعد مرور 22 شهرًا، تكون المرآة كاملة، وتحوي 70٪ من وزنها بللورًا ثم تسافر بالسفينة إلى باريس حيث يقوم الفنيون الفرنسيون بصقلها، لتنتقل بعد ذلك إلى شيلي. وبهذا المنظار ذي المرايا الأربع سوف يكون الفلكيون قادرين على دراسة الأجسام البعيدة بطريقة أكثر تفصيلاً من ذي قبل.

النفايات النووية

وكما يستطيع الزجاج الوصول إلى النجوم في عليائها، يستطيع أيضًا أن يدفن كوابيس البشرية في عمق الأرض، ففي الغابات الصنوبرية في جنوب كاليفورنيا يتأهب الفنيون لصنع زجاج من النفايات المشعة، وسوف يُغلَّف هذا الزجاج بالفولاذ ويُخفى بعيدًا للأبد.

إن قدرة المحتويات الأساسية للزجاج على الذوبان تنعدم تقريبًا، ولكن الزجاج يحتفظ بالخواص الكيماوية والفيزيائية والطبيعية، مثل الصخر البركاني، لذا يمكن أن تغلف المخلفات النووية الخطيرة في علب من الفولاذ الذي لا يصدأ وتدفن في الأرض دون خوف من التسرب، وقد استخدمت هذه الطريقة بالفعل في

الزجاج

الجمال في خدمة البشرية

فرنسا وبلجيكا وهولندا.

وتخطط الولايات المتحدة الأمريكية لتحويل جزء من 34 مليون جالون من المخلفات النووية عالية الإشعاع في نهر السافانا بجنوب كارولينا إلى زجاج، وهو موقع كبير كان يضم خمسة مفاعلات مائية ثقيلة لإنتاج البلوتنيوم 239 والتريتيوم للاستعمال في الأسلحة الذرية منذ الستينيات.

وقد أُنشئ مبنى لتحويل نحو 4,3 مليون جالون من المواد المشعة القوية إلى زجاج، وذلك باستخدام 69,000 ياردة مكعبة من الخرسانة و13,000 طن من الفولاذ.

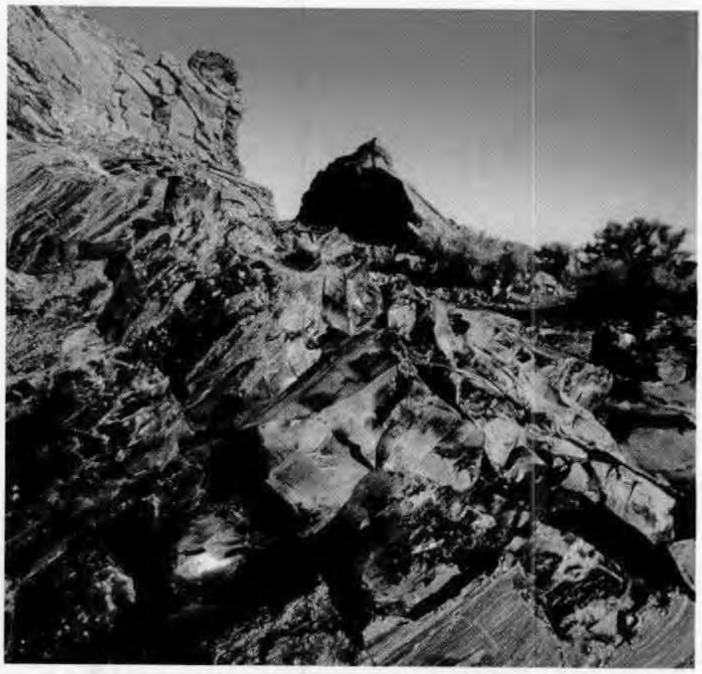
وداخل هذا المبنى سوف تُمزج المواد المشعة مع شحنات من زجاج BOROSILICATE وتوضع في جهاز الصهر حيث «تطهى»، في درجة حرارة 2100 فهرنهيت، وعندئذ تتحول إلى زجاج أسود لامع ثم تصب في علب من الفولاذ لكي تدفن في جبال نيفادا.

قيثارة الزجاج

الزجاج قد يعني أشياء مختلفة غير النفخ والتشكيل أو حتى الفائدة الطبية والعلمية لأناس آخرين.

فقد أبدع أحد الموسيقيين آلة موسيقية جديدة، أطلق عليها اسم «قيثارة الزجاج» وتحوي هذه الآلة - وهي ليست آلة بالمعنى المعروف - نحو 60 كوبًا زجاجيًا من مختلف الأحجام، وفي كل كوب قدر معيّن من الماء، وكلما زاد الماء في الكوب قل الصوت الصادر عنه.

والغريب أنه يمكن عزف القطع الموسيقية الشهيرة باستخدام هذه القيثارة، ويحتاج الأمر فقط إلى الأيدي المدربة والأذن الموسيقية المرهفة من العازف.



زجاج النَسْفَه - زجاج بركاني خفيف - يتكون عندما تندفع اللافا من البركان ثم تبرد، له لون مائل للرمادي

أثمان خيالية

إن استعمال الزجاج في الفن يعود إلى زمن الرومان.

وفي منتصف القرن الثالث عشر أوشكت فينيسيا في إيطاليا أن تصبح المنتج الأول للزجاج في العالم، ولكن في نهاية القرن نفسه انتقلت المصانع إلى جزيرة مورانو القريبة، لأن نيران الأفران كانت تمثل خطرًا على فينيسيا، كذلك كان من الأفضل احتواء العمال المهرة في جزيرة أصغر، ومنعهم من كشف أسرار عملهم إلى العالم الخارجي، فقد كانت الأسرار والمعلومات المتعلقة بالعمل تنقل من الأب إلى الابن شفهيًا، وفي القرن 17 طُبع أول كتاب يحوي تعليمات عن صناعة الزجاج في العالم.

وكانت أعمال الصناع المهرة في مورانو قد جذبت أنظار العالم، لأن قطع الزجاج كانت تُنفخ بحيث تصير رقيقة جدًا، كما كانت خفيفة وغنية بالألوان، وملائمة تمامًا لأن توضع في أفخم القصور.

وفي السنوات الأخيرة أخذ فن الزجاج أبعادًا جديدة، وأصبحت المعارض تقام من أجله، ويفد الهواة إليها من أقاصي الأرض، وتباع القطعة منه بأثمان خيالية.

وقد تقاضى أحد فناني الزجاج - مؤخرًا - مبلغ نصف مليون دولار، عمولةً عن عمل زجاجي خاص بمبنى إدارة شركات البيتزا في أمريكا.

إن استخدامات الزجاج في المجالات المختلفة بلغت مبلغًا عظيمًا، وقدرته على التشكل وإمكان احتوائه على العديد من المواد جعلته المادة الأولية التي يمكن تحويلها إلى مواد أخرى كالمتراكبات والسيراميك؛ وسوف تشهد العقود القادمة توسعًا في خبراتنا حول الزجاج وتطبيقاته المفيدة.

ففيما يختص بالمستقبل القريب يرى العلماء أن أجهزة الحاسوب البصرية من الممكن أن تخزن البرامج والمعلومات بطريقة الذبذبات الضوئية الصادرة من أجهزة الليزر، بفعالية أكثر من الأجهزة الإلكترونية، ويمكن لهذه الذبذبات أن تعمل أسرع مئات المرات من أجهزة الحاسوب الإلكترونية الموجودة حاليًا، كما يمكنها الاحتفاظ بمعلومات أكثر على مدى واسع.

هذا وتستخدم عدسات الألياف الزجاجية اليوم في الحصول على صور أوضح للأجسام المتناهية الصغر بصورة أكثر من ذي قبل، مثل صور الميكروبات البكتيرية.

وهناك جيل جديد من الأجهزة البصرية يتوقع أن يقدم صورًا تفصيلية للأعمال الداخلية لخلايا الجسم، ويُطلق عليها اسم «المجاهر البصرية شبه الميدانية»، وقد أطلق عليها أحد العلماء اسم «قوى الفوتون» - وحدة الكم الضوئي -، فهي تنقل صورًا لأشياء يتراوح حجمها من واحد إلى اثنين على مليون من البوصة.

المراجع:

1- Glass by J.R. Hutchins, III and R. V. Harrington, 2nd edition (1966 by John Wiley Sons, Inc.).
2- Glass Science and Technology, volume 4A, Ist. published 1990, by D.R. Uhlman and N.J. Kreidl.
3- High-Performance glasses, Ist published 1992, by M. cable and J.M. Parker.
4- Sveshnikov, M. (1955). Tainy Stekla. Gos Izdat., Detskoi Literatury, Leningrad, 1-187.
5- Physics world Magazine, October 1988.
6- موسوعة الطبيعة والكيمياء، إعداد محمود أحمد أبو زيد، دار المعارف، مصر.
7- NATIONAL GEOGRAPHIC, DECEMBER 1993.



كتاب الاعتبار

للأمير الفارس الشاعر: أسامة بن منقذ الشّيْزري (488 - 584هـ)

يتميز هذا الكتاب من كتب التراث بنكهة خاصة. وُصف بأنه أول سيرة ذاتية كتبها صاحبها بقلمه، وقيل إنها مذكرات يومية سجل فيها صاحبها ما فعله وما رآه وما سمعه في عصر مضطرب، كان الصليبيون يعيثون فيه فساداً في ديار المسلمين، وقيل إنها تسجيل لأحداث ووقائع مع الفرنجة، ووصف للحياة الاجتماعية التي اختلط فيها المسلمون بهؤلاء الغرباء، وربطت الصداقة بين جماعات منهم، يقول أسامة (ص159): «نفذت صاحبًا لي إلى أنطاكية في شغل، وكان بها الرئيس تادرس بن الصفي، وبيني وبينه صداقة...». والحق أن الكتاب يجمع بين ذلك كله، وفيه من وصف ضراوة الحروب، ورحلات الصيد، وغرائب الطباع ما يعطيه هذا المذاق الخاص الذي أغرى الشرق والغرب بنشره، وترجمته إلى اللغات المختلفة، يقول المحقق د. قاسم السامرائي في تقديمه (ص5م): «.. لم تحظ شخصية إسلامية ولا كتاب إسلامي بالدراسة والتحليل والتحقيق والترجمة في حلقات المستشرقين أو عند المعنيّين بعصر الحروب الصليبية... مثل ما حظي الأمير.. أسامة بن منقذ الكناني الشيزري وكتابه: الاعتبار.. بل ولم يُترجم كتاب عربي إلى اللغات الأوربية المختلفة - باستثناء القرآن الكريم - مثل ما تُرجم كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، وكتاب طوق الحمامة في الألفة والألاّف لابن حزم الأندلسي».

حقق د. السامرائي الكتاب عن نسخة وحيدة محفوظة في دير الأسكوريال. والنسخة ناقصة، وقراءتها عسيرة، فتتبّع أخبارها، واستخرج كثيرًا مما تسرب منها من بطون الكتب، والأوراق المبعثرة هنا وهناك، وبذل جهدًا مضنيًا في تقويم النص، وجلاء غوامضه، وشرح غريبه، وتعريف شخصيّاته وأسماء الأماكن فيه، واستدرك على المستشرق ديرنبورغ الذي طبع الكتاب أول مرة في ليدن عام 1884م كثيرًا مما وقع فيه من خطأ أو تصحيف أو نقص، وكذلك فعل في طبعة فيليب حتّي اللبناني الأصل الذي ترجم الكتاب إلى الإنجليزية في نيويورك عام 1927م، ثم أخرج الأصل العربي مستعينًا بعمل هرتويغ ديرنبورغ، ووقع في كثير مما وقع فيه سلفه.

لم يضع أسامه كتابه ليسرد الحوادث التاريخية كما يفعل المؤرخون، بل سجل أحداثه بعد أن خاض عددًا لا يُحصى من المعارك، ولقي أهوالاً تزلزل الجبال، وهو على ذلك كله عاش عُمرًا مديدًا، ومات على فراشه، فكانت حياته الحافلة عبرةً للمعتبرين، ودافعًا للمترددين. يقول أسامة (ص182): «.. فلا يظن ظان أن الموت يقدّمه ركوب الخطر، ولا يؤخره شدة الحذر، ففي بقائي أوضح معتبر؛ فكم لقيت من الأهوال، وتقحمت المخاوف والأخطار، ولاقيت الفرسان، وقتلت الأسود، وضربت بالسيوف وطعنت بالرماح، وجرحت بالسهام والجروخ. وأنا من الأجل في حصن حصين، إلى أن بلغت تمام التسعين».

حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

وقد كتب أسامة كتابه في دمشق بعد أن اتصلت أسبابه بأسباب صلاح الدين الأيوبي الذي استدعاه إلى دمشق، وأنعم عليه بما يكفل له العيش المريح، وكان صلاح الدين في حرب ضروس مع الصليبيين، ولعله أراد أن يقرِّب إليه أسامة لخبرته وتجاربه مع الصليبيين، فكان يستشيره ويستأنس برأيه.. (ص20 م) وكان ولده مرهف بن أسامة جليس صلاح الدين ونديمه وأنيسه.

والمتتبع للكتاب يجده أقسامًا أربعة: أولها وأكبرها هو ذكر الأحداث والوقائع مع الفرنجة، لم يتّبع فيها أسامة منهجًا تاريخيًا صارمًا، ولكنه كان يحكي كثيرًا مما جرى له مع الإفرنج دون تسلسل تاريخي، بل هي ذكريات يستدعي بعضها بعضًا، يجمع بينها حضور أسامة، وكونه يوردها للعظة والاعتبار كما ورد في النص الذي سقناه. ويقول في موضع آخر: «لو صَفَت القلوب من كَدَر الذنوب فوصلت إلى عالم الغيوب، علمت أن ركوب أخطار الحروب لا يُنقص مدة الأجل المكتوب؛ فإنني رأيت يوم تقاتلنا نحن والإسماعيلية في حصن شيزر معتبرًا يوضح للشجاع العاقل، والجبان الجاهل أن العمر موقت لا يتقدم أجله ولا يتأخر» (ص180) والأقسام الأخرى يصفها أسامة نفسه بقوله (ص184): «هذه طرف أخبار حضرت بعضها، وحدثني ببعضها من أثق به جعلتها إلحاقًا في الكتاب، إذ ليست مما قصدت ذكره فيما تقدم، وبدأت منها بأخبار الصالحين» (184- 198)، ثم ذكر شيئًا عن الأحلام (198- 199) ثم قال (ص200): «وأنا ذاكر فصلاً فيما حضرته من الصيد والقنص والجوارح» (200- 233).

ومما يسترعي النظر في الكتاب الثقة الكبيرة بالنفس، والاعتداد بالقيم، والتمسك بالفضائل، وأن احتلال قسم من بلاد المسلمين لم يخرج الغزاة عن كونهم أقواما عدموا النخوة، وعبدوا القوة، وأن بعضهم ممن عاشر المسلمين تعلم منهم ما تسمو به النفس، وتزكو به الأخلاق، قال أسامة (ص153): «فكل قريب العهد بالبلاد الإفرنجية أجفى أخلاقا من الذين تبلّدوا وعاشروا المسلمين»، وقال (ص159): «فمن ذلك أنني نفذت صاحبًا إلى أنطاكية في شغل، وكان بها الرئيس تادرس بن الصفي، وبيني وبينه صداقة، وهو نافذ الحكم في أنطاكية، فقال لصاحبي يومًا: قد دعاني صديق لي من الإفرنج، تجيء معي حتى ترى زيِّهم. قال: فمضيت معه فجئنا إلى دار فارس من الفرسان العتق الذين خرجوا في أول خروج الإفرنج، قد اعتفى من الديوان والخدمة، وله بأنطاكية ملك يعيش منه، فأحضر مائدة حسنة، وطعامًا في غاية النظافة والجودة، ورآني متوقفا عن الأكل فقال: كُلْ طيب النفس، فأنا ما آكل من طعام الإفرنج، ولي طباخات مصريات ما آكل إلا من طبيخهن، ولا يدخل داري لحم خنزير، فأكلت وأنا محترز».

هذه الثقة بالذات، والتمسّك بالانتماء والقيم الفاضلة هي التي كانت السبيل إلى تطهير البلاد من رجس الصليبيين. وما أشبه هذا بموقف الشاعر الأمير الفارس أبي فراس الحمداني حين أسره الروم وسجنوه في خرشنة وأبقوا عليه ثيابه وسلاحه فقال غير هيّاب ولا وَجل:

يمنّون أنْ خلّوْا ثيابي وإنما
علي ثياب من دمائهم حُمْرُ
وقائم سيف فيهمُ دُقَّ نصلهُ
وأعقابُ رمحٍ فيهم حُطِّم الصدرُ
ونحن أناس لا توسّط بيننا
لنا الصدر دون العالمين أو القبرُ
أعزُّ بني الدنيا، وأعلى ذوي العُلا
وأكرمُ مَنْ فوق التراب ولا فخرُ

وهناك كلمتان أخيرتان:

1 - صدر الكتاب عن مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام في الرياض، وقد صُدِّر بمقدمة مفيدة للأستاذ الأديب عبدالعزيز بن عبدالكريم التويجري، كُتبت في غرة رجب 1407هـ (1987/3/1م).

2 - في الكتاب جهد واضح، ولكن هذا لا ينفي أنه محتاج إلى إعادة نظر رغبةً في زيادة تقويم نصوصه، وتصحيح الأخطاء الطباعية التي لا تكاد تخلو منها صفحة.

ذكريات

رأيتُ وسمعتُ في مجلس الملك عبدالعزيز 3



عاصم محمد بهجة البيطار

ما كنت في يوم من الأيام سياسيًا، وما أحببت أن أكونه، وما رأيت نفسي جديرًا بأن أتجه إلى عالم السياسة المعقَّد الغريب بخفاياه، وما يُدبَّر فيه من التحكّم بمصير أمم وشعوب لا حول لها ولا قوة؛ وكثيرًا ما تمر في ذهني كلمة ذهبية قالها الشيخ محمد عبده مفتي مصر، أو جمال الدين الأفغاني، وتناول فيها السياسة بعد أن غدت حرفة لها أصحابها المختصون بها، المخططون لها؛ تقول الكلمة: «أما السياسة فلا نحتلب درَّها، ونسأل الله أن يكفينا شرَّها»، غير أن طبيعة العصر الذي قدّر الله أن نعيش فيه، جعلت آثار الاتجاهات السياسية تصيب كل إنسان ولو سدّ أذنيه فلا يسمع، وأطبق عينيه فلا يرى. ولكن كيف يطرد الإحساس بالقهر والظلم، وكيف يفر من الشعور بأن السياسة العالمية قد مزّقت جسده، وفرّقت وحدته، وأذلّته بعد عزة، وملأت قلبه بالوحشة في وطنه لكثرة ما حشرت فيه من أعدائه، بل أعداء الإنسانية الألداء.

لم يكن جلالة الملك الموحِّد الباني يُكثر من الحديث في السياسة في مجالسه العامة، وإن كانت بعض العبارات تجري على لسانه سريعة موجزة، ولكنها تحمل خلاصة تجربة في هذا الميدان الشائك، ونظرة نفّاذة تمتحن الأحداث، وتتابع سيرها، وتدرس طرائق الدول في الوصول إلى أغراضها، وتستخلص من ذلك كله الحقائق دون زيف أو خداع برع السياسيون فيهما، وتُحدّد المنهج السليم في رسم سياسة الدولة، وبناء علاقاتها مع دول العالم الصديقة أو العدوَّة.

لقد سمعت من جلالته - يرحمه الله - كلمتين ما أزال أرى صدقهما وعمقهما حتى اليوم، وقد عانت الأمة العربية خاصة، والأمة الإسلامية عامة، والمستضعفون في الأرض قاطبة من مصائب وكوارث تزلزل الجبال، وتذهب بالديار والأعمار، وتفسد معاني الخير، وتطمس معالم العدل والحق، وتشوّه كل معنى جميل في حياة الشعوب.

ولقد كان في تينك الكلمتين خلاص من ذلك ونجاة بإذن الله، لو وعاهما السياسيون، وعمل في هديهما القادة والحاكمون.

كنا جلوسًا بين يدي جلالته، وجرى ذكر بعض الدول، ومكرها السياسي، ومراوغاتها الثعلبية، وأطماعها في ديار العرب والمسلمين، ومحاولاتها الكثيرة الملحة للتدخل في شؤون المملكة، والمشاركة في صنع سياستها، وقد سمعت الملك عبدالعزيز - رحمه الله - يقول لوالدي: «يا شيخ بهجة: كثيرًا ما يأتينا هؤلاء - يقصد قادة تلك الدول - بأمور يموّهونها فيجيدون تمويهها، ويلبسونها رداء الحق وهي باطل. فنستمع إليهم، ونتدبّر ما يقولون، وننفذ إلى أعماقهم بتوفيق الله فتنكشف لنا الأغراض التي يقصدون إليها، ونرى أن الخوض في هذه القضايا متعب، وقد لا نستطيع مجاراتهم في لعبة السياسة التي أتقنوها ودوّخوا بها العالم قرونًا؛ وحتى لا تَزِلّ بنا قدم، وحتى لا نخرج عن القصد السويّ، نسدّ عليهم منافذ المكر بكلمة حازمة نقول فيها: «حنّا بدو ما نفتهم هذا الذي جئتم به»، وينتهي الجدل، وتُطوى الأوراق التي أُعدّت بحنكة وبراعة، وتبقى بلادنا في نجوة لا تتدخل في شؤون أحد، ولا تكون في شؤونها تبعًا لأحد».

وأعود اليوم لأتدبّر المغزى البعيد لهذه الكلمة التي سمعتها منذ أكثر من خمسين عامًا، وأقول لنفسي: لو أن قادة هذا العالم الثالث جميعًا اتّخذوا من هذه الكلمة منارًا لنجوا ونجت بلادهم من كثير مما أصابها. أنا لا أنكر أن موجات عالمية قد اكتسحت دنيانا، ولكنا، على ذلك، جلسنا إليهم، وسمعنا منهم، وصدّقنا أكاذيبهم، فنجحت فينا قاعدتهم المدروسة: فرّق تَسُد. ولا يمكن لأعضاء ممزقة أن تكوّن جسدًا سليمًا.

وأما الكلمة الثانية فقد سمعتها في أول أيام عيد الأضحى المبارك من عام 1363هـ/1943م. وقف حجيج بيت الله في عرفات، ثم أفاضوا منها إلى المزدلفة وأشرق عليهم أول أيام العيد في منى. وصلّى الناس صلاة العيد، والملك في مقدمتهم، ثم جلس في الضحى يستقبل حجاج بيت الله في قصره في منى. وقام رؤساء بعثات الحج من البلاد الإسلامية يلقون كلمات بين يديه باسم بلدانهم، ويلهجون بالثناء على جهود المملكة في تيسير السبل، وإشاعة الأمن، ويسألون الله - سبحانه - أن يتقبل عبادتهم، ويديم على هذا البلد المضياف استقراره، وأن يزيده توفيقًا وازدهارًا.

كانت قضية فلسطين آنذاك حديث العالم، وكان الإنجليز يعدون العدة للرحيل عنها، ولكنهم كانوا يدبّرون لأمر رهيب في الخفاء، شجعوا الهجرة اليهودية على نطاق واسع، وأعانوا على تنظيم التشكيلات العسكرية الصهيونية وزوّدوها بكل أنواع السلاح، وأغروا بعض القائمين على الأمور في الدول المجاورة بمكاسب رخيصة للقيام بدور مرسوم... وقام رئيس بعثة الحج المصرية عبدالعزيز رضوان باشا بإلقاء كلمته، واستصرخ جلالة المليك لفلسطين، واستمع إليه العاهل الكبير باهتمام، وعلّق على الخطاب، وكان مما قاله الملك عبدالعزيز: «اليهود لا يقفون في وجه المسلمين إذا صَحَّت العزائم، وسلمت النيّات، وكان العمل جهاداً خالصًا لوجه الله، ولكن المسلمين اليوم تنظر إليهم فتراهم جميعًا وقلوبهم شتى، ودخول العرب في معركة تحت رايات دولهم مزلق خطير النتائج أُعِدَّ لنا، لأنه سيكون مسوّغًا لتدخل القوى الكبرى لحماية الأقلية اليهودية، فالأموال ستتدفق إليها، ووسائل الغلبة سترسل بصور شتى... والرأي الصواب أن تضع الدول العربية إمكاناتها المالية، وثقلها السياسي الدولي تحت تصرف أهل فلسطين، وأن تمدّهم بالرجال والسلاح ليكون أهل فلسطين، في نظر العالم، هم المدافعين عن ديارهم، المنافحين عن وجودهم، وبذلك تفشل خطةٌ محكمة أعدها دهاقنة السياسة في «كواليسهم»...».

لكن الأمر لم يجر على ما رآه المليك الحكيم، وسارت جيوش تخوض حربًا أعلنتها دولها، ووفّى عبدالعزيز بما تعهد به، فأرسل متطوعين كثيرين التحقوا بجيش الإنقاذ، ووضع قوّة كبيرة تحت إمرة قادة الجيش المصري، وسار كل فريق في درب مرسوم، وما أصدق قول الشاعر فيهم:

فيمموهــا على كرهٍ وكلُّ أخٍ
في خَطْبِه من أخيه خائفٌ حَذِرُ

وانتهت المرحلة الأولى من الحرب، وقُسِّمت فلسطين، ورجع كل جيش فرحًا بما قُسِم له من الغنيمة، وأصبحنا كذلك الرجل الذي أصيب بحادث فُبترت كفه وساقه، وراح يفكر خجلاً: كيف سيلقى الناس، وكان كلما نظر إلى مكان يده وساقه أغمض عينيه وهو يرتعش، ثم مضت الأيام، وألِفَ المنظر، وتوالى مرور الأيام فاعتقد أن وضعه هذا هو الوضع الطبيعي، ولم يعد يخطر في باله أنه كان في يوم من الأيام سليمًا معافى، وأنه كان تامّ الخَلْق، لم تُبتر له كف، ولم تُستأصل له ساق، وبات يرى أن أقصى ما يتطلع إليه هو أن تبقى له كفه الأخرى وساقه الثانية.

لقد صدقت فراسة المليك المؤمن، فقد أضحت قضية الدولة الصهيونية في فلسطين الشغل الشاغل لدول الغرب ومن يدور في فلكها، وقد رأى هذا العالم الظالم أن هذا الشعب المشرّد من حقه أن يكون له وطن، ولو شُرِّد في سبيل ذلك شعب آمن مستقر منذ آلاف السنين.

تقوم دنياهم ولا تقعد لرجل سرق أو اغتصب أو شارك في عملية فساد، ويرون شعبًا يُمزّق، ويُحرم أبسط حقوق الحياة، وتُغتصب أرضه، ويُسلب وطنه فلا يرفّ لهم جفن، ولا يقبضون يدهم المبسوطة بالسلاح المدمّر، والتأييد الشامل.

شأنهم كما قال الشاعر:

قتل امرئ في غابة
جريمة لا تُغتفر
وقتل شعب آمن
مسألة فيها نظر

سألني أحد طلابي في المرحلة الثانوية عام 1955م قال: كيف استطاعت شراذم من اليهود أن تهزم جيوشًا نظامية وتقيم دولة؟ ولمَ تقف الدول الكبرى في جانب هذه الدولة الغريبة وتنكر علينا حقوقنا في أرضنا ووطننا؟

فقلت: إنك واجد جواب هذا في قول قديم لعلي أبي طالب كرم الله وجهه في نزاعه مع معاوية بن أبي سفيان؛ فقد قال مخاطبًا رعيته: «والله ليغلبَنّ معاوية بباطله حقّي!! فقالوا: يا أمير المؤمنين أوَ يغلب الحقَّ باطل؟ فقال: هم أصحاب باطلٍ اجتمعوا عليه، وأنتم أصحاب حقٍّ قد تفرّقتم عنه».

رأت الدول الكبرى في منازعاتنا ما يضمن لها مصالحها الكثيرة في بلادنا، وكانت إسرائيل هي الحارس الأمين، ولو اتّحدت قوانا، واجتمعت قلوبنا، وتوحدت مقاصدنا لانقلبت الآية، ولغدونا ملء أسماعهم وأبصارهم، ولوجدوا أن صيانة مصالحهم في نصرتنا نحن وكبح جماح ربيبتهم (المدلّلة).

زرت فلسطين بُعيد النكبة، وجلست ورفاقي نستمع إلى بعض مخازي المعركة في «قلقيلية»، وقام رجل تغرورق عيناه بالدموع يقول: «لقد دافعنا عن بلدنا بقلوبنا قبل سلاحنا ولم نسمح لصهيوني واحد أن يدنس أرضنا هذه، ولم يخرج منا واحد من بيته إلى أن غُزينا في عقر دارنا بجيش عربي أزعجنا عن أرضنا بحجة حمايتنا والحفاظ على حياتنا، فخرجنا صاغرين بعد أن كنا أعزة.. دافعنا عن تاريخنا وأمجادنا وديارنا على الخوف وعلى العدوّ معًا، ودوفع عنّا فخسرنا كل شيء...».

وأقول وأُكرر القول: لقد صدقَتْ فراسة الملك عبدالعزيز.

هل رأيتم ما فعل أطفال الحجارة؟ أطفال صغار أنفت نفوسهم الذل والعار. فوثبوا على قدم وساق يزعجون المحتل البغيض بحجارتهم.. هَدَمَ كثيرًا من بيوتهم، وقَتَلَ كثيرًا منهم ومن ذويهم، ولكنه كان يراهم في كل طريق، ويخرجون له من حيث لا يحتسب.. هؤلاء الصغار أزعجوا أركان الدولة، وأرّقوا أجفان القادة، وأقلقوا راحة اليهود الصهيونيين في العالم كله.. كَبُر معنى التضحية في نفوسهم فهانت المخاطر، وبُذلت التضحيات، وصار اليهودي المسلح بأحدث أنواع الأسلحة يتلفت حوله دائمًا قلقًا مشفقًا لا يدري متى يصيبه حجر الفلسطيني الطفل.. أطفال الحجارة هؤلاء تجسيد حيّ لما كان يراه الملك الملهم، وقد قاموا وهم قلة في دولة تمتلك حتى السلاح النوويّ.. فلو استجاب العرب لرأي الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - وتركوا فلسطين لأهلها يدافعون عنها وأمدُّوها بالمجاهدين المتطوعين وبالسلاح (غير الفاسد) لكان للأمر وجه آخر، ولما غدت فلسطين سلعة تُباع وتُشترى في سوق النخاسة الدولية. ولما وقفنا اليوم نستجدي السلام، ونستعطف دولاً طالما غرست في جسدنا سهامها المسمومة. إنها أمور دُبِّرت بليل.. ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

الطفل الرضيع

جاذبيته - تطوره - عالمه

1



العنوان الأصلي للكتاب:
«الرضيع المُكتَشَف»

تأليف: **ديسموند موريس**
عرض وتلخيص: **محمد الدنيا**

يقول المؤلف في مقدمة الكتاب: «يمثل صغير الإنسان أروع أشكال الحياة التي ظهرت على الأرض. ففي كيانه، وعلى حساسيته البالغة، وشدة تأثره وضعفه، وعدم قدرته على الكلام، يحتضن هذا الصغير قدرات مذهلة... إن الرضيع شديد التأثر بمحيطه منذ اللحظة التي يولد فيها، ويتمتع بالقدرة على إلهاب حب والديه، بل توجيه سلوكهما وتغييره أيضًا.. وخلافًا لبعض الأفكار المتوارثة والشائعة، يستحيل عمليًا تأديب هذا الرضيع، فخلال الطفولة الأولى، ليس من المفيد في شيء أن نسعى إلى معاقبته، أو تنظيم حياته على نحو زائد... إن الطفولة الأولى، التي تقوم في كنف الرعاية والمحبة، تتجلى في صورة نجاحات شخصية في الحياة اللاحقة.. وإذا كان الرضيع بحاجة إلى الحب، فإنه أيضًا غير قادر على تحمل الحب الزائد».

الولادة
في وسط غير مثير للقلق

في الفصل الأول «كيف يولد الأطفال؟» يقول المؤلف: إن الأطفال غالبًا مايولدون مع كثير من المعاناة. ولكن: لماذا الولادة هي على هذا القدر من الصعوبة والألم عند البشر؟ لو تفحصنا المجتمعات القديمة، والمجتمعات القَبَلية المعاصرة، لوجدنا أن الولادات فيها تتم في محيط أليف، بين قريبات وصديقات يساعدن المرأة حين الوضع ويطمئنّها، ولا تُنقل إلى مكان غريب «مشفى أو مركز طبي..» زاخر بالمشاهد الغريبة، وغالبًا مانقرنه تلقائيًا بالمرض والحوادث والألم. إن وجودها في مثل هذا المكان، ذي التداعيات غير المريحة، مثير لقلق الأم، رغم وعيها بأن الاختصاصيين سيفعلون كل مابوسعهم لمساعدتها. وإذا كانت الحامل، ساعة ولادتها، خائفة أو قلقة، فإن حالتها الذهنية والنفسية تؤخر مخاضها، إذ تنتشر في جسمها حينذاك مادة كيماوية هي الأدرينالين Adrenaline، تؤدي إلى تأخير الولادة، مما يحتم عليها انتظار وقت أكثر ملاءمة وهدوءًا، وإذا تحتم نقلها إلى المشفى، لسبب ما، فإن على طاقمه أن يكون على أكبر قدر من البشاشة والحفاوة. لقد درجت العادة، حديثًا، أن يحضر الأب عملية الولادة، نظرًا لدوره المُطمئِن، شرط أن يكون مفعمًا بالثقة والهدوء، ولكن إذا ما بدا قلقًا وخائفًا فإنه سيزيد حالة زوجته الذهنية والنفسية تعقيدًا. ومن المؤكد أنه إذا كان البيت نظيفًا كفاية، مع إمكان استعانة الأم بامرأة خبيرة، وودود، وأليفة، فإن الأم تستطيع البقاء فيه للولادة بكل اطمئنان. وقد باتت الأم أسيرة للاختيار الذي ينطوي عادة على طابع خاص من الخوف: فالمشفى مكان غريب، لكنه مجهز سريريًا، والبيت أليف وودي، لكنه يخلو من المساعدة التقنية. إذن، ينهض الحل الأفضل دائمًا على اختيار المكان الذي يتيح للمرأة الشعور بالارتياح الأعمق.

فضلاً عن مكان الولادة، تأتي بعد ذلك مسألة وضعية الولادة الأنسب. ولو نظرنا، هنا أيضًا، إلى المجتمعات القديمة والتقليدية، لتبين لنا أن الاستلقاء على الظهر، من أجل الوضع، ليس هو الأسلوب الأكثر انتشارًا. إن هذه الوضعية لا تمكّن من الإفادة

من مبدأ الثقالة، فبدلاً من أن تدع المرأة وليدها «يسقط»، يتوجب عليها أن «تدفع»، وعليها أن تدفعه أفقيًا. إن وضعية القرفصاء، من أجل الولادة، وليس وضعية الاستلقاء أو التمدد، هي التي كانت سائدة على صعيد نوعنا في المجتمعات القديمة: في مصر، وبابل، وأمريكا الوسطى، وفي روما القديمة [وما تزال سائدة في بعض المجتمعات الإفريقية البدائية]. كانوا يستخدمون مقاعد خاصة، ذات قاعدات مقصوصة، بحيث يسع الوليد الخروج من الأسفل، في حين كان بإمكان الأم أن «تضغط»، متحكمة بحركات جسمها مستعينة بمرفقيها المشدودين إلى مسنديْ المقعد.

الصراخ.. أول دلائل الحياة!

جاء الفصل الثاني تحت عنوان «لماذا يصرخ الأطفال عندما يولدون؟»، حيث يقول المؤلف: ليس صعبًا أن نفهم سبب ابتسام الوالدين عند سماعهما صرخات طفلهما الأولى. فحينها، يدركان أنه حي ويتنفس. ولكن، هل هذا الصراخ ضروري فعلاً؟ لا بد أولاً من تفحص الظروف التي تجابه الوليد عقب تركه رحم أمه. إن الوليد يغادر حينها عالمًا صغيراً، دافئًا، مظلمًا، لطيفًا وسائلاً، ليجد نفسه في عالم مختلف جذريًا. وينص التقليد الاستشفائي السائد على عدم التماسّ الجسدي معه عقب الولادة مباشرة، حيث يقوم الفريق الطبي بفحصه، وصفعه على مؤخرته لدفعه إلى الصراخ وإثارة مُنْعكس تنفسه. إن في الخوف من ألا يتنفس الوليد ما يسوّغ استعجال دفعه لإظهار مالديه من ردود فعل. وإذا كانت تدابير فريق التوليد سائغة، حرصًا على سلامة الطفل وأمه، فإنه قد أُشيرَ في السنوات الأخيرة إلى أن الفرق الطبية راحت تتعامل مع الوليد وكأنه مريضٌ بدلاً من أن ترى فيه قادمًا جديدًا يتمتع بصحة تامة، لكثرة الإجراءات المتخذة لسلامته وراحته. ومن أجل أن يأتي الوليد بأقل قدر من الهياج والصراخ، تقضي وجهة النظر الطبية الحديثة بضرورة الهدوء التام في قاعة التوليد، وترك أذني الوليد تعتادان بالتدريج صوت الهواء الحر، وتخفيف الأضواء الباهرة ليتكيف تدريجيًا مع هذه التجربة الحسية الجديدة، والعمل على إبقائه قرب أمه خلال لحظات مابعد الولادة، للحدّ من ذعره المفاجيء، ووضعه على بطنها بعد استوائه ليبقى ممدداً بعض الوقت على جلدها الدافيء. مع ذلك، تبقى الصرخات الوجيزة حتمية، إذ إنها ناجمة عن تمدد صدر الوليد المفاجيء، الذي بقي حتى ذاك الحين مضغوطًا بسبب خروجه عبر حيز ضيق من جسم أمه. وفجأة، يتوقف هذا الانضغاط، ويتسارع الهواء إلى داخل رئتيه، ومن شأن الزفير التالي أن يسبب بعض الصراخ.

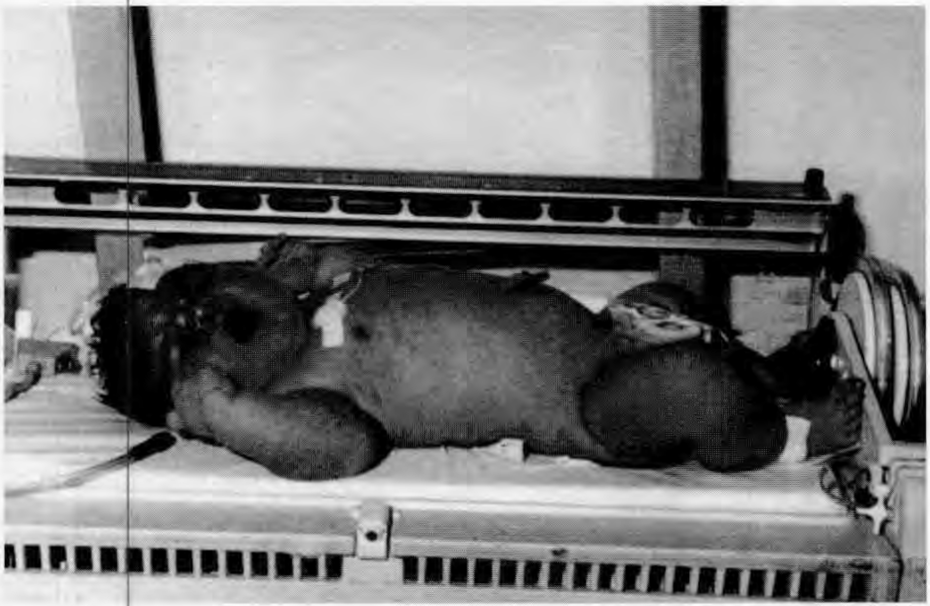
الطبقة الدهنية تسهل العبور من عنق الرحم!

يحمل الفصل الثالث عنوان «لماذا يتغطى جسم الوليد بطبقة دهنية؟»، حيث يذكر المؤلف أن من وظائف هذه الطبقة العزلَ الحراري، إذ إنها تخفف من وطأة نتائج هبوط الحرارة المفاجئ عقب الولادة مباشرة. يطلق على هذه المادة اسم Vernix Case-osa، أي الطلاء الدهني، الذي يتشكل من مزيج جسيمات جلدية ومفرزات زيتية تنتجها الغدد الزهمية «الدهنية» Glandes Sebacees. وتشهد هذه الغدد، المتصلة بالجريبات الشعرية ـ الزهمية، نشاطًا متزايداً خلال الأشهر الأخيرة من الحمل، بحيث يكون جسم الوليد كله مغطى بهذه الطبقة الدهنية، التي من شأنها تسهيل عبوره من خلال عنق الرحم الضيق، ولولا ذلك لكانت الولادة شبه مستحيلة. ومن وظائف الطلاء الدهني الأخرى أنه يؤدي دور الحاجز الدفاعي ضد الإنتانات الجلدية الصغيرة خلال الأيام الأولى من الحياة. لهذا، يُترك هذا الطلاء على حاله أحيانًا، إلى أن يسقط تلقائيًا بعد يومين أو ثلاثة أيام.

الحبل السُّرّي.. وجنس الوليد

في الفصل الرابع «متى تلتئم السرة؟»، يقول المؤلف: إن الحبل السُّرّي يظل يزداد طولاً خلال الحمل حتى الأسبوع الثامن والعشرين تقريبًا. حينها، يتوقف عن النمو مهما كان طوله. ومما يسترعي الانتباه أن هذا الطول متباين جدًا بين وليد وآخر، ولا يُعرف سبب واضح لذلك. تعد هذه إحدى الخاصيات الأكثر تغيراً عند الطفل الوليد، حيث نجد أن الحبل السري قد يكون بطول 17,5 سم في حده الأدنى و1,20م في حده الأقصى. إلا أن متوسط طوله هو نحو 50 سم. وليس لمقاييس جسم الأم ومقاييس جسم الوليد أي تأثير في طول الحبل السري. ويبدو أنه ليس لطوله أية علاقة إلا مع عنصرواحد: جنس الوليد. فعند الذكور، ولسبب مايزال مجهولاً، هو أطول بنحو 5 سم من مثيله عند الإناث. بعد قطعه، يترك الحبل السري خلفه السرة المعروفة، التي تندمل وتأخذ شكلها المعتاد، دون أن يرافق ذلك آلام حقيقية، ولكن قد يظهر فيها أحيانًا ورم أو انتفاخ بسيط، مآله إلى التلاشي مع مرور الوقت. ولنتذكر أن الناس فيما مضى لم يكونوا





يلجؤون إلى تغطية السرة بالشاش الجراحي والضمادات، بل كانوا يتركونها هكذا، مكشوفة. ويكفي أن تكون نظيفة، وجافة بشكل خاص. لقد درجنا اليوم على رمي الحبل السري كأية فضلات أخرى، لكن المجتمعات القبلية كانت تعزو له قدرات سحرية، وكان الناس يمصونه خلال الاحتفالات على أنه دواء، ويصطحبونه معهم حيثما ارتحلوا، ويدفنونه تحت الأشجار. وكان أفراد مجتمعات أخرى يجعلون منه تعويذة، ولجأ آخرون في غيرها إلى إبقائه في «المحفوظات الأسرية» ليدفن مع صاحبه أو صاحبته عند الموت، ضمن طقوس محددة.

التثاؤب.. وتدفق الأكسجين

عنوان الفصل الخامس هو «لماذا يتثاءب الوليد عند الولادة؟»، وفيه يذكر المؤلف أنه يصدر عن الوليد بعض التثاؤب المؤثر عقب الولادة بقليل. ونظرًا لما يرافق مجيئه إلى هذا العالم من تعب، يخيل لنا بأنه يتثاءب لأنه متعب. إن حالات التثاؤب «العريض» هذه هي مُنْعكسات من شأنها إتاحة تدفق الأكسجين إلى رئتيه. مع ذلك، إذا ما سارت عملية الولادة بوتيرة متسارعة، وكان صراخ الوليد قويًا جدًا، بسبب قسوة الأيدي التي تتعامل معه، فإن هذا التثاؤب لن يحدث. بالمقابل، إذا ما تمت الولادة بارتياح وهدوء، ولم يُقطع الحبل السري إلا بعد مرور بعض الوقت، فسيبدأ الوليد بالتنفس حينذاك وفق إيقاعاته هو، وسيسير تثاؤبه وتنفسه وفق الأداء الوظيفي الطبيعي. وقد أفرز التثاؤب ظاهرة تسترعي الانتباه، يحترمها معظم الأشخاص الكبار: إننا جميعًا نغطي أفواهنا عند التثاؤب. واليوم، تشكل هذه الحركة جزءًا من «اللباقات المطلوبة» بين الناس، ولكن دون أن يفسر أحد سببها. هناك من يربط حتى الآن، خطأً، بين تثاؤب الوليد ومعدل الوفيات المرتفع بين حديثي الولادة. وغني عن البيان القول إنه لا علاقة للتثاؤب مع معدل وفيات الرُضَّع، ولكن استطاعت العقول المتطيِّرة أن تروج لهذا الادعاء منذ عدة قرون خلت. وقد كان معتقدًا أنه عندما يفتح الوليد فمه على مداه، كي يتثاءب، فإنه إنما يسهل بذلك خروج بعض روحه من بدنه، فيضعف إلى حد الموت. وفي روما القديمة، كانوا ينصحون الأم باتقاء كل علامة للتثاؤب عند الوليد، وإغلاق فمه إن شرع بذلك، كي تمنع روحه من أن تضعف. وهكذا، عندما نضع أيدينا على أو أمام أفواهنا حين نتثاءب، فإننا نكرر أيضًا ـ عن غير علم منا ـ عادة قديمة كان الغرض منها، الحفاظ على أرواحنا داخل أجسادنا.

الزغب.. وسوء التغذية

الفصل السادس أتى بعنوان «لماذا يولد بعض الأطفال بأجسام مكسوة بالشعر؟»، ويطلعنا المؤلف فيه على أنه يولد بين حين وآخر طفل بجسم مغطى بطبقة رقيقة من الزغب الناعم. إن هذه الظاهرة لا تنم إلا عن حالة جنينية استمرت وقتًا أطول بقليل من المعتاد. ومن هنا، لا مسوِّغ للخوف والقلق، ومن شأن هذا المظهر أن يزول في غضون بضعة أيام، وقد تستمر هذه الظاهرة، في أسوأ الحالات، أربعة أشهر، يتلاشى الزغب بعدها، تاركًا مكانه جلدًا ناعمًا وجميلاً، مثلما ترغب كل أم. لنتأمل قليلاً المرحلة الأخيرة من حياة الجنين داخل الرحم. فخلال الأشهر الأخيرة، التي تسبق الولادة، يتغطى جسم الجنين بهذا الكساء الوبري Languo الزغب، الذي يظهر خلال الشهر الخامس من الحمل أو بعد ذلك بقليل على الأرجح. وخلال الشهر السابع، يبدأ بالزوال لينتهي تمامًا خلال

الفريق الطبي الذي يتولى عملية الولادة يتعامل مع الوليد كأنه مريض، بدلاً من أن يرى فيه قادمًا جديدًا إلى الحياة يتمتع بصحة تامة!

الشهر الثامن، تقريبًا. إلا أنه قد يتأخر عند بعض الأجنة حتى الشهر التاسع، ليختفي قبل أوان الولادة بوقت قصير. وفي حالات نادرة يبقى قائمًا عند الولادة. ماهي مخاطره؟ لا خطر فيه، إلا إذا كان الوليد خديجًا، وحينها يأتي الوليد مكتسيًا بزغب المرحلة الطبيعية لظهوره «داخل الرحم». ويمكن أن يولد الطفل مكسوًا بطبقة ناعمة وحريرية من الزغب تحت تأثير الستيرويدات القشرية Corticosteroides، وفي حالات فرط نشاط الغدة الدرقية، وحين تعرض الجنين لسوء تغذية خطير.

من يمكث في الرحم أكثر؟

في الفصل السابع «الجدول الإحصائي للوليد»، يفيدنا المؤلف أن الإناث، ولسبب مايزال مجهولاً، يمضين في الرحم يومًا إضافيًا واحدًا وسطيًا بالموازنة مع الذكور؛ كما يتأخر الأطفال البيض خمسة أيام في بطن الأم بالموازنة مع الأطفال السود. وفي الهند، المدة الوسطية للحمل هي أطول، حيث يبقى الطفل ستة أيام إضافية داخل الرحم بالموازنة مع ندِّه الأبيض. وهذه الفروق هي عرقية محضة، ولا علاقةَ لها بحجم الطفل أو بمستوى معيشة أسرته، وما تزال أسبابها مجهولة. تزداد فرص مجيء الطفل في تمام الحمل، ومن ثم الولادة بلا مشكلات تذكر، عندما يكون عمر الأم بين 18و30 سنة. وأنسب الأعمار للحمل والولادة هو سن 22 سنة، ففيه تبلغ خصوبة المرأة ذروتها. ويصل وزن الطفل عند الولادة إلى 3,5 كج وسطيًا. والفروق هنا كبيرة، غير أن 5٪ من حديثي الولادة لا يزِنون بين



الطفل الرضيع

جاذبيته - تطور عالمه

2,5 كغ و4,5 كج. ويزيد وزن الوليد الذكر على وزن الوليد الأنثى بنحو 500 جرام وسطيًا، وخلال الشهر الأول، يزداد وزن الطفل بحدود 225 جرامًا في الأسبوع. وفي الشهر الخامس، يصل وزنه إلى ضعف وزن الولادة؛ وفي نهاية السنة الأولى، يصل إلى ثلاثة أضعاف وزن الولادة. يبلغ متوسط طول الوليد 51 سم؛ و5٪ من حديثي الولادة فقط لا تتراوح أطوالهم عند الولادة بين 46و56 سم. وبعد اثني عشر شهرًا لاحقًا، يكون طول الوليد قد ازداد بمقدار 25 إلى 30 سم؛ ويزداد حجم دماغه بمقدار يفوق الضعف قليلاً خلال السنة الأولى، التي يصل وزنه في نهايتها إلى 60٪ من وزنه النهائي. ويزن قلب الوليد نحو 28 جرامًا، ويرتفع إلى 45 جرامًا مع نهاية السنة الأولى. ويصل عدد نبضاته إلى 140 نبضة في الدقيقة بعد اثني عشر شهرًا لاحقًا، في حين أنه مرتفع جداً وقت الولادة: 180 نبضة في الدقيقة. كيماويًا، يتركب جسم الوليد من نحو 70٪ ماء، و16٪ دهون، و11٪ بروتينات، و10٪ هيدرات كربون Hydrate De Carbon.

الجمجمة.. الدرع الواقي للدماغ

سؤال الفصل الثامن «لماذا توجد مواضع ليِّنة على رأس الرضيع؟»، يجيب عنه المؤلف بالقول: من المعروف أن الجمجمة البشرية، العظمية الصلبة، تشكل درعًا واقيًا وثمينًا جدًا للدماغ الحساس، السريع العطب والتأثر، الموجود في داخلها. إنها خوذة حيوية «بيولوجية» حقيقية. ومن أجل تسهيل مرورها عبر عنق الرحم الضيق، عند الولادة، كان لا بد أن تتسم جمجمة الوليد بميزات محددة: أولاً: أن تكون لدنة ولينة؛ وثانيًا: أن تظهر على شكل صُفيحات منفصلة بدلاً من أن تكون كرة عظمية واحدة؛ وثالثًا: أن تتمكن هذه الصفيحات من الحركة الخفيفة، بعضها بالنسبة إلى بعضها الآخر، بل أن تتناضد عند الحاجة. إن بعض الأمهات يخيفهن منظر جمجمة الطفل غير المتناظرة عقب الولادة، حين تبدو مسطّحة أو مائلة، ويخشين أن يكون بها عيب أو تشوه ما. لا مسوِّغ لهذا الخوف. إن في جمجمة الوليد قدرة مدهشة على استعادة شكلها وتناظرها الطبيعيين في غضون بضعة أيام، أو خلال بضعة أسابيع في أسوأ الحالات. وهذه المدة هي على علاقة بفتحة العبور الرحمية وبصعوبات الولادة. تلاحظ في جمجمة الوليد ستة مواضع تتسع فيها الفواصل بين العظام، فتشكل «ثقوبًا» أوسع من سواها، تسمى اليوافيخ، وعددها ستة، وهي ليست بالحجم نفسه: اثنان رئيسيان، وأربعة ثانوية. وعندما تلمس الأم الجديدة هذه الأماكن الطرية أول مرة، ينتابها شيء من القلق والخوف لضعف هذه المواضع في رأس رضيعها. هنا أيضًا، لا سبب للخوف، فالنسيج الغشائي الذي يغطي اليافوخ هو متين ومقاوم جداً، شرط ألا تتلقى الجمجمة ضربة أو إصابة ما قوية ومباشرة. وعندما تلاحظ بعض الأمهات نبضات الرضيع وهي تخفق في اليافوخ الأمامي، في أعلى الجبهة، يعتقدن أن هناك عيبًا جمجميًا في هذا الموضع. إن النبض في هذه المنطقة هو عادي وطبيعي، ولا مسوِّغ للخوف إلا حين وجود «تَجَوُّف» - هبوط - أو انتفاخ فيها، فالتجوف يشير إلى أن الرضيع محموم أو مصاب بالاجتفاف وأنه بحاجة عاجلة إلى السوائل. ويمكن أن تحدث هذه الظاهرة أحيانًا في المناخ القائظ وخلال الإصابة ببعض الأمراض. أما اليافوخ المقبَّب «الناتئ» على نحو واضح، فهو يشير إلى وجود مشكلة خطيرة، وهي ظاهرة نادرة الحدوث. إن الوقت اللازم لتصلُّب المناطق اللينة في الجمجمة هو في غاية التباين من طفل لآخر. ويمكن القول إن هذه المواضع اللينة تتلاشى في سن 4 أشهر كحد أدنى و4 سنوات كحد أقصى. ويستغرق تصلب يافوخ أعلى الجبهة الكبير وقتًا أطول يتراوح بين 18و24 شهرًا.

اتساع حدقتيه يجعله أكثر جاذبية!

ونقرأ في الفصل التاسع «لماذا يتميز الرضيع بحدقتين واسعتين؟»: إن عيني الرضيع ليستا أوسع من عيني الراشد وحسب، بالموازنة مع حجم جسمه، بل حدقتاه أيضًا هما أوسع من حدقتي الراشد، بشكل عام. ولما كانت هذه الميزة تجعل الرضيع أكثر جاذبية في عيني والديه بشكل خاص، فإنها تزيد من فرص تدليله ومعاملته بمزيد من الحب. إن من طبيعة الحدقة أن تنفتح وتضيق لضبط كمية الضوء التي تدخل إلى العين، إلا أنها لا تستجيب لشدة الضوء وضعفه فقط، بل أيضًا للحالات الانفعالية. فعندما نرى شيئًا يعجبنا ويروق لنا، تتسع حدقتنا، وعندما ننظر إلى شيء لا يروق لنا، تنغلق حدقتنا أكثر مما ينبغي، لا إراديًا. وبما أن من نثير الإعجاب فيه ينجذب إلينا أكثر من ذاك الذي لا نسترعي انتباهه، فإن حدقتيه، اللتين تتسعان نتيجة هذا الإعجاب، تغدوان بالضرورة أكثر جاذبية لنا. وهناك مظاهر جاذبية متبادلة تثير الرغبة في التقارب، لا بين الراشدين وحسب، بل أيضًا بين الأم وطفلها. إن الرضيع يحب أن نتناوله، ونحتضنه، ونُدلله، ويعشق قرب أمه منه، ومن شأن رغبته هذه أن توسع حدقتيه، اللتين تبثان، تلقائيًا، إشارات جاذبية أقوى، فتزداد جاذبيته في عيون والديه.

الأسنان الأولى.. متى تنبت؟

يقول المؤلف في الفصل العاشر «متى تظهر أسنان الرضيع الأولى؟»: يحدث أحيانًا أن تكتشف الأم، مذهولة، سنًا لبنية قبل ولادية في فم صغيرها، عند ولادته. إنها ظاهرة نادرة فعلاً، لكنها لا تدل على وجود أي شذوذ. يولد طفل من كل 2000 طفل وفي فمه سن ظاهرة، وهذه السن هي الثَنِيَّة السفلى، التي تتميز بضعف تجذرها في اللثة في مثل هذه الحال، مما يجعلها سهلة التحرك، ومن ثم غير مزعجة لثدي الأم. أحيانًا، يلجأ البعض إلى نزع الأسنان قبل الولادية، ولكن نادرًا مايكون ذلك ضروريًا، والأفضل ترك هذه الأسنان كما هي، لأنها تتحول مع الأيام إلى أسنان لبنية عادية تلقائيًا. وكانت ثقافات عديدة تنظر إلى هذه الأسنان النامية قبل الولادة بارتياب شديد، كما لو أنها من علامات الشيطان، وكانت أقوام أفريقية تتخلص فورًا من الوليد الذي يأتي وهذه السن في فمه، لتجنب الشؤم الذي جاء مع ولادته. تظهر السن الأولى، لدى الغالبية العظمى من الأطفال، نحو عمر 6 أشهر. أما الوقت الدقيق لظهورها فهو متباين جدًا بين طفل وآخر، ويتراوح - عادة - بين عمر 4 أشهر و14 شهرًا. وأكثر أوقات نموها شيوعًا هو بين الشهر السادس والشهر التاسع. إن القواطع السفلى الوسطى هي الأولى ظهورًا، تليها القواطع (الثنيات) العليا الوسطى. بعد ذلك تظهر القواطع الجانبية السفلى والقواطع الجانبية العليا. إلا أن هذا التسلسل ليس

بعض المواليد يمكث في الرحم مدة أطول من بعضهم الآخر. وهي مسألة أسبابها مجهولة، ولا علاقة لها بحجم الطفل أو مستوى معيشة أسرته!



الطفل الرضيع

جاذبيته - تطوره - عالمه

جـازمًا، وعند بلوغه عمر السنة، يكون الرضيع قد حصل على غالبية هذه الأسنان في الأحوال الطبيعية، وخلال السنة الثانية، تنمو أرحاؤه (طواحنه)، وأنيابه (بين عمر 18و 20 شهرًا) حينها، يمكن أن تجعل آلامُ نموّ الأسنان الطفلَ سريعَ التهيُّج، فهي تتعبه وتزعجه. إن للأسنان اللبنية الصغيرة أسماء مختلفة، منها «الأسنان الساقطة»، و«الأسنان اللبنية»، و«الأسنان المؤقتة»، ويبلغ عددها عشرين سنًا، وتبدأ بالتشكل تحت اللثة منذ وقت مبكر جدًا خلال النمو الجنيني. وهي موجودة منذ طور المُضغة، في عمر ستة أسابيع داخل الرحم، على شكل أزرار «براعم» دقيقة. وتبدأ هذه الأزرار بالتكلس بين الأسبوع السادس عشر والأسبوع الرابع والعشرين من الحمل، ولسبب مجهول، «تنبت» أسنان الإناث في وقت أكثر بكورًا قليلاً بالموازنة مع الذكور، كما يفقد الذكور أسنانهم اللبنية قبل فقد الإناث لها بوقت قصير.

يرى ما يحتاج إلى رؤيته فقط!

«كيف يرى الرضيع؟» هو عنوان الفصل الحادي عشر، وفيه يذكر المؤلف أن بصر الوليد متوافق مع حاجاته النوعية تمامًا، ومع قدراته البدنية. عندما ينظر الوليد إلى مسافة بعيدة، يصبح كل شيء ضبابيًا بالنسبة له، وتأبى عيناه التركيز على نقاط بعيدة، ولا تستطيعان العمل معًا. مع ذلك، ليس في هذا العجز عن السيطرة بالعينين، في النظر، ما يمكن أن يثير قلق أحد. إذًا، لا سبب لخوف الأبوين عندما يلاحظان شيئًا من الشَوَص أو الحَوَل في عيني طفلهما، إلا إذا استمرت هذه الحالة أكثر من ستة أسابيع. وهذه المدة، أي شهر ونصف الشهر، هي المدة اللازمة لاستقرار الرؤية بالعينين في الوقت نفسه، والضرورية لاكتساب عضلات العينين القوة اللازمة للتحكم بتغيرات التوجه (الاهتداء بالبصر) وتنسيق هذه التغيرات. إلا أن الوضع مختلف تمامًا بالنسبة للرؤية من قرب. فعلى مسافة 20 سم إلى 30 سم، يستطيع الرضيع، في أسابيعه الأولى، تثبيت نظره على شيء يقع أمام وجهه. كما يفضل، منذ وقت مبكر بعد الولادة، النظر (يتفاعل بقوة أكبر) إلى الأشياء المتحركة قياسًا مع الأشياء الساكنة تمامًا. ويُظهر أيضًا اهتمامًا أكبر بالأشياء المستديرة بالقياس مع الأشكال المستقيمة والأشكال الهندسية الأخرى. ويبدو حساسًا إزاء الزخارف والرسوم الزخرفية، ويحب الأشياء الكبيرة المضاءة جيدًا. إن الضبابية التي ترافق نظر الوليد من بعد هي وسيلة جيدة لتجنب التعرض للخوف والقلق: بما أنه مخلوق من صفاته الضعف وشدة التأثر، بهذا القدر أو ذاك، فليس من مصلحته أن يعرف مايجري بعيدًا منه. ومن شأن جهله هذا أن يبقيه في حالة من الانفراج والهدوء. وهكذا، فإن الرضيع الصغير يرى ماهو بحاجة إلى أن يراه. من جانب آخر، يتفاعل الوليد، خلال الأيام الأولى، برضى وقبول مع كل وجه يقترب منه بلطف. حينها، لا يكون قد بدأ يميز أمه من الغرباء. لكن هذا الوضع سيتغير بالتدريج: سَيُعَبِّر بعد ذلك عن فرحه حين حضور أمه، وعن ضيقه واضطرابه عند وجوده وجهًا لوجه أمام حتى ابتسامة إعجاب من جانب شخص غريب. ويظهر هذا النوع من الرفض نحو منتصف العام الأول. وفي الشهر التاسع، يشهد هذا الخوف من الغرباء طوره الحاد. وبما أن الرؤية أضحت أكثر بنيوية في هذه المرحلة، يصبح الطفل في هذا الطور من النمو قادرًا على تمييز المزيد من التفاصيل وتركيز بصره على أشياء تقع ضمن مسافات متباينة.

صوت الأم.. المفضل دائمًا!

يقول المؤلف في الفصل الثاني عشر «كيف يسمع الرضيع؟»: إنه سُجِّلت أولى ردود فعل صادرة عن الجنين في الأسبوع الرابع والعشرين من الحمل. وقد تبين أن الصوت القوي يثير استجابة فجائية لديه، ولكن ليس دائمًا، في هذه السن المبكرة، غير أنها تظهر بشكل منتظم في الأسبوع الثامن والعشرين. وخلال الشهرين الأخيرين، أو الأشهر الثلاثة الأخيرة من الحمل، يكون الجنين قد أصبح مخلوقًا يسمع الأصوات المنتظمة الصادرة عن جسم أمه، ويستجيب للأصوات الآتية من الوسط الخارجي أيضًا، وتكون الأصوات التي يسمعها «مخنوقة»، نظرًا لحاجز جسم الأم، ولأن أذنه الوسطى ملأى بالسائل الأمنيوسي، وهو ما من شأنه خفض هذه الأصوات وتخفيف شدتها. ويستمر هذا الوضع عدة أيام بعد الولادة، ثم تشرع الأذن الوسطى بامتصاص هذا السائل. وتشير الدراسات الحديثة إلى أن الوِلْدان لا يفضلون الأصوات البشرية على غيرها فقط، بل يستجيبون أيضًا بوضوح للأصوات الأنثوية، الأكثر حدة، قياسًا مع الأصوات الذكورية. وفي جميع الأحوال، يولد الطفل مستعدًا تمامًا لالتقاط الصوت الأهم في عالمه الصغير، صوت الأم الحامية والراعية. إن لهذا الصوت أهمية بالغة بالنسبة له؛ وعندما تداعب الأم طفلها الصغير وتتحدث إليه، وتُسمعه كلامها، فإنها إنما تمنحه بذلك فرصًا مهمة للغاية على صعيد نموه البدني وتطوره اللغوي والذهني.

عينا الرضيع أوسع من عيني الراشد، وحدقتاه كذلك أوسع من حدقتي الراشد، الأمر الذي يجعله أكثر جاذبية في أعين والديه على نحو خاص

.. وروائحها أيضًا!

في الفصل الثالث عشر «ماذا يشم الرضيع؟»، يطلعنا المؤلف على أن اختبارات عديدة أثبتت أن الوليد يستطيع التفاعل مع روائح مواد معينة، مثل الأنيسون، وحمض الخَلِّيك. إن أنف الطفل هو عضو نشط منذ الأسابيع الأولى من الحياة. وفضلاً عن روائح المستحضرات والمنتجات الكيماوية، يتفاعل الوليد مع رائحة واحدة على الأقل، رائحة جسم أمه. وتشير معطياتُ ملاحظات دقيقة إلى أن بوسع الوليد تمييز رائحة صدر أمه من روائح صدور النساء الأخريات، وتكفي خمس وأربعون ساعة بعد الولادة كي يتمكن الوليد من تمييز أمه من الأخريات، بالرائحة. والأغرب من ذلك أن لدى الأمهات القدرة نفسها. فإذا مابقيت الأم على تماس وثيق مع صغيرها خلال نصف الساعة التي تعقب الولادة، فإنها ستتمكن من تمييز وليدها، بالرائحة بعد ست ساعات لاحقة.

.. وحليبها كذلك: لا غنى عنه!

ونقرأ في الفصل الرابع عشر «هل يتمتع الرضيع بحاسة الذوق؟»: أن الرضيع يحب السُكَّر جداً. إن حاسة الذوق متطورة لديه إلى حد كبير عند الولادة. لدى الرضيع من الحليمات الذوقية (اللسانية) أكثر مما لدى الراشد منها. ثم إن هذه الحليمات هي أوسع انتشارًا في فمه منها عند الكبار، إنه ذواقة من مستوى رفيع، غير أن هذا «العتاد» التشريحي كله ليس موجهًا إلا نحو نوع واحد من الغذاء: حليب الأم اللذيذ. أما الطعوم الأخرى، فهي غير محببة بتاتًا بالنسبة له. إن الرضيع الصغير مجبول على رفض كل غذاء غير الحليب، طعامه الطبيعي.

ظاهرة الجريمة في أفلام الفيديو:

خطورة ترسيخ العنف!

د. محمود يوسف مصطفى

ظهرت الجريمة مع بداية وجود الإنسان على ظهر الأرض، فقد حدثت جريمة القتل الأولى عندما أردى أحد أبناء آدم أخاه قتيلاً: *فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ*. المائدة: 30.

وتوالى ظهور الجريمة في المجتمع الإنساني وتعددت أنواعها وتطورت أساليبها. ومع كل يوم يمر تستهوي الجريمة أناسًا؛ فإذا هم يقتلون ويسرقون ويرتشون ويزوّرون؛ إلى غير ذلك من الجرائم التي يقترفها من أغواهم الشيطان. ومع أن الجريمة في عصرنا الحاضر قد تنوعت وتطورت أساليبها، إلا أنها تظل سلوكًا خاصًا بطائفة من المنحرفين؛ ولا يعني ظهورها في مجتمع بعينه فساد المجتمع برمته. ومع كثرة عدد السكان وتضارب المصالح واختلاف الأهواء وبروز المطامع والأحقاد تنمو الجريمة التي يجب أن تأخذ دائمًا حكم الاستثناء لا القاعدة، فظهور القتلة والسفاحين واللصوص والمرتشين لا يعني أن أفراد المجتمع حادوا عن الطريق المستقيم، واتجهوا نحو السلوك الإجرامي.

ووفقًا لما يردده أهل الفن من مقولات ـ يأتي من بينها قولهم: إن الفن في خدمة المجتمع يعبر عن قضاياه ومشكلاته وهمومه ـ أردنا أن نرى كيف تبدو مجتمعاتنا في أعين طائفة من أهل الفن ونعني بهم المسؤولين عن إنتاج الأفلام: كتابتها وتمثيلها وإخراجها وتسويقها وعرضها وتوزيعها.

وأخضعنا للدراسة والبحث عينة من الأفلام بلغت أحد عشر فيلمًا تم إنتاجها وعرضها خلال عامي 1991 ـ 1992م، وهي موجودة في أماكن بيع أفلام (الفيديو) وتأجيرها، وأتيح لها أن تصب في وجدان المشاهدين الذين يحرصون على متابعة الأفلام ومشاهدة الجديد منها.

تفوق الجريمة

الجريمة، كما هو معلوم، عمل شاذ وسلوك غريب، ولا يمكن أن يأخذ حكم القاعدة، ولكن من الملاحظ أن هذه الأفلام جعلت الأعمال والسلوكيات المشروعة تحصل على نسبة بلغت 49.1٪ بعدد تكرارات بلغت 81 تكرارًا، على حين حصلت الأعمال الشاذة والسلوكيات غير المشروعة وأوجه النشاط الإجرامية على نسبة بلغت 50,9٪ بعدد تكرارات بلغت 84 تكرارًا.

وهذا يعني أن هذه الأفلام تشير صراحة وبوضوح إلى أن عوامل الشر والفساد وأنماط الجريمة والشذوذ تفوق الخير والاعتدال في العدة والعتاد، حيث لا تكتفي الأفلام أن تجعل الشر والفساد يبدو قليلاً في عدده ونسبته، ولكنها تجعله متعادلاً، بل يتفوق على الخير والصلاح. وتأسيسًا على ذلك، فإنه لا يمكننا ـ وفق رؤية هذه الأفلام ـ إلا أن نرى مجتمعاتنا قد تحولت إلى ساحة لكل ما هو شاذ وغريب وفاسد، كما توضح هذه الأفلام؛ وبعبارة أخرى، فإننا نلحظ الترويج للأعمال الغريبة الممقوتة والفاسدة. ولا يمكن أن يكون المدخل الملائم لعلاج سلبيات المجتمعات أن نُري شبابنا كيف يقتل ويسرق، وأن نرسم له طريق الثروة غير المشروعة، وأن نُزيّن له الخمر والمخدرات، وأن نشجعه على ارتياد أماكن اللهو والفساد.

إن هذه الأعمال والسلوكيات التي تعبّر عنها الأفلام لا يعرفها في الواقع غير ممارسيها ومرتكبيها، وفي تقديري لا يمكن أن يصل عددهم في مجتمعاتنا العربية والإسلامية إلى نسبة تفوق ذوي السلوك المستقيم. فإذا بالأفلام تنقل واقع هذه الحياة غير السوية والأعمال الشاذة الغريبة إلى أناس لم يعرفوها ولم يعتادوا رؤيتها. لذا فهو لا يُعدّ من قبيل علاج ما فسد من سلوكيات الناس، وإنما من قبيل إشاعة الفاحشة

والترويج لها: *إنّ الّذينَ يُحبُّونَ أن تَشيعَ الفاحِشَةُ في الّذينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أليمٌ في الدُّنيا والآخرة واللّهُ يعلَمُ وأنتم لا تَعلَمونَ*. **النور**: 19. كما أنه من قبيل الجهر بالسوء: *لا يُحبُّ اللّهُ الجَهْرَ بالسُّوءِ مِنَ القَولِ إلاّ مَن ظُلِمَ وكان اللّهُ سَميعًا عَليمًا*. **النساء**: 148.

ومن المحال أن يتأتى علاجٌ لقصور أو خلل من طريق إظهار الحق والعدل والمشروع والمباح، والعلاج يتوارى خجلاً من الباطل والفساد والشر، وقد توافرت للأخير أسباب الظفر والقوة بدلالة تفوقه العددي كما تشير الأرقام.

وما عهدنا فيما نعلمه من تاريخ أمتنا وتراثنا، وما نعرفه من جهود أبنائها المصلحين أن علاج إدمان الخمر يكون بعرض مجموعة من السكارى يترنحون، وعلاج ظاهرة السرقة بتوضيح خفة يد السارق أو براعة حركاته أو عدم ترك بصماته، وأن علاج وقت الفراغ يتم بالتردد إلى أماكن اللهو غير المباح ومشاهدة النساء يتراقصن، وهكذا!

نوعية الجرائم

مادامت الأفلام - في زعم المسؤولين عنها - تعبيراً عن واقع، فإن مجتمعاتنا تبدو في أعينهم مراتع خصبة تعدو فيها الجريمة ويزاول الشيطان نشاطه بين جنباتها، حتى يتخيل الرائي أنها مجتمعات بلا محظورات تعرف كل صنوف الرذائل والجرائم، كالقتل والسرقة وتجارة المخدرات وشرب الخمر وإدمان المخدرات والزنا وغير ذلك.

وقد عرضت الأفلام لسلسلة من الجرائم نقدمها - حسب درجة تركيز الأفلام عليها - على النحو التالي:

جريمة الزنا

لعل من أبرز الأعمال غير المشروعة التي تُعبِّر عنها هذه الأفلام: جريمة الزنا، إذ تصل تكراراتها إلى 14 تكرارًا تصل نسبتها إلى 16,6٪، هذا إلى جانب الأعمال الفاضحة التي لا تصل إلى الزنا وإن كانت من مقدماته وتصل نسبتها إلى 3,2٪، فإذا أضيفت النسبتان، فإن هذا يعني أن 20٪ من هذه الأعمال تدور حول إثارة الغرائز، وإذكاء الشهوات. وتُعرض هذه المشاهد على الشباب الذي أصبح الزواج بالنسبة إليه - في كثير من البلدان العربية والإسلامية - مشكلة عويصة نظرًا لظروف الاقتصاد والإسكان، مما حرم الشباب العيشة الطبيعية: عيشة الزوجية وفرض عليه عيشة العزوبية المشوهة غير الطبيعية(1). ويرى الشبانُ أبطالَ الأفلام وقد ارتكبوا جريمة الزنا وكأن شيئًا لم يحدث؛ مما يجعلنا نرى أن الأفلام بأبطالها تعبر عن مجتمع جدير أن يكون مجتمعًا وجوديًا. «فالوجودية تدعو لمجتمع يباح فيه الجنس والاستمتاع الجنسي والعاطفي والجمالي بلا موانع من دين أو خلق أو تقاليد»(2). وعند الوجوديين يتقرر وجود الفرد ويتحقق بإطلاق العنان لرغباته وشهواته يفعل ما يشاء، ولا يبالي بالعرف أو الدين(3).

كما يجوز أن يكون المجتمع المُعبَّر عنه - من خلال هذه الأفلام - مجتمعًا بهائيًا، فشريعة البهائيين شريعة إباحية ترمي إلى تحطيم الأخلاق، فهم لا يَعدّون المعاشرة بين الرجل والمرأة فحشًا ما دام الطرفان قد رضيا بالمعاشرة، أو كان هناك ثمن لهذه المعاشرة، وحتى إذا تحققت المعاشرة دون رضا أحد الطرفين، أو من دون عوض فلا عقاب، ويكفي أن تؤخذ الأجرة فقط، فأخذ الأجرة يقلب السيئة حسنة(4).

أما أن يكون المجتمع الذي تُعبِّر عنه هذه الأفلام - ويشيع فيه الزنا - إسلاميًا - فهذا أمر لا يمكن تصوره أو قبوله، فالمجتمع المسلم تلقى من ربه نهيًا عامًا يمنع من مجرد الاقتراب من منطقة الخطر: *ولاَ تَقْرَبُوا الزِّنا إنَّهُ كان فاحِشَةً وَسَاءَ سَبيلاً*. **الإسراء**: 32. فالقرآن الكريم يحذّر من مجرد مقاربة الزنا، وهي مبالغة في التحرّز، لأن الزنا قد تدفع إليه شهوة عنيفة، فالتحرز من المقاربة أضمن، فعند المقاربة من أسبابه لا يكون هناك ضمان(5).

أفلا يُعدّ وضع الزنا بمشاهده وعلاماته ودلالاته في مرأى شبابنا تقريبًا له وتزيينًا واستحسانًا؟! ولاسيما أن فيهم من لا يستطيع الزواج!!

والزنا فيه قتل من نواح شتى: إنه قتل ابتداء، لأنه إراقة لمادة الحياة في غير موضعها، يتبعه غالبًا الرغبة في التخلص من آثاره بقتل الجنين قبل أن يتخلق وبعد أن يتخلق، قبل مولده أو بعده، فإذا تُرك الجنين للحياة تُرك في الغالب لحياة شريرة أو حياة مهينة، فهي حياة مضيّعة في المجتمع على نحو من الأنحاء، وهو قتل في صورة أخرى: قتل للجماعة التي يفشو فيها فتضيع الأنساب وتختلط الدماء، وتذهب الثقة في العرض والولد، وتتحلل الجماعة وتتفكك روابطها فتنتهي إلى ما يشبه الموت بين الجماعات. وهو قتل للجماعة من جانب آخر، إذ إن سهولة قضاء الشهوة من طريقه يجعل الحياة الزوجية نافلة لا ضرورة لها، ويجعل الأسرة تبعة لا داعي لها(6).





العنف... بين الخيال والواقع

القتل وإراقة الدماء

ومن الجرائم التي أشارت إليها الأفلام: جريمة القتل، فناقشت التفصيلات والدواعي والأسباب. وهو قتل غير مسوّغ، ولو كان سائغًا ما عددناه عملاً غير مشروع. وتأتي نسبة القتل في هذه الأفلام 9,2٪ من مجموع الأعمال غير المشروعة. ووفق ما نفهمه من الأفلام فهو قتل لا تقضي به عدالة القضاء ولا تنفذه سلطة مختصة، إنما هو قتل يجري ويدور بعيدًا من أعين القضاء والعدالة والشرطة، ويقرّبنا من مجتمع الغاب لا من مجتمع المتحضرين.

وخطورة هذه الأنماط السلوكية التي يشيع القتل بين أفرادها تكمن في إشاعة شريعة القوة وسيادة منطق البطش والاستبداد، كما تؤدي إلى تجسيد الدعوة إلى اختفاء دور الشرطة والقضاء. وما دام أبطال الأفلام يتصرفون هكذا، فلا داعي إذن أن يلجأ الناس إلى ساحة العدالة. ولا شك في أن وضعًا كهذا يؤدي مع مرور الوقت إلى تكوين جيل جديد (ممن يَعدّ الممثلين نجومًا يحاكي سلوكهم) لا يؤمن إلا بحسم القضايا تحت وابل من طلقات الرصاص وهذا هو الإرهاب بعينه والتطرف بذاته!

وهذا النمط من السلوك لا يعرفه الإسلام، ففي الذكر الحكيم: *ولاَ تَقْتُلُوا النفسَ التي حَرَّمَ اللّهُ إلاّ بالحقّ ومَن قُتِلَ مظلُومًا فَقَد جَعَلْنَا لوليِّه سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف في القَتْلِ إنّهُ كانَ مَنْصُورًا*. **الإسراء**: 33. وفي الحديث الشريف: «لا يحلُّ دمُ امرئٍ مسلم إلاّ في إحدى ثلاث: رجل زنى وهو مُحصن فرُجم، أو رجل قتل نفسًا بغير نفس، أو رجل ارتد بعد إسلامه»(7).

خطورة ترسيخ العنف

فالحياة منحة إلهية أحاطها اللّه بسياج من الحماية. أما في منطق أهل الفن فيُهدر دم الإنسان ولا يحرك الأبطال ساكنًا. فياله من منطق معوج!

تجارة المخدرات وتعاطيها

أشارت الأفلام إلى الاتّجار في المخدرات وتعاطيها وذلك بنسبه بلغت 16,3٪ موزعة بين التعاطي بنسبة 9,2٪ أي بنسبة القتل، وهو قتل بالفعل، والاتّجار فيها بنسبة 7,1٪ .

ولذا ظهر أبطال الأفلام وهم يتعاطون المخدرات، وفي كثير من الأحيان تأتي إشارات لفظية توحي أن تعاطي المخدرات يؤدي إلى التفكير السليم واتخاذ القرار المناسب، مما قد يدفع بالشباب نحو التجريب حتى يجنوا الثمرة المرتقبة.

وتعاطي المخدرات سلوك مُحرَّم شرعًا. وقد أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية بحرمة المخدرات بقوله: «إن الحشيشة حرام يُحَدُّ متناولها كما يُحَدُّ شارب الخمر، وهي أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج، حتى يصير في الرجل تخنث ودياثة (أي لا يغار الرجل على أهله، والديوث من يجمع بين النساء والرجال فيما حرمه اللّه)، وغير ذلك من الفساد، كما أنها تصد عن ذكر اللّه وعن الصلاة، وهي داخلة فيما حرمه اللّه ورسوله من الخمر والمسكر لفظًا ومعنى»(8).

وقد أفتى الشيخ عبدالمجيد سليم مفتي الديار المصرية ـ رحمه الله ـ بحكم الشرع في المواد المخدِّرة بقوله: «إنه لا يشكُّ شاكٌ ولا يرتاب مرتاب في أن تعاطي هذه المواد حرام، لأنها تؤدي إلى مضار حسية ومفاسد كثيرة، فهي تفسد العقل وتفتك بالبدن إلى غير ذلك من المضار والمفاسد»(9).

كما أن الإسلام حرم الاتّجار بالمخدرات واتخاذها حرفة تدر الربح، كما حرّم زراعة الأشجار التي تستخلص منها المادة المخدرة لتعاطيها أو الاتجار بها، وحرم الإسلام الربح الناتج من الاتجار بها، فهو حرام خبيث وإنفاقه في القربات غير مقبول، بل حرام(10).

ما يقارب الـ 20٪ من الأفلام المعروضة يدور حول إثارة الغرائز وإذكاء الشهوات، مما يعني أن المجتمع الذي تصوره هذه الأفلام غير إسلامي، بل يمكن أن يكون مجتمعًا وجوديًا!

ويزعم أهل الفن أنهم بهذا يتصدون لظاهرة الإدمان، ولكن فيما نعلم أن محاربة تجارة المخدّرات لا تكون بتسجيل حياة تجارها وتسليط الأضواء على عالمهم الفاسد، وما يحيط به من أجواء خانقة تشتمل على القتل ومحاربة السلطات وتشكيل عصابات الإجرام من المارقين والخارجين على القانون، وما تموج به حياتهم من خمر وإدمان ونساء ساقطات وأساليب غير مشروعة.

تقاضي الرشوة

تناولت الأفلام ظاهرة الرشوة، وهي عمل غير مشروع، وبلغت نسبتها 8,3٪. وأظهرت الأفلام أن إنجاز المصالح لا يتم إلا بطرق مشبوهة تأتي الرشوة من بينها. وعندئذ تيسر الرشوة إنجاز المصالح، فقد تعطل الأوراق واتخاذ القرار لصالح الراشي، كما قد تجعل الراشي يحصل على ما ليس من حقوقه، كما قد تطلعه على ما يعد من أسرار الناس وخفاياهم، أو أسرار الوظيفة الحكومية. ولاشك أنها نوع من الكسب الحرام. ففي الحديث الشريف عن عبدالله بن عمرو قال: لعن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الراشي والمرتشي(11).

وخطورة الرشوة تكمن في أنها تقضي على التنافس المشروع بين الناس، وتمنع تكافؤ الفرص، وتؤدي إلى إشاعة مناخ من اليأس والإحباط، حيث يعلم غير القادر أن القادر صاحب الثروة سيأخذ منه حقّه بالرشوة، فلماذا يعمل إذن؟

كما أن الرشوة تعلي من سطوة المادة وسيطرتها وقدرتها على تصريف الأمور، وتشيع منطق القوة والثروة والظلم والفساد.

وقد تُقَدَّم الرشوة تحت ستار الهدية لإضفاء ثوب الشرعية عليها وتقنينها، وهي عندئد تصبح حرامًا كذلك، فتغيير مُسَمّاها بين الناس لا يطمس حقيقتها، ولا يخفي معالمها وكونها رشوة. وقد ورد عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «من شفع لأخيه بشفاعة، فأهدى له هدية عليها، فقد أتى بابًا عظيمًا من أبواب الربا»(12)، وهكذا تزين الأفلام الرشوة وتجمِّلها في أعين المشاهدين.

الرقص وإثارة الغرائز

أشارت الأفلام إلى الرقص واتخاذه حرفة تدرُّ الربح، وقد بلغت نسبته 7,1٪، وقد جرت عادة أهل الفن أن يُضَمِّنوا أفلامهم مشاهد لراقصات شبه عاريات بحجة أن هذه المشاهد هي التي تجذب الشبان، ومن ثم يحقق الفيلم إيرادًا عاليًا عند عرضه في دور (السينما)، وكذا بعد توزيعه على أماكن بيع أشرطة (الفيديو).

وتتعمد هذه الأفلام ـ من خلال هذه المشاهد الهابطة ـ أن تضرب على أوتار الغريزة الجنسية ومواطن الإثارة؛ مما قد يدفع بالشباب إلى إهمال واجباتهم التعليمية إن كانوا طلابًا أو واجباتهم المهنية إن كانوا من المهنيين والحرفيين، ومن ثم ينصرفون إلى مشاهدة هذه الأفلام. وقد صرح أحد الأحداث الذين أُودعوا المعهد الإصلاحي ـ بعد ارتكابه لسلوك منحرف ـ بأنه لم يستطع المواظبة على الدراسة في مدرسته الثانوية بعد أن تعود مشاهدة الأفلام الهابطة؛ لأن كل تفكيره بعد ذلك توجه نحو الكيفية التي يستطيع من خلالها تلبية رغباته الجنسية، وكانت النتيجة ـ من ذلك ـ أن هذا الحدث قد انحرف وترك الدراسة نهائيًا، علمًا بأنه كان من الطلاب الجيدين دراسيًا(13).

ولذلك جاء التوجيه القرآني للنساء عامة: *يأَيُّها النبي قُل لأزواجكَ وبَنَاتكَ ونسَاء المؤمنينَ يُدْنينَ عَلَيهنَّ من جَلاَبيبهنَّ ذَلكَ أَدْنَى أن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَحيماً.* **الأحزاب**:59.

السرقة بأنواعها

ثم تعبِّر الأفلام عن مجتمعات تتمثل أمراضها وعللها ـ بالإضافة لما سبق ـ في السرقة بأنواعها وذلك بنسبة 5,9٪، وكذا في أناس يستغلون أوضاعهم ومراكزهم ونفوذهم لتحقيق مصالح خاصة ومكاسب غير مشروعة وتبلغ نسبة هذا العمل 5,9٪ .

وهكذا يبدو الأبطال لصوصًا قد احترفوا السرقة وامتهنوا النشل وامتدت أيديهم إلى ما ليس من حقوقهم. ولا مانع من أن تتجسد أفعالهم في سلوكيات الناشئة الذين يحاكون من يسمونهم بالنجوم ويقلّدونهم في ملبسهم ومأكلهم ومشربهم.

تحكي الأفلام حياة نماذج قال عنها الله عز وجلّ وعلا: *والسارقُ والسَّارقَةُ فاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بما كَسَبَا نَكَالاً منَ اللّه واللّهُ عزيزٌ حَكيمٌ.* **المائدة**: 38.

كما ورد في الحديث الشريف قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «لعن الله السارق؛ يسرق البيضة فتُقطع يده، ويسرق الحبل فتُقطع يده»(14). كما ورد في الحديث أيضًا: «ولا يسرقُ السارقُ حين يسرق وهو مؤمن»(15).

أما فيما يتعلق باستغلال الجاه والمنصب والنفوذ بطرق غير شريفة لتحقيق أغراض ومصالح شخصية، فهو سلوك مذموم وعمل مرفوض إسلاميًا، فالمسلم مطلوب منه أن يكون في خدمة أخيه المسلم بغير انتظار جزاء، وفي الحديث الشريف: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسْلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مُسلم كُرْبةً فرَّجَ الله عنه بها كربةً من كرب يوم القيامة»(16).

وقد جاء الوعيد من الله في القرآن لمن يمتنعون عن مساعدة خلق الله وهم قادرون على ذلك: *ويَمنعُونَ الماعُون.* **الماعُون**:7. أي الذين يمنعون المعونة والبر والخير عن

خطورة ترسيخ العنف

إخوانهم، ويمنعون الماعون عن عباد الله، ولو كانوا يقيمون الصلاة حقًا ما منعوا العون عن عباده، فهذا محك العبادة الصادقة المقبولة عند الله(17).

شرب الخمر والتزوير وكتمان الشهادة

ومن بين السلوكيات المنحرفة التي عبرت عنها الأفلام: شرب الخمر، والتزوير وكتمان الشهادة، وقد بلغت نسبة كل منهما 4,7٪ .

وفيما يتعلق بالخمر، فإنه - وكما تدل الأفلام - لا يكاد يقام حفل لأبطال الفيلم، أو تعقد صفقة تجارية أو تمر مناسبة معينة إلا وكؤوس الخمر لها وجودها، والأبطال يقرعون كؤوسهم والشباب يرى ويشاهد!!

وإذا دارت الخمر بين الأبطال فامتنع واحد عن شربها ارتسمت علامات الدهشة والاستغراب على وجوه الحاضرين، لأن الممتنع لا يستحق أن يكون من المتحضرين، فمن بين معايير التحضر في عرف أهل الفن إدمان الخمر.

ويكاد الخمر يكون أحد عناصر ثلاثة يتحتم وجودها في هذه الأفلام: الخمر بالإضافة إلى عنصرين آخرين هما الراقصات شبه العاريات، وتعاطي المخدرات، بحيث لا يخلو فيلم من أحد هذه العناصر، وربما يجتمع عنصران أو الثلاثة معًا.

والسؤال الذي يمكن طرحه: ما العلاج الذي يمكن الوصول إليه عند عرض مشاهد الخمر في الأفلام؟ وهل يمكن أن تحل المشاكل وتذلل الصعاب؟

الجواب هو قول الله تعالى: *يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ*. **المائدة**: 90.

> **أفتى العلماء بحرمة تعاطي المخدرات شرعًا؛ لما تجره على المجتمع من الفساد. ومع ذلك نرى هذه الأفلام تعلي من شأن تاجر المخدرات ومتعاطيها، وتبرزهما في أحسن صورة**

وفي الحديث الشريف: «من شرب الخمر لم تُقبل منه صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال»(18). ونهر الخبال هذا من صديد أهل النار.

وفي الحديث الشريف أيضًا: «كل شراب أسكر فهو حرام»(19).

وعلى شيوع تناول الخمر بين عرب الجاهلية، فإن هناك من أدركوا قبح هذه العادة وذهابها برشد الإنسان، وكيف أنها تؤدي إلى ما لا تُحمد عقباه، ولذا حرّمها على نفسه العباس بن عبدالمطلب وعبدُ الله بنُ جدعان، وعُثْمان بن مَظْعون، وكان الشاعر أميَّة بنُ أبي الصَّلْت لا يشرب الخمر ويزدريها. وحرمها أبو بكر الصديق على نفسه، فما شربها في جاهلية ولا إسلام، وكذلك عثمان بن عفان(20).

وعبرت الأفلام عن عالم فسدت فيه الذمم وخربت الضمائر، فاستباحوا التزوير وكتموا الشهادة، وهم أناس ممقوتون من ربّ العباد، ففي الذكر الحكيم: *وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ*. **البقرة**: 283. وفي الحديث الشريف: «ألا أخبركم بخير الشهداء: الذي يأتي بشهادته قبل أن يُسألها»(21). وفي الحديث أيضًا: «لن تزول قدما شاهد الزور حتى يوجب الله له النار»(22). كما ورد في الحديث أيضًا: «عدلت شهادة الزور الإشراك بالله، ثلاث مرات والرسول - صلى الله عليه وسلم - يكرر العبارة»(23).

خطورة هذه الجرائم

أشرت فيما سبق إلى أن الأفلام قدمت نماذج بشرية سلكت مسالك الإجرام وانساقت نحو الجريمة، فظهر أبطال الأفلام وهم يقتلون ويسرقون ويشربون الخمر ويتاجرون بالمخدرات ويتعاطونها ويزوّرون ويَزْنون إلى آخر هذه القائمة من السلوكيات الإجرامية والأعمال غير المشروعة.

وتكمن خطورة عرض مثل هذه المشاهد في أن الأطفال والشباب أصبحوا يقلّدون ما يشاهدونه ويأتون بتصرفات تماثل تصرفات النجوم والمشاهير من الفنانين، «ففي إحدى ضواحي بوسطن، جاء طفل في التاسعة من عمره يعرض على والده التخلص من المدرس الذي أعد عنه تقريرًا ممتلئًا بالعلامات الحمراء، واقترح تقديم علبة شيكولاتة مسمومة بمناسبة عيد الميلاد، وقال الطفل إن المسألة سهلة وقد رأيتها في التلفزيون في الأسبوع الماضي عندما أراد رجل قتل زوجته فأعطاها بعض الحلوى المسمومة ولم يُعرف من الذي فعل ذلك. وفي لوس أنجليس ضبطت إحدى الخادمات صبيًا في السابعة من عمره وهو يرش مسحوق الزجاج على طعام الأسرة. ولم يكن هناك أي دافع من الحقد في نفس الطفل، وإنما كان ذلك العمل مجرد تجربة أوحى بها الفضول وحب الاستطلاع، ليعرف هل تنجح هذه الفكرة كما رآها وشاهدها في التلفزيون»(24).

وفي بعض الأحيان يصل الأمر بالشباب والمراهقين إلى تقليد أبطال الأفلام ونجوم السينما في تصرفات كثيرة تصل إلى الملبس والمأكل والعادات المختلفة، ويكفي دليلاً على ذلك أن «مجرد ظهور الممثل الأمريكي كلارك جيبل في فيلم «حدث ذات ليلة» من دون سترة (فانيلة) داخلية جعل استهلاك هذا النوع من السلع ينخفض 40٪»(25).

وهذا يعني أن الأدوار التي يؤديها النجوم من أهل الفن ترسخ في أذهان الشباب، ويمكن أن تتحول إلى سلوكيات بغض النظر عن كونها سلوكيات سلبية تودي ببعض أفراد المجتمع إلى الحضيض!

تعقيب

يتضح لنا مما تقدم أن ما تبرزه الأفلام يمثل عدوانًا صارخًا على الأخلاقيات الإسلامية والقيم الفاضلة، حيث العُريُ وإظهار المفاتن والضرب على أوتار الغريزة والشهوات، والترويج لمجتمعات يشيع فيها الزنا والخمر والقتل والرشوة والسرقة، ولا أظن أن هذه مجتمعات المسلمين!!

الهوامش:

1- نعمات أحمد فؤاد، أزمة الشباب وهموم مصرية، ط1 القاهرة: دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر، 1986م، ص 47.
2- مصطفى محمود، الماركسية والإسلام، القاهرة: دار المعارف، 1975م، ص 51.
3- مصطفى حلمي، الإسلام والمذاهب الفلسفية، ط1، الإسكندرية: دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع 1985م، ص 222.
4- عمارة نجيب ومحمود عثمان، البهائية في ميزان الإسلام، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية 1985م، ص 46-47.
5-6- سيد قطب، في ظلال القرآن، ط1، جـ4، بيروت: دار الشروق 1981م، ص 2224.
7- سنن ابن ماجه، جـ2، حديث رقم 2533، ص 847
8- عادل أرسلان، حكم تناول المخدرات والمفتّرات وتداولها في التشريع والقانون، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1985م، ص 98.
9-10- السيد سابق، فقه السنّة، جـ9، القاهرة: مكتبة الآداب ومطبعتها 1978م، ص 69، 87، 88.
11-12- سنن أبي داود، جـ2، ص 294، 285، 286.
13- تماضر محمد حسون، وسائل الاتصال الجمعية وانحراف الأحداث في الوطن العربي، بحث منشور بمجلة الأمن السعودية، الرياض، العدد الثالث، 1411هـ، ص 128.
14- سنن ابن ماجه، جـ2، ص 862 حديث رقم 2583.
15- المرجع السابق، جـ2، ص 1298، حديث رقم 3936.
16- سنن أبي داود، جـ2، ص623.
17- سيد قطب، مرجع سابق، جـ6، ص 3986.
18- سنن الترمذي، جـ3، ص 192، حديث رقم 1924.
19- المرجع السابق، جـ3، ص 193، حديث رقم 1925.
20- أحمد محمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ط5، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر 1972م، ص 453.
21- صحيح مسلم، جـ3، ص 1344، حديث رقم 1719.
22-23- سنن ابن ماجه، جـ2، ص 794، حديث رقم 2373، 2372.
24- ويلبور شرام، جاك ليل، ادوين باركر، التلفزيون وأثره في حياة أطفالنا، ترجمة زكريا سيد وتماضر توفيق، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1965م، ص 269.
25- إبراهيم إمام، فن العلاقات العامة والإعلام، القاهرة: الأنجلو المصرية، 1958م، ص 213.

دائرة المعارف

الجنائيّة

2

إعداد:

د. عبدالرحمن محمد العيسوي

ف

فروض علمية Scientific Hypotheses

الفرض العلمي هو حل مبدئي يضعه الباحث لمشكلة ما Hypothesis؛ ويُفترض فيه، كي يكون علميًا، ألا يكون غامضًا، أو مبهمًا، أو عامًا جدًا، أو فلسفيًا غيبيًا (ميتافيزيقيا)، وإنما يشترط لصحة الفرض، أن يكون متصلاً بحل المشكلة موضوع الدراسة، وأن يكون قابلاً للقياس والملاحظة، وبذلك يمكن التحقق التجريبي من صحته، أو بطلانه، أو فساده Experimental Verification، أي تمحيص الفرض أو التثبت من صحته، فإن كان صحيحًا ومتفقًا مع ما أسفرت عنه التجربة أو القياس أو المعلومات والحقائق أصبح نظرية، أو صار قانونًا. وإن لم يتحقق لجأ الباحث إلى إلغائه والبحث عن فرض آخر، أو تعديله. وتقع عملية فرض الفروض، ضمن خطوات التفكير العلمي أو المنطقي أو التفكير التجريبي، حيث تبدأ هذه الخطوات بالإحساس بالمشكلة وتحديدها ووصفها، ثم فرض الفروض اللازمة لحلها، ثم التحقق التجريبي من صحتها أو بطلانها، وذلك من طريق جمع الأدلة والشواهد والبراهين والمعلومات والحقائق، أو المعطيات من طريق تطبيق الاختبارات، أو المقابلات، أو التحاليل والفحوص، أو الاطلاع على السجلات والملفات، أو سؤال الأهل والأقارب والزملاء والأصدقاء والرؤساء، أو المعلمين أو المعلمات، ومن التحقيق التجريبي يُصار إلى صدور القانون أو النظرية أو الحكم.

وفي مجال دراسة الجريمة يضع الباحث فرضًا معينًا لتفسير السلوك الإجرامي لدى فئة من الناس، كأن يعزوه إلى الفقر، أو الجهل، أو أقران السوء، أو البيوت المحطمة التي نشأ فيها الفرد، أو الخلل العقلي، أو الضعف العقلي، أو الوراثة، أو الظروف الاجتماعية، أو الهجرة من ثقافة إلى ثقافة أخرى، أو تعاطي الخمور والمخدرات، أو التسيب الأمني، أو غير ذلك من الفروض التي يمكن أن تفسر الجريمة. ويأخذ في دراستها فرضًا فرضًا حتى يصل إلى الحقيقة في شأن تفسير الجريمة والجنوح والانحراف.

ق

القتل Murder

إماتة الغير أو القتل العمد على غير ما ينص عليه القانون، أو الشرع من القصاص العادل. قتل يرتكبه شخص يكون واعيًا عاقلاً مدركًا حين ارتكاب فعل القتل، ولذلك يعد مسؤولاً مسؤولية جنائية مع سبق الإصرار والترصّد الصريح، أو الضمنيّ. والقتل فعل يؤدي إلى موت شخص آخر أو أشخاص من طريق التخطيط والتصميم، مع توفر النية أو القصد الجنائي Causing the death of another person by plan or design and the inxent to do so.

وهناك درجات من القتل أخفها عقوبة القتل الخطأ، وأشدها القتل من الدرجة الأولى وهو قتل عمدي بالسم أو الترصّد والتصميم مع سبق الإصرار، وهو القتل الذي يرافق الجنايات الكبرى كالسطو المسلح والحريق العمد وهتك العرض والاغتصاب وترويع الناس، ومنه القتل من الدرجة الثانية، وهو فعل القتل دون أن يقترن بسبق الإصرار والتّرصُّد، وتكون غاية المجرم ارتكاب إحدى الجرائم الكبرى كالسطو المسلح والحريق العمد وهتك العرض. والقتل من الدرجة الثالثة ويأتيه الجاني عرضًا وهو يرتكب جريمة أخرى دون أن يكون له قصد في ارتكابه. وهناك قتل النفس Self-Murder، أي الانتحار.

وشخصية القاتل تحتاج إلى كثير من الدراسات النفسية والطبية المتعمقة. وفي جميع الأحوال يلزم إنزال عقوبة الإعدام به؛ حتى لو كان يعاني من خلل عقلي منعًا لتفشي جريمة القتل وإزهاق أرواح الناس وضياعها سدى.

ك

كبت Repression

الكبت، وفقًا لمفهوم مدرسة التحليل النفسي، إحدى العمليات العقلية اللاشعورية، أو الحيل الدفاعية التي تقوم بها الذات الوسطى في الإنسان ego لحماية صاحبها من القلق والشعور بالخزي والخجل والعار ولوم الذات. وليس الكبت وحده هو ما تقوم به الذات الوسطى من آليات أو حيلٍ دفاعية لا شعورية تدفع بها عن نفسها الشعور

بالأذى والنقد وقلة احترام الذات والمهانة الداخلية، وإنما هناك حيلة التعويض، والتقمص أو التوحد، والنكوص، والإسقاط، والتسويغ والإزاحة، أو نقل الانفعال إلى موضوع آخر خلافًا لمصدر إثارته الأولى، وهناك الإنكار والعدوان والتسامي بالدوافع وتصعيدها وتصريفها في المجالات المشروعة والمقبولة اجتماعيًا ودينيًا وأخلاقيًا.

والكبت معناه، إجرائيًا، إزاحة المشاعر والرغبات والدوافع والذكريات المؤلمة والمخجلة والشاذة والعدوانية والبدائية والشهوانية والفجة، من منطقة الوعي والشعور إلى منطقة اللاشعور، أي نسيانها وعدم تذكرها. ويختلف الكبت عن القمع، من حيث إن عملية قمع المشاعر أو الانفعالات تكون شعورية، أما الكبت فهو عملية تتم على المستوى اللاشعوري. والكبت يمنع خروج المشاعر السالبة، أو هروبها وإفلاتها من حدود اللاشعور إلى حيز الشعور والوعي. ولكن كبتها لا يعني موتها، فهي ماتزال حية فاعلة ومؤثرة تعمل في الخفاء من خلال اللاشعور، فتظهر في شكل الأمراض والعقد النفسية أو زلات القلم وفلتات اللسان، ونسيان المواعيد والرسوم الحرة التلقائية، وتظهر كذلك في الأحلام، وإن كان ذلك يحدث بصورة رمزية. والدوافع المكبوتة قد تنفجر وتثور وتخرج سافرة في شكل الأمراض العقلية، حيث يرتكب المريض الأفعال المنافية للآداب والقيم دون أن يدري.

ل

لا وعي، لا شعور Unconscious

مصطلح التحليل النفسي Psychoanalysis، الأفكار والمشاعر والصور Houghts, Feelings and images، وكذلك الدوافع Motives والرغبات Wishes والميول والذكريات، أو الخبرات المؤلمة أو المخزية، والدوافع العدوانية، أو الحيوانية، أو الشهوانية، أو البدائية، أو الشاذة التي تعافها الذات الشاعرة، كل هذه تترسب في منطقة مظلمة وغير مرتادة هي منطقة اللاشعور أو اللاوعي، حيث لا يدركها صاحبها ولا يعيها ولا يشعر بها، ولا يعترف بوجودها لنفسه ولا لغيره من الناس. هذه المادة تم كبتها Repressed، أي نسيانها وإزاحتها ونقلها إلى اللاشعور مع عدم السماح لها بالإفلات من حراسة الذات الوسطى Egoلذلك لا ينبغي في تفسير السلوك الإجرامي، وفي دراسة الجريمة، أن نقصر بحثنا على العوامل والأسباب الشعورية فقط، وإنما لابد من وضع العوامل اللاشعورية والمنسية أو المكبوتة في الحسبان، ذلك لأن كبتها لا يعني موتها كلية، وإنما هي تؤثر في سلوك الإنسان السويّ منه والشاذ دون أن يعلم. فنحن نتأثر بمركبات النقص والشعور بالدونية في سلوكنا، ونتأثر بما لدينا من عقد نفسية، ورواسب ماضية، وخبرات قاسية، أو مؤلمة. وهناك صراعات ومعارك تدور رحاها أو ملاحمها في هذه المنطقة الخفية من الذات البشرية Un-conscious Conflicts، وهي صراعات تم كبتها أو نسيانها، ولكنها قد تظهر في شكل أعراض الأمراض العُصابية. فاللاشعور هو مخزن أو مستودع الأفكار والمشاعر والرغبات غير المقبولة أخلاقيًا، أو اجتماعيًا، ويمكن الإفصاح عنها تحت تأثير التنويم المغناطيسي، أو التخدير، حيث تضعف مقاومة الإنسان فيميط اللثام عن مكونات ذاته Hypomsis.

م

مسؤولية جنائية Criminal responsibility

أي مسؤولية الفرد أو تبعيته لما قام به من أفعال إجرامية، بحيث يُحمَّل جريرة ما أتاه من أفعال وما ألحقه بالغير من أضرار أو أذى، ويُلزَم بذلك عن جبر الخسارة الناشئة عن فعله، أو ينال العقاب والردع والتقاضي العادل. والمسؤولية الجنائية تختلف عن المسؤولية المدنية، كأن يسأل الأب عن أفعال ابنه القاصر، والمسؤولية التعاقدية التي تقضي بالتزام كل طرف ما وافق عليه في العقد. والمسؤولية الجنائية تقضي بضرورة توقيع العقوبة على مقترف جناية أو جنحة طبقًا لما يحدده قانون العقوبات Criminal Law وهناك المسؤولية الاجتماعية Social responsibility. وإذا ثبت بالدليل القاطع والملاحظات الطبية الدقيقة، أن المتهم كان ينطبق عليه الوصف القانوني للمجنون Insanity، فإنه لا يلقى العقاب، وإنما يودع في أحد المستشفيات العقلية لتلقي المعالجة. وهناك حالات كثيرة تدّعي الجنون للإفلات من إنزال العقوبة بها، وتتظاهر بالشذوذ في السلوك أو اتخاذ أوضاع جسمية شاذة أمام سلطات المستشفى، وبعد الحكم بالبراءة يتم اكتشاف قدرتهم على الإدراك وقت ارتكاب الجريمة، ويتظاهرون بالجنون للإفلات من الإدانة بالخداع Conviction. وغنيّ عن البيان أن اضطرابات الشخصية والاضطرابات الأخلاقية والسلوكية والعُصَابية كشدة الثورة والتهيّج والانفعال، أو الأمراض النفسية كالقلق والوسواس القهري والهستيريا والاكتئاب، والأمراض السلوكية كالسيكوباتية والانحرافات الجنسية والسرقة القهرية، والولع بإشعال النيران وغير ذلك من الاضطرابات، لا تُعفي من المسؤولية الجنائية. ولكن هناك إعفاء منها في حالة الإصابة بالذُّهانات العقلية الشديدة؛ أي الأمراض العقلية وليست النفسية، ومنها جنون الاضطهاد والعظمة والجنون الدائري وجنون الاكتئاب. وإن كان الواجب يقتضي إلغاء هذا الإعفاء من المسؤولية الجنائية حفاظًا على أرواح أبناء المجتمع وضرورة قتل القاتل مهما كان الأمر.

ن

نرجسية Narcissism

النرجسية هي نزعة عشق الذات، أو حب الذات، أو عبادة الذات Self-worship، وقد تتحول النرجسية إلى مرض نفسي يعرف باسم العُصاب النرجسي، حيث يعاني الفرد من حبه الشديد لذاته Marcissistic Neurosis، أي عُصاب عشق الذات، أي العشق المفرط للذات. وترجع التسمية إلى شخصية أسطورية يونانية قديمة هي شخصية نرجس أو نرسيس، حيث وقع هذا الشخص في عشق خياله الذي يتأمل فيه في المياه في بركة في قصره. والتعلق بالذات يُعدّ المرحلة المبكرة في حياة الطفل الجنسية، حيث يهتم أكثر من اللازم بجسمه، وذلك وفقًا لما تذهب إليه مدرسة التحليل النفسي. فالنرجسية حب الذات Self-Love، فالشخص النرجسيّ يسحب طاقته واهتماماته وميوله وشغفه من العالم الخارجي، ويرجعها إلى عالمه الداخلي، إلى الذات حول نفسه.

وفي الراشدين قد تعبر النزعات النرجسية عن الإعجاب الزائد بالذات، وبما أنجزه الإنسان من إنجازات، ويكثر حديثه عن نفسه ونجاحاته

وانتصاراته وبطولاته وتفوقه ونبوغه، وقد يُعجب بجسمه وما هو عليه من وسامة. ويشتغل بذاته أكثر من اللازم مع عدم الاهتمام بالآخرين. وقد تتحول إلى أثرة (أنانية) شديدة ومباهاة وكثرة الحديث عن الذات، وهي صفة منفّرة اجتماعيًا. وقد تدفع أنانية الفرد وحبّه الزائد لذاته للإضرار بمصالح الآخرين وإلى الاعتداء عليهم. وفي الحالات المتدهورة، ترتبط النرجسية بذُهان الفُصام، وهو مرض عقلي خطير كثير الانتشار Schizophrenia. وفي جنون العظمة Par-anoia، وفي بعض حالات الشذوذ الجنسي المثلي ترتبط الحالة بالنرجسية. ويلزم الاهتمام بتربية الطفل وتنشئته حتى لا يشب نرجسيًا أنانيًا محبًا لذاته منصرفًا عن حبّ الآخرين.

هـ

هلوسة Hallucination

أحد الأعراض المميزة لذُهان الفُصام Schizo-phrenia، أي المرض العقلي، وفيها يدرك المريض موضوعات حسية غير موجودة في عالم الحقيقة والواقع، وليس لها وجود إلا في خياله المرضيّ، حيث يسمع أصواتًا تناديه، ويرى أشباحًا في غرفة نومه، ويتذوق طعم السم فيما يتناول من الطعام. فالهلوسات قد تكون سمعية، أو بصرية، أو ذوقية، أو شمية، أو لمسية. ويكمن الخطر حين يتصرف المريض حيال هذه الأوهام، أو الأشياء، أو الأشباح، أو الحشرات، والأفاعي والزواحف التي يراها أمامه تصرفًا عدوانيًا، فيطلق النار عليها مثلاً فيصيب بعض الأشخاص. وتُعدّ الهلوسات في عملية التشخيص الطبي Medical Diagnosis الحد الفاصل في القطع بإصابة المريض بالفصام، فإذا وجدت الهلوسات بين الأعراض التي يعاني منها المريض كانت الحالة بالقطع فُصامية، فالهلوسات عبارة عن Seeing, hearing, Feeling, Tast-ing or smelling something that is not ac-tually present.

ولكن المريض لا يدّعي أو يتصنع عندما يقرر أنه يسمع أصواتًا تسبّه، أو يرى حمائم في غرفة نومه، فهو يدرك هذه الأشياء بالفعل. فهي إدراك حسي a sens perception لا يوجد ما يقابله من المثيرات الخارجية الواقعية؛ وتشير إلى وجود خلل في الوظيفة العقلية الخاصة بالإدراك الحسي وبعمل حواسّنا الخمس. وقد يُترجم هذا المصطلح للعربية بالهُلاس أو الهلوسة للمفرد إشارة إلى أخيلة وأوهام يظنها المريض وقائع في حين أنها اختلاق ذهني. وفي الطب هي مخادعة الحواس، أو مخالطة العقل وتصور وجود أشياء غير موجودة.

و

وراثة Heredity

الوراثة البيولوجية، أي الحيوية تشير إلى ما يُنقل إلينا ليس من الآباء والأمهات فقط، وإنما من الأجداد أيضًا، حتى الجد السابع وفقًا لنظرية مندل في تفسير الوراثة. تَنقُل الوراثة عبر الجينات Genes إلينا الخصائص والاستعدادات العامة والقدرات، والتي تظهر أكثر ما تظهر في طول القامة، ولون العينين، وشكل الشعر، ولون البشرة. وإلى جانب ذلك تؤثر الوراثة في كَمٍّ ما يولد به الفرد من ذكاء Intelligence؛ فالذكاء قدرة وراثية في جوهرها، وإن كانت الظروف البيئية تؤثر فيها إلى حد ما Environmental Factors لذلك فالإنسان، بحق، ابن البيئة والوراثة معًا، ومؤدى ذلك أنه المحصلة النهائية لتفاعل مجموعة العوامل الوراثية مع مجموعة العوامل والمؤثرات البيئية؛ كالتغذية والتربية والتعليم والتنشئة الاجتماعية ومقدار ما يتوافر للفرد من الرعاية والعناية والحماية والتحصين والوقاية، ومن التشجيع على استخدام ذكائه وتنمية خبراته وقدراته واتجاهاته وميوله وسمات شخصيته ومشاعره، وخاصة مشاعر الانتماء الوطني والأسري والعربي والإسلامي. وهناك في تراث مبحث الجريمة نظريات كانت ترى أن الجريمة ترجع إلى ما يرثه الإنسان من آبائه وأجداده، وكانت حجتهم ما يوجد من تشابه في السلوك الإجراميّ بين الآباء والأجداد والأبناء، بحيث يمكن الرجوع بالسلوك الإجرامي في عائلات بعينها إلى الأسلاف الأوائل. ولكن النظريات الحديثة لا تقبل هذا التفسير وحده، وإنما تأخذ العوامل الاقتصادية والاجتماعية والنفسية في الحسبان، حيث تنتقل الخصائص من الأصول إلى الفروع. وقد يرث الإنسان التفوق كما قد يرث المرض والضعف والعجز Hereditary deficing والمرض الوراثي Heriditary Disease.

وهناك دعوة الآن لفحص المقبلين على الزواج من حيث الأمراض الوراثية، حتى لا تنتقل إلى الذرية وللأجيال القادمة. فالوراثة تنقل الخصائص الوراثية من جيل إلى آخر From One genera-tion to the next.

وفي علم حديث هو الهندسة الوراثية هناك محاولات لتحسين الجينات الوراثية وخلق سلالات جيدة وراثيًا.

ي

يأس ـ قنوط ـ قطع الرجاء Despair

شعور Feeling نفسي أو انفعال نفسي Emo-tion من الانفعالات السالبة العديدة التي قد تعتري الإنسان، والتي قد تدفعه لاقتراف الجرائم والآثام Despondency Despondence، ومن تلك الانفعالات كذلك: الكراهية والتقزز والاشمئزاز والنفور والرفض والتمرد على الذات، أو على الغير، وفقدان الأمل والثقة والرجاء. وهي حالة تعتري كثيرًا من مرضى الأمراض العقلية والنفسية، وخاصة مرض الاكتئاب بنوعية: الاكتئاب الذُّهاني وهو مرض عقلي Psychotic depression شديد الخطورة، يعاني فيه المريض من شعور قاتل بالحزن والكآبة وانكسار النفس وانخفاض الروح المعنوية واليأس والقنوط والسخط والشعور ببخس القيمة الذاتية، وعدم جدوى الحياة؛ وقد تنتهي النوبة بالانتحار. والاكتئاب العُصابي Neurotic De-pression وهو درجة أخف من الحزن، ويصاحبها أيضًا الشعور باليأس. فاليأس حالة غير سارة أو غير إيجابية تبعد صاحبها من مشاعر الأمل في النجاح وبذل الجهد والطاقة والمحاولة والمثابرة والكفاح، وإنما تنحو به نحو الاستسلام. ويشعر الإنسان بانعدام الأمل Hopelessness. وهناك مناهج حديثة في علم النفس لعلاج مثل هذه المشاعر أو الانفعالات السالبة وتحرير الإنسان من وطأتها، وغرس مشاعر الأمل والرجاء والثقة والرضا والقناعة والسكينة والرحمة والشفقة والزهد والتوكل على الله، وما إلى ذلك، في حسّه ونفسه ووجدانه.

كن مع طليعة الصفوة المثقفة
واحرص على اقتنائها

المنهل

مجلة العرب الادبية

قضايا الحياة الثقافية
يتناولها أعلام الفكر والأدب

فتش عن الثمين
واحرص على اقتنائه

نحن نضع العالم بين يديك

اكثر من ٦٠ عاما
في خدمة المثقف
العربي من المحيط
الي الخليج

تصدر عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص ب ٢٩٢٥ ت ٦٤٣٢١٢٤ فاكس ٦٤٢٨٨٥٣

سعيد عقل.. وموازنة جائرة

شاكر سليمان شكوري

تعرّض أمير الشعراء أحمد شوقي لكثير من الحملات التي قصدت الحطّ من قدر عطائه الشعري، وأرادت أن تُقلّل من قيمته الأدبية، ولكن لم تفلح كل محاولات التشكيك في النيل من مكانة شوقي الشعرية، ولا استطاعت هذه المحاولات أن تزعزعه عن إمارة الشعر التي استحقها بأصالة موهبته، وثراء عطائه على مدى سنوات طويلة، عبّر خلالها عن آلام أمته وآمالها؛ فكتب في كل الأغراض الشعرية التي عرفها العرب قديمًا وحديثًا، وكان من الأركان التي نهضت عليها حركة الشعر العربي الحديث بعد طول سبات. وقد خلتُ أن محاولات التشكيك في المكانة الأدبية المرموقة التي تبوأها شوقي عن استحقاق واقتدار قد توقفت بعد أن ولّت الظروف التي أحاطت بها، ولكن يبدو أن هناك دوافع ذاتية ما تزال تحفز بعض الأدباء إلى التشكيك في رموز الأمة، والنيل منها، باختلاق مواقف نقدية والاحتكام إلى معايير تدّعي الموضوعية والعصرية، فقد تابعت أمسية شعرية نظمها في بيروت - مؤخرًا - الشاعر سعيد عقل، حاول فيها أن يجري موازنة بينه وبين أمير الشعراء أحمد شوقي، منتقدًا بيت شوقي المشهور الذي يقول فيه:

قُم للمعلم وفِّه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا

وفي نقده لهذا البيت، يدّعي سعيد عقل أن لفظة «قم» طفولية، واعترض على التبجيل الذي هو - في رأيه - يغاير معنى الإجلال، وتساءل عن مغزى الشطر الثاني من البيت، وأخيرًا يرى ضرورة مصادرة البيت كله من ديوان شعر العرب؛ لأنه - على حد زعمه - يزعجه، فهو ليس فيه شعر، ثم يورد بيتًا له هو يفوق - في رأيه - هذا البيت معنى وشاعرية، فينشد قائلاً:

قرأت كتاب الكون سطرًا محا سطرًا
معلمُ عُد فاكتبه أجملَ ما يُقرَا

وفات الشاعر أن إصدار الأحكام النقدية ينبغي أن يُبنى على مراعاة دقيقة للظروف الزمانية والمكانية والمناسبة الاجتماعية، والمناسبة هنا تكريم المعلم، ودعوة حارة للطلاب، أو من كانوا طلابًا، أن يعرفوا لهذا المعلم حقه من التكريم والتبجيل. ولفظة «قم» تحمل من معاني الاستنفار للمتعلم ما يتناسب مع منزلة المعلم التي توجب على المتعلم القيام من القعود ماديًا ومعنويًا.

أما قوله عن التبجيل والإجلال، فإن الفطرة السوية تأنف من استخدام الإجلال لغير صاحبه الواحد الأحد القائل في محكم آياته: *وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ والإكرامِ.* **الرحمن:** 27. إضافة إلى ذلك، فإنه لا يمكن الاستهانة بمادة «بجل» وما أضافه التضعيف من زيادة في المعنى.

وأما تساؤله عن مغزى الشطر الثاني من بيت شوقي، فهو لا شك يدرك أن الرسل أيضا معلمون، لكنهم يتميزون منهم بالتكليف الإلهي وبالعصمة وغيرهما، وهذا ما أفادته لفظة «كاد» بل كانت له واجبة.

وعمومًا، فإن الموازنة بين بيتي شوقي وعقل غير جائرة لاختلاف الغاية منهما، واختلاف المخاطبين بهما، وتباين المنهجين الاجتماعي والفلسفي اللذين سلكاهما، ومن شروط الموازنة تشابه الظروف العامة في أداء فكرة ما يمتاز بها قائل من غيره.

وكان بودنا لو حافظ سعيد عقل على غيرته على الشعر العربي، وظل على وفائه للغة العربية في منابع أصالتها ونقائها، ولكنه رضي أن تقوم شهرته على تبنيه الدعوة إلى العامية ومهاجمة التراث، وتمجيد كل ما هو غربي. فلا يكون انزعاجه من بيت شوقي إلا من منطلق قول الشاعر العربي القديم:

قد تُنكِرُ العينُ ضوءَ الشمسِ من رَمَد
ويُنكِر الفمُ طعمَ الماءِ منْ سَقَمِ

نعم، فالأمر كذلك، لأن بيت أمير الشعراء يدور على ألسنة الأجيال، لا يكل الناس ولا يملون من ترديده كلما جاء ذكر المعلم ومكانته في مجتمعه.

لقد أصبح هذا البيت قولاً خالدًا، خلود جريان النيل العظيم، وتعلق به الذائقون للشعر الأصيل، والمدركون لأساليب النظم، الذين ما يزالون يحتفظون بذائقة سليمة، وفكر وقّاد، يستدلون بهما على الدرر من عيون الشعر العربي.

وتذهب محاولات النيل من القمم الأدبية التي تبوأت مكانتها في ديوان العرب بأصالتها وعظيم عطائها أدراج الرياح، فلا نملك إزاءها إلا ترديد قول الشاعر العربي:

كناطحٍ صخرةً يَوْمًا ليُوهنَها
فلم يَضِرْهَا وَأوهَى قَرْنَهُ الوَعِلُ

نهاية التاريخ

من هيغل إلى فوكوياما

الأديان السماوية كافة تؤمن بأن العالم يسير إلى نهاية، حيث يكون البعث والنشور والحساب.

وقد وجدتُ جورج فيلهلم فريدرخ هيغل (1770/1831م) يؤمن بأن ثمة صراعًا للمتناقضات الفكرية أطلق عليه الجدل أو التماحك (الديالكتيك)، فهو طريقة خاصة في البحث، وأسلوب في المناظرة قديمًا، لكنّه حوّله إلى شيء جديد، إذ «أصبح طريقة لتفسير الواقع، وقانونًا عامًا ينطبق على مختلف الحقائق، وألوان الوجود، فالتناقض ليس بين الآراء ووجهات النظر فحسب، بل هو ثابت في صميم كل واقع وحقيقة، فما من قضية إلا وهي تنطوي في ذاتها على نقيضها ونفيها»(1).

د. نعمان عبدالرزاق السامرائي

وقد أقام هيغل منطقًا على هذا الأساس، وجعل من هذا تفسيرًا للمجتمع والتاريخ، والدولة، بل كل مظهر من مظاهر الحياة.

ثم جاءت الماركسية فتتلمذت عليه، ووضعت المادية التاريخية، لتفسر بها سير الحضارة والتاريخ.

لقد أقام هيغل منطقه على ما عُرف «بصراع المتناقضات». «فكل قضية في الكون تُعدّ إثباتًا، وتثير نفيها في الوقت نفسه، ويأتلف الإثبات والنفي في إثبات جديد، فالنهج المتناقض للديالكتيك أو الجدل، الذي يحكم العالم، يتضمن ثلاث مراحل، تدعى الأطروحة والطباق والتركيب، وبتعبير آخر: الإثبات والنفي، ونفي النفي، وبحكم هذا المنهج الجدلي يكون كل شيء مجتمعًا مع نقيضه، فهو ثابت ومنفي، وموجود ومعدوم في وقت واحد»(2).

وكل فترة أساسية تنمّي فكرتها الرئيسة إلى الحد الأقصى، ثم تولّد أضدادها أو نقائضها، ويستمر الصراع على هذه الصورة حتى تتحد المتناقضات في وحدة عليا «الموحّد أو الجامع» وهو أفضل من الفكرة ونقيضها، ثم ينحل هذا ليتولد عنه فكر جديد ونقيض، هكذا تستمر الحال حتى تصل الفكرة إلى «المطلق» الذي يخلو من التناقض والصراع(3).

ومن الأمثلة التي يضربها هيغل تتضح فكرته جيدًا، فهو يرى مثلاً:

1- الله تعالى يمثل اللامتناهي (فكرة).

2- الإنسان يمثل المتناهي (نقيض).

3- السيد المسيح - في رأيه - يجمع بين (الفكرة والنقيض)، فهو إله إنسان في الوقت نفسه.

وهذا مثال آخر يضربه قائلاً:

1- عهود السلطة المطلقة في الحكم (فكرة).

2- يعقبها عهود فوضى (نقيض).

3- من الفكرة والنقيض يأتي عهد دستوري يجمع بين الفكرة والنقيض، والنقيض هنا ليس «النقيض المنطقي».

فالنقيضان عند أهل المنطق الأرسطي لا يجتمعان معًا، ولا يرتفعان معًا، ولكنهما عند هيغل يجتمعان، وهذا لا يجعلهما من المتناقضات - وفق المنطق الأرسطي -.

ولو قال هيغل إن الفكرة تحرك وتهيج نقيضها؛ لكنت أول من يصفق له، ولكنه اختار غير ذلك. المهم: إن الوصول إلى «المطلق» الهيغلي هو نهاية الصراع، ونهاية التناقض، فهل يمكن أن نقول بشيء من التجوز: إنه نهاية التاريخ؟!

جدلية هيغل المثالية تغدو مادية عند ماركس!

قرأ ماركس جدلية هيغل فأعجب بها، لكنه وجدها مثالية، تتحدث عن صراع فكري، لذا أخذ الفكرة، لكنه غَيَّرَ في ميدان الصراع قائلاً: إنه بين طبقات المجتمع ومن أجل المادة وبسببها، ثم أطلق مقولته: لقد وجدت هيغل يقف على يديه، فجعلته على رجليه!!(4).

كناية عن نقل الفلسفة من مثالية إلى مادية، ومن الصراع الفكري إلى صراع الطبقات.

ويشرح فريدرك إنجلز (1820/1895م) حواريّ ماركس وتلميذه وصديقه أفكاره فيقول: «لقد اكتشف ماركس الحقيقة البسيطة التي ظلت حتى الآن مغطاة بالنمو الزائد للعقائد، وهذه الحقيقة: أن الإنسان يجب أن يأكل ويشرب ويتخذ سكنًا ولباسًا أولاً، قبل أن يبحث عن سياسة، أو دين، أو علم، أو فن، أو سواها.

لذا فإن وسائل إنتاج المعيشة المادية، ودرجة التطور الاقتصادي، التي يحصل عليها بعض الناس في حقبة معينة، نتيجة لذلك، كلاهما - أي الطعام وإنتاج وسائل المعيشة - يُكوّنان الأساس الذي تنمو عليه الدولة والأنظمة والأفكار القانونية والفن، وحتى الأفكار الدينية لهؤلاء الناس، والذي في ضوئه يجب أن تُفَسَّر هذه الأشياء لا أن يُفَسَّر هو في ضوء هذه الأشياء، كما كان يحصل حتى الآن»(5).

إذن فالمطلوب ألا نستدل من الأفكار والعقائد والنظم على الوضع الاجتماعي والاقتصادي، بل نجعل من ذلك مجرد انعكاس للوضع الاقتصادي الذي على قمته ورأسه «وسائل الإنتاج».

لنسلّم جدلاً بأن الإنسان الجائع سيكون همّه أن يجد ما يسد جوعه وعطشه، فإذا أكل وشبع، فهل يقف عند هذا الحد؟ أم يشتغل في اهتمامات وقضايا أخرى غير الطعام والشراب؟!

لو قال أصحاب الديانات مثل هذا لقيل لهم: لقد جعلتم الإنسان دابة، همّها علفها لا غير، وقد أهملتم عقله وعواطفه وجميع قدراته، وهبطتم به إلى مستوى البهائم!!

البشرية عند ماركس لها طريق واحد: الشيوعية!

وقد قرر ماركس وأصحابه أن تاريخ البشرية مرّ «بمحطات»، ومازالت أمامه أخرى، والكل يجب أن يسير على الطريق نفسه، وسمّوا هذا بـ «الحتمية التاريخية».

وجعلوا العالم كله يمرّ عبر طريق واحد ذي خمس محطات(6):

1- مرحلة الشيوعية الأولى، أو المشاعية البدائية: حيث كان كل ما على الأرض لكل من عليها، لذا لم ينشب صراع لعدم وجود الملكية الخاصة.

2- مرحلة الرق: فبعد اختراع الإنسان لبعض الأدوات انتقل من الشيوعية الأولى إلى عهد الرق، حيث انقسم البشر إلى أحرار وعبيد، واشتعل الصراع بينهما.

3 - مرحلة الإقطاع: فبعد أن عرف الإنسان الزراعة وتوسّع فيها انقسم المجتمع إلى رجال الإقطاع وعبيد الأرض، فالإقطاعي يملك الأرض ومن عليها من إنسان وحيوان ونبات، فإذا باع أرضه تبعها كل من عليها، وكان الصراع مشتعلاً ومحتدماً بين سادة الإقطاع والفلاحين.

4- مرحلة الرأسمالية: حين تحولت بعض المجتمعات من الزراعة إلى الصناعة انقسم المجتمع إلى أرباب رؤوس المال - وهم قلة - وعمال - وهم الكثرة - واشتعل الصراع بين الفريقين، وسينتهي بانتصار العمال، وعندها يتحول المجتمع نحو المرحلة الأخيرة.

5- الشيوعية الثانية: وتبدأ بانتصار العمال، وهنا يتوقف الصراع، وتُحَلّ الخلافات من طريق الود، والحوار، فلا تبقى حاجة للدولة والجيش والشرطة، وسائر وسائل القهر، لأن عهد الاستغلال قد ولّى وانتهى.

نهاية تشبه نهاية الكثير من التمثيليات «العربية» التي تنتهي عادة بزواج «البطل» من المرأة التي يحبها.

وهكذا أغلقت «الماركسية» ملف الصراع الذي استمر آلاف السنين بانتصار موهوم، وحلم مثل السراب، وإذا كان هذا بعض ما حدث في أوروبا، فتعميم التجربة بهذا الشكل مع القول بالحتمية التاريخية يجعلها «شطحة» تشبه إلى حد كبير شطحات «التصوف»، وما أدري: هل مازال هناك من يؤمن بهذه الأفكار، أم ماتت وذهبت مع أصحابها؟! المهم: أن تاريخ العالم سيتوج بانتصار العمال، وقيام الشيوعية الثانية، وذهاب أجهزة القمع والاستغلال وعلى رأسها الدولة، فمتى سيكون ذلك؟!

فرانسيس فوكوياما ونهاية التاريخ!

فوكوياما الياباني الأصل الأمريكي الجنسية، استعار جدلية هيغل ومزجها بجدلية ماركس ليخرج بنتيجة عجيبة وغريبة، مفادها: إن الإسلام كدين، والعرب كشعب، هما العدو التقليدي للغرب والمذهب الحر (الليبرالية)، ويرسم الصورة مستعملاً الألوان الإسرائيلية، فيرى أن الخطر الشيوعي قد زال، ويحذر الغرب من خطر الاسترخاء والخلود للراحة؛ لأن ذلك سيُولّد نوعًا من الفراغ، يمكن أن يملأه بديل آخر، فإذا ما أريد للتاريخ أن يظل فاعلاً مملوءًا دون فراغ، فليحذر الغرب هذا البديل (الإسلام وأهله)، ذلك أن التاريخ، كالطبيعة، يقتله «الفراغ» (كذا).

والإسلام - في نظره - هو العدو الذي سيثقل ويعطل النهاية الحتمية للتاريخ، أما الحتمية التي سيعطلها الإسلام فهي: بداية ما بعد التاريخ! (وبالمناسبة، فقد تعلم الرجل من ماركس ذم هيغل وتبني أفكاره، كما يذم ماركس، ويتبنى حتمياته «التاريخية»!).

والذي أود أن أعلمه من هذا الدعيّ المتغرب: هل لديه شجاعة ليقول كلمة في اليهود، وموقفهم من الأمم الأخرى، أم هو يضرب «خنجراً بالتبن» كما في المثل؟!

ففي الغرب كل من يريد أن يصير بطلاً ومفكرًا وفيلسوفًا، فما عليه إلاّ أن يهاجم الإسلام ويشتم العرب، ثم يُرَشَّح لجائزة «نوبل»، أو غيرها!! ولا أحسب فوكوياما إلاّ ممن يحلم بذلك.

هنتغتون يغني الموال ذاته!

وصموئيل هنتغتون يغني الموال نفسه، ولكن تحت عنوان «صدام الحضارات». لقد نشر عام 1993م مقالاً جاء فيه: إن غياب العدو الشيوعي، لا يعني زوال التهديد بالنسبة للغرب وأمريكا، فإذا أريد الاحتفاظ بزعامة العالم، فيجب البقاء على أهبة الاستعداد كقوة ضاربة وضارية، وذلك للدفاع عن الغرب وحضارته (وهذا الموال تغنيه إسرائيل منذ وجدت حتى اليوم).

لذا يجب الاحتفاظ بكل وسائل القوة، فإن لم يحصل ذلك من أمريكا، فالصدام آت لا محالة، وسيكون هذه المرة صدام حضارات، وليس نهاية التاريخ كما يقول فوكوياما.

الصراع سيكون ثقافيًا بين الغرب والحضارة العربية الإسلامية، وهي القادرة على المواجهة، والإسلام قادر على القيام بمهمة المقاومة، كما هو قادر على التعبئة والتحريك من (المغرب إلى أندونيسيا)، ومن أجل أن تكون الحرب شرعية، والصدام مشروعًا راح هنتغتون يصف حضارتنا بالتطرف والإرهاب والظلامية والأصولية، كما فعل سلفه فوكوياما.

ويزيد هنتغتون بأن أسباب الصراع تعود إلى الصحوة الإسلامية والعزلة التي يعيشها العالم الإسلامي.

ومعلوم أن جميع أحلام القطط تدور حول الفئران، وجميع اللصوص يتمنون أن يكون نوم الناس عميقًا، حتى يمكن سرقتهم بيسر وسهولة.

ولعل من حسنات هنتغتون إشارته إلى أن دوافع الصراع دينية أو عرقية. والذي صعب عليّ فهمه أنه اختزل الحضارة اختزالاً أجهل دوافعه، فأبعد منها الفنون، والآداب، والعلوم والتقنية، وكل أوجه الثقافة وأنماط الحياة. فماذا بقي من الحضارة إذن؟!

والرجل يصرح بعد هذا كله بأن الحضارة العربية هي ضد الغرب وحضارته المسيحية.

إنه يخشى أن يُتَّهم بالتعصب ضدنا، فجعلنا نحن الذين نتعصب ضده، ولولا الحياء لقال: نحن الذين أشعلنا الحروب الصليبية، ونحن الذين عبرنا البحر وغزونا الغرب! ومن يدري فلعلّ في الطريق مثقفًا يجهز كتابًا يتهمنا بإشعال نار الحرب العالمية الأولى والثانية، وربما اتهمنا بقتل اليهود، وضرب هيروشيما ونجازاكي بالقنابل النووية، وربما بقتل الهنود الحمر...!!

فهل الغرب يخاف منا؟ أم يبحث عن عدو يجعله رمزًا فيوجه شعوبه نحوه؟

إنّ الغرب عاش في صراع وتقاتل لا مثيل لهما، ويبدو أنه لا يريد أن يبقى من دون عدو، فجعل منا هذا العدو شئنا أم أبينا!

الهوامش:

2-1- فلسفتنا، محمد باقر الصدر، دار المعارف للمطبوعات، ص 221، 223.

3- المرجع السابق، ص221، ونحو فلسفة علمية، د. زكي نجيب، ص343.

4- الفكر المادي الحديث، د. محمود عثمان، الطبعة الأولى، ص243.

5- تفسير التاريخ، صديقي، ترجمة الجوادي، الطبعة الأولى، ص90.

6- الفكر المادي الحديث، ص274، وتفسير التاريخ، ص89.

صدر بثلاث لغات:
الكتاب المصور لجلالة الملك عبدالعزيز



صدر عن وزارة الإعلام في طباعة فاخرة كتاب مصور عن مؤسس المملكة وباعث نهضتها الملك عبدالعزيز آل سعود ـ طيب الله ثراه ـ، يضم مجموعة من الصور النادرة والمختارة للملك المؤسس وعائلته، تؤرخ بالصورة لتاريخ المملكة ومراحل تأسيسها.

وقد جاءت مقدمة الكتاب وتعليقات الصور بثلاث لغات، هي: العربية والإنجليزية والفرنسية. وضم الكتاب أربعة فصول صُنِّفت الصور على أساسها، فالفصل الأول «الملك عبدالعزيز»، ضمَّ صورًا شخصية لجلالته التُقطت في مراحل مختلفة من عمره، أقدمها صورة لجلالته في الكويت عام 1910م. أما الفصل الثاني فقد حفل بصور الملك عبدالعزيز مع أبنائه وأقربائه. وضم الفصل الثالث صور جلالته ـ يرحمه الله ـ في المناسبات العامة؛ مثل زياراته التفقدية لمناطق المملكة المختلفة، وافتتاحه المشروعات الاقتصادية، ولاسيما الاحتفال باكتشاف البترول، وتصديره أول مرة من رأس تنورة، وزياراته لبعض العواصم العربية والأجنبية. وفي الفصل الأخير صور للملك عبدالعزيز مع زعماء العالم تُبرز ما كان لجلالته ـ يرحمه الله ـ من اتصالات واسعة مع قادة العالم، وتأثيره الكبير في الأحداث التاريخية التي عايشها.

وقد جاء في مقدمة هذا الإصدار أنه يُعدّ «عملاً رمزيًا في إطار إسهامات وزارة الإعلام ممثلة بالإعلام الخارجي في خدمة تاريخ الملك عبدالعزيز وتخليد ذكرى مآثره وتوثيق منجزاته، وذلك دعمًا لما تقوم به المؤسسات العلمية والبحثية في المملكة وفي غيرها من بلدان العالم».

جائزة أبها الثقافية

تحددت نهاية شهر محرم 1418هـ المقبل موعدًا نهائيًا لاستقبال المشاركات في جائزة أبها الثقافية في مجالات: المجموعات الشعرية والقصصية والرواية والنصوص المسرحية، والمجموعات الشعرية الشعبية، والفن التشكيلي، والتصوير الضوئي (الفوتوغرافي)، والبحوث الأدبية والإنسانية، والدراسات العلمية والتطبيقية.

وتقرر أن يكون موضوع البحوث هذا العام: الدراسات الاجتماعية حول التنمية بمنطقة عسير في ضوء الخطط الخمسية الماضية، فيما تقرر أن يكون مجال البحث في الدراسات العلمية والتطبيقية عن «الدراسات البيئية حول السياحة في منطقة عسير.. إنجاز وطموحات».

يُذكر أن المسابقة مفتوحة أمام الجنسين من السعوديين وأبناء دول مجلس التعاون والمقيمين العرب في المملكة العربية السعودية.

اثنينية خوجة تكرم د. خفاجي


د. محمد عبد المنعم خفاجي

نظمت اثنينية عبدالمقصود خوجة أمسية ثقافية في جدة تكريمًا للناقد والأديب الكبير د. محمد عبدالمنعم خفاجي، مؤسس رابطة الأدب الحديث، ورئيس جماعة أبوللو الجديدة، احتفاء بزيارته للمملكة.

شارك في الأمسية الناقد المصري د. عبدالعزيز شرف، و د. محمد عبده يماني، والشاعر حسن عبدالله القرشي، و د. محمد مريسي الحارثي، والشاعر مصطفى زقزوق،

الحركة الثقافية في شهر

خمسون مفكرًا وباحثًا عربيًا يناقشون دور الثقافة في التضامن العربي، ويدعون إلى ميثاق للقيم بين المفكرين العرب

تونس تضع خطة لبرامج ثقافية متنوعة لتنفيذها عام 1997م بمناسبة اختيارها عاصمة ثقافية للعالم العربي

خبراء في الإعلام والتربية وعلم النفس يناقشون ـ تحت رعاية اليونسكو ـ مستقبل الشباب ووسائل الإعلام

وفاة عبدالله العلايلي وعبدالحميد كشك وعبدالسلام الشريف

إعلان أسماء الفائزين بجوائز معرض الشارقة الدولي للكتاب، ومهرجان كفانيس الشعري، وبينالي القاهرة الدولي السادس

رئيسة جمهورية أيرلندا تفتتح مركزًا ثقافيًا إسلاميًا في العاصمة دبلن



في لقاء تناول توظيف العمالة الوطنية في القطاع الخاص:

سمو الأمير نايف:

المطلوب تشجيع الشباب على تبنِّي المشروعات الصغيرة

عقد صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز، وزير الداخلية رئيس مجلس القوى العاملة، في يوم 22 رجب الماضي لقاءً مع عدد من المسؤولين ورجال الأعمال، تمَّ خلاله استعراض توصيات الندوة التي عُقدت في شهر رجب من العام الماضي بعنوان «توظيف العمالة الوطنية في القطاع الأهلي».

وركز سموه في كلمته على أن المهم ليس عقد الندوات أو المؤتمرات، ولكن الأهم هو النتائج التي تتحقق من ذلك. ومما جاء في كلمة سموه: «إن المواطنة الحقة كما نفهمها وتفهمونها هي تغليب المصلحة الوطنية والاجتماعية على المصلحة الذاتية، فالوطن ليس هو ما تحقق لنا من مصالح اقتصادية، ولكنه باختصار هو الحياة».

وقد أشار سموه إلى أن موضوع توظيف العمالة الوطنية في القطاع الأهلي يجب أن يتجاوز توفير الوظيفة إلى تشجيع الشباب على العمل في هذا القطاع، وتغيير مفاهيمه عن نوعية العمل وأهميته. وأضاف سموه: «المطلوب أيضا تشجيع الشباب على الدخول إلى ساحة القطاع الخاص من خلال المشاريع الصغيرة ذات الفائدة للوطن والمردود الذاتي، وهناك الكثير من المشاريع التي يمكن لشبابنا أن يبدأها». وأشاد سمو وزير الداخلية رئيس مجلس القوى العاملة بارتفاع معدل النمو السنوي للمتدربين في الغرف التجارية والصناعية خلال العامين الماضيين بنسبة بلغت نحو 45٪، منوهًا إلى أن الطموحات أبعد من ذلك بكثير.

وألقى الأمين العام لمجلس القوى العاملة الدكتور حسين بن عمر الحازمي كلمة أشار فيها إلى أهمية هذا اللقاء الذي عَبَّرَ عن تكامل الجهود وتضافرها لما فيه خير هذا البلد ورفاهية مواطنيه. ثم استعرض بعد ذلك التوصيات وآلياتها التنفيذية. وقد بلغ عدد التوصيات إحدى وأربعين توصية، تركزت في أربعة محاور، هي: المواءمة بين مخرجات التعليم والتدريب واحتياجات السوق، واحتياجات سوق العمل والأجهزة القائمة على خدمة هذه السوق، وسياسات الإعلام والتوعية، وأخيرًا الأنظمة والتشريعات.

والناقد عابد خازندار.

وعَبَّرَ راعي الاثنينية الأديب عبدالمقصود خوجة عن ترحيبه بالدكتور خفاجي، مؤكدًا أن زيارته للمملكة للالتقاء بأدبائها تُعدّ فرصة لأن يلتقي مع تلاميذه، فهو بحق عَلَمٌ بمؤلفاته التي وصل عددها إلى خمسمئة مؤلف في الأدب والنقد والتاريخ والشعر والتفسير. وأشار د. محمد عبده يماني إلى أن للدكتور خفاجي أيادي بيضاء على الكثير من أدبائنا، فيما وصف د. عبدالعزيز شرف المحتفى به بأنه محيط يصعب تجاوزه، وقال د. محمد مريسي الحارثي: إن د. خفاجي أستاذ الأستاذية وموسوعة علمية مثل العلماء الأوائل الذين كانوا يكتبون في كل شيء.

ندوة الوعي الثقافي

نظمت جامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران - مؤخرًا - ندوة بعنوان «الوعي الثقافي.. كيف يكون؟» بمشاركة عدد من الأكاديميين والمفكرين.

دارت مناقشات الندوة حول ثلاثة محاور رئيسية، هي: تعريف الثقافة ودورها، ودور المثقف في صياغة قضايا أمته، والمكتبات بوصفها رافدًا من روافد الوعي الإنساني.

وأكد المشاركون في الندوة أهمية الثقافة بوصفها نتاجًا اجتماعيا إنسانيًا، مشيرين إلى أن المثقفين كانوا في صدارة التاريخ منذ شاعر القبيلة وإلى اليوم.

«عالم المخطوطات والنوادر»

هذا هو اسم أحدث مجلة فصلية نصف سنوية، صدر عددها الأول - مؤخرًا - منبثقًا عن مجلة «عالم الكتب» التي يرأس تحريرها د. يحيى محمود ساعاتي.

تناول العدد الأول من المجلة الكتب غير المطبوعة والنادرة، وتضمن موضوعات بأقلام مجموعة من الكتاب البارزين، منهم: عبدالرحمن المزيني، وعبدالله العمير، وعبدالله المنيف.

معرض لفن الكاريكاتير

ينظم المركز السعودي للفنون التشكيلية في جدة المعرض الأول لفن الكاريكاتير خلال شهر شوال المقبل.

يشرف على المعرض الذي يستمر أسبوعًا الفنان أحمد المغلوث، ووجه المركز الدعوة إلى فناني الكاريكاتير للمشاركة في المعرض.

دراسة عن مشكلات التربية العملية

أعد الأستاذ عبدالله محمد قبيسي المحاضر بجامعة الملك سعود دراسة عن مشكلات التربية العملية في جامعتي الملك سعود والإمام محمد بن سعود الإسلامية.

تناولت الدراسة واقع الإعداد، وواقع التربية العملية في الجامعتين، واهتمت بعرض

النتائج الميدانية وتحليلها ومناقشتها، بدءاً بالمشكلات المشتركة بين الجامعتين، ثم المشكلات الخاصة بكل جامعة على حدة، مع تعليل وجوه الاختلاف، وإبراز الفروق ذات الدلالات الإحصائية بينهما.

وقد قدم الباحث خلاصة شاملة لمشكلات التربية العملية، واقترح في ضوئها التوصيات الملائمة للجامعيين.

كتب جديدة

الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية، تأليف إيجيرو ناكانو، ترجمته إلى العربية سارة تاكاهاشي، صدر عن دارة الملك عبدالعزيز في الرياض.

ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب، تأليف د. عبدالله عباس الندوي.

نحو مشروع حضاري للإسلام، تأليف د. أحمد القديدي.

الشريعة والتشريع، تأليف فاطمة السيد علي سباك.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة ضمن سلسلة «دعوة الحق» التي تصدر عن رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

تفسير آيات أشكلت، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية (ت 728هـ)، تحقيق وتقديم عبدالعزيز محمد الخليفة، صدر عن مكتبة الرشد بالرياض.

ذم الرياء في الأعمال والشهرة في اللباس والأحوال وكراهية الصفق والزفن عند سماع الذكر، تأليف أبي محمد الحسن بن إسماعيل بن محمد الضراب (ت392هـ) تحقيق د. محمد باكريم محمد باعبدالله، صادر عن دار البخاري بالمدينة المنورة.

الإمارات

الفائزون بجوائز معرض الشارقة للكتاب

أُعلنت أسماء الفائزين بجوائز معرض الشارقة السنوي الخامس عشر للكتاب، التي تمنحها دائرة الثقافة والإعلام بإمارة الشارقة.

فاز بجائزة أفضل كتاب في العلوم والدراسات الإسلامية داود سلمان السعدي عن كتابه «أسرار الكون في القرآن» الذي نشرته دار الحرف العربي للطباعة والنشر والتوزيع في بيروت عام 1996م، فيما نال جائزة أفضل كتاب في العلوم عادل رفقي عوض عن كتابه «النفايات السامة» الذي نشرته دار الشروق في عمان عام 1996م، وتقاسم جائزة أفضل كتاب في الإبداع الأدبي د. إحسان عباس عن كتابه «غربة الراعي» الذي نشرته دار الشروق في عمان 1996م مع الشاعر سركون بولص عن ديوانه «حامل الفانوس في ليل الذئاب» الذي نشرته دار الجمل في كولون بألمانيا، وتقاسم جائزة أفضل كتاب للأطفال كل من المؤلفة أمل الغانم والرسام علي شمس الدين ودار الحدائق للنشر في بيروت عن كتابهم المشترك «صديقي يحبني كثيراً» الصادر عام 1995م.

من الكتب الجديدة

المنتقى من مخطوطات جامعة بطرسبرج: كلية الدراسات الشرقية، إعداد: خالد أحمد الريان وعبدالقادر أحمد عبدالقادر، بإشراف د. عبدالرحمن فرفور، صدر عن مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي.

البحرين

مهرجان «القلوب مجتمعة»

اختُتم في المنامة في مطلع شهر شعبان الماضي المهرجان الثقافي الفني البحريني - السعودي: «القلوب مجتمعة».

تضمن المهرجان أمسيات شعرية ومحاضرات، ومعرضًا فنيًا ثقافيًا يضم مجموعة كبيرة من الصور التاريخية والوثائق التي توضح مدى عمق علاقة البلدين، إضافة إلى حفل فني كبير أحياه مجموعة من فناني البلدين.

الكويت

اتفاق لطبع جزء من «العربي» بالقاهرة

وقَّعت وزارة الإعلام الكويتية اتفاقًا مع دار الشروق للنشر والتوزيع، تقوم الأخيرة بموجبه بطباعة جزء من أعداد مجلة «العربي» الثقافية الكويتية في القاهرة.

يتيح هذا الاتفاق سهولة وصول مجلة

محاضرات وندوات

«التجربة الشعرية عند مطلق الثبيتي شاعر الحلبتين»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي الطائف الأدبي، د. مطلق حميد الثبيتي، وقدَّم للمحاضرة د. عثمان الصيني أمين النادي.

«الشعر والنثر»، موضوع محاضرة ألقاها في نادي القصيم الأدبي في بريدة، د. محمد مريسي الحارثي.

«علم مقاربة النص»، عنوان محاضرة ألقاها في النادي الأدبي في جدة، حسين بافقيه.

أحيا د. إبراهيم العواجي أمسية شعرية ولقاء مفتوحًا في نادي أبها الأدبي.

«الالتزام بين النظرية والتطبيق»، عنوان محاضرة ألقاها في النادي الأدبي في حائل، أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري.

«قراءة في شعر الشباب»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي تبوك الأدبي، د. سعيد مصلح السريحي.

«الرواية السعودية في آثار الدارسين»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي القصة السعودية بالرياض، د. سلطان بن سعد القحطاني.

«كائنات غير مرئية حولنا»، عنوان محاضرة ألقاها في كلية التربية الأساسية بجامعة الكويت، د. مرزوق يوسف الغنيم.

«المعاملات في الإسلام»، عنوان محاضرة ألقاها في قاعة الإمام محمد عبده بجامعة الأزهر سماحة شيخ الأزهر د. محمد سيد طنطاوي.

«الغندورة»، المجموعة القصصية الجديدة لفؤاد قنديل، نوقشت في ندوة بأتيليه القاهرة شارك فيها الدكاترة: صلاح فضل، وسعد البحراوي، وإبراهيم فتحي، وأدارها د. مدحت الجيار.

«نشأة الشعر النبطي وقيمته التاريخية»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي الرياض الأدبي، د. سعد الصويان.

الحركة الثقافية في شهر

«العربي» إلى أسواق بلدان المغرب العربي في أول كل شهر، كما يحقق وفرًا في أجور الشحن والتوزيع وفروق أسعار الطباعة يصل إلى قرابة مليون دولار سنويًا.

يذكر أن الدار نفسها كان قد سبق لها القيام بطبع «العربي» مدة عام في أعقاب عملية تحرير الكويت عام 1992م.

كتب جديدة

الإسلام والمسيحية: من التنافس والتصادم إلى آفاق الحوار والتفاهم، تأليف الكسي جورافسكي، ترجمه إلى العربية د. خلف محمد الجراد، وراجع مادته وقدم له د. محمود حمدي زقزوق، وصدر ضمن سلسلة «عالم المعرفة» عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

حقوق الإنسان في العالم المعاصر، تأليف د. سعاد الصباح، صدر عن دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع.

اليمن

معرض كاريكاتير «لا للتطبيع»

استضافت العاصمة صنعاء - مؤخرًا - معرضًا للكاريكاتير تحت عنوان «لا للتطبيع» في ذكرى قيام الانتفاضة الفلسطينية، أقيم على هامش المؤتمر الشعبي القومي الأول الذي دعا إليه ملتقى الحوار العربي لمقاومة التطبيع.

ضم المعرض 90 لوحة كاريكاتيرية لكبار فناني الكاريكاتير العرب، مثل: جورج البهجوري، وحجازي، وإيهاب، وخلدون غرايبة.

ندوة مالرو ومملكة سبأ

نظم المركز الثقافي الفرنسي - اليمني (بيت رامبو سابقا) ندوته الثقافية السنوية التي عُقدت هذه المرة تحت عنوان «أندريه مالرو ومملكة سبأ».

شارك في الندوة 36 أديبًا ومفكرًا فرنسيًا وعربيًا، تناولوا بالمناقشة جوانب من أوراق مالرو ومؤلفاته، إضافة إلى بعض القراءات الشعرية.

مصر

دعوة لحماية الطفل العربي من التلوث الإعلامي

دعا مؤتمر «أدب الطفل العربي وآفاق المستقبل» في ختام اجتماعاته بالقاهرة إلى حماية الطفل العربي من التلوث الإعلامي، وإيجاد صيغ وأساليب جديدة للكتابة للطفل عبر تشجيع كُتّاب الأطفال ونشر الجيد من الكتب، ووضع ميثاق شرف للعاملين في مجال أدب الأطفال في المجالات المقروءة والمسموعة والمرئية.

وطالب المؤتمرون بإنشاء شبكة لمكتبات الأطفال ضمن الشبكة القومية للمعلومات، ونشر مكتبات الأطفال في القرى والمدن والأحياء، وإعداد قوائم بالكتب الصالحة للاقتناء فيها، والاهتمام بالكتب الموجهة إلى الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة تأليفًا وتعريبًا وترجمة، وتكثيف جهود أجهزة الإعلام على المستوى القومي لنسج سياسة ثقافية تربوية للطفل.

ندوة الخليج على مر العصور

نظم اتحاد المؤرخين العرب - مؤخرًا - ندوته العلمية السنوية التي كان موضوعها هذا العام «الخليج على مر العصور».

شارك في أعمال الندوة التي استمرت ثلاثة أيام باحثون وأكاديميون من دول عربية مختلفة، إلا أنه لوحظ على الأبحاث التي قُدِّمت قلة اهتمامها بالواقع الاجتماعي في الخليج وتركيزها على الجانبين التاريخي والسياسي.

ومن أبرز الأبحاث التي نوقشت: «الجهراء ودورها في التجارة العربية القديمة» و«كاظمة في الجاهلية والإسلام» و«رجال الحديث في البحرين من الصحابة والتابعين» و«العلاقات بين إقليم الخليج وبلاد شرق إفريقيا في ظل الإسلام»، و«عمان في كتابات الرحالة في العصور الوسطى»، و«الانسحاب البريطاني ومشكلات الأمن الإقليمي في الخليج»، و«حركات الإصلاح العربية وصداها في المجال الثقافي» وموضوعات أخرى.

«النشاط الزائد»، عنوان محاضرة ألقتها في مركز توفيق طبارة في بيروت، هدى حسيني بيبي.

أحيا الشاعر حسن عبدالله القرشي أمسية شعرية في قاعة شهرزاد بجدة بدعوة من الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون

«تعريب العلوم»، موضوع ندوة أقامها منتدى أصحاب القلم في الكويت، شارك فيها الدكاترة: سهام الفريح وممدوح محمد خسارة، وأدارتها إقبال الغرابللي.

نظم المركز السعودي في لندن ندوة عن الشاعر الراحل بلند الحيدري، شارك فيها: محيي الدين اللاذقاني، ونجدة فتحي صفوة، وعبداللطيف أطميش، وأدارها عبدالله الناصر.

«الثقافة العربية المعاصرة وأثرها في المجتمع العربي»، عنوان محاضرة ألقاها في مقر المجلس العلمي الاقليمي في طنجة بالمغرب، د. إدريس الكتاني.

«الاستخدام الآلي في المكتبات ومراكز المعلومات المصرية بين الواقع والمستقبل»، موضوع ندوة أقيمت في مركز بحوث نظم وخدمات المعلومات بجامعة القاهرة، شارك فيها عدد من المتخصصين بمجالي المعلومات والمكتبات.

«جوانب علمية وتعليمية للقصص القرآني»، موضوع ندوة نظمتها في مسجد مصطفى محمود بالمهندسين في مصر جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة، وتحدث فيها د. أحمد صبري.

ألقى الروائي إبراهيم عبدالمجيد محاضرة عن تجربته الروائية في جامعة شيكاغو.

«تأملات في السيرة النبوية»، عنوان محاضرة ألقاها في مسجد الشربتلي بحي الربوة في جدة، الشيخ سعيد بن مسفر.

«مكتبة الإسكندرية»، موضوع ندوة نظمها في القاهرة المجلس الأعلى للثقافة، شارك فيها الدكاترة: ميلاد حنا، وسمير حنا صادق، وفيصل يونس، وأدارها د. جابر عصفور.

«من إشكاليات النقد الحديث»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي القصيم الأدبي في بريدة، د. محمود حسن زيني.

«مستقبل التربية والتعليم في جدة»، عنوان محاضرة ألقاها في النادي الثقافي الأدبي بجدة، د. خضر بن عليان القرشي.

المطالبة بتأسيس علم المصطلح العربي

طالب المؤتمر السنوي الثالث لجمعية «لسان العرب» الذي عُقد في القاهرة - مؤخرًا - تحت عنوان «مستقبل اللغة العربية» بتخصيص نوع من الدراسات التطبيقية والتنظيرية التي يمكن من خلالها تأسيس علم جديد في مجال اللغة العربية هو «علم المصطلح العربي».

وأوصى المؤتمرون بتحديث طرائق تدريس اللغة العربية، وتدريس النحو العربي مادةً مستقلة في المرحلة الإعدادية (المتوسطة) تنفيذًا لقرار مجمع اللغة العربية، وأكدوا أن اللغة العربية تعرضت لمخاطر عديدة عبر العصور واستطاعت أن تخرج منها سالمة، وأعربوا عن أسفهم لهبوط مستوى اللغة في العصور الحالية على ألسنة كثير من أبناء العربية.

دور الثقافة في التضامن العربي

التقى 50 مفكرًا وباحثا من مختلف أنحاء الوطن العربي في «المؤتمر الثقافي العربي الثالث» الذي استضافته مكتبة القاهرة الكبرى، وافتتحه وزير الثقافة المصري فاروق حسني.

عُقد المؤتمر تحت عنوان «دور الثقافة في التضامن العربي»، وناقش محاور مختلفة، منها: «النظام الثقافي العربي بين الأزمة والانهيار»، و«العلاقات الثقافية بين الدول العربية»، و«نحو ميثاق للقيم بين المفكرين العرب»، و«دور الثقافة في التضامن العربي».

وفاة الداعية الشيخ عبدالحميد كشك

توفي الداعية الشيخ عبدالحميد كشك عن عمر ناهز 63 عامًا.

ولد الشيخ كشك عام 1933م، وتعرَّض لفقد بصره في صغره بسبب المرض، وتخرج عام 1962م في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر حيث كان أحد أوائل الدفعة.

وضع الشيخ نحو 150 كتابًا إضافة إلى مئات من الأحاديث في أشرطة الكاسيت.

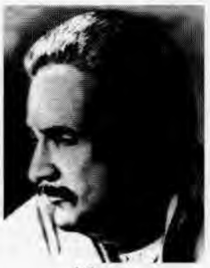
جائزة محفوظ للرواية

مُنحت الكاتبة والروائية الراحلة د. لطيفة الزيات، والروائي إبراهيم عبدالمجيد - مناصفة - جائزة نجيب محفوظ للرواية العربية، التي قدمها للمرة الأولى هذا العام قسم النشر في الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

نالت لطيفة الزيات الجائزة عن روايتها «الباب المفتوح»، فيما نالها عبدالمجيد عن روايته «البلدة الأخرى»، ويعد قسم النشر بالجامعة حاليًا لترجمة الروايتين الفائزتين إلى اللغة الإنجليزية تمهيدًا لنشرهما.

يُذكر أن الجائزة تأسست هذا العام وقيمتها ألف دولار وميدالية من الفضة عليها صورة محفوظ، وقررت الجامعة الأمريكية تقديمها سنويًا في ذكرى مولد محفوظ في ديسمبر من كل عام.

الاحتفال بذكرى إقبال



محمد إقبال

نظمت جامعة الأزهر بالتعاون مع سفارة الباكستان في القاهرة ندوة احتفالية بذكرى مولد الشاعر والمفكر الإسلامي الراحل محمد إقبال.

شارك في الندوة - بصفته ضيف شرف - سماحة شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي. وتناولت الندوة حياة إقبال وآراءه وشعره، ودوره إسلاميًا، ودوره في تأسيس دولة الباكستان.

الفائزون بجائزة كفافيس

اختتم مهرجان كفافيس الشعري الدولي - مؤخرًا - أعماله في مدينة الإسكندرية، وأُعلنت أسماء الفائزين بجوائزه لعام 1996م.

نالت جائزة الشعر العربي الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان، وتقاسم جائزة الشعر المصري الشاعران بدر توفيق وحلمي سالم، وفاز بجائزة الشعر اليوناني جورج ماركو بولو، وجائزة الدراسات المصرية اليونانية د. مصطفى العبادي الأستاذ بجامعة الإسكندرية.

يُذكر أن الجائزة أُنشئت قبل خمسة أعوام، وتحمل اسم الشاعر اليوناني الراحل كفافيس الذي عاش سنوات من عمره في مدينة الإسكندرية.

المهرجان العربي الأول للحِرَف التقليدية

عُقد في القاهرة المهرجان العربي الأول للحرَف التقليدية في إطار الاحتفال بالقاهرة عاصمة ثقافية للعالم العربي خلال شهر شعبان المنصرم.

نظمت المهرجان وزارة الثقافة بالتعاون مع المركز القومي المصري للفنون التشكيلية، وشاركت فيه 16 دولة عربية، وتضمن معرضًا للحرف والفنون التراثية، مثل الخزف، والأرابيسك، والمشغولات اليدوية، والرسم على الزجاج، وعروضًا فنية. كما أقيمت ندوة على هامش المهرجان تحت عنوان «صندوق عربي لتنمية الحرف التقليدية واستثمارها»، ناقشت الوضع الراهن للحرف التقليدية في الدول العربية، والمعوقات أمامها، وسبل الحفاظ على هذه الحرف والنهوض بها، ودور المؤسسات الأهلية في ذلك، إضافة إلى إجراءات إقامة صندوق عربي لتنمية الحرف التقليدية واستثمارها.

ندوة علمية عن مصطفى عبدالرازق

ينظم المجلس الأعلى للثقافة ندوة عن الشيخ مصطفى عبدالرازق، بمشاركة مجموعة من أساتذة الفلسفة والأدب خلال شهر شوال المقبل (فبراير 1997م).

تناقش الندوة أربعة محاور، يدور أولها حول مصطفى عبدالرازق بوصفه أول أستاذ مصري في الفلسفة الإسلامية باللغة العربية، ويناقش الثاني نشاطاته الأدبية، ويتناول الثالث دوره في الحياة الفكرية، ويدور الرابع حول أبرز تلاميذه، ومنهم الدكاترة: عبدالرحمن بدوي، وعلي سامي النشار، ومحمد أبو ريدة وغيرهم.

بينالي القاهرة الدولي السادس

نال الفنان المصري الشاب وائل أحمد شوقي الجائزة الكبرى لبينالي القاهرة الدولي السادس عن المركب الذي قام بعمله ويحمل اسم «بيوت النوبة والمجتمع المعاصر».

وفاز بالجوائز الخمس الباقية كل من الفنانين: ليتا البكرك (الولايات المتحدة

الحركة الثقافية في شهر

الأمريكية)، بيبي أورتيجا (إسبانيا)، جيجي فابريك (سويسرا)، ماكوس فلاديمير (سلوفانيا)، وناصر السومي (الأردن)، إضافة إلى ستة فنانين آخرين فازوا بجوائز لجنة التحكيم.

يذكر أن البينالي شارك فيه 181 فنانًا ينتمون إلى 46 دولة.

حياة الإسكندر الأكبر في معرض دائم

استضاف معهد د. حسن رجب للبرديات أول معرض تشكيلي دائم من نوعه في العالم عن القائد الإغريقي الإسكندر المقدوني.

تضمن المعرض 15 لوحة تشكيلية تحكي مراحل حياة الإسكندر وطفولته، إلى جانب بعض مقتنياته من الملابس الحربية والعملات المعدنية وعربته الجنائزية، وتصميم تخيلي لمقبرته التي لم يُعثر عليها حتى الآن.

وفاة الفنان التشكيلي عبدالسلام الشريف

فقدت الحركة التشكيلية واحدًا من أبرز مبدعيها بوفاة الفنان التشكيلي د. عبدالسلام الشريف عن عمر ناهز 86 عامًا.

وينتمي الفنان الراحل إلى جيل الرواد في العصر الحديث، حيث بدأ مسيرته الفنية عام 1935م عقب تخرجه في مدرسة الفنون الجميلة العليا، وقام عام 1970م بتأسيس المعهد العالي للنقد والتذوق الفني وتولى عمادته، كما كان رائدًا لفن الإخراج الصحفي، وعمل أستاذًا في جامعة الملك عبدالعزيز في جدة، ونال قبل ثلاث سنوات جائزة الدولة التقديرية في الفنون، كما ترأس القسم الفني في المعهد الفرنسي للآثار.

كتب جديدة

ساعة مغرب، رواية لمحمد البساطي، صدرت ضمن سلسلة «روايات الهلال» عن دار الهلال بالقاهرة.

الناس في مصر القديمة، تأليف د. فوزي مكاوي، صدر عن المجلس الأعلى للآثار.

الابتهاج في أحاديث المعراج، تأليف عمر بن الحسن أبي الخطاب بن دحية الأندلسي (ت 623هـ)، تحقيق د. رفعت فوزي عبدالمطلب، صدر عن مكتبة الخانجي.

نظرات في فكر الغزالي، تأليف د. عامر النجار، صدر عن دار المعارف.

الأبعاد السياسية لمفهوم الحاكمية: رؤية معرفية، تأليف هشام جعفر، صدر عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

دفاتر العنف المقدس، تأليف خوان جويتسولو، ترجمه إلى العربية وقدم له د. طلعت شاهين، وصدر عن دار مصر العربية للنشر والتوزيع.

طلب لجوء، مجموعة قصصية لعبد الإله عبدالقادر، صدرت عن دار نشر شرقيات.

حاخامات وجنرالات: الدين والدولة في إسرائيل، تأليف أحمد بهاء الدين شعبان، صدر عن دار نوارة للترجمة والنشر في القاهرة.

للموت وجه آخر، دراسة عن عشرة شعراء عرب أعدتها د. سعاد عبدالوهاب العبدالرحمن، وصدرت عن دار عين.

التاريخ العريق للحمير، كتاب ساخر لمجيد طوبيا، صدر عن الدار المصرية اللبنانية.

مشكلة الهمزة في العربية: بحث في تاريخ الخط العربي وتيسير الإملاء والتطور اللغوي للعربية الفصحى، تأليف د. رمضان عبدالتواب، صدر عن مكتبة الخانجي.

فلسطين

أول معرض دولي للكتاب

شهد أول معرض دولي للكتاب يقام على أرض فلسطين في غزة إقبالاً شعبيًا واسعًا من أهالي القطاع والمدن والقرى المحيطة به.

نظمت المعرض وزارة الثقافة والإعلام الفلسطينية بالتعاون مع إحدى الشركات، وشاركت فيه 140 دارًا للنشر من مختلف أنحاء العالم، عرضت زهاء مليون كتاب، تضمنت 70 ألف عنوان، وتضمن لقاءات بين رواد المعرض والأدباء والمسؤولين الفلسطينيين.

وأكد وزير الثقافة والإعلام ياسر عبدربه أن بلاده تحتاج إلى خطة وطنية شاملة تربط الثقافة بالتعليم، مشيرًا إلى أن الشعب الفلسطيني يواجه تحديًا كبيرًا في بناء مشروعه الثقافي.

عودة «الكرمل»

تقرر أن تعاود مجلة «الكرمل» الثقافية الفصلية الصدور مرة أخرى بعد توقف دام ثلاث سنوات؛ حيث سيتم إصدارها اعتبارًا من شهر يناير 1997م في طبعتين أولاهما في رام الله، والأخرى في القاهرة.


محمود درويش

يرأس تحرير «الكرمل» الشاعر محمود درويش، وقد صدرت للمرة الأولى عام 1981م في بيروت، ثم انتقلت عقب الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982م إلى نيقوسيا، واستمرت بها حتى توقفها.

الأردن

معرض للخطوط الإسلامية

نظم مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في استنبول بالتعاون مع المعهد الدبلوماسي الأردني والمتحف الوطني للفنون الجميلة - مؤخرًا - معرضًا في عمان للخطوط الإسلامية.

تضمن المعرض 56 لوحة خطية مختارة لأشهر الخطاطين المسلمين في 14 نوعًا من الخطوط المعروفة في العالم الإسلامي.

كتب جديدة

وجع النخيل، مجموعة شعرية لمحمد ضمرة، صدرت عن منشورات وزارة الثقافة الأردنية.

الصعود إلى الصفر، تأليف فيصل حوراني، صدر عن دار سندباد للنشر في عمان.

سورية

كتب جديدة

عربة توينبي، مجموعة قصصية للقاص راي برادبري، ترجمها إلى العربية شاكر الأنباري، وصدرت عن دار المدى في دمشق.

رحلة في تاريخ حوض الخابور (شمال ما بين النهرين)، تأليف خليل أقطيني، صدر عن دار الحصاد في دمشق.

دراسات في الإسلام السياسي، تأليف فايز سارة، صدر عن دار شرق - مغرب للخدمات الثقافية والطباعة والنشر.

البنيات الدالة في شعر أمل دنقل، تأليف عبدالسلام المساوي.

قصيدة ألف.. نون، للشاعر مفيد خنسة.

صدر الكتابان السابقان عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق.

سيرة القارئ، تأليف نبيل سليمان، صدر عن دار الحوار في اللاذقية.

لبنان

وفاة العلامة عبدالله العلايلي

فقدت اللغة العربية واحدًا من حماتها بوفاة العلامة اللغوي عبدالله العلايلي عن عمر ناهز 82 عامًا قضى معظمها حاملاً لواء اللغة العربية ومنافحًا عنها.



عبدالله العلايلي

ولد العلايلي عام 1914م في بيروت، وحين بلغ العاشرة ارتحل إلى مصر للدراسة في أزهرها، ثم في كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليا)، وعاد عام 1940م إلى بلاده.

وبدأ دخول الحياة الفكرية مبكرًا؛ حيث أصدر عام 1938م كتابه «مقدمة لدرس لغة العرب»، بعدها توالت مؤلفاته في اللغة والفكر والأدب، نذكر منها «مدخل إلى التفسير»، «المعري ذلك المجهول»، «المعجم الكبير»، «أيام الحسين»، «دستور العرب القومي» وكتب أخرى إلى جانب إشرافه على وضع المعجم العسكري.

تحولات عالم المعلومات
في معرض بيروت للكتاب

نظم النادي الثقافي العربي في بيروت معرضه السنوي الأربعين للكتاب العربي بمشاركة 150 دار نشر لبنانية و 50 دار نشر من سبع دول عربية.

وشهد المعرض في دورته الجديدة انتقال صالة عرضه من شارع الحمراء إلى مركز بيروت للمعارض بساحة الشهداء، ورافقه برنامج ثقافي مميز ضم مجموعة من اللقاءات والأمسيات والندوات والمحاضرات، من أبرزها ندوة «التحولات في عالم المعلومات»، ومحاضرة «العرب والغرب نظرة مستقبلية»، كما جرى تكريم بعض الرموز الفنية العربية.

مهرجان شعري عربي
في ذكرى أمين نخلة

نظمت وزارة الثقافة والتعليم العالي بالتعاون مع مؤسستين أهليتين مهرجانًا أدبيًا في بيروت احتفاء بالذكرى العشرين لوفاة الشاعر أمين نخلة.

أقيم المهرجان برعاية رئيس الجمهورية إلياس الهراوي، ومشاركة شعراء من مختلف الأقطار العربية، تباروا في إلقاء قصائدهم بهذه المناسبة، كما صدر كتيب خاص عن أمين نخلة، تضمن صوراً ووثائق تتعلق به.

كتب جديدة

أوهام النخبة أو نقد المثقف.

الدولتان، تأليف برتران بادي، ترجمه إلى العربية نخلة فريفر.

صدر الكتابان السابقان عن المركز الثقافي العربي في بيروت.

المسرح والكواليس، انتخابات 96 في

رسائل جامعية

«نظرة القرآن الكريم إلى الدنيا وأثرها في الشعر العربي إلى نهاية عصر الراشدين»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة أم القرى في مكة المكرمة، تقدم بها ثابت صغير مقبل.

«المسائل التي رجع فيها الإمام مالك في غير العبادات.. جمعًا ودراسة»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها عبدالحكيم بلمهدي.

«العقيدة الإسلامية في دائرة المعارف الإسلامية.. عرض ونقد»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة أم القرى في مكة المكرمة، تقدم بها خالد عبدالله عبدالعزيز القاسم.

«قراءة نقدية في تاريخ حركة النهضة الإسلامية في تونس وخطابها الفكري والسياسي»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن، تقدم بها الهاشمي الحامدي.

«دراسة الخواص التركيبية والضوئية والكهربائية والفولتضوئية الشاذة لشرائح رقيقة من النظام الثلاثي»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية للبنات في جدة، تقدمت بها رقية حسين محسن العريني.

«الرواية عند الكاتب الإيطالي جيوفاني فيرجا»، موضوع رسالة دكتوراة نوقشت في جامعة عين شمس، تقدمت بها عبلة تحسين حفني.

«الرمزية في مسرح باينجو»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة، تقدمت بها سهير جابر عصفور.

«تأثير تعاطي عقار سلفات الماغنسيوم على القلب»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الطب في بنها بمصر، تقدمت بها مشيرة مصطفى عرفي.

«التقنيات التعليمية ومدى الاستفادة منها في المعاهد الأمنية»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في المعهد العالي للعلوم الأمنية في الرياض، تقدم بها محمد أحمد الشعيبي.

«أثر المقومات البيئية على الأجهزة الأمنية»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في المعهد العالي للعلوم الأمنية في الرياض، تقدم بها عادي فالح البقمي.

الحركة الثقافية في شهر

فصـولها، تأليف نيقولا نصيف وروزانا بو منصف، صدر عن دار النهار للنشر.

عاصمة الأمل، ديوان لميشال سليمان، صدر عن دار النضال.

نايات كأنها الزينب، مجموعة شعرية لزينب مرعي الضاوي، صدرت عن دار الكاتب العربي.

حركة القوميين وانعطافاتها الفكرية، تأليف سهير سلطي التل، صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية.

وليس أي امرأة.. امرأة، ديوان شعر لسارة الخثلان، صدر عن دار الكنوز الأدبية.

زمن الياسمين، رواية لناديا شومان، صدرت عن دار المبتدأ.

جنوح الأحداث ورعايتهم في دولة الخلافة، تأليف محمد سعيد أبو زعرور، صدر عن دار البيارق.

وظيفة الألسن وديناميتها، تأليف أندريه مارتينيه، ترجمه إلى العربيه نادر سراج، وصدر عن دار المنتخب العربي.

تونس

خطة ثقافية للعام القادم

وضع اتحاد الكُتّاب التونسيين خطة لبرامج ثقافية متنوعة لتنفيذها خلال عام 1997م، بمناسبة اختيار منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) تونس عاصمة ثقافية لعام 1997م.

من أبرز النشاطات المقرر إقامتها: ندوة حول «الحوار الثقافي والحضاري لتونس»، وأخرى عن «الأدب التونسي المكتوب في الخارج.. وجسور التواصل مع الوطن»، وثالثة حول «الكتاب الأدبي في تونس.. الواقع والمستقبل»، ونشاطات ثقافية وأدبية وفكرية وفنية أخرى.

كتب جديدة

الاعتراف الأخير، مجموعة قصصية لمحمد الغطناسي، صدرت عن المؤسسة التعاونية المغاربية للطباعة والنشر.

هذا توقيعي زمن القبائل، مجموعة شعرية للشاعر التهامي الهاني، صدرت عن دار الأطلسية للنشر.

الجزائر

كتب جديدة

يا سيدي العفريت، مسرحية لعلال عثمان.

جسد يكتب أنقاضه، ديوان لحكيم ميلود.

صدر الكتابان السابقان عن منشورات التبين - الجاحظية.

المغرب

الإيسيسكو تقاوم الإرهاب فكريًا

تبنت المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (الإيسيسكو) تنفيذ برامج لنشر الأمن الثقافي في المجتمعات الإسلامية، ومحاربة الفكر الإرهابي الباطني وصُنّاع أدواته.

ترمي البرامج إلى توظيف نشاطات المنظمة لنشر الفكر النير وتعميمه في أوساط الشباب، عبر لقاءات تجمع العلماء والمفكرين، وإصدارات فكرية وثقافية وتربوية تخدم التوجهات البناءة الخيرة في المجتمعات الإسلامية وتدعمها.

جائزة الكتاني لإحياء التراث وتحقيق المخطوطات

احتفلت الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي في الرباط - مؤخرًا - بتوزيع جائزة

«سيناريو سينما الطفل بين النماذج الأجنبية والبحث عن الهوية القومية»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في المعهد العالي للسينما في مصر، تقدمت بها أسماء أبو طالب.

«البناء المقطعي في القصيدة الحديثة»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، تقدم بها حسام عقل.

«الشعر المسرحي عند محمود غنيم.. دراسة تحليلية ونقدية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر فرع الزقازيق، تقدم بها علاء فؤاد.

«خصومة التحكيم في القانون المصري والمقارن»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، تقدم بها علي بركات.

«النشر في الأندية الثقافية في المملكة العربية السعودية.. دراسة مسحية»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجدة، تقدم بها فهد سيف الدين الساعاتي.

«الجهود الدعوية لمسلمي اليهود من الصحابة رضي الله عنهم»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها أحمد حسان علي حسان.

«الطيرة والفأل.. دراسة عقدية»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدمت بها سعاد محمد السويد.

«العوامل المؤثرة على إخراج الصحف السورية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الإعلام بجامعة القاهرة، تقدم بها محمد خليل الرفاعي.

«بلاغة الصورة في شعر البياتي»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس، تقدم بها تيسير سلمان جريكوس.

«صيانة المخطوطات وترميمها بالكمبيوتر»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآثار بجامعة القاهرة، تقدمت بها وفيقة نصحي وهبة.

«مفاهيم النقد ومصادرها عند جماعة الديوان»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس، تقدم بها مجدي توفيق.

«رواية مدام بوفاري لفلوبير.. دراسة مقارنة بين النص الفرنسي والترجمات العربية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة، تقدمت بها هالة منصور العيسوي.

الراحل محمد إبراهيم الكتاني لإحياء التراث وتحقيق المخطوطات على الفائزين بها في دورتها الثانية.

نال الجائزة كل من: السعيد بنموسى عن بحثه «تاريخ فن تسفير المصاحف والكتب المخطوطة من عهد الموحدين إلى عهد العلويين»، والسعدية مجدولي عن تحقيقها لمخطوطة «الفوائد المحققة في إبطال أن التاء طاء مُرَقَّقة» لمؤلفها العلامة الشيخ ابن العباس أحمد بن خالد الناصري.

وتضمن حفل توزيع الجائزة محاضرة عن محمد الكتاني وجهوده العلمية ألقاها د. محمد حجي الأستاذ بجامعة محمد الخامس بالرباط.

مؤتمر للمؤسسات الثقافية العربية غير الحكومية

استضافت مدينة مكناس مؤتمرًا هو الأول من نوعه للمؤسسات الثقافية العربية غير الحكومية، عُقد تحت شعار «إلى أين يسير نشاط المؤسسات الثقافية العربية غير الحكومية» خلال المدة من 1 إلى 4 شعبان الماضي (12-15 ديسمبر 1996م) بمشاركة ممثلين لبعض البلدان العربية، هي: مصر، والكويت، ولبنان، وسورية، واليمن، وفلسطين، وموريتانيا.

ناقش المؤتمر دور المؤسسات الثقافية في توعية الجماهير، وسبل تمويل المشروعات الثقافية، ومسيرة المسرح العربي.

ورمى المؤتمر إلى إيجاد صيغة لتجمع ثقافي عربي يسهم في تدعيم العمل الثقافي.

جائزة لمهرجان جرش

مُنح مهرجان جرش الأردني للثقافة والفنون جائزة التعاون الدولي الكبرى التي يقدمها مهرجان الدار البيضاء الدولي للثقافة والسينما والتلفاز.

ومن المقرر أن يتسلم مدير مهرجان جرش الجائزة خلال حفل خاص يقام بالدار البيضاء خلال شهر ذي القعدة المقبل.

كتب جديدة

الإسلام والثقافة الأذربيجانية، الخصائص الرئيسية للتطور الثقافي في أذربيجان قديمًا وحديثًا، تأليف رفيق عليوف، صدر باللغتين العربية والإنجليزية.

التنمية الثقافية من منظور إسلامي، تأليف د. عبدالعزيز عثمان التويجري، صدر باللغات: العربية والفرنسية والإنجليزية.

صدر الكتابان السابقان عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

شطحات لمنتصف النهار، تأليف محمد بنيس، صدر عن دار توبقال للطباعة والنشر.

كازاقستان

تحقيق مخطوطات إسلامية

يقوم معهد الاستشراق في مدينة شين كنت بمشاركة وفد من علماء الأزهر بتحقيق مخطوطات إسلامية عُثر عليها في مكتبات المساجد الأثرية في ألماتا وشين كنت، وبعض قرى نهر الفولجا وجبال التاي.

وقد دونت هذه المخطوطات باللغات العربية والتركية والقزقية وبعض اللغات الأخرى التي كانت الشعوب المسلمة في آسيا الوسطى تتحدث بها. وتتناول موضوعات إسلامية مختلفة، ما بين أمور فقهية وشرعية ودراسات قرآنية وأحاديث شريفة، وما إلى ذلك من العلوم والمعارف الإسلامية والإنسانية، ويتناول بعضها المساجد الجامعة التي تحولت إلى جامعات إسلامية مفتوحة تُدَرِّس بها علوم القرآن الكريم والسنة الشريفة خلال قرن واحد من دخول القزق في الإسلام.

إيرلندا

مركز ثقافي إسلامي في دبلن

افتُتح في العاصمة الإيرلندية دبلن أحدث مركز ثقافي إسلامي بحضور رئيسة الجمهورية السيدة ماري روبنسون، ونائب حاكم دبي وزير مالية دولة الإمارات العربية المتحدة الشيخ حمدان بن راشد آل مكتوم، وعدد من الشخصيات وسفراء البلدان العربية والإسلامية.

يضم المركز مسجدًا، ومدرسة، ومكتبة، وقاعات للمحاضرات والمعارض.

ألمانيا

أسبوع ثقافي فني عربي

أقيم في بون - مؤخرًا - أسبوع للثقافة والفنون العربية في إطار احتفال جمعية الصداقة الألمانية العربية بمرور 30 عامًا على تأسيسها، و 20 عامًا على تأسيس غرفة التجارة العربية الألمانية.

تضمن الأسبوع عروضًا شعبية لفرق من مصر وسورية وليبيا والجزائر وقطر، ومعرضًا للفنون التشكيلية، وآخر للحرف والصناعات التقليدية العربية، إضافة إلى لقاءات ثقافية متنوعة، وجرى تكريم ثلاث شخصيات ألمانية عُرفت بمحبتها للعرب، وهم: هانز ديتريش جينشر، وهانز يورجن فيشينفسكي، ويرجن موللمان، وجميعهم وزراء سابقون.

بريطانيا

اكتشاف قصائد مجهولة لأودن

اكتُشفت مجموعة كاملة من قصائد الشاعر البريطاني الراحل و. هـ. أودن، أحد ألمع شعراء بريطانيا في القرن الميلادي الحالي مكتوبة على أوراق كراسة مدرسية.

وأعلن الباحث آدم سيسمان الذي اكتشف المجموعة أن الكراسة تضم عشرين قصيدة، يرجح أنها كتبت في حدود عام 1923م، حين كان الشاعر في السادسة عشرة من عمره، مما يعني أنها من بداياته الشعرية، مما قد يؤدي إلى إعادة النظر في آراء كثيرة تطرقت إلى بدايات أودن الشعرية.

جائزة تيرنر التشكيلية

مُنح الاسكتلندي دوجلاس جوردون (29 عامًا) جائزة تيرنر، أكبر جائزة بريطانية للفن التشكيلي.

وتُعدّ هذه المرة الأولى التي تُمنح فيها الجائزة لفنان يعمل في مجال الفيديو، واختير

جوردون لاستخدامه موضوع الذاكرة ووسائل الإعلام في ذكاء وإبداع.

أحدث الكتب

الديانات الحية: موسوعة الديانات العالمية، تأليف مجموعة من الباحثين، بإشراف ومراجعة ماري بات فيشر، وصدر عن منشورات أى. بي. توريز.

مقدمة لمسرح ما بعد الكونيالية، تأليف برايان كرو، وكروس بانفيلد، صدر عن مطبعة جامعة كمبردج.

السلالة (عن أسرة الزعيم الهندي الأسبق جواهر لال نهرو)، تأليف اس.اس. جيل، صدر عن دار نشر هاربر كولينز.

حقوق الأشوريين السياسية في العراق، تأليف ابرم شبيرا، صدر عن دار عشتار للطباعة والترجمة.

فرنسا

ندوة عالمية عن الشباب ووسائل الإعلام

تقيم منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) ندوة في باريس تحت عنوان «مستقبل الشباب ووسائل الإعلام» خلال شهر ذي القعدة 1417هـ (أبريل 1997م).

تبحث الندوة تأثير وسائل الإعلام الحديثة والألعاب الالكترونية في الشباب، وتأثير وسائل الإعلام في الشبيبة فكريًا، وظاهرة تعلق الأطفال بالتلفاز وتأثير ذلك فيهم.

يشارك في الندوة خبراء في الإعلام والتربية وعلم النفس من مختلف أنحاء العالم وتستمر خمسة أيام.

قضية اللغة الإنجليزية مرة أخرى

في خطوة تكشف مدى قلق أعضاء مجلس الشيوخ الفرنسي على مستقبل اللغة الفرنسية ومزاحمة اللغة الإنجليزية لها في عقر دارها؛ نظم المجلس ملتقى بعنوان «اللغة في المدرسة» شارك فيه لغويون ومدرسون وأولياء أمور.

ناقش الملتقى طغيان اللغة الإنجليزية في المدارس الفرنسية حيث يفضلها تلاميذ المدارس على اللغات الأخرى، وضآلة نسبة استعمال اللغات الأجنبية الأخرى في المدارس الفرنسية.

يذكر أن الإحصاءات في فرنسا تشير إلى أن نسبة استعمال اللغة الإنجليزية هناك قد بلغت 31٪ في المبادلات الاقتصادية، مقابل 18٪ للفرنسية و 14٪ للإيطالية و 4,7٪ للإسبانية.

معرض كتب الأطفال

اختُتمت في مدينة مونتروي أعمال المعرض الثاني عشر لكتب الأطفال، الذي يقام سنويًا، ويتميز بندوته الدولية، ومعارضه الفنية.

وتناولت ندوة المعرض هذا العام موضوع الإبداع في عالم الكتب الخاصة بالطفل، وكيفية استخدامها في تثقيفية وزيادة مداركه.

معرض «روعة اليمن»

نظمت جامعة بوردو بالتعاون مع المركز الثقافي الإعلامي بسفارة اليمن في باريس - مؤخرًا - معرضًا بعنوان «روعة اليمن».

تضمن المعرض صورًا فوتوغرافية لمناطق اليمن، ومجموعة من الأزياء والحلي والمنتجات اليمنية المحلية من صناعات جلدية وقطنية وزراعية، إضافة إلى مخطوطات وكتب تتناول اليمن وحضارته.

جائزة إنترالي لـ «معزوفة رجل كوبي»

مُنح الكاتب الكوبي إدوارد مانيه جائزة إنترالي الأدبية الفرنسية عن روايته «معزوفة رجل كوبي».

تحكي الرواية الفائزة قصة نفي عائلة كوبية ثرية إلى الولايات المتحدة في أعقاب تولي الشيوعيين الحكم في كوبا.

أحدث الكتب

الشتات اللبناني: المدرج الهجروي والاقتصادي، تأليف أمير عبدالكريم، صدر ضمن سلسلة «فهم الشرق الأوسط» عن دار نشر لامارتان

حبات النفتالين، رواية لعالية ممدوح، ترجمتها إلى الفرنسية فرانسواز بال، وصدرت عن دار نشر أكت سود

الديموقراطيات، تأليف أوليفر دوهامل، صدر عن دار نشر سول.

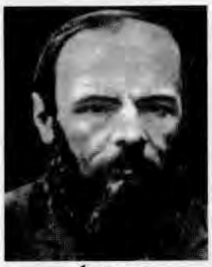
الرعب الإفريقي، تأليف كوليت بركمان، صدر عن دار نشر فايار.

نهاية العمل، تأليف جيرمي ريفكين، ترجمه إلى الفرنسية بيار روف، وقدم له ميشال روكار، وصدر عن دار نشر لا ديكوفرت.

مصر التي لي، مجموعة أحاديث صحفية أدلى بها الروائي نجيب محفوظ للكاتب الصحافي محمد سلماوي، صدرت بالفرنسية عن دار لاتيس.

روسيا

مؤتمر دولي في ذكرى مولد دوستويفسكي


دوستويفسكي

استضافت موسكو مؤتمرًا علميًا دوليًا عُقد تحت عنوان «دوستويفسكي والثقافة العالمية» بمناسبة مرور 175 عامًا على مولد الروائي الكبير فيودور ميخائيلوفتش دوستويفسكي.

شارك في المؤتمر مجموعة من الأدباء والنقاد من بينهم الأديب ألكسندر سولجنتسين الحائز جائزة نوبل للأدب، الذي وصف دوستويفسكي بأنه أكثر الكُتّاب الروس نفاذ بصيرة واستشرافًا للمستقبل.

يذكر أن دوستويفسكي ترك العديد من الروايات والكتب التي نالت شهرة عالمية، من أبرزها: «الأخوة كارامازوف»، و«مهانون وأذلاء»، و«الممسوسون»، و«الجريمة والعقاب».

مرثية الربيع

شعر:
فيصل علي أكرم



سكنتُ مع الجرح عمرًا يساوي   شقاء الحياة وعمر البكاءْ
طلبتُ من الليل - جهلاً - يداوي   وباء التراب بغيم السماءْ
فما كان من غيمهِ غيرُ همٍّ   وما كان من همِّهِ غير داءْ
فمن ذا يُغَنِّي بليل النواح   ومن ذا ينوح بليل الغناءْ
لقد صِرْتُ مثل الغريب المداري   بدمع الرثاء ثقوب الرداءْ
يفاجئني الدهر في كلّ يومٍ   بجمر يرصع ثوب الفضاءْ
يمرُّ الخيال بوقتٍ قصيرٍ   فيبكي الفؤاد طوال المساءْ
فصدقتُ من تعب القلب قلبي   وصدقتُ وهمي برجع النداءْ
وصدقتُ أن الزمان الجميل   سيأتي، وصدقتُ وعد النساءْ
فما نلت إلا البكاء العقيم   وما نمت يومًا بحضن الضياءْ
لأني مع الجرح يومًا مشيت   بليل البكاء لعمق الشقاءْ
لقد مات فصل الربيع وماتت   عصافير كانت تضم الهواءْ
فهل يُصلح الصيف ما أفسدته   رياح الخريف وبرد الشتاءْ؟

معالي الشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين

من مواليد شقراء، المملكة العربية السعودية 1351هـ.
- حاصل على الشهادة العالية، كلية الشريعة 1374هـ، والدبلوم العالي في الدراسات القانونية 1377هـ، والماجستير في الدراسات القانونية، معهد الدراسات العربية، القاهرة 1380هـ.

من المناصب التي شغلها معاليه:

* مستشار في المجال القانوني في وزارة المالية، ورئيس لهيئة التأديب 1390هـ.
* عضو المجلس الأعلى لعدة مرات لجامعة الرياض (جامعة الملك سعود حاليًا)، وجامعة الملك عبدالعزيز سابقًا، وجامعة الملك فيصل والجامعة الإسلامية.
* وزير دولة؛ وعضو مجلس الوزراء، وعضو في المجلس الأعلى للدعوة والإرشاد.
* له مجموعة من البحوث والمقالات والمحاضرات في مجالات الاقتصاد الإسلامي والفكر والثقافة.

أفكار وآراء من بحوثه:

«إن واجب المثقف السعودي المشغول بالتفكير في التقدم الاقتصادي لبلده أن يلح على نفسه بالسؤال: هل اكتشفنا إمكاناتنا المتاحة المعنوية قبل المادية، وما هو مدى شجاعتنا وقدرتنا على الانتفاع بهذه الإمكانات؟».

التفريق بين الفائدة البنكية والربا
مجلة البحوث الإسلامية
ع 31، ص123، رجب - شوال 1411هـ

«أي موظف صغير في أي بنك يدرك أن الوديعة التي يقدمها المُدَّخر للبنك بفائدة. وكذلك أي مال يقدمه البنك لمستثمر نظير فائدة ربوية فهو قرض بفائدة.. سواء أسميناه استثمارًا أو ثورًا قصير القوائم..!!».

الفوائد البنكية خذوها
مجلة البنوك الإسلامية
تصدر عن الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية
ع 55 ص 35، ذو القعدة 1407هـ

«إن المجتمع الذي لا يُسمح فيه بتعدد الزوجات - كما هو مُشاهَد - تبقى فيه نساء كثيرات محرومات من حقوقهن في الزواج والأمومة وتربية الأسرة، فبأي حق للمجتمع أو المشرع أن يُوْجِدَ وضعًا اجتماعيًا من شأنه أن يقلل فرص المرأة في الحصول على هذه الحقوق؟!».

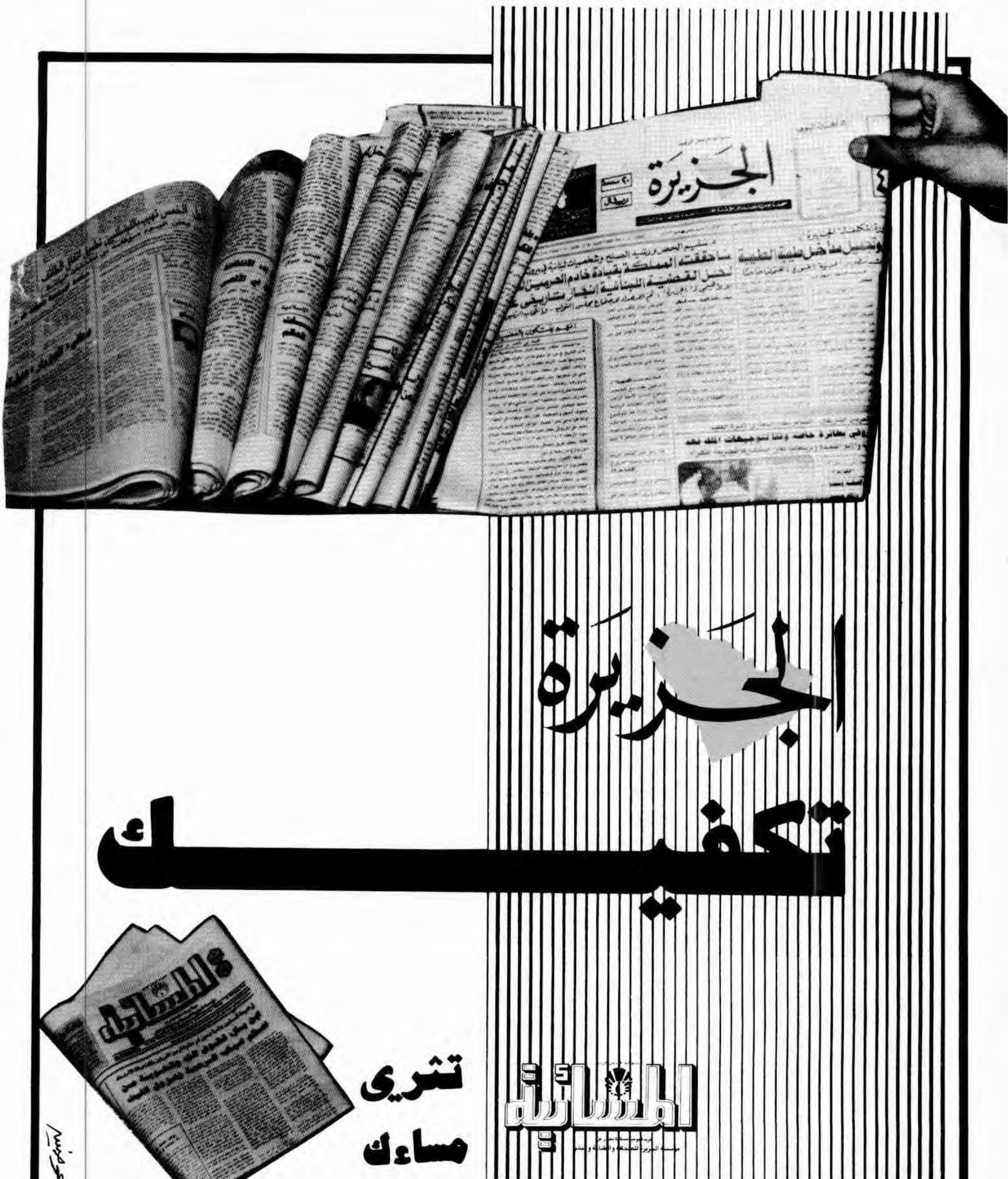
تعدد الزوجات في الإسلام
مجلة الأسرة ع 5، ص42، جمادى الآخرة 1414هـ

«إن الفرق بين المخرج الشرعي والحيلة مثل الخيط الدقيق، ولكنه واضح بحيث يدركه الشخص العادي، إذ الاعتبار في ذلك بالغاية. فإذا كانت نتيجة السلوك الوصول إلى محرَّم أو إلى تحقيق آثاره، فإن السلوك في هذه الحالة يقع في دائرة «الحيلة الممنوعة» وليس في دائرة المخرج الشرعي».
مشاكل البنوك الإسلامية

عقد السَّلَم ودوره في المصرف الإسلامي
بحث مقدم للدورة الثامنة لمؤتمر مجمع الفقه الإسلامي
مجلة مجمع الفقه الإسلامي
ع 8، ص 717، 1415هـ.

«إن الصناعة الفقهية الإسلامية ليست قابلة للتشكيك في أهميتها وأهليتها لإضاءة الطريق أمام الفقيه في كل زمان ومكان.. والذي يشكك في ذلك شخصٌ مكابرٌ أو قليلُ المعرفة بها، فلا نغالي إذا قلنا: إن الصناعة الفقهية الإسلامية.. كعمل بشري.. هي الجزء من تراثنا الفكري الذي لا يُزال يُعتبر ندًا لمقابله في الفكر المعاصر».

من محاضرة بعنوان «مشكلات الاستثمار الاقتصادي»
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
3/ 8/ 1416هـ


الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن: مؤسسة الجزيرة «للصحافة والطباعة والنشر».. ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف: ٤٠٢٥٥٥٥ ، .. تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

محكمة الأبرياء

مسرحية شعرية ناقش المؤلف د. غازي طليمات من خلالها قضية البوسنة والهرسك والحرب العدوانية التي شنها الصرب على المسلمين في هذا البلد الأوربي.

تقع المسرحية في فصلين، وقد سلط المؤلف الضوء على الظلم الذي وقع على المسلمين في بلاد البوسنة والهرسك في ظل عالم لا يعترف إلا بالقوة ولا يؤمن إلا بمعطياتها. ويجسّم المؤلف موضوع الكتاب بتحريك شخوص مختلفين من أفراد عاديين وحراس وضباط، إضافة إلى القاضي الذي يحاورهم. ومن خلال الحوار تتكشف أبعاد القضية ومواقف أولئك الأشخاص منها.

وتكشف أحداث المسرحية ومشاهدها مفارقات الظلم والطغيان، وقد عالجها المؤلف بصياغة شعرية تراوحت بين التزام الوزن والقافية، والنسيج اعتمادًا على التفعيلة وحدها. وحرص المؤلف على الأوزان المجزوءة، التي تتناسب مع لغة الحوار المسرحي، التي أرادها أن تثير التفاعل بين الممثلين والجمهور.

يقع الكتاب في 110 صفحات من القطع المتوسط، وقد صدر عن دار البشير في عمان بالأردن، ضمن سلسلة رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مكتب البلاد العربية.

من التراث الشعبي في بلاد الشام

تدوين لما علق بالذاكرة من التراث الشعبي، حفاظًا عليه من الضياع أو النسيان. وقد قام الدكتور عبدالرزاق كيلاني بجمع مادة الكتاب، ونقح الموضوع الذي تصدى له، آخذًا منه ما يناسب شرعنا الإسلامي، وترك ما يخالفه من أقوال وممارسات كانت سائدة في بلاد الشام قديمًا.

اشتمل الكتاب على أحد عشر فصلاً، وقد سار د. كيلاني في سرده لأنواع التراث الشعبي، حسب تدرج سني العمر، فبدأ بما تقوله الأم لطفلها كي ينام، ثم بما يقال عندما يبدأ الطفل في المشي، ثم عند الختان (وكان يجري في السابق في سن السابعة، أو الثامنة)، وما يقال عند ختم القرآن، ثم خطب الأطفال، وحكايات الجدة، وألعاب الأولاد، وما يقال في رمضان والعيد، وما يقال في الاستسقاء وطلب الغيث، وما يقال في الأعراس، كما أورد جانبًا من حُداء الفرسان، وما يقال عند عودة الحجاج.

وعرج معد الكتاب على بعض العلاجات الشعبية، وذكر بعض الألغاز الشعبية، وأتبعها ببعض الألغاز الشعرية. ونظرًا لأن أكثر الأقوال الشعبية كانت باللغة العامية؛ فقد عمد د. كيلاني إلى إصلاح بعضها وقرّبها من الفهم وفسّرها، وهو يدعو إلى أن نعضّ بالنواجذ على ما وافق الشرع من التراث الشعبي، لأنه منبع للمروءة والنخوة والجود والشرف والشجاعة والإيثار وصلة الرحم والإحسان إلى الجار وإغاثة الملهوف.

يقع الكتاب في 112صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر عن المكتبة العربية في حماة.

الدواء شفاء وداء

كتاب يعرض بصورة مبسطة كل ما يتعلق بالأدوية الطبية من فوائد وأضرار، ليكون متناول الدواء على معرفة بأسراره وضوابط استخدامه. ويؤكد المؤلف الصيدلي حسام الدين أبو السعود أن من أهم العوامل المؤثرة في عملية استهلاك الدواء وسوء استخدامه: مستوى الثقافة الدوائية لدى أفراد المجتمع، ومن ذلك التصور المغلوط الشائع بأن الدواء هو العلاج الوحيد الشافي للأمراض العضوية وغير العضوية، الأمر الذي يجعل بعض الناس يلجأ إليه في أي وقت يشاء، ويتناوله، ويعطيه الأطفال، دون إرشاد طبي، ودون أي تقدير للعواقب..

خصص المؤلف المدخل إلى موضوع الكتاب للحديث عن مساهمات العرب في مجالي الطب والصيدلة، وعرض تعريفًا بالدواء ومصادره النباتية والحيوانية والكيماوية، وأجاب عن سؤال: لماذا توصف الأدوية وينصح بها الطبيب؟

وتحت عنوان «الدواء سلاح ذو حدين»، عرض المؤلف المعايير والمقاييس الموضوعة التي تحسب على أساسها إيجابيات الدواء وسلبياته، وعَدَّدَ مظاهر إساءة استخدام الدواء: إفراطًا وتفريطًا.

وأفرد المؤلف قسمًا للتعريف بتقسيمات الأدوية وأنواعها واستخدامها حسب سن المريض وحالته. كما عرض تعريفًا بالهرمونات والفيتامينات والمضادات الحيوية، والآثار الجانبية لهذه الأنواع، وشرح ما يمكن أن يحدث من تداخلات وقراءات خاطئة للتحاليل الطبية في حال تناول المريض أدوية قد تؤثر في بعض مراحل التحليل ونتائجه.

وفي الختام أرفق المؤلف ملحقًا يتضمن اختصارات صيدلانية ودليلاً للأسماء التجارية والعلمية لبعض الأدوية الشائعة، التي تنتجها شركات عربية وعالمية.

يقع الكتاب في 198 صفحة من القطع الصغير، وقد صدر في طبعته الأولى في الرياض.

قراءة المخططات الإلكترونية

كتاب يرمي إلى تأمين المعلومات الأساسية التي يحتاج إليها المبتدئ الراغب في معرفة عالم الإلكترونيات واستكشافه والدخول فيه. وضع الكتاب روبيرت. ج تريستر، وأنا. ل ليسك، وقام بترجمته المهندس محمد إبراهيم حمد.

يشير المترجم إلى أن كثيرًا من الناس يبتعدون من مجال الإلكترونيات ظنًا منهم أن قراءة المخططات الإلكترونية ورسمها صعب ومعقد، مع أن الهدف من وضع المخطط هو جعل التعامل مع الإلكترونيات أسهل وأسرع. وعلى العكس من الاعتقاد الشائع، فإن قراءة مخطط إلكتروني ليست أصعب، بأي حال، من قراءة خريطة سير عادية، إذا توافرت خلفيه مناسبة.

يشتمل الكتاب على ستة فصول وملحقين، أما الفصول فقد عرَّفَ المؤلفان من خلالها بأنواع المخططات الإلكترونية ووظائفها، والمصطلحات المستخدمة فيها، وكذلك عرّفا بالدارات الإلكترونية، وتضمن الملحق الأول الرموز البيانية للعناصر، وتضمن الملحق الثاني تعريفًا بالترميز اللوني للمقاومات.

وهكذا يأخذ المؤلفان بيد القارئ، وإرشاده لاستخدام المعلومات التي قاما بعرضها، في تحليل الدارات الإلكترونية وصيانتها، وإصلاحها، كما شرحا بلغة سهلة موجزة الهدف من المخططات الإلكترونية، مستخدمين الرسومات الإيضاحية.

يقع الكتاب في 151 صفحة من القطع الصغير، وقد صدر في دمشق.

مسابقة مجلة الفيصل

١ـ جوائز المسابقة :

جوائز كثيرة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ ـ ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريال، ١٥٠ ريال)

ب ـ خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عدداً).

ج ـ عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عدداً).

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية ـ وليس نسخة مصورة ـ للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثيًا أو رباعيًا ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي:

مسابقة ، مجلة الفيصل ،
ص.ب. (٣) الرياض (١١٤١١)
المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يومًا (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

تنبيه: نرجو من الإخوة المشاركين عدم لصق القسيمة على ورقة الإجابات أو قص أجزاء منها، وإنما يكفي وضعها مع ورقة الإجابات داخل المظروف.

أجوبة مسابقة العدد 240

ج1: من الأحاديث الشريفة التي توعّدت مانعي الزكاة بالعذاب الشديد:

ـ مارواه أحمد والشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من صاحب كنز لا يؤدي زكاته إلا أُحمي عليه في نار جهنم فيُجعل صفائح، فتُكوى بها جنباه وجبهته حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يُرى سبيله: إما إلى الجنة، وإما إلى النار. وما من صاحب إبل لا يؤدي زكاتها إلا بُطح لها بقاع قرقر كأوفر ما كانت، تستنّ عليه، كلما مضى عليه أخراها رُدَّت عليه أولاها، حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يُرى سبيله: إما إلى الجنة، وإما إلى النار. وما من صاحب غنم لا يؤدي زكاتها إلا بُطح لها بقاع قرقر كأوفر ما كانت فتطؤه بأظلافها وتنطحه بقرونها ليس فيها عقصاء ولا جلحاء كلما مضى عليه أُخراها رُدَّت عليه أولاها، حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون، ثم يُرى سبيله: إما إلى الجنة، وإما إلى النار....» إلخ الحديث.

ـ وما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته مُثِّل له يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان يطوَّقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمَتَيْه ـ يعني شدقيه ـ ثم يقول أنا كنزك، أنا مالك. ثم تلا هذه الآية: ولا *يَحْسَبَنَّ الذينَ يَبْخَلُونَ بما آتاهُم اللهُ مِن فَضْلِه*.. **الآية**».

ـ وما رواه ابن ماجه والبزار والبيهقي ـ واللفظ له ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يا معشر المهاجرين والأنصار خصال خمس، إن ابتُليتم بهن ونزلن بكم أعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشةُ في قوم قطُّ حتى يعلنوا بها؛ إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم. ولم ينقصوا المكيال والميزان؛ إلا أُخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان. ولم يمنعوا زكاة أموالهم؛ إلا مُنعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يُمطَروا. ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله؛ إلا سُلِّط عليهم عدوٌّ من غيرهم فيأخذ بعض ما في أيديهم. وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله؛ إلا جُعل بأسهم بينهم».

ج2: جاءت الأحاديث الشريفة مصرِّحة بأن المرض يكفِّر السيئات ويمحو الذنوب، ومنها:

ـ ماروا البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى، حتى الشوكة يشاكها؛ إلا كفَّر الله بها من خطاياه».

ـ وما رواه البخاري عن عبدالله بن مسعود قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك، فقلت: يارسول الله إنك توعك وعكًا شديدًا، قال: « أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم»، قلت: ذلك أن لك أجرين، قال: «أجل، ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها؛ إلا كفَّر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها».

نتائج مسابقة العدد 240

أ ـ فازت بالجائزة المالية الأولى، وقدرها 500 ريال سعودي، فاطمة رمضان حسن محمد عشري، الدقهلية، مصر.

وفاز بالجائزة المالية الثانية، وقدرها 350 ريالاً سعوديًا، إيلي بطرس رزق، جبل لبنان، لبنان.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها 150 ريالاً سعوديًا، زكريا عمر علي الحسين، جدة، المملكة العربية السعودية.

ب ـ وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عامين (24 عددًا)، كل من:

1ـ بركة عبدالفتاح بن الحسن، المسيلة، الجزائر.
2ـ حميد محمد صلاح المؤدي، صنعاء، اليمن.
3ـ تيموني محمد بن العربي، الجديدة، المغرب.
4ـ ماريا محمود حسن، عمان، الأردن.
5ـ محمد إبراهيم الفضل، أم درمان، السودان.

ج ـ وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عام واحد (12 عددًا)، كل من:

1ـ حاتم بن محسن الثامري، المنستير، تونس.
2ـ بلال عبدالحفيظ الشماط، دمشق، سورية.
3ـ محمد أحمد عثمان حسن، جدة، المملكة العربية السعودية.
4ـ جهاد أحمد علي، المحرق، البحرين.

للاشتراك املأ هذه القسيمة
(عنوان الاشتراك من الخلف)

الاسم: ....
العنوان: ....

ج 3: هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (329- 395هـ = 941- 1004م). من أئمة اللغة والأدب. قرأ عليه بديع الزمان الهمذاني والصاحب بن عبّاد وغيرهما. أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري وتوفي فيها وإليها نسبته. من تصانيفه: «مقاييس اللغة»، و«المجمل»، و«الصاحبي» في علم العربية ألفه لخزانة الصاحب بن عباد، و«جامع التأويل» في تفسير القرآن، و«النيروز» في نوادر المخطوطات، و«الإتباع والمزاوجة»، و«الحماسة المحدثة»، و«الفصيح»، و«تمام الفصيح»، و«متخيّر الألفاظ»، و«ذم الخطأ في الشعر»، و«اللامات»، و«أوجز السير لخير البشر»، وغيرها.

ج 4: تُعد «أرامكو» أكبر شركة منتجة للزيت الخام وسوائل الغاز الطبيعي في العالم. وهي مملوكة بالكامل لحكومة المملكة العربية السعودية. ويعود تاريخ أرامكو إلى 4 صفر 1352هـ الموافق 29 مايو 1933م، عندما وقّعت حكومة المملكة العربية السعودية وشركة ستاندرد أويل أُف كاليفورنيا (سوكال) اتفاقية الامتياز الأساسية للتنقيب عن النفط، وقد وقعها نيابة عن الحكومة السعودية الشيخ عبدالله السليمان وزير المالية - آنذاك - ولويد هاملتون ممثل الشركة. وقد حوّلت سوكال الامتياز إلى شركة كاليفورنيا أريبيان ستاندرد أويل (كاسوك)، التي غيّرت اسمها في عام 1944م إلى شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو).

ج5: كانوا جميعاً موسيقيين. وهم:

- فريدرك شوبان (1810- 1849م). يلقب بشاعر الموسيقى. ولد في بولندا من أب فرنسي، وعاش في باريس بعد 1831م. بدأ دراسته الموسيقية مبكراً، وسرعان ما تجلّت مواهبه؛ فأصبح من أمهر عازفي آلة البيانو، وأكثر مؤلفاته لها، ومعظمها مبني على رقصات شعبية بولندية، وخاصة البولونيز والمازوركا، وله ألوان أخرى مبتكرة مثل الارتجالات والإيتود والفالس وغيرها. كتب مقطوعته الذائعة الصيت «الحزن» خصيصاً لجورج صاند.

- فرانز بيتر شوبرت (1797- 1828م). مؤلف موسيقي نمساوي، يُعرف بملك الأغاني. بدأ في الثالثة عشرة من عمره سلسلة أعماله الرائعة، وكانت سرعة تأليفه للألحان تفوق سرعة تدوينها بالنوتة. لحن كثيراً من الأغاني والمقطوعات الموسيقية والأناشيد ومقطوعات من السوناته والرباعي والمعزوفات القصيرة، وله عشر سيمفونيات أشهرها «السيمفونية الناقصة».

- روبرت ألكسندر شومان (1810- 1856م). مؤلف موسيقي ألماني، يُلقب بأديب الموسيقى. تعلق منذ طفولته بدراسة الموسيقى، وأجاد العزف على البيانو، ثم اتجه إلى التأليف والكتابة بعد إصابة يده اليمنى، وأصدر مجلة موسيقية كان لها أثر كبير في الارتفاع بالمستوى الثقافي لأهل هذا الفن. من أهم مؤلفاته: أربع سيمفونيات وكونشرتو للبيانو، وكثير من مؤلفات موسيقى الحجرة، وأكثر من مئة أغنية، وعدة مقطوعات صغيرة للبيانو.

5- مصطفى خليل مصطفى، القُصير، محافظة البحر الأحمر، مصر.
6- مصطفى حسن مصطفى جراد، مأدبا، الأردن.
7- إحسان الإدريسي القبطوني، طنجة، المغرب.
8- عقبة أحمد محمود مبارك، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة.
9- منى مصطفى الأمين أحمد، الخرطوم، السودان.
10- عدنان أحمد أحمد الربع، صنعاء، اليمن.

■ كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:
1- علي بن متعب الشامي، الرياض، المملكة العربية السعودية.
2- عبدالرحمن يوسف جقلان، حلب، سورية.
3- إسماعيل بن محمد عبود الجزائري، مسقط، سلطنة عمان.
4- عبدالقادر إبراهيمي بن أحمد، بوسعادة، الجزائر.
5- عبدالله عيسى علي محمد الرمح، الكويت، الكويت.

أسئلة مسابقة العدد 243

السؤال الأول:
أحلَّ الإسلام للرجل أن يُطلِّق زوجته في حالات فصلتها كتب الفقه خير تفصيل. ما حكم الشرع في طلاق: المُكره، والسكران، والغضبان، والمدهوش؟

السؤال الثاني:
تابعي جليل، لُقِّب بسيد التابعين، وبراوية عمر [ابن الخطاب]. كان يعيش من التجارة بالزيت، ولا يأخذ عطاءً. فمن هو؟

السؤال الثالث:
البوسنة والهرسك.. بلاد عزيزة على قلب كل مسلم. دخلها الإسلام من طريق الأتراك العثمانيين. متى كان ذلك؟

السؤال الرابع:
قالت العرب في أمثالها: «أبطش من دَوْسَر». فما دوسر؟

السؤال الخامس:
معركة انجلت عن إحكام العثمانيين سيطرتهم على مصر بعد استيلائهم - من قبل - على بلاد الشام. ما اسم هذه المعركة، وفي عهد مَنْ مِن سلاطين مصر جرت وقائعها؟

قسيمة مسابقة مجلة

الفيصل

العدد 243

مجلة الفيصل - ص.ب: (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

ويأتيك بالأمثال:

مَنْ سَلَكَ الجَدَدَ أَمِنَ العِثَارَ

يضـرب لاتباع الطريق السوي المستقيم. والطريق الجدد هو المستوي الذي لا ارتفاع فيه ولا انخفاض ولا وعورة، فهو طريق خير، بعكس طريق الشر الذي يكون صعبًا غير مأمون. ومثل صاحب الخير وصاحب الشر كمثل رجل سار بجواده في الطريق السهل، ورجل اتجه إلى الطريق الوعر، فأما الأول فيسير آمنًا العثرة لا يخاف إذا أسرع، ولا يخشى إذا أبطأ، وأما الآخر فطريقه مملوء بالعثرات إذا نجح في تجنب بعضها سقط في بعضها الآخر.

أبلغ الناس

سأل معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص رضي الله عنهما يومًا: مَنْ أبلغ الناس؟ قال: أقلهم لفظًا، وأسهلهم معنى، وأحسنهم بديهة. قال معاوية: صدقت.

القناعة

نصح سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ابنه يومًا فقال: يا بني إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة، فإن لم تكن لديك قناعة فليس يغنيك المال.

الشرط الخامس

سُئل الروائي الأمريكي أرنست همنجواي عن الأشياء الضرورية التي يجب توافرها في الأديب ليصبح كاتبا شهيرًا، فقال: لا بد من توافر خمسة أشياء، هي: الموهبة، والخيال، والطاقة، والعزيمة، ثم زوجة غنية جدًا ترفع المرء من قاع المجتمع إلى عالم الشهرة.

من نوادر برنارد شو

كان أحد أصدقاء الكاتب الإيرلندي الساخر برنارد شو ساهرًا عند الأخير، الذي كان يسوق نوادره تترى، ولاحظ الصديق أن زوجة شو مشغولة عن الحديث بحياكة الصوف، فسألها عما تحوكه فقالت: لا شيء، لاشيء، فقط لقد سمعت نوادره ألف مرة ولا بد لي من عمل أؤديه بيدي وإلا خنقته.

المرأة التي غلبت الحجاج

يروى أن رجال الحجاج بن يوسف الثقفي أسروا يومًا امرأة من الخوارج فاقتادوها إليه. فقال لها بغضب: والله لأعدنكم عدًا ولأحصدنكم حصدًا، فردت المرأة قائلة: إن الله يزرع وأنت تحصد، فأين قدرة المخلوق من قدرة الخالق؟. فقال الحجاج لأصحابه: ما تقولون في هذه المرأة؟ قالوا: عاجلها بالقتل أيها الأمير. فقالت المرأة: نعم المشورة، لقد كان وزراء فرعون خيرا من وزرائك. لقد استشارهم في موسى عليه السلام فقالوا له: أرجه وأخاه. فأطلق الحجاج سراحها.

يقول ما يقوله الشعب

مما يروى عن الأميرة مرجريت ابنة الملك جورج الخامس وشقيقة ملكة بريطانيا الحالية إليزابيث الثانية أنها كانت واقفة بجوار أبيها الملك ذات يوم في طفولتها، وكان الجمع، ومن بينهم الملك، يرددون النشيد الملكي: «اللهم احفظ الملك».

فقالت الأميرة ببراءة الأطفال: أبي إنك تقول اللهم احفظني! فأجابها والدها قائلاً: لا إنما أقول ما يقوله الشعب.

في الحالتين كاذب

حضر الفضل بن الربيع وزير هارون الرشيد يومًا إلى القاضي أبي يوسف ليشهد في قضية، فرفض القاضي شهادته، فعاتبه الخليفة في ذلك، فقال أبو يوسف: يا أمير المؤمنين لقد سمعت هذا الرجل يقول لك أنا عبدك، فإن كان صادقًا في قوله فلا شهادة للعبد، وإن كان كاذبًا فكذلك.

فقال له الرشيد: لماذا؟ قال القاضي: لأنه إذا لم يبال بالكذب في مجلسك فلن يبالي به في أي مجلس.

من كثر أدبه

قال حكيم: مَنْ كثر أدبه كثر شرفه وإن كان وضيعًا، وبعد صيتُهُ وإن كان خاملاً، وساد وإن كان غريبًا، وكثرت حوائج الناس إليه وإن كان فقيرًا.

من عجائب الخلق

يقول علماء الحيوان إن طائر الكوليبرس يخفق بجناحيه 4800 مرة في الدقيقة الواحدة، ويستطيع غراب الهيملايا التحليق إلى ارتفاع 8 آلاف متر فوق سطح البحر، ويهاجر ستمئة مليون طائر في شتاء كل عام من أوروبا إلى إفريقيا هربا من البرد القارس.

العاقل والأحمق

قال حكيم: العاقل إذا أحبك بذل جهده في المودة والنصرة، وإذا أبغضك رفع عنك الظلمَ قَدْرُه (أي تَرَفُّعَ عن أذيتك) وإذا أحسنت إليه اعترف وشكر، وإذا أسأت إليه ستر واعتذر.

والأحمق إذا قَرَّبْتَه تكبَّر، وإذا أبعدته تكدر، وكلما رفعت من قدره درجة انحط من قدرك عنده درجة.

أم الندامة

قيل: إياك والعجلة فإن العرب كانت تكنيها أم الندامة؛ لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويعزم قبل أن يفكر، ويقطع قبل أن يقدر، ويحمد قبل أن يجرِّب، ويذم قبل أن يخبر، ولن يصحب هذه الصفة أحد إلا صحب الندامة واعتزل السلامة.

الأيام الخمسة

الأيام خمسة: يوم مفقود هو أمس، ويوم

استراحة العدد

مشهود هو اليوم الذي نحن فيه، ويوم مورود هو الغد، ويوم موعود وهو آخر أيام ابن آدم في الدنيا، ويوم ممدود وهو يوم القيامة.

كرم حاتم

أغار قوم يومًا على طيء قبيلة حاتم الطائي، فأخذ الأخير رمحه ونادى في عشيرته بالدفاع عن الحرمات، ولقى القوم فهزمهم واتبعهم، فقال له كبيرهم: يا حاتم، هبني رمحك. فرمي به حاتم إليه، فعاتبه قومه على ذلك، فقال لهم: لن أستطيع رد طالب حاجة. فقالوا له: إنما عَرَّضت نفسك للهلاك ولو عطف عليك لقتلك. قال حاتم: قد علمتُ، ولكن ما جواب من قال: هبْ لي؟!

كاذب أو أحمق

قال أحد عقلاء الفرس: مَنْ زعم أنه لا يحب المال فهو عندي كاذب حتى يثبت صدقه. فقيل له: وإذا أثبت صدقه؟! قال: إذا كان الأمر كذلك فهو عندي أحمق.

الحرية

وصف الكاتب الكبير سومرست موم الحرية فقال: هي واحدة في كل أرجاء العالم، لكن إذا اهتمت الأمم بأي شيء آخر أكثر من الحرية فسوف تفقد حريتها، وإذا كان الذي تهتم به أكثر هو المال والرفاهية فلن يبقى منهما شيء بعد أن تفقد حريتها.

أعظم دروس الحياة

سألت امرأة المفكر رونالد بيتل: ما هي أعظم دروس الحياة؟ فقال لسائلته: سيدتي، خارج نافذة المطبخ قد ترين عنكبوتًا ينسج بيته، فلا تتركي هذا المشهد يمر هكذا، بل احملي طفلك الصغير ودعيه يتأمل هذا النسيج الغريب الذي يخرج من جسد تلك الحشرة الصغيرة، وإذا استطعت أن تحولي فضوله إلى إعجاب بهذا المخلوق الصغير، فقد علمته أعظم دروس الحياة، وهي أن كل ما فيها عظيم؛ سواء كان صغيرًا أو كبيرًا، حقيرًا أو عظيمًا.

إصلاح النفس أولاً

التقى عمر بن عتبة مؤدب ولده يومًا فقال له: ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت، علمهم كتاب الله، ولا تملهم فيه فيتركوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، واروهم من الحديث أشرفه، ومن الشعر أعفه، ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في القلب مشغلة للفهم، وعلمهم سنن الحكماء وعفة نفس الأولياء.

جواب بليغ

اشتكت جماعة يومًا إلى الخليفة العباسي المأمون من عامله عليهم لأسباب كثيرة سردوها، فقال الخليفة: ويحكم.. إنه عادل، تقي، لا أعلم عنه إلا خيرًا. فانبرى أحدهم وقال للخليفة: فليأمر أمير المؤمنين بتعيينه في بلدة أخرى حتى يستفيد الآخرون من عدله وتقواه.

العبقرية موهبة

سأل غلام الموسيقار الكبير موتسارت: ماذا يفعل كي يؤلف سيمفونية؟ فقال موتسارت: إنك ما تزال صغيرًا يا بني فلماذا لا تبدأ بتأليف ألحان بسيطة؟ فقال الفتى: ولكنك ألّفت سيمفونيات حين كنت في العاشرة. فقال موتسارت: نعم، ولكني يا بني لم أسأل كيف أؤلفها.

حديث الحكماء

قيل للحسن البصري: كيف يعرف الإنسان حسناته من سيئاته؟ فقال: رحم الله رجلاً خلا بكتاب الله، فعرض نفسه عليه، فإن وافقه حمد ربه وسأله الزيادة، وأن خالفه تاب وأناب ورجع من قريب.



سافر تجد عوضًا عمن تفارقه
وانصب فإن لذيذ العيش في النصبِ

تباشير

يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع.

وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

قصيدة

النيازك

شعر:

محمد عبدالوهاب عيسى بن معن

الأحساء

لقد أتعبت نفسي والفؤادا / وكنت أعلّم النفس الجهادا
أحاول أن أكتّم من شجوني / فتغلبني وأنقاد انقيادا
وفي ليل سريت بلا أنيس / فصادفني جمال قد تمادى
ليشرق للورى بضياء وجه / منير أزهر طرد السوادا
فحاول أن يقاومه فؤادي / ونفسي منه قد رامت بعادا
ولكن سهم من قلبت كياني / يراوغ بل يجيدَنَّ الطرادا
وحين السهم آذن بانطلاق / بُهِتُّ وصِرتُ أرتعِد ارتعادا
فطار السهم منطلقًا سريعًا / وكان كنيزك هدّ الشدادا
فقلت أعوذ بالرحمن منه / ولكن سهمها غلب الرشادا
بسهم الحب قد خرقت ضلوعي / فصار القلب يتّقد اتقادا
وقلبي صار يسبح في دماء / وإن السهم قد منع الرقادا
وقبل السهم لم أعرف ذهولاً / ومنه القلب قد عرف الودادا
ولم أذق الصبابة في حياتي / وحين عرفتها ذقت السهادا
ومنها صرت منقادًا لقلبي / وعقلي قد لبست له الحدادا
وحين وقعت في أشراك حُسْنٍ / توارى عن مخيلتي عنادا
فصرت كدمية بيديه قسرًا / يقلبني الجمال كما أرادا
ولم يكن الجمال سوى مهاة / تملكت الجوارح والفؤادا
وصادف أن تراءينا بليل / فنار مودتي صارت برادا
وحين سألتها ما الاسم قالت / أحبّذ أن تسميني سعادا
ولم يطل اللقاء بنا فقالت / ضياء الصبح ليلتنا أبادا
فقلت لها أشمسَ الحب مهلاً / نهار الحب لم يسل الوسادا
فقالت لي حبيبي لا تخافنْ / فإني مثلكم أشنا البعادا
فقلت متى لقانا يا حياتي / فقالت في يناير أو جمادى
فقلت عليك أقسم لا تخوني / فقالت لي أعاهدك المعادا
وعند غروبها خفقت ضلوعي / وجمر البين محنتنا أعادا
فحر الشوق أضرمني بنار / تصيّر كل أحياء رمادا
ولن تُمحى الصبابة من فؤادي / لأن صبابتي ليست مدادا
وسوق الحب عامرة ديارًا / ولن تخشى على الأمد الكسادا
ويبقى الحبُّ ما بقيت حياة / لكون الحب للدنيا عمادا

التعليق: داليتك المفتوحة المطلقة يا أخ محمد عبدالوهاب متينة البناء، تدلّ على تمكّن لغوي وعروضي ممّا يعني أنّ تجربتك الشعرية ليست ابنة البارحة.

لقد اخترت البحر «الوافر» بموسيقاه الرائعة ليحمل لحن حبك الذي حاولت تجنبه ولكنك لم تفلح بذلك، «ولكن سهمها غلب الرشادا». وإني أجد في صياغتك ملامح شعرية أصيلة أرجو لها أن تُصْقَلَ بالقراءة المستمرة لشعر الفحول من شعراء الأمس واليوم.

إنّ كُلَّ المعاني التي جاءت في قصيدتك مطروقة برع الشعراء العرب في معالجتها وأنت تكرر ما قالوه، فأرجو أن تحاول البحث عن معان أصيلة تصبح وقفًا عليك سعيًا إلى التميز، والقول نفسه يقال في الصورة وقد أعجبني قولك:

ومنها صرت منقادًا لقلبي
وعقلي قد لبست له الحدادا

فالكناية في قولك «لبست له الحدادا» فيها براعة الشعراء الذين ننتظر منهم الكثير وكذلك أعجبني قولك:

ولن تُمْحى الصبابة من فؤادي
لأنّ صبابتي ليست مدادًا

وردّ العجز على الصدر أضفى على البيت نَفَسًا شاعريًا أرجو أن يطّرد لديك.

وإن قارئ قصيدتك يبدو له لكثرة ما ألفنا ما توردُه من معان أنك تكرّر المعاني والأمر ليس كذلك. وأود أن أقف عند قولك:

وسوق الحب عامرة ديارًا
ولن تخشى على الأمد الكسادا

فالبيت في الجملة باردٌ لا ماء فيه، وكذلك قولك «لكون الحب للدنيا عمادًا» فلفظة «لكون» تذهب بكثير من رونق الشعر، وقد تحاشت العرب استعمال «الكون والوجود» ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً. كما أن التوكيد في قولك «يجيدَنَّ» في البيت الخامس غير جائز.

مرة أخرى، أهنئك على المستوى اللغوي الجيد، والسبك المتوازن والعروض الصحيح، وأتمنى لك النجاح والتوفيق.

د. محمد خير البقاعي

متابعات

الأخت خلود إسماعيل معطي، دمشق، سورية:

خاطرتك «جريمة بلا متهم» تدل على خيال واسع، ومحاكمة جيدة، وقدرة على معالجة الأمور المعنوية بطريقة بارعة، فالذكريات والعين والقلب تحوّلوا في خاطرتك إلى متهمين، ولكننا لم نعرف: مَن القاضي، ولِمَ المحاكمة؟ وإن ما تقولينه في أول خاطرتك متداخل متناقض، فنرجو أن تعيدي النظر فيه.

وأسلوبك يبدو جيدًا، وصياغتك ممتازة، إلا أن هناك بعض الأخطاء التي يسهل عليك تجاوزها، مثل قولك «لماذا لا تحتفظي»، فلماذا حذفت النون من «تحتفظي»؟، و«لم ترضى» فلماذا أثبتِّ حرف العلة في «ترضى»؟

نأمل أن تكثري من القراءة حتى يزداد أسلوبك قوة، وتكون لغتك أكثر متانة.

الأخ معتصم محمد محمد أبو النور، الإسكندرية، مصر:

يبدو لمن يقرأ ما كتبته أنك مجتهد في تهذيب نفسك، وأنك تعي آلية الموضوع الذي تكتب فيه، ولكن تزاحم الأفكار في ذهنك ورغبتك في الإفصاح عما تريد قوله أدى إلى تزاحم الجمل وتداخلها، فلم تعد ترى ملامح ما تكتب، بل إن هذا التزاحم أوقعك في أخطاء لو عدت إليها لأنكرتها. فالأفكار التي عرضتها عن عملية الإبداع والابتكار معروفة، لكنك لم تستطع أن تصوغها بأسلوب منظم وفكر جديد. ومن الأخطاء التي جاءت نتيجة لتزاحم الأفكار وعدم اهتمامك بمراجعة ما كتبت أنك أوردت «إلى» في محل «إلا» في قولك «لا تشكلان إلى نسبة قليلة منه»، ثم جاءت كلمة «المرؤوسون» مرفوعة، وكان حقها أن تكون مجرورة وذلك في قولك «إلى الرؤساء والمرؤوسون»، وكذلك أخطأت حين قلت «أن يلحق بركب هؤلاء المتفوقون»، فالصحيح «المتفوقين». وهناك بعض الأخطاء الأسلوبية التي يحتاج تصحيحها وتجنب الوقوع فيها إلى الإكثار من القراءة في أمهات الكتب، ومتابعة النتاج الفكري والأدبي الجاد من خلال الوسائل التثقيفية والإعلامية المختلفة حتى تستقيم العبارات وتصح اللغة، وتنضج الأفكار بلا تزاحم أو تناقض.

الأخ عبدالرحمن بنسعيد، دوز، تونس:

خاطرتك «ذكريات الطفولة» فيها كثير من التعبير المباشر الذي ينقل لنا أحداث مرحلة من العمر «الطفولة». ويبدو أن كل ما كتبته يعبر عن تجربة واقعية؛ لذلك جاءت خاطرتك وصفًا لنمط الحياة في تلك القرية التي تجاور الواحات، وتتميز ببساطة الحياة. أسلوبك لا بأس به، ومعجمك اللغوي غني، ولكن في خاطرتك بعض الأخطاء الإملائية والنحوية والأسلوبية، ينبغي أن تنتبه إليها، كقولك « نطبخ طعامًا ربما هو ليس لذيذ»، والصواب «لذيذًا»، لأنها خبر ليس، والجملة فيها تداخل أسلوبي يحتاج إلى بساطة أكثر. ووجدناك تخطئ في رسم همزة القطع «فالانتهاء» لا تحتاج إلى همزة، وكذلك تُسقط نون الفعل من الأفعال الخمسة فتقول «لا يحبون غيرهم يشاركوهم فيه»، والصواب «يشاركونهم»، وتفصل بين المضاف والمضاف إليه بالعطف على المضاف فتقول: «ومن أعذب وأحلى ذكريات تلك الفترة» والصواب أن تقول: «ومن أعذب ذكريات تلك الفترة وأحلاها». وما ننصحك به هو ما ننصح به كل من يروم تحسين أدواته اللغوية والأسلوبية، وهو الإكثار من قراءة كتب الأدب القديمة. فالمداومة على ذلك يجعل الأسلوب أكثر وضاءة، واللغة أكثر ضبطًا.

الأخ جموعي بن أحمد، ولاية أم البواقي، الجزائر:

قصتك «اللحظة الأخيرة» متقنة البناء الدرامي، ولكنك اعتمدت في السرد ضمير الغائب الذي أتاح لك أن تضع نفسك «الراوي» مكان الشخصيات، وهذا يضعف بناء القصة؛ فاستخدام ضمير الغائب يحتاج إلى براعة فنية لا تتوافر إلا لكتاب أتقنوا فن كتابة «القصة القصيرة»، التي تحتاج إلى ما نسميه «الومضة»، وهي إلماع لا يحتمل التطويل والاستغراق في وصف العواطف.

وتنويع الضمائر كما نجد في قصتك يدل، إن لم يكن مبنيًا ببراعة، على ضعف في فن القصة القصيرة.

وننصح لك الاهتمام بلغتك وأسلوبك، وأن تضع همزة القطع في موضعها، وهذا خطأ شائع بين كثير من المشاركين في هذا الباب، وعبارتك تقصر في بعض الأحيان بسبب التداخل عن أداء ما تريده كقولك: «ردت عليه كرد السفينة بشراعها الثابت وربانها الخبير بالأمواج والعواصف»، وقولك «ما بدر مني في السنون الحوالي» صوابه «السنين» ولا ندرى بماذا جزمت الفعل «يعي» وقبله نفي لا يجزم في قولك: «وهو لا يع بعد الحدث». نأمل أن نتلقى منك محاولات أخرى أكثر توفيقًا، وعليك باستمرار المحاولة في التعبير عن نفسك حتى تكتشف أكثر القوالب الفنية ملائمة للتعبير من خلالها عن أفكارك.

ردود خاصة

الأخوين: دسوقي محمد أحمد الطنطاوي، القاهرة، مصر، سعد بن عايض العتيبي، الرياض:

إشارتكما إلى أن مقال العقاد عن الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - الذي عنوانه «في جو العروبة مع عاهل الجزيرة العربية» منشور في كتاب صادر عن دار الرفاعي عام 1408هـ صحيحة، كما سبق أن نُشر الكتاب في بيروت عام 1397هـ، كما ورد في خطاب الأخ العتيبي، ولكن ذلك لايمنع أن كثيراً من القراء لم يطّلعوا عليه، وهو ليس متداولاً كمقالات أخرى عديدة عرف الناس عنواناتها ومضمونها، ولذلك كانت الإشارة إلى المصدر الرئيس للمقال، وهو مجلة الكتاب واجبة.

فشكراً لكما متابعتكما، ودقة ملاحظاتكما. ويكفي أن نشير إلى أن الأخ الطنطاوي ظل يبحث طويلاً حتى اهتدى إلى مصدر المقال، مما يسوّغ نشره، لمن فاتهم الاطلاع عليه، أو من نسوا مناسبته والظروف المحيطة بكتابته.

الأخ بلال قايد عمر إبراهيم، صنعاء، اليمن:

سنرسل إليك بعض الأعداد القديمة التي طلبتها، أما الموضوعات التي طلبتها، فيمكنك مخاطبة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، على عنوانه: ص.ب 51049، الرياض 11543. ونأسف أن نخبرك أن العنوان الذي طلبته غير متوافر لدينا، كما أن الكتب التي يشار إليها في باب «كتب وردت» هي خاصة بالمجلة، واقرأ عنوان مكتبات تهامة في زاوية «عناوين».

الأخ عبدالعزيز فؤاد عفيفي، القاهرة، مصر:

يسرنا أن نرسل إليك العدد الذي يضم الكشاف الخاص بموضوعات السنة الأخيرة، وفي بطن غلاف هذا الكشاف تجد قائمة بإصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ودار الفيصل الثقافية، ويمكن تحديد الإصدارات التي تريدها لترسل إليك مع بيان بأسعارها، حتى ترسل شيكاً بقيمتها. ولا يفوتنا أن نشكر لك ملاحظتك الخاصة بالصفحات البيضاء من المجلة التي هي نتيجة لخطأ طباعي بلا شك، ونأسف للإخوة القراء الذين وقعت إليهم هذه الأعداد التي بها هذا الخطأ.

الأخ وائل محمود صالح أدهم، الخبر، السعودية:

تكبدت كثيراً من المشاق حين أرسلت أربعة خطابات تستفسر فيها عن قيمة الجائزة التي فزت بها في مسابقة الفيصل، ونطمئنك بأن موضوعك أحيل إلى القسم المختص، وستصل إليك جائزتك قريباً، إن شاء الله.

الأخ م. محمد إبراهيم حمد، دمشق، سورية:

نشكر لك اهتمامك بعدم إرسال المادة الواحدة إلى أكثر من دورية، ونأمل أن يكون هذا دَيْدَن جميع الإخوة الكتاب الذين يوقعنا بعضهم في حرج حين يرسلون مادتهم إلى المجلة، ثم نفاجأ بها منشورة في مجلة أخرى بعد أن نكون قد بذلنا جهداً كبيراً في ضبطها ومراجعتها وتقويمها، وإذا كان هناك بعض التأخير في تحديد موقف بعض المواد المرسلة من قِبَل الكتاب، فإنها تكون لظروف خارجة عن الإرادة.

الأخ محمد أحمد علال العياشي، زرهونة، المغرب:

نشكر لك إعجابك بكتابات الدكتور حسن بن فهد الهويمل، وستطالع مقالاته في المجلة قريباً إن شاء الله.

الأخ لعميد قدور، المسيلة، الجزائر:

نشكر لك مشاعرك الأخوية، وتقديراً لهذه المشاعر الفياضة، وتشجيعاً لك على السير في درب العلم والثقافة، وأنت اليافع ذو الأربعة عشر ربيعاً، نبعث إليك ببعض أعداد المجلة، لعلك تجد فيها نفعاً وفائدة لتنمية موهبتك وصقلها.

الأخ حسان بن محمد صبحي، حلب، سورية:

تعليقاتك على مقالات الدكتور حسن ظاظا تفيض حماسة ومشاعر فياضة. ونشكر لك هذه الغيرة على دينك وأمتك، ولكنها لا تكفي، وإنما ينبغي لك أن تهتم بالاستزادة من الثقافة حتى تنمي ما لديك من ملكة التعبير، والقدرة على النقد والتحليل.

الأخ م. بدوي زين العابدين بدوي، الخرطوم، السودان:

لم نوفق في العثور على عنوان معهد ماساشوستش للتكنولوجيا M.T.I بالولايات المتحدة الأمريكية، فنأمل المعذرة.

الأخت رحمة بختاوي، أحفير، المغرب:

أحيلت رسالتك إلى الدكتور حسن ظاظا، لعله يفيدك ببعض المراجع التي تحتاجين إليها.

الأخ الطيب عبده موسى عباس، جامعة كسلا، السودان:

لا نظن أن الجامعات السعودية يمكن أن تقبل الحاصلين على هذه النسبة، وعموماً يمكن مراسلة بعضها للتيقن. ونشكر لك إسهامك المرسل، ومرحباً بك صديقاً للمجلة.

الأخ عبدالله بديع، طنجة، المغرب:

الكاتب الذي أشرت إليه في رسالتك لم يلتزم ما تقتضيه شروط النشر في المجلة، لذلك لم تُقبل موضوعاته، وقد أُبلغ بذلك.

الأخ إسماعيل حقي صومر، حلب، سورية:

لا يمكن للمجلة أن تنشر في صفحاتها رداً على مقالة منشورة في دورية أخرى. لماذا لا تحاول إرسال تعليقك إلى الدورية نفسها، لعلها تنشره عملاً بحرية النشر، ولاسيما أن ردك يلتزم الموضوعية، وليس فيه ما يسيء.

الإخوة دفع الله محمود عبدالله، الحصاحيصا، السودان، محمد محمود البيلي، الجيزة، مصر، لسمر أحمد، تازة، المغرب، لوصيف أونيس، حتشلة، حليم شراد، قسنطينة، شايب الذراع مراد، الجلفة، بو شارب أحمد، المسيلة، الجزائر:

الأعداد المطلوبة في طريقها إليكم إن شاء الله، أما عن الاشتراك، فكما هو موضح في الصفحة الثالثة من المجلة فقيمته للأفراد 150 ريالاً سعودياً، وللمؤسسات 250 ريالاً سعودياً، أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي، وترسل الطلبات إلى قسم الاشتراك بالمجلة في العنوان الموضح في الصفحة نفسها.

الأخ أحمد علي الوريث، صنعاء، اليمن:

الدراسات التي اقترحتها على الدكتور حسن ظاظا وصلت إليه، وسوف يقوم ببحث إمكان كتابتها، ونأمل أن تجد فيها ما يفيدك، ويغني معارفك، ولاسيما أنك مهتم بهذا الحقل من المعرفة، ونشكر لك تفاعلك الدائم مع ما ينشر في المجلة، واهتمامك بالتعليق عليه.

بين القارئ والقارئ

نرغب في الحصول على ترجمات لمعاني القرآن الكريم وبعض الكتب العربية والإسلامية وعدد من المصاحف.

عبدالباسط حبيبو وهادي زكريا، وعنوانهما:

ABDUL - BASIT HABIBU
P.O BOX 4154
NASRU - DEEN J.S.S
KUMASI - GHANA

هادو أبو سفيان، وعنوانه:

C/O P.O BOX 284
TAMALI - H/R
GHANA

لدي أعداد زائدة من مجلات «الفيصل» و«الكويت» و«العربي» أرغب في مبادلتها بأعداد من مجلتي «المجلة العربية» و «الدوحة».

عدنان حسن بيطار
دوار باب الحديد، محل ابن البيطار
هاتف 629515
حلب، سورية.

آمل الحصول على آخر ديوان للشاعر اللبناني شوقي بزيع «وردة الندم» أو أي ديوان آخر لهذا الشاعر، كما أرغب في الحصول على مجموعات شعرية أو قصصية صادرة في السعودية أو في دول الخليج الأخرى.

أحمد موفقي مخلوف
طرف مخلوف النجار، دائرة حاسي بحبح
H.B.B 17300
ولاية الجلفة، الجزائر.

ملحوظة:

تهدف هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفدت أعدادها.

عناوين

الأخ عبدالله سنده، حلب، سورية:

عنوان الأستاذ عبدالله بن إدريس هو عنوان النادي الأدبي بالرياض حيث يتولى رئاسته. أما عنوان د. غنيم غانم الينبعاوي فهو :

مكة المكرمة، ص.ب 875

الأخ بنعزوز عسو، مدينة الخميسات، المغرب:

عنوان مجلة اليمامة :

المملكة العربية السعودية، الرياض، طريق القصيم، حي الياسمين
ص.ب 6737 الرمز البريدي 11452
هاتف 4420000 فاكس 4417114

الأخ محمد جمال، جاكرتا، إندونيسيا:

الموسوعة العربية العالمية تُطلَب من مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع وعنوانها:

المملكة العربية السعودية:
ص.ب 92072 الرياض 11653
هاتف 4641058، فاكس 4640426

الأخ أحمد سيف الدين، تونس:

عنوان المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية هو:

MAJELIS DAWAH ISLAMIYAH
JALAN PEIJAMBAN
JAKARTA PUSAT INDONESIA

إيضاحات

تعتذر المجلة سلفاً من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات للحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها.

المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يراسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يُرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تباشير، ردود خاصة ـ بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.



الترجمة من العربية في المجال العلمي

لقد اطلعت بإعجاب شديد على ملف العدد 239 «الترجمة في ظل الحضارة الإسلامية وأثرها في الآداب والعلوم». وبسبب اهتمامي الخاص بموضوع ترجمة العلوم من العربية إلى اللاتينية وغيرها من اللغات الأوربية، فقد اهتممت بمقالة الدكتور محمود إسماعيل الصيني «الترجمة من العربية في المجال العلمي وأثرها في الحضارة الغربية»؛ إلا أن لي عليها بعض الملاحظات.

أولاً: مايكل سكوت

ورد في مراكز الترجمة العربية: صقلية، ص66، ما يلي:

«في صقلية أيضًا كلف ملكها فردريك هوهنشتاوفن الثاني المترجم الاسكتلندي مايكل سكوت بترجمة بعض الكتب ومنها... وكتاب لابن سينا في التاريخ الطبيعي.

وجدير بالذكر أن مايكل سكوت الذي كان طالبًا في علم الفلك قام - في وقت لاحق في إسبانيا - بترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية بطلب من «بطرس المكرَّم» نحو عام 1142م ضمن مجموعة من الكتب الإسلامية...».

ثم يلي ذلك «وفي صقلية أيضًا... كما ألف مايكل سكوت الإنجليزي مختصر كتاب الحيوان لابن سينا (ميلي: 499)».

ثم ورد في فقرة إسبانيا: أ- طليطلة، ص 68، ما يلي:

«وممن عاشوا في طليطلة مدة من الزمن، وكانت لهم مساهمة في الترجمة من العربية: مايكل سكوت الذي توفي عام 1236م في اسكتلندة».

التعليق:

1- هناك وصفان لمايكل سكوت أحدهما: اسكتلندي والآخر إنجليزي، وهو في الحقيقة مترجم اسكتلندي تُخَمَّن ولادته في عام 1175 وتوفي عام 1232م، كما ورد في دائرة المعارف (الانسكلوبيديا) البريطانية.

2- وجود سكوت في إسبانيا وترجمته للقرآن الكريم «نحو 1142م» يناقض وفاته في «عام 1236م في اسكتلندة»، لأن ذلك يعني أنه عاش أكثر من مئة سنة!

3- إن الذي ترجم القرآن الكريم بناءً على طلب بطرس (أو بيير) رئيس دير كلوني هو روبرت أوف كيتون، والذي يُسمى أيضًا روبرت من تشيستر، ضمن مشروع ترجمة ضم أربعة كتب هي:

1- القرآن العظيم.
2- الحديث النبوي الشريف.
3- كتاب نسب الرسول - صلى الله عليه وسلم - لسعيد بن عمر.
4- مسائل أبي الحارث عبدالله بن سلام.

بالإضافة إلى كتاب «رسالة عبد المسيح بن إسحق الكندي» وهو كتاب ملفق ادعى مؤلفه أنه يرد فيه على رسالة مسلم اسمه «عبدالله بن إسماعيل الهاشمي» يدعوه فيها إلى الإسلام، وتحتوي الرسالة والرد على الكثير من الافتراء المعهود على الإسلام الحنيف. وطُبعت النسخة العربية بنفقة الجمعية الإنجليزية المعروفة بجمعية ترقية المعارف المسيحية بلندن عام 1885م.

أما مجموعة الترجمة فكانت تضم مُتَرْجِمَيْن مَعْرُوفَيْن وشخصين آخرين يُدعى كل منهما بطرس (أو بيير)، ما عدا بطرس من كلوني نفسه. المترجم الأول هو روبرت من كيتون Robert of Ketton الإنجليزي والذي يُسمى بعض الأحيان روبرت من ريدينغ Reading or de Retines أو روبرتوس رتينيسيس Robertus Retenensis أو روبرت من تشيستر Chester، بسبب خطأ في كتابة اسمه في بعض المخطوطات. استقر روبرت في برشلونة عام 1136 مهتمًا بالفلك والهندسة، وقام بترجمة القرآن العظيم والحديث. وكان كثير التفاخر بعمله هذا، كأي إنجليزي، فقد شبه اختيار بطرس من كلوني له للترجمة كاختيار السيد المسيح - عليه السلام - للحواري بطرس! والمترجم الثاني هو هيرمان من دلماتيا Herman of Dalmatia الذي عاش وتنقل في إسبانيا خلال السنوات 1130م حتى 1142م وترجم الكتابين الأخيرين، أي كتاب النسب الشريف، وكتاب المسائل (Sarton 1931, vol. ii, pt. 1, 173; Kritzeck 1964 : 42).

وأشار سارتون في كتابه عن تاريخ العلوم إلى أن روبرت درس اللغة العربية في الدولة الإسلامية الغربية - الأندلس، وبعد ترجمته للقرآن العظيم ترجم كتاب كيمياء لخالد بن يزيد (متوفى نحو 708م) الذي كان فاتحة دخول الكيمياء إلى أوربا في عام 1144م، وترجم كتاب محمد بن موسى الخوارزمي في الجبر عام 1145م الذي كان فاتحة دخول الجبر إلى أوربا، بالإضافة إلى ترجمته لأعمال الكندي في الفلك، مثل رسالة في الأسطرلاب عام 1147م (Sarton 1931, vol, ii, pt. 1: 115). أما هيرمان فقد ترجم رسالة في الفلك لسهل بن بشر أكملها عام 1138م، وجداول الخوارزمي الفلكية وكتاب المدخل إلى علم أحكام النجوم لابن معشر في

عام 1140م، وأهداه إلى روبرت من تشيستر، وترجم المجريطي وتعليقات على كتاب الكواكب لبطليموس عام 1143.

ثانيًا: روبرت أوف كيتون

ورد في مراكز الترجمة العربية: إسبانيا، ب: سرقسطة، ص68:

«ويقول وات: إنه في الوقت نفسه [في القرن الثاني عشر] ومن المنطقة نفسها قام عالمان من وراء جبال البرانس - أي من خارج إسبانيا - بنشاط مشترك في ترجمة مؤلفات خاصة بالفلك والظواهر الجوية، ثم بمؤلفات في علم اللاهوت في وقت لاحق، وهما هربرت الدلماسي وروبرت أوف كيتون الإنجليزي (وات: 85)».

وورد في الترجمة ودورها في تطوير الطب في أوربا، ص73:

«... كما ترجم الإنجليزي روبرت أوف تشستر في 1144م كتاب «التركيب» لابن حيان أيضًا (مايرهوف: 328)».

التعليق:

إن هربرت الدلماسي وروبرت أوف كيتون الإنجليزي، اللّذَيْن يذكر وات مؤلفاتهما في علم اللاهوت (والمقصود طبعًا القرآن العظيم والكتب الإسلامية الثلاثة التي طلب ترجمتها بطرس رئيس دير كلوني)، هما اللّذان كلفهما بطرس (أو بيير) رئيس دير كلوني بمشروع الترجمة، الذي كان هدفه تشويه مبادئ الإسلام الحنيف من خلال الترجمة المشوهة للقرآن العظيم، وهي أول ترجمة للقرآن العظيم إلى اللاتينية والتي قام بها روبرت. إن بطرس هذا كان من دعاة الحملة الصليبية الثانية التي خابت وعاد ما تبقى من فلول جيوش الغزاة يحمل الخزي والعار. وكما ذُكر في التعليق السابق فإن روبرت أوف تشستر هو نفسه روبرت من كيتون. وقد ذكر ذلك أيضًا الدكتور محمد خير البقاعي في مقاله «ترجمات القرآن الكريم» في عدد الفيصل 239، وأشار إلى بطرس (أو بيير) بصفة «بيير الجليل» بينما أسماه الدكتور الصيني «بطرس المكرم» ترجمة للقبه الوظيفي Venerable وهو في الحقيقة غير جليل ولا مكرم لمن يطلع على كتاباته الموتورة عن الإسلام (انظر مثلا Kritzeck, 1964) والتي حاول بها جاهدًا تشويه صورة الإسلام و«حماية المسيحيين من خطر التحول إلى الإسلام» عندما سمع بتحول الصليبيين الغزاة إلى الإسلام عندما وقعوا بين فكي المسيحيين الأرثوذوكس والمسلمين، حيث سلبهم الصليبيون ملابسهم وكل ما يملكون وباعوهم للأتراك المسلمين فأذهلهم عطف المسلمين عليهم وإطعامهم وإكساؤهم وهم أعداؤهم، فجعلهم ذلك يتحولون إلى الإسلام! فقد لاقت قوات كونراد الثالث ملك الألمان، أولاً، وتلتها قوات لويس السابع ملك فرنسا، الأهوال من استغلال اليونانيين (وهم المسيحيون من الكنيسة الشرقية) لظروف الحملة الصليبية بطلب الأموال لمساعدتهم في العبور إلى الجهة الأخرى، ومن لم يكن يمتلك المال بيع في سوق العبيد. وعانى الآخرون من الموت والهلاك بسيوف الأتراك السلجوقيين الذين عطفوا على الجرحى وأطعموا الجياع بعد ذلك. وكان لعطف المسلمين عليهم، بعكس اليونانيين بني دينهم الذين باعوهم عبيدًا، الأثر الكبير في عدد عظيم ممن كان يسمى بـ «الحجاج»، مما أدى إلى اعتناقهم الإسلام (Morison, 1901: 400)، وكان هذا المشهد هو ختام الحملة الصليبية الثانية الخاسرة، كما أخفقت الحملات التي تلتها كافة.

المراجع:

Kritzeck, J. (1964). Peter the Venerable and Islam, Princeton: Princeton University Press.

Morison, J. C. (1901). The Life and Time of Saint Bernard Abbot of Clairvaux, London: Macmillan and Co. Limited.

Sarton, G. (1931). Introduction to the History of Science, vol II, part 1, Baltimore: Carnegie Institution of Washington.

د. شذى سلمان الدركزلي

قسم الفيزياء، جامعة درم

درم، المملكة المتحدة.

مع العقل وتربية لا تغتاله



ليس عليّ إلا أن أعلن عن تقديري وإعجابي بما قرأته لرئيس التحرير في العدد 240 في إطلالته «تربية لا تغتال العقل». فالموضوع مهم جدًا، وقد استوقفتني عباراتٌ حُقَّ لها أن تكتب بماء الذهب؛ مثل قوله: «إن مستقبل الأمة يُصنع في فصولها الدراسية»، ثمَّ توضيحه لأهم غايات النظام التربوي، وهي: «إيجاد إنسان متكامل الشخصية، متشرب ثقافة الأمة، منفتح على الثقافات الأخرى». وقال: «ولا تتحقق هذه الغاية بالتلقين، وحشو الذهن بالمعلومات، فهذا الأسلوب لا يُوْجِد إلا نسخًا مكرورة، غير قادرة على التفكير المستقل، مكبلة

عليَّ إلا أن أعلن عن تقديري وإعجابي بما قرأته لرئيس التحرير في العدد 240 في إطلالته «تربية لا تغتال العقل». فالموضوع مهم جدًّا، وقد استوقفتني عباراتٌ حُقَّ لها أن تكتب بماء الذهب؛ مثل قوله: «إن مستقبل الأمة يُصنع في فصولها الدِّراسية»، ثُمَّ توضيحه لأهم غايات النظام التربوي، وهي: «إيجاد إنسان متكامل الشخصية، متشرب ثقافة الأمة، منفتح على الثقافات الأخرى». وقال: «ولا تتحقق هذه الغاية بالتلقين، وحشو الذهن بالمعلومات، فهذا الأسلوب لا يُوْجد إلا نسخًا مكرورة، غير قادرة على التفكير المستقل، مكبلة بقيود التبعية، وإنما يكون ذلك بتعويده ممارسة الفكر الناقد، والحوار الموضوعي، وشحذ الذهن؛ الأمر الذي يؤدي إلى تنمية القدرات المعرفية والإدراكية...».

والحقيقة أنّ التجسيد العلمي والفهم لهذه الأمور يكاد يكون معدومًا، فلقد غاب عن عقول كثير ممن يرعى الناشئة كنه وظيفته، والتي وحدها تتعامل مع العقل والروح، وما قيمة الإنسان من دونهما؟!

الأمر الذي يستدعي من المربي جهودًا مكثفة للارتقاء بالعقول والسموّ بها لتجوب الآفاق، وتنزل ساحات الإبداع، وبذلاً مماثلاً لتربية الروح وتهذيبها كي لا تسف.

والمشكلة في أغلب البلدان الإسلامية، تكمن في عملية التربية والتعليم التي ما تزال خاضعة للقسر والهيمنة واغتيال العقل. إذ التدريس ما يزال خاضعًا خضوعًا كبيرًا للتقليد دون انتقاد، أو هو يقوم على التقليد الذي لا يسمح بالنقد، ويظهر ذلك في سلطة المعلم المطلقة حتى يومنا هذا، وفي عدم إباحة الكثير من الأسئلة ومعالجتها، وإجبار التلاميذ والطلاب على الحفظ استظهارًا عن ظهر قلب، وإعطاء ذلك أهمية قصوى في بعض فروع الدراسة. وهذا يعني ترسيخًا لمفهوم التخلف، وتجفيفًا لمنابع الإبداع الذي يظهر في عقلية حُرَّة مؤسسة على الحوار الناقد والبَنّاء. ها هو محمد - صلى الله عليه وسلم - يُعلِّمُ أصحابه فيقول لأبي ذرٍّ: «قل الحق ولو كان مُرًّا».

إن النبي المربي - صلى الله عليه وسلم - يصوغ عقول أتباعه، ويركبها تركيبًا جديدًا، يتمثل في قول الحقِّ المر، وليت شعري هل صور الحق المر تبدو في غير نقد الذات، ومحاورة الآخرين، وتقويم الخطأ، وفي فاعلية إيجابية تبذل المهج في سبيل استجماع شمائل الحق؟ مما سينمي طردًا صناعة الحياة، ومنهج الإبداع.

والإسلام أول ما طالب به الإنسان إعمال عقله: فاعلم أنه لا إله إلاّ اللّه. وما أُرسل الرسل إلا ليثيروا دفائن العقول. والقرآن الكريم استعمل أفعال العقل: أفلا تعقلون. لقوم يتفكرون. ولم يأت باسم العقل مجرَّدًا، وفي هذا إشارة إلى أن قيمةَ العقل بوظائفه، وضرورة إعماله، فلا يكفي وجوده، بل لا بُدَّ من تشغيله، ثُمَّ لا بد أن ننوه بحقيقة التغيير الذي أحدثه الإسلام قبل أربعة عشر قرنًا، وأنه صدًى لتلك الصيحة التي جلجلت في أرجاء مكة المكرمة: اقرأ، وهل في هذا الأمر إلا استثمار للعقل وتوظيفه؟

إنه في سبيل عزة قعساء لأمتنا، لا بد من مراجعة طرائق التربية والتعليم، ويكون ذلك بإحياء التربية التي لا تغتال العقل، ورفع الوصاية عن الأفكار، والقداسة لها وللأشخاص.

لقد غيَّرت أمريكا مناهجها الدراسية عندما سبقتها روسيا بإنزال إنسان على القمر.

- لـمَ لا نعيش في عالم الحقائق بعيدًا من قيد الأشخاص؟

- لـمَ نطلب من التلميذ أن يكون صورة عن معلمه أو شيخه؟

- لماذا لا نحيي المنهج الصحيح الذي ينبغي أن يُؤَصَّل في النفوس، والذي لخصه الإمام أبو حامد الغزالي بقوله: «اقرأ، وانقد، ووازن، ورجِّح، وابحث عن الحق ما استطعت، وتجرد عن الهوى».

هذه هي التربية التي تدل على الصحوة،

زكي نجيب محمود وإعادة البناء الحضاري



زكي نجيب محمود، هذا الرجل الذي رحل عنا بجسده، ولكنه حاضر بيننا بفكره وبأعماله يستحق أكثر من تنبيه وأكثر من وقفة. فهو رجل أغنى المكتبة العربية بكتاباته في الأدب والفلسفة والفكر، فاستحق بذلك التبجيل والتكريم بنيله جائزة الدولة التقديرية في الأدب عام 1975م والجائزة التقديرية للثقافة العربية من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام 1984م، علاوة على جوائز وأوسمة أخرى. خاض في العديد من المواضيع المهمة، منها مشكلات الحضارة وإعادة البناء الحضاري للأمة العربية الإسلامية.. فَعَلامَ ركز في هذا الموضوع؟

- لقد ركز زكي نجيب محمود على فكرة شغلت علماء هذا القرن من عرب ومسلمين من أمثال المفكر الجزائري المسلم مالك بن نبي؛ ألا وهي فكرة إعادة البناء الحضاري للأمة العربية الإسلامية. وكان دافعه إلى ذلك حرصه على عودة هذه الأمة إلى الساحة الحضارية بقوة، معتقدًا اعتقادًا راسخًا بأن نهضتها تكمن في امتلاكها لعلوم هذا العصر من علوم أساسية ومعلوماتية وغيرها. وقد اعتقد كثير من المثقفين ومن القرّاء من ذوي النظرة العاجلة للأشياء، أن زكي نجيب

محمود مبهور بحضارة الغرب المادية وخاصة منذ أن رحل إلى أوروبا عام 1944م في إطار التحضير لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة لندن، مركّزين في ذلك على قناعته التي ظل يدافع عنْها، حتى وفاته؛ ألا وهي أن العالم العربي والإسلامي مدعو إلى استيعاب حضارة الغرب للحاق بالركب الحضاري، وشهادتهم في ذلك ما كتبه الأستاذ عام 1951م، أي بعد عودته من إنجلترا، تحت عنوان «شروق من الغرب». هذا الكتاب الذي نشره في بداية الخمسينياتو أثار ضجة كبيرة آنذاك، حيث ردّ عليه مثقفون كثيرون، فمنهم من كتب «غروب من الغرب»، ومنهم من كتب كعباس محمود العقاد «شروق من كل مكان»، ولكن الأستاذ زكي نجيب محمود ظل مؤمنًا بفكرته التي أدرك أن الناس ربما فهموها فهمًا ناقصًا، فأراد ـ رحمه الله ـ إثارتها وتوضيحها من جديد إدراكًا منه لأهميتها بعد 35 سنة. فكتب في صحيفة «الأهرام» في عددها الصادر يوم 8 نيسان/ أبريل 1985م: «وللشمس شروق بعد كل غروب»، ويقصد بذلك أن الحضارة يمكن أن تشرق أيضًا من الشرق. هذا «الاستدراك المتقدم» أثارته رسالة الأديبة السيدة سهير إبراهيم عليوه التي جعلته يكتب قائلاً: «ولقد ذكرتني بهذا كله رسالة من السيدة الأديبة سهير إبراهيم عليوه، كتَبتها إثر قراءتها لكتاب «شروق من الغرب»، فقالت في رسالتها: «... عندما حصلت على كتابكم الفريد «شروق من الغرب» تبادر أول ما تبادر في ذهني، من معنى عنوان الكتاب، أن الحضارة والتقدم يأتينا الآن من الغرب، بعد أن كان الشرق هو منبع الحضارات والثقافات. فقلت في نفسي ـ والحديث دائمًا للأديبة سهير ـ هذا الشروق من الغرب يقابله غروب في الشرق. وإن كان الغروب مراحل ودرجات، فأول درجة في غروبنا، هو غروب المحبة والإخاء الديني ممَّا دعا الإخوة إلى الاقتتال سواء كان ذلك في العراق وإيران، أم كان في لبنان، وتلا تلك المرحلة مراحل غروب كثيرة وكثيرة. فتراجعُ دور الكلمة وفقدانُها لمعناها غروب، والهجومُ الدائم على كل صاحب رأي حر من الشوامخ غروب، وكذا الإسفاف الفني والتفاهة التي وصل إليها مستوى الترفيه غروب، ثم الإعراض عن حضور الندوات الجادة والأمسيات الثقافية والشعرية الراقية والتهافت على الأدنى غروب». وتُواصل هذه الأديبة سرد مظاهر الغروب في حياتنا، حيث تقول: «وفي شرقنا الآن غروب للقيم والمبادئ والمثل العليا وكذا العلوم وأسباب التقدم، إذ بعد أن كان هذا الشرق مهدًا للحضارات قديمًا، أصبح لحدها. وهكذا بدأنا عمالقة وانتهينا أقزامًا...». وقد كان تعقيب الأستاذ زكي نجيب محمود بقوله: «كانت تلك فقرة من رسالة الأديبة، أحصت فيها عددًا من أنواع الغروب في حياتنا. ولقد أقامتها على نتيجة استدلتها استدلالاً من عنوان الكاتب الذي قرأته لي، وهو كتاب: «شروق من الغرب» الذي كتبت مادته في أواخر الأربعينيات ونُشر في أول الخمسينيات، إذ قالت الأديبة لنفسها، إن فكرة الشروق من الغرب تستلزم عنها نتيجة، هي أن يتحوّل الغروب ليكون في الشرق. ويبدو أنها حين استخرجت لنفسها تلك النتيجة وجدتها نتيجة صحيحة، وأخذت تحصي أمثلة مختلفة من ذلك الغروب، ويبدو أنني، وإن كنت لم أذكر تلك النتيجة ذكرًا صريحًا في ذلك الكتاب، فقد تركتها مضمرة ومتضمنة في صفحاته. فلست أجزم الآن بما كنت عليه من رأي في هذا الصدد، حين كتبت مادة الكتاب المذكور؛ وأقول ذلك لأن النتيجة التي استخرجتها صاحبة الرسالة وهي أن يكون في الشرق غروب لا تلزم بالضرورة عن عنوان الكتاب. فليس ثمّة ما يمنع أن يكون مع الشروق من الغرب، شروق كذلك من الشرق، وذلك نفسه ما تضمنه العنوان الذي اختاره العقاد لمقاله الذي علّق فيه على ذلك الكتاب، إذ جعل عنوانه «شروق من كل مكان»...». ولعل هذا الاستدراك اللبق من جانب أستاذ كبير مثل زكي نجيب محمود بعد مرور 35 سنة يُبَيِّنُ مدى حرصه على توضيح الرؤية لدى خصومه ولدى الذينَ أساؤوا فهمه وحسبوه مثل أي مبهور بحضارة الغرب، انبهارًا ساذجًا.. فالأستاذ زكي نجيب محمود، حين دعا إلى استيعاب حضارة الغرب، إنما دعا إليها دعوة المفكر العربي الأصيل ذي الفكر الثاقب والرأي الصائب، دعوة نابعة من غيرته على أمته وحرصه على تقدمها، حيث يقول: «والحق الذي لا أخفيه، ولا أحب أن أخفيه، هو أن قلبي يغمره الحب والفخر بوطني وبأهلي»؛ دعوة أساسها الاقتناع بأن العلم أساس التقدم، وهو ما ظل يدافع عنه على مدى نصف قرن من الزمان بقوله: «وأيًا كان موقفي في ذلك الزمن البعيد ـ أي أواخر الأربعينيات ـ، فهذا هو موقفي اليوم ـ أي في منتصف التسعينيات ـ، وهو أن شمس الحضارة الجديدة قد أشرقت في عصرنا هذا من ناحية الغرب، بكل ما تشتمل عليه تلك الحضارة من علوم جديدة، وأجهزة جديدة، ونظم جديدة، وفن جديد...». والحق الذي لا غبار عليه هو أن أغلب مظاهر حياتنا اليوم تغمرها مخترعات الحضارة الغربية بدءًا من السيارة إلى الطائرة، ومن التلفاز إلى الحاسوب (الكمبيوتر)، إلى الأدوية ومعدات الزراعة والأجهزة الطبية وغيرها من مستلزمات الحياة العصرية. لقد دعا الأستاذ إلى فهم هذه الحضارة المادية واستيعابها وإضافتها لحضارتنا الروحية بوصفنا أمة عريقة وراسخة بإمكانها تجاوز مختلف انتكاساتها للعودة إلى الساحة الحضارية والإسهام فيها دونما عقدة أو خوف، حيث يقول ـ رحمه الله ـ في هذا الشأن: «ولكن ذلك كله حين يرسل إلينا أشعته التي يجب أن نتلقاها مرحبين، فإن تلك الأشعة الوافدة لن تقع علينا على قفر يباب، بل إنها لواجدة في شرقنا أصولاً راسخة لحضارة أو لحضارات تعاقبت وتراكمت آثارها عميقة، ومن حسن الحظ أن ميراثنا الحضاري الغزير، إنما يقع في أصعب الجوانب انتقالاً واكتسابًا، وأعني جوانب الدين والفن واللغة والأدب، وبعض النظم الاجتماعية الصالحة للبقاء...». إذن فالأستاذ مقتنع أن المسائل التي ذكرها راسخة، وبإمكانها الصمود في وجه الغزو الحضاري الغربي بحكم أن تغيرها تغير بطيء جدًا، وعَدّ التغيّر العلمي أسهل من التغير الاجتماعي، حيث يقول: «أما الجوانب الحضارية التي تأتينا من الغرب الجديد والتي ندعو إلى قبولها وهضمها والترحيب بها؛ فهي أيسر الجوانب انتقالاً واكتسابًا، لأنها ـ على الأغلب ـ علوم وما يلحق بها من مهارات مهنية، وتلك أشياء نعلم كم هي يسيرة الأخذ، إذا ما أقبل إنسان على أخذها والتمرس بها. فلو أن الذي ينقصنا فهو العناصر المقامة على الوجدان والإيمان لكان اكتسابها من أصحابها عسيرًا إلى حدّ يقترب من الاستحالة. أما المطلوب المجلوب من غيرنا هو في باب العلوم أساسًا، فلا عسر في الأمر».

ولهذا يعتقد الأستاذ زكي نجيب محمود أن

إمكانية النهوض من جديد ممكنة جداً بعد اكتسابنا العلم والمهارات التقنية. ولنا عبرة في اليابان التي لم تكن لتُذكر قبل دستور 1867م، حيث قامت بنهضة علمية وحررت العقل الياباني من الخرافات، وأرسلت البعثات العلمية إلى أوروبا الغربية، حيث تشبعت بالعلوم العصرية والمعارف. وانطلقت اليابان في نهضتها العلمية مع بداية هذا القرن. فأصبحت على ما هي عليه قوّة ضاربة في العلوم التطبيقية لتزحف - بعد ذلك - على المعلوماتية والروبوتية والفضاء. ذلك هو التقدم الذي يدعو إليه الأستاذ زكي نجيب محمود، فهل فقد اليابانيون ديانتهم وعاداتهم وتقاليدهم؟ بالتأكيد لا. ولعل اليابان نجحت في الجمع بين الجانبين الروحي والمادي؛ أي بين الأخلاق والعلوم. وهو ما يدعو إليه الأستاذ في قوله: «إن الإسلام هو أهم ما في تراثنا، ورسالة الإسلام هي أخلاقية في المقام الأول، ولما كانت ثقافة العصر، إنما تستند إلى «العلوم» قبل أي شيء آخر، فأين يكون موضع الوهم إذا أخذنا أخلاقًا من هنا وعلومًا من هناك؟». هذا التزاوج بين الأخلاق والعلوم يؤكده في أكثر من مقام وخاصة في كتابه «تجديد الفكر العربي» الذي يقول فيه: «في تجديد الفكر العربي قضية لست أول من طرحها، ولكنها أهم قضية مطروحة على أي رجل له نصيب من القيادة الفكرية في الوطن العربي كله، وهو موقفنا من حضارة هذا العصر»، ويستطرد قائلاً: «إننا من الأمم القليلة ذات الحضارة القديمة، هناك ثلاث أو أربع أمم لها حضارة قديمة، نحن الأمة العربية، الهند، الصين. ربما نقول اليابان، هؤلاء لهم حضارة قديمة، ثم جاءت حضارة العصر من أوروبا وأمريكا، أصحاب الحضارة العصرية أنفسهم لا يشعرون بأي تشقق أو تفسخ في وجودهم؛ لأن الحضارة حضارتهم، هم الذين صنعوها على أساس من ماضيهم اليوناني والروماني، ثم استأنفوا مما أخذوه عن العرب في أواخر القرون الوسطى وغير ذلك، كله عُجنَ في عجينة انتجت لهم ما نسميه بالنهضة الأوروبية في القرن السادس عشر، وعلى أساس هذه النهضة الأوروبية نشأت أوروبا الحديثة في القرون الأخيرة، ومنها تولّدت الحضارة الحديثة بما فيها من علم وصناعة...».

أساس إعادة البناء الحضاري:

إن أساس إعادة البناء الحضاري إذن علمي بالدرجة الأولى؛ لأن العلوم قائمة على العقل، والعقل كما يقول الأستاذ: «ملك مشترك بين أفراد البشر جميعًا»، وعلى هذا الأساس يواصل شرحه في كتابه «تجديد الفكر العربي» بقوله: «إن التقدم أينما حدث في عالمنا المعاصر خطواته المحتومة هي: علوم فتصنيع، فتهذيب للتقنيات يترك للآلة أن تُسَيِّر الآلة. وهنا ندخل أرقى مراحل التطور الذي يشهده عالمنا المعاصر، ألا وهي مرحلة «الصناعة والزراعة الروبوتية» التي يكون للرجل الآلي فيها مكانته المركزية». وعن هذه المرحلة يقول أيضاً توفيق الحكيم: «إن القرن الـ 21م، هو قرن الروبوت». نعم إن الروبوت والعقول الإلكترونية والآلية عمومًا l'automatisme ستغمر حياتنا المستقبلية. والمعروف أن هذه الوسائل أساسها علمي، ولهذا دعا الأستاذ زكي نجيب محمود إلى النهضة العلمية للقيام بنهضة حضارية عربية إسلامية شاملة.

لقد ركّز الأستاذ زكي نجيب محمود في كتابه الآنف الذكر على هذه النقطة وعدّها محورية في تقدم الفكر العربي، لأن العلوم تبقى الأساس في بناء أية حضارة معاصرة إذ يقول: «إن الأمر ليس مقصورًا علينا، بل إنه ليعم الدّنيا بأسرها في تحولها الراهن، إذ إنه يسير في خط واحد، ولا مجال فيه للاختيار والتردد، إذ هو دائمًا، وفي جميع الحالات، انتقال من ثقافة الكلمة إلى ثقافة العلم المؤدي إلى عمل، بل إن هذا العمل لم يعد ليُترك على إطلاقه، وإنما هو عمل محدد الخصائص، إذا أُريد للأمة أن تكون معاصرة، وذلك أن يكون عملاً في دنيا الصناعة». من هنا وجب على الأمة العربية والإسلامية أن تستنفر طاقاتها للقيام بنهضة علمية واسعة تعتمد استغلال أقرب الطرق وأيسرها ربحًا للجهد والوقت. ولا نخال أبسط من السبل والوسائل العلمية من مناهج علمية وعقول إليكترونية وبنوك معلومات وربوتات و... أي بكلمة واحدة التحديث والعصرنة التقنية مع الاحتفاظ بالشخصية والعادات والقيم الروحية الاجتماعية للأمة العربية والإسلامية.

المراجع:

1- تجديد الفكر العربي، دار الشروق، بيروت 1981م.
2- هموم المثقفين، دار الشروق، بيروت 1981م.
3- مجتمع جديد أو الكارثة، دار الشروق، بيروت 1983م.
4- صحيفة «الأهرام»: عدد 8 أبريل/ نيسان 1985م، ص14.
5- مجلة الحوادث: عدد 1429م، 23 مارس/آذار 1984م، ص68.

أحمد بيوض
164/ 16 لومين، بوسعادة
المسيلة، الجزائر.

المعرفة ومدى توظيفها لخدمة الاستعمار



الحمد لله الذي اصطفى، وأمر بالعلم وكفى. أما بعد، فقد طالعني في العدد 236 من مجلتنا الغرّاء «الفيصل» مقال الأخ عبدالرحمن بن عبدالله ثامر أحمد، حول المعرفة ومدى توظيفها لخدمة الاستعمار.

وقد قرأت هذا المقال بشغف واهتمام بالغين لمدى خطورة هذا البحث من جهة، وبسبب الفهم الخاطئ لحقيقة الاستشراق - من قبل بعض الناس - من جهة أخرى.

ووجدت أن الأخ عبدالرحمن قد أصاب

عندما انتقى شخصية استشراقية مشهورة، أبرز صفاتها، وسبر خفايا أعمالها، وفضح ما وراء المعرفة التي اكتسبتها هذه الشخصية، وخاصة المعرفة الخاصة بالإسلام والمسلمين. والشخصية المقصودة هو المستشرق الهولندي كريستيان سنوك هورخرونيه، الذي سخَّر ما يعرفه عن الإسلام لخدمة الاستعمار ومطامعه بكل وقاحة؛ حيث شارك في تخطيط سياسة حكومته الاستعمارية بأندونيسيا. هذا المستشرق رفع إلى حكومته 1400 تقرير ترسم لها سياستها في مستعمراتها. ولعل الصرخة المدوية التي أطلقها كاتب المقال تجلت في قوله: «إن هذه المعلومات التي يطرحها هورخرونيه هنا لمفيدة لدوائر الأمن، وأجهزة التحقيق ومراكز التفتيش الهولندية في تلك البلاد المستعمَرة».

وأود في هذا التعليق الموجز، أن أوضح فكرة عامة عن المستشرقين والتعريف بحقيقتهم التي طالما غفل عنها كثيرون.

المستشرقون باختصار: هم الذين يقومون بالدراسات الاستشراقية من غير الشرقيين، ويقدمون دراساتهم وتقاريرهم ووصاياهم إلى:

- المبشرين بغية تحقيق أهداف التبشير.
- الدوائر الاستعمارية بغية تحقيق أهداف الاستعمار.

ومن المعلوم أن الاستشراق بدأ منذ أن دقت جيوش الفتح الإسلامي أبواب أوربا العريضة، وكان المسلمون آنذاك قد تصدروا عرش السيادة الدولية وملؤوا سمع الزمان وبصره، وسائر مشاعره متسلحين بلا إله إلا الله، مُحسنين الظن بالله، عدتهم تقوى الله تعالى، وعتادهم تمثل أوامره، سلوكهم اليومي يرسمه لهم القرآن والسنّة دون تقليد لأقوام ضالين ومضلين. وبعد الفتوحات الإسلامية المستمرة، وانتصارات الإسلام المتوالية بدأ الصليبيون الغارقون في الجهل، المستغرقون في نوم عميق، بالبحث عن أسباب رقي المسلمين ونبوغهم علّهم يصلون إلى ما وصل إليه المسلمون. ومن الطبيعي عندها أن يأتي الاستشراق طلبًا لعلوم الشرقيين ولغاتهم وأوضاعهم وبحثًا عنها، وهنا إشارة واضحة لغايات المستشرقين. وتمضي الأيام، وتنقلب الموازين، وتنهض أوربا من سباتها الطويل، وعندها تأخذ نبتة الفكر الاستعماري بالنمو في دول أوربا بعد نهضتها، واحتاج الطامعون باستعمار بلاد المسلمين إلى زاد من الدراسات الاستشراقية، فوجهت الدوائر الاستعمارية أعدادًا من المتعلمين في بلادها للتفرغ للدراسات الشرقية من جميع الجوانب (اللغوية، الدينية، السياسية...).

وعندها تلاقت أهداف التبشير مع أهداف الاستشراق والمستشرقين ونجح أرباب الاستشراق في لملمة معلومات هائلة عن الشرق الإسلامي المتسامح، وأخذوا يغزونه في الصميم، ويبثون بين أفراده روح الفرقة والضعف، ولعل من أهم تلك المحاولات إحياء مفهوم القوميات؛ كالعربية والكردية والتركية والفارسية ليتسنى لهم تشتيت شمل الأمة الإسلامية الواحدة، التي تجمعها رابطة واحدة متماسكة هي وحدة الدين التي تهيمن على جميع مشاعر الإنسان الداخلية، وسلوكه الظاهر والباطن. فهؤلاء هم المستشرقون وهذه أعمالهم وأحقادهم تتجلى واضحة بإمعان النظر في خفايا نواياهم المسمومة.

وحتى نكون موضوعيين فهناك من المستشرقين من كتب عن الإسلام مثل «توماس آرنولد» الذي أنصف المسلمين في كتابه «الدعوة إلى الإسلام»، فقد برهن فيه على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين.

هذا واحد من المستشرقين الذين حكَّموا الضمير الصادق، وهم قلة قليلة، وهذا شيء طبيعي؛ لأن الاستشراق ينبعث من الكنيسة، وفي الدول الاستعمارية يسير مع الكنيسة ووزارة الخارجية جنبًا إلى جنب، ويلقى منهما كل تأييد، لكونه أداة هدَّامة للإسلام، وتشويهًا واضحًا وصريحًا لسمعة المسلمين.

ومن عجب أن الكنيسة تسير مع الاستشراق في بلاد الصليب، والسياسة بعيدة كل البعد من الدين في كثير من بلاد المسلمين. وهنا أتذكر ما ورد في العدد 214 من الفيصل على لسان العلامة مصطفى صبري - رحمه الله - حيث يقول: «إن الفصل بين الدين والسياسة مؤامرة بالدين للقضاء عليه، وهو ثورة حكومية على دين الشعب، بل ارتداد عنه من الحكومة أولاً ومن الأمة، إذا سكتت، ثانية، وهو أقصر طريق إلى الكفر».

وبعيدًا من السياسة نقترب من مسألة التعليم قليلاً، حيث يقول أحد المستشرقين الإنجليز: «إن مدارس البنات في دمشق هي بؤبؤ عيني»، والمقصود واضح والغاية مكشوفة في اختلاط الطلاب مع الطالبات سواء في المدارس أو الجامعات أو ما يسمى بالمعسكرات الإنتاجية، إلى جانب تشجيع خلع الحجاب داخل المدارس، وهنا تجدر الإشارة بأن نذكر قول الشيخ مصطفى صبري الوارد أيضًا في العدد 214 من مجلتنا الغرّاء، حيث يقول: «مسألة المرأة أعظم حاجز بين الإسلام والمدنية الغربية، فالمسلم الحق لا يقبل الحياة العارية المختلطة، والغربي لا يرى كحجاب النساء أكبر مانع في اختيار الإسلام دينًا له، وربما لايشك في كونه أحق الأديان بالقبول، لكنه يصعب عليه فراق ما تعوَّده من الحياة المختلطة بالنساء، وفيها حظ عظيم للنفس الأمّارة بالسوء».

بعد هذا يتضح أن المستشرقين أشد الأخطار على تراثنا الإسلامي. وأخيرًا أقترح على إدارة المجلة تخصيص ملف شامل عن المستشرقين، ما لهم وما عليهم، ولا أدري ما هو موقف التحرير من هذا الاقتراح. والله من وراء القصد.

مخلص الطويل
الكسوة، دمشق، سورية.

رواية بستة ملايين دولار

د. غسان حتاحت



في كل عام تصدر في هوليود قائمة تضم أسماء مئة شخص أظهرت الاستبانات واستطلاعات الآراء أنهم الأكثر أهمية وتأثيرا في هوليود. وفي هذا العام ضمت هذه القائمة أسماء عدد من الكتاب، منهم توم كلانسي ومايكل كريشتون وجون جريشام.

ولقد استحق جون جريشام بجدارة أن يُذكر اسمه في هذه القائمة، فقد اقتُبست من رواياته ثلاثة أفلام حققت نجاحًا كبيرًا. وهذه الروايات هي: «الشركة» ـ أو المؤسسة ـ و«مذكرة البجع» و«الموكل». أما روايته «وقت للقتل» وهي أولى الروايات التي كتبها فقد بيعت حديثا حقوق اقتباس فيلم منها بستة ملايين دولار.

يروي جون جريشام أنه تلقى مرة رسالة من أحد المعجبين ذكر له فيها أنه ذهب مع عروسه في شهر عسل واصطحب معه نسخة من رواية مذكرة البجع، فكان أن قضى العروسان شهر العسل وهما يتنازعان فيما بينهما: من يتابع قبل الآخر قراءة هذه الرواية حتى نهايتها.

أما كيف بدأ جون جريشام الكتابة وكيف وصل إلى ما وصل إليه فلذلك قصة طريفة.

يقول هذا الكاتب: بعد أن تخرجت في كلية الحقوق ومضت علي ثلاث سنوات في ممارسة المحاماة، شهدت مرة في إحدى المحاكم محاكمة مجرم اعتدى جنسيا على إحدى الفتيات بوحشية وعنف، وقد أثارت تلك الجريمة غضبي وتساءلت في نفسي: ترى لو قام والد هذه الفتاة بقتل المجرم المعتدي فكيف يكون رد فعل المحلفين والقضاة تجاه ذلك؟.

وشُغلت بتلك الفكرة، وقررت أن أكتب رواية عن ذلك. ولم أكن أنوي أن أنشرها على الملأ قط. كل ما كنت أريده وقتها هو أن أضعها على مكتبي وأشير إليها أمام الموكلين قائلاً: إنها رواية ألفتها.

ويتابع جون جريشام فيقول: بدأت بكتابة الفصل الأول ثم عرضته على زوجتي رينيه فأعجبت به، وزوجتي خبيرة بالروايات إذ تقرأ خمس روايات أو ستًا كل أسبوع. وطلبت مني أن أكتب الفصل الثاني ففعلت وقرأته فازدادت إعجابا وطلبت مني أن أتابع الكتابة.

وكنت أكتب في أوقات متفرقة دونما انتظام. وبعد ثلاث سنوات أتممت الرواية وسميتها «وقت للقتل»، وهنا خطر ببالي أن أنشرها فعرضتها على عدد من الناشرين، وكان أن رفضها عدد غير قليل منهم حتى رضي ناشر محلي أن ينشرها ويطبع منها خمسة آلاف نسخة بيعت ضمن دائرة قطرها مئة ميل من المنطقة التي أسكن فيها (ولاية ميسيسبي)، لكنها لم تنل حظا من الشهرة خارج هذا المحيط ولم تطبع طبعة شعبية ولا أتتني العقود لنشرها في دول أجنبية.

وطلب مني الناشر أن أكتب رواية أخرى. وبدأت بكتابة رواية الشركة (أو المؤسة) التي نشرتها دار نشر دبل داي/ ديل. ونجت هذه الرواية الثانية نجاحا هائلا جعل الناس يهتمون بروايتي الأولى وقت للقتل. وكان ذلك بداية مرحلة جديدة، تركت فيها مهنة المحاماة وتفرغت للكتابة.

ولقد أتبع جون جريشام روايتيه السابقتين برواية أسماها «مذكرة البجع» ثم برواية رابعة اختار لها عنوان «الموكل».

وقد اقتُبست من هذه الروايات ثلاثة أفلام ناجحة، ويجرى الإعداد حاليا لفيلم جديد مقتبس من روايته الأولى وقت للقتل.

وفيما يلي سأستعرض بإيجاز موضوع رواياته الثلاث الأولى وفق كتابتها، وهي: وقت للقتل، والشركة ومذكرة البجع.

تدور أحداث وقت للقتل في ولاية ميسيسبي وهي ولاية من ولايات الجنوب الأمريكي حيث ماتزال بقايا التمييز العنصري راسخة هناك. إذ يعتدي شاب من البيض ممن يدمنون المخدرات والمسكرات على فتاة سوداء، ولا يكتفي بالاغتصاب الجنسي بل يقوم بضرب الفتاة ضربا مبرحًا مشوها حتى تفقد وعيها وتصبح بين الحياة والموت.

يتم إنقاذ الفتاة، ثم يتم التعرف إلى الجاني، وتجري محاكمته، وتشير الدلائل إلى أن العقوبة سوف تكون خفيفة؛ فالمعتدي أبيض والمُعتدَى عليها سوداء. لكن والد تلك الفتاة يقتل الشاب المعتدي ثم يسلم نفسه للعدالة، ويوكل الوالد محاميًا أبيض للدفاع عنه، وهنا تتداخل عناصر عدة. فالبيض وجماعة كو كلوكس كلان يهددون المحامي؛ والسود بمنظماتهم يريدون أن يستغلوا هذه القضية. وثمة محام أسود يريد أن يتسلم مهمة الدفاع عن القاتل لتحقيق مبتغاه في الشهرة والمال.

وتستمر المحاكمة في هذه الأجواء المحمومة حتى يصدر حكم المحلفين في النهاية بأن القاتل غير مذنب.

أما رواية الشركة وقد اشتهرت بترجمة أخرى هي المؤسسة. وثمة ترجمة ثالثة قرأتها في إحدى المجلات الثقافية العربية المشهورة أثارت غيظي إذ ترجمها المحرر إلى (الراسخ) إذ لم يخطر بباله أن كلمة THE FIRM ذات معان متعددة. وكان أن اختار المعنى البعيد كل البعد من العنوان المقصود.

تحكي رواية الشركة حكاية محام شاب ينضم إلى شركة من المحامين ـ وأكثر المحامين في أمريكا يمارسون مهنتهم من خلال شركات ـ وتقدم الشركة إلى هذا المحامي راتبًا مغريا إضافة إلى فوائد أخرى. ويعمل بجد ونشاط، لكنه يفاجأ بأن هذه الشركة ما هي إلا واجهة لعصابة من المافيا وأنها تقوم بأعمال غير قانونية وغير شرعية. ويتعاون هذا المحامي مع مكتب التحقيقات الاتحادي مخاطرا بحياته، وعندما يتبين له أن الحكومة عاجزة عن حمايته يقرر أن يكشف أسرار الشركة وحيدا دون الاستعانة بالحكومة. وينجح في الحصول على الوثائق التي تؤدي إلى فضح الشركة فيرسلها إلى مكتب التحقيقات الاتحادي بعد أن يكون قد اقتطع من الأموال ما يكفي كي يعيش آمنا في منطقة بعيدة من أيدي المافيا والحكومة.

أما الرواية الثالثة وهي مذكرة البجع؛ فتحكي عن مقتل قاضيين من قضاة المحكمة العليا. تقوم إحدى طالبات الحقوق بالتحقيق في مقتلهما. في رحلة تجعلها تلتقي رجالاً من وكالة المخابرات المركزية وآخرين من المجرمين، وتتعرض خلال ذلك لجملة أخطار، ويُقتل بعض الرجال الذين ساعدوها في مراحل التحقيق، وتنجو من الموت غير مرة لتكتشف في النهاية أن مقتل القاضيين حصل لأنهما كانا يعارضان بعض المشاريع التي كان أحد رجال الأعمال يخطط لها على ما فيها من إساءة للبيئة، وكان رجل الأعمال وأعوانه يأملون أن يعين رئيس الجمهورية مكانهما قاضين متسامحين في شؤون البيئة لا يعارضان المشروع. وكان لتحقيقات هذه الطالبة أن كشفت أسرار الجريمة وأحبطت مشاريع المجرمين الذين ارتكبوا الجرائم بإيعاز من رجل الأعمال.

تلك هي خلاصة شديدة الإيجاز للروايات الثلاث الأولى التي ألفها جون جريشام، والأخيرتان منها احتلتا مراكز الصدارة في قوائم الكتب الأكثر مبيعًا وانتشارًا مدة طويلة. وكذلك نجحت الأفلام المقتبسة منها أيما نجاح.

وهكذا تحول المحامي العادي إلى كاتب ناجح.

عندما نشر هذا المحامي روايته الثانية «الشركة» شبهه النقاد وقتها بمحام آخر كتب عددا من الروايات نالت نجاحا كبيرا وهو الكاتب سكوت تورو مؤلف كتاب «بريء حتى يدان» وهو كتاب ناجح اقتُبس منه فيلم ناجح... وتمر الأيام وإذا بجون جريشام يتفوق على سكوت تورو ويصبح الحصان المجلي بين الكتّاب كلهم محامين وغير محامين.